ديوان

لسان الدين بن الخطيب

السلماني

ديوان

لسان الدين بن الخطيب

السلماني

صنعه وحققه وقدم له

الدكتور محمد مفتاح

المجلد الأول

دار الثقافة
للنشر والتوزيع
34.32 شارع فيكتور هيكو ـ ص.ب. 4038
الهاتف 30.76.44 - 30.23.75
157 شارع لاجيروند ـ الهاتف 24.79.32
تيليكس 22602 ـ الدار البيضاء

الطبعة الأولى 1409هـ/1989م
جميع الحقوق محفوظة

تقديم عام

شكر واعتراف

أضع بين يدي الباحثين، في ميدان الأدب الأندلسي، ديوان لسان الدين بن الخطيب السلماني، وقد ألح عليّ أساتذتي وأصدقائي لاظهار هذا العمل والسعي إلى نشره.

وإذا نال هذا العمل بعض التقدير من لدن المهتمين بالتراث الأندلسي فإن هذا التقدير لا يرجع إليّ وحدي، وإنما يشترك فيه معي جلة من الأساتذة كالدكتور أمجد الطرابلسي، الذي اقترح عليّ القيام بهذا العمل، والأستاذ محمد المنوني، والأستاذ العابد الفاسي والأستاذ إبراهيم الكتاني وغيرهم، فقد كان هؤلاء صُوًى تهديني في طريقي الصعب الوعر، وكانوا مهتمين بهذا العمل وكأنه لهم.

أما الدكتور المشرف محمد بنشريفة، فلا أستطيع أن أوفيه حقه من الشكر، فالعين الخبيرة تدرك مدى ما بذله من جهد معي في تقويم النص وتنبيهي إلى بعض دقائق الأمور، التي لولاه ما كنت أهتدي إليها.

ولعل هذا الديوان سيأخذ المكانة اللائقة به في المكتبة الأندلسية، إذ، على ما له من قيمة أدبية ولغوية عظمى، هو مرآة تعكس، بجلاء، الحياة السياسية والاجتماعية خلال نصف قرن من الزمان.. فهو صورة للصراع الإسلامي الرومي، والصراع الداخلي بين حكام الأندلس أنفسهم، وصورة للصراع المريني نفسه. وهو أيضا صورة للحياة المترفة من قصور وحدائق ومتنزهات، ولحياة الشظف كحياة الأعراب...

وقد حاولت في مقدمتي ــ أو على الأصح انطباعاتي ــ أن أظهر شيئا من هذا ، فركزت على دراسة المضمون التاريخي والاجتماعي لشعر ابن الخطيب، كما أني ربطت أغراض شعره بالبيئة التي قيل فيها باعتباره أنه كان يلبي حاجة اجتماعية وقتئذ، كما ربطته بنفسية قائله، وبالتراث العربي.

وقد كنت راغبا في حذف هذه المقدمة التي هي محتاجة إلى كثير من التنقيح والتهذيب وإعادة النظر، ولكني غالبت تلك الرغبة وقررت أن أقدم هذا العمل على عِلاّته، ثقة بأن القارىء سيعذرني إذا ما نظر بعين الانصاف إلى الجهد الذي بذل في خدمة النص، وإذا ما اعتبر أنني باحث مبتدىء، واعتبر الشهادة التي نيلت به، ومهما يكن فأرجو أن أكون قد وفقت بعض التوفيق في تقديم هذا العمل للقراء والباحثين، منتظرا ملاحظاتهم وتوجيهاتهم.

ومع أن هذه الرسالة قدمت سنة 1972، فإنها لم تَرَ النُّور إلا آخر سنة 1988، وقد سمحت هذه المدة الفاصلة بإدخال تعديلات مهمة على النسخة التي قدمت للمناقشة ولكن تلك التعديلات لم تمسَّ إلا المَتْن الشعري، وأما التقديم فأبقيته على ما هو عليه.

وعلى الله قصد السبيل.

11 جمادى الأولى 1409هـ/20 دجنبر 1988م

محمد مفتاح بلغزواني

مصادر شعر ابن الخطيب

ا) ان الدواعي التي تدعو إلى اتخاذ هذا الموضوع محلا للاهتمام كثيرة ومتنوعة . ولعل أهمها :

1 ــ أن ابن الخطيب اهتم به من نواح مختلفة ، ولكن لم يهتم به شاعرا . ومرد هذا الاهمال في نظرنا أن شعره لم يكن معروفا منه إلا ما في النفح وأزهار الرياض ، وبعض المقطوعات في مصادر أخرى .

2 ــ أن ما عرف من هذا الشعر في هذه المصادر وبخاصة في النفح يحوم حول بعضه الشك . فهناك مجموعة من المقطوعات نسبت إلى ابن الخطيب وليست له[1] .

3 ــ محاولة جمع هذا الشتات المتفرق من شعره في ديوان جامع يستفيد منه الباحثون .

4 ــ ان هناك أشعارا غير منسوبة في بعض مؤلفات ابن الخطيب يحتار الباحث في نسبتها ، فأتى هذا المجموع لازالة الشبهة حول كثير منها .

فلعل هذه العوامل جميعها جديرة أن تدفع الباحث إلى جمع شعر ابن الخطيب وتحقيقه .

ب) وقد اتجه بحثنا أولا عن دواوين شعره التي ألفها بنفسه «كالصيب والجهام والماضي والكهام» و«أبيات الأبيات» و«فتات الخوان ولقط الصوان» و«الحالي والعاطل والمسعف والماطل» .

وقد ساعدنا الحظ فعثرنا على نسخة كاملة من «الصيب والجهام والماضي والكهام» بخزانة القرويين العامرة ، كما عثرنا على ثلاث قطع من هذا الديوان نفسه . أولاها في الخزانة العامة بالرباط ، وثانيها نسخة الأستاذ محمد الفاسي ، وثالثها للأستاذ الحريشي .

---

(1) انظر الأبيات البائية في النفح (جـ : 6 ص : 320)
الأبيات الجيمية في النفح (جـ : 7 ص : 27)

وإذا أسعدنا الحظ فحصلنا على أهم قسط من « الصيب والجهام والماضي والكهام » فإننا لسوء الحظ لم نعثر على المختارات الأخرى ، بيد أننا نستطيع أن نؤكد أن الأغلبية العظمى من شعر ابن الخطيب قد استطعنا أن نحصل عليها وذلك لسببين :

أولا : أن آخر اختيار لابن الخطيب وهو « الصيب والجهام والماضي والكهام » قد وصلنا جله .

ثانيا : ان الاختيارات الأخرى كانت عبارة عن اختيارات من « الصيب والجهام » نفسه .

كما اتجه بحثنا عن آثار ابن الخطيب الأخرى ، مخطوطة ومطبوعة ، فعثرنا على قسط كبير من شعره فيها . وأهم هذه المخطوطات : مختصر الإحاطة ، والسفر الثالث من «نفاضة الجراب وعلالة الاغتراب» ، و«السحر والشعر» ، و«مركز الإحاطة» ، ومجموعتان من أوراق «بالقرويين» . والقسم الأول من «أعمال الأعلام» ، و«الريحانة» .

وواضح أننا اطلعنا على آثار ابن الخطيب المطبوعة كالقسم الأندلسي والمغربي من «أعمال الأعلام» ، والسفر الثاني من «نفاضة الجراب» . و«الكتيبة الكامنة» ، و«رقم الحلل في نظم الدول» وغيرها .

وقد اتجهنا بعد هذا للاطلاع على ما في المؤلفات عنه من أشعار أو المؤلفات التي خصته بترجمة ككتابي المقري : النفح والأزهار ، ومخطوط كتاب «الكوكب الثاقب» و«درة الحجال» ، و«جذوة الاقتباس» وغيرها مما يشار إليه في الحواشي .

جـ) **وصف المصادر** :

نستطيع أن نقسم هذه المصادر إلى قسمين :

1 — أصول ، ونعني بها الأصول المخطوطة من ديوان « الصيب والجهام والماضي والكهام » .

2 — وغير أصول ونعني بها باقي آثار ابن الخطيب وغيرها .

1 — وصف الأصول :

ا) **وصف الأصل «م»** : ونعني به قطعة الخزانة العامة المسجلة تحت رقم 1232 د . يشتمل هذا الأصل على قصائد طويلة ومقطوعات في مختلف الأغراض . وهو مبتور

الأول . فلا نجد فيه مقدمة الديوان ، وقصيدة طويلة في مدح أبي الحجاج ، وبيتين في وصف رحيله من فاس .

به 108 ورقة ، مسطرته : 15 . مقياسه 150/195 . مكتوب بالسواك بخط أندلسي عتيق جدا ، ومصحح بكثير من التصحيحات والملاحظات .

ويبتدىء بقصيدة في مدح أبي القاسم بن رضوان أب ــ 3أ . ثم حرف الباء 3أ ــ 33ب (ولكن هناك ورقة مبتورة هي ــ 8ب) . فالتاء 33ب ــ 39ب . فالثاء صأ ــ 41أ . فالجيم 41أ ــ 48ب . ثم حرف الحاء 48ب ــ 53أ . وهنا نجد بترا أيضا في حرف الحاء يمكن تقديره بأَرْبَع أوراق بالمقارنة بالنسختين الأخريين. إذ من 53أ يقع الانتقال إلى حرف الدال.

وحرف الدال مبتور من أوله مقطوعتان وقصيدة طويلة بما يمكن تقديره بورقتين . والحق أن حرف الدال في هذا الأصل ، ليس له أي ترتيب لأوراقه . فهو عبارة عن أوراق ضم بعضها إلى بعض في اضطراب وفوضي شديدين . فمثلا نجد بداية حرف الدال 53ب هي تتمة لقصيدة في 57ب . والقصيدة المدحية 54ب تتمتها في 56أ . وبداية القصيدة في 56أ نجد تتمتها في 57أ . وبداية القصيدة في 54ب نجد تتمتها في 60ب . وهكذا .

أما حرف الراء فيبتدىء من 81ب وينتهي في 108أ . وترتيب أوراق هذا الحرف ليس من قبيل ترتيب حرف الدال . وإن كان لا يمكن الإطمئنان إليه كلية .

غير أن هذا الأصل في هذا الحرف يمتاز بمحو كثير في جل صفحاته وقد استطعنا أن نملأ بعض هذا المحو بما استخرجناه من أشعار في المصادر المختلفة كـ «الاحاطة» ، و«نفاضة الجراب» ، وبما وجدناه في نسخة الأستاذ الحريشي .

ب) وصف الأصل «ف» : ونعني به نسخة الأستاذ الفاسي رقم الميكروفيلم 1263 .

نجد في أول ورقة منه قد كتب على وجهها «كتاب الصيب والجهام والماضي والكهام» مرتب على حروف المعجم لابن الخطيب السلماني ــ رحمه الله ــ ألفه سنة ثمان وأربعين وسبعمئة .

يبدأ بالمقدمة إلى 4ب ثم يبدأ حرف الألف من 4ب إلى نهاية 10ب . فالباء من 11أ إلى 70ب ثم حرف التاء من منتصف 70ب إلى 79أ . (ثم نجد بعد هذا قصيدة مكتوب بجانبها تنقل إلى حرف الياء فثم موضعها تشغل من نهاية 79أ إلى آخر 81أ) ثم يأتي حرف

الثاء من نهاية 81أ إلى نهاية 83أ . ثم حرف الجيم ويشغل من 84ب إلى جزء من 98ب . ثم حرف الحاء . ويبدأ من 98ب إلى 126ب ثم حرف الدال ويبدأ من 126ب إلى 157أ .

وينتهي هذا الأصل هنا،وهو مكتوب بخط مغربي جميل ، وناسخه عالم . وعدد أبيات الصفحة في المعدل 15 . طوله 21سم وعرضه 13سم . وهذا الأصل أحسن الأصول ترتيبا وكتابة وصحة .

ج) **الأصل «ح»** : ونعني به أصل الأستاذ الحريشي : وهو مكتوب عليه اسم « ديوان الصيب والجهام والماضي والكهام » يقع في 99 لوحة من القطع المتوسط في كل صفحة 17 سطرا في المتوسط . طول الصفحة 21 سم وعرضها 14 سم .

وهذا الأصل يشابه كثيرا إن لم يتطابق مع الأصل «ف» محتوى وترتيبا . على أننا نجد فيه قصائد في حرف الراء . ولعل هذا الحرف كان كاملا فيه مثل الأصل «م» غير أنه بتر .

د) **الأصل «ق»** : ونعني به أصل القرويين : يقع في ثلاث مجموعات أو قسم إليها . فالمجموعة الأولى تبدأ من 1أ إلى 10ب . والثانية من 1أ إلى 21أ . والمجموعة الثالثة من 1أ إلى 85ب . فالأصل كله إذن (10 + 21 + 85 = 116) . غير أن 4 أوراق أغلبها نثر أضيفت إلى الديوان بعد عبارات الختام والنهاية . فيبقى من الشعر 100 ورقة .

وهذا الأصل مبتور الأول ذهب منه بعض قصيدة حرف الهمزة. ومقدمته إن كانت له مقدمة . وطول الورقة 27سم وعرضها 19سم . وكل ورقة تحتوي في المتوسط على 23 سطرا وهو مكتوب بخط مغربي لا بأس به من الناحية الجمالية وإن كان صاحبه ليس مثقفا . نظرا للاخطاء الموجودة في النص .

والأصل يبتدىء بقصيدة حرف الهمزة ثم حرف الباء ... على الترتيب الأندلسي . ويلاحظ أنه لا يحتوي على حرف الثاء المثلثة ، والخاء ، وحرف الدال ، والطاء ، والصاد ، والواو . ويحتوي على قصائد طويلة ، ومقطعات قصيرة . وجل هذه القصائد في مدح أبي الحجاج النصري وينتهي بعبارة تنص على أنه انتهى من تأليفه في اليوم التاسع لشهر الله المحرم فاتح عام أربعة وأربعين وسبعمئة[2] . ومن نسخه في الثالث عشر من ربيع النبوي عام 975 هـ .

(2) انظر ص : 765 .

وإذا كانت المقدمة مبتورة من هذا الأصل فإننا بالطبع لا ندري ما اسم هذا الديوان . ولكننا نعتقد أنه الصيب والجهام والماضي والكهام ولكنه الأول لا الأخير وذلك :

1 ــ أن صاحب «الكوكب الثاقب» ، و«إدراك الأماني من كتاب الأغاني» ينقل خلال ترجمته بابن الخطيب قصائد له وينص أنها من الكتاب المذكور . وقد وجدناها فعلا في هذا الأصل .

2 ــ اننا نجد في الصيب والجهام الثاني قصائد مأخوذة من الصيب والجهام الأول .

2 – وصف غير الأصول :

ا) مختصر الاحاطة في أخبار غرناطة ــ الخزانة العامة رقم 1582د .

يبتدىء بترجمة محمد بن أحمد بن محمد بن أبي خيثمة ، وينتهي بترجمة يحي بن ابراهيم البرغواطي . عدد أوراقه 250 ، مسطرته 31 ، مقياسه 180/255 . كما نجد في هذا المختصر بعد انتهاء التراجم ترجمة ابن الخطيب ، والمحنة التي تعرض لها في المنفى الأول وتواليفه وقصائده . بعضها مذكور في مصادر مختلفة . وبعضها انفرد به .

القصائد الذي انفرد بها :

- جز على أجرع الحمى لا محالة
- لنا في الفخر اسنمة مطلعه
- أسائلكم هل من خبير بسلوان
- سبق القضاء وأبرم المحترم

كما نجد تتمة للقصيدة : « تعلقته من دوحة الجود والباس » .

ويأتي بعد هذه القصائد المقطوعات المشتملة على الأغراض المتعددة :

- منها في غرض التورية
- منها في غرض المدح
- في أغراض النسيب
- في أغراض التضمين
- في الأوصاف وما يرجع إليها
- في أغراض الاشارات الصوفية وغيرها من الوعظ والجد والحكم .

وبعض هذه المقطوعات نجده في مصادر متعددة ، وبعضها انفرد به كما يظهر ذلك من التخريج .

وبعد هذا تأتي قصائد ورسائل معروفة ، وينتهي بعبارة الختام.ومختصر الاحاطة مأخوذ بالتصوير الشمسي عن المخطوط المحفوظ بخزانة الاسكريال رقمه بها 1373 ، ومكتوب بخط مغربي وسط ، وهو صحيح الشعر والمعلومات مما يبين أن ناسخه عالم ، ولكن الخط جِدّ ضيق مما يجعل القراءة فيه صعبة .

ب) **السفر الثالث من نفاضة الجراب :**

وقد استخرجنا أيضا بعض القصائد والمقطعات من هذا المخطوط ورقمه 256ك . وهو السفر الأخير حسبما يؤخذ من كلمته الختامية . وهو مكتوب بخط أندلسي قديم قد يرجع إلى الألف الهجري . وقد وجدنا فيه 77 قصيدة ومقطوعة مع ملاحظة أن بعض القطع مكررة كأبياته في ابن كماشة ، وابن خاتمة . وبعض هذا الشعر مذكور في مصادر متعددة ، وبعضها انفرد به المخطوط . وتخريجاتنا للقصائد تبين ما انفرد به .

جـ) **السحر والشعر والريحانة ومصادر أخرى :**

وقد استفدنا أيضا من سفر ريحانة الكتاب رقم 633ك و«السحر والشعر» رقم 121د . و«عمل من طب لمن حب» . وبعض الأشعار في هذه الكتب موجودة في مصادر مختلفة ، وبعضها انفردت به .

هذا وقد استفدنا من بعض المجاميع كمجموع رقم 295ق ورقم 774د . و«مظهر النور الباصر» رقم 13جـ . والكوكب الثاقب . كما استفدنا من الكتب المطبوعة كالنفح والازهار في تحقيق الأشعار التي تشترك فيها مع المصادر الأخرى .

د) أشعار من مجموع الأستاذ الشاذلي النِّيفِر ، وليس في هذا المجموع زيادة ، ولا شيء غير معروف . وقد رمزنا إليه بـ : «ت» عدا مقطوعة في حرف الميم ، وهو نقل مما في القرويين .

3 – منهـج التحقيـق :

لقد اعتمدنا في تحقيق ما تجمع لدينا من شعر ابن الخطيب على الأصول الثلاثة «م» و «ح» و «ف» إلى مُنْتَهَى حرف الراء . وهذه النسخ الثلاث ليس هناك فرق كبير بينها . وإذا كانت هناك فوارق بين هذه الأصول الثلاثة فإننا رجحنا ما يقتضيه السياق ، كما أنه

إذا وجد فرق بين الأصول الثلاثة والمصادر الأخرى ، فإننا رجحنا الأصول إلا إذا كان متنها مرجوحا .

أما الأصل «ق» فما اشترك فيه مع الأصول الثلاثة . وكان هناك خلاف ، جعلنا متنه مرجوحا لأنه يكثر فيه الخطأ ، إلا إذا تعين متنه بموجب ما قدمنا . وقد وجدنا في هذا الأصل قصائد تامة قد اختصرها ابن الخطيب في الصيب والجهام الأخيرة اثبتناها كما وردت في هذا الأصل مع المحافظة على ترتيب أبياتها . ووضع هذه الزيادة بين معقوفين .

على أننا وجدنا قصائد برمتها في هذا الأصل ليست مما أَتَى في الأصول الثلاثة ، اثبتناها مباشرة بعد انتهاء كل حرف من رَوِيّ هذه القصائد .

وأما ما انفرد به هذا الأصل وهو يكثر فيه الخطأ والتحريف فإننا اثبتنا ما رجَّحْنَاهُ وكتبنا الكلمة المشكوك في صحتها في الهامش كما وَرَدَتْ في الأصل . غير أن الكلمات التي يمكن أن تحتمل قراآت كثيرة . لا يرجح احدى هذه القراآت وزن ولا معني اثبتناها كما وردت مع الاشارة إلى ما يمكن أن تقرأ به . وهناك كلمات فيها خروم استطعنا أن نقدر بعضها ، وبعضها الآخر لم نستطع تقديره فتركناها كما وردت مع الاشارة إلى ذلك .

وقد أشرنا في الديوان إلى أرقام الصفحات في الأصول ، وبما أنه ليس لدينا أصل معتمد في الديوان كله فقد رقعنا الترقيم . فما اعتمدناه من هذه الأصول اعتمدنا صفحاته في الترقيم . فقد اعتمدنا الأصل «ف» إلى حرف الدال واعتمدنا الأصل «ح» في حرف الدال كله . واعتمدنا الأصل «م» في حرف الراء جميعه . أما الأصل « ق» فاعتمدناه في باقي الحروف ، وفيما انفرد به من قصائد في الحروف السابقة .

وأما ما ليس موجودا في هذه الأصول من شعر واستخرجناه من مصادر مختلفة فقد جعلنا لكل حرف ملحقه مع الاشارة إلى صفحات المصدر أو المصادر إن كان مطبوعا أو إلى لوحاته إن كان مخطوطا .

وفيما يرجع لايضاح النص فقد شرحنا بعض المفردات التي تحتاج إلى شرح ، وأوضحنا بعض التوريات ، وعرفنا بالضروري من الأعلام . وبينا عروض كل مقطوعة أو قصيدة .

تطور فنه

ليس يخاف أن الفن عامة ، ومنه الشعر ، ليس إلا استجابة — في مجمله — لدوافع خارجية وداخلية تقتضيها البيئة التي يعيش فيها صاحب هذا الشعر ، وابن الخطيب لم ينج من هذا القانون الحتمي . ولهذا كان لزاما علينا أن نرصد شعره من بدايته إلى نهايته ونحاول أن نقسمه إلى فترات يظهر أن بعضها متميز من بعض .

على أنه يَنْبَغي أن ننبه أن ليس بين هذه الفترات انفصال تام وتمايز مطلق ، ففي ميدان العلوم الإنسانية والأدبية ليس هناك حد فاصل ، فقد تمهد كل فترة لسابقتها ، وَتَكُونُ الفَتْرَةُ المعيشة هي نتيجة حتمية لسابقتها ، كما أن هذه سيكون لها تأثير فعال في لاحقتها ، وهكذا فحياة الإنسان في جدل وتفاعل مستمرين .

غير أنه قد تحدث في حياة الفَرْدِ أحداث عنيفة ترج كيانه رجا عنيفا تجعله يراجع قيمه وأحكامه على الأشياء ، والكون ، والناس . وقد أصابت ابن الخطيب أحداث جسام أثناء حياته الخصبة المتنوعة ، وعلى ضوء هذه الأحداث نستطيع أن نقسم حياته إلى فترات ثلاث ، وهذه الفترات الثلاث إن لم تصل إلى حد التباين فإنها لم تعدم طابع الخصوصية .

ا) فترة الشـــباب :

وهذه الفترة تبتدىء من قوله الشعر إلى سنة 760 هـ ، وأغلب ما وصل إلينا من شعره قيل في هذه الفترة ، ولهذه الظاهرة أسباب عديدة لعل أهمها :

1 — أن ابن الخطيب كان شابا طموحا ، يريد أن يحقق هذا الطموح ، وأن يظهر في الوقت نفسه تفوقه على الشعراء الذين كان يعج بهم قصر الأمير أبي الحجاج يوسف أولا ، وابنه محمد (الغني بالله) ثانيا . فهذه البيئة المثقفة الشاعرة كانت تَحُثُّ ابْنَ الخطيب على أن يشحذ قريحته ليأتي بالشعر الغزير .

2 — لم تكن هذه البيئة وحدها الدافع إلى قوله الشعر ، بل نجد أبا الحجاج السلطان الأديب كان كثيرا ما يكلفه القول في أغراض يقترحها عليه . يقول ابن

الخطيب : « وقلت أصف ليلة أنس حسبما كلفت ذلك »[3] « وقلت من النظم القديم باقتراحه رحمه الله »[4] ، « وقلت وقد تشيع السلطان ؛ رحمة الله عليه ، للصوفية والفقراء وأحضرهم مجالسه وأظهر الميل إليهم وأمر بالنظم في طريقهم »[5] . وما أكثر هذه الأشياء التي كان يراها السلطان أبو الحجاج وغيره من السلاطين الذين اتصل بهم ابن الخطيب ، فيريدون فيها شعرا ، فيلبي هذه الارادة ابن الخطيب ، ومن ثمة نجد شعرا كثيرا قاله باقتراح .

3 — أن أبا الحجاج ، فوق أنه كان أديبا ، كان محاربا للروم ينتصر عليهم أحيانا ، وينهزم أحيانا أخرى ، فكان لا يرى هذا الملك إلا في حرب أو مستعد لحرب أخرى أو في بهو قصره مستعدا لاستقبال أرسال الروم آتية لطلب السلم ، وراغبة في الهدنة . وكل هذا أفسح المجال لقول الشعر فيه ، وابن الخطيب كان من شعراء بلاطه ، عليه أن يخلد هذه المآثر فأطلق لشاعريته العنان في امتداحه . وقد فَطِنَ القدماء إلى هذا . فقد ورد في النفح : « وامتدح السلطان أبا الحجاج من ملوك بني الأحمر لعصره ، وملأ الدنيا بمدائحه ، وانتشرت في الآفاق فرقاه السلطان إلى خدمته[6] » . ولعلنا لسنا في حاجة إلى ضرب الأمثلة . فديوانه يفهق بالمديح لهذا السلطان .

وإذا كان لهذه الفترة دور كبير في كثرة شعر ابن الخطيب ، فإن لها تأثيرا كبيرا في سماته كذلك ، ولعل أهم هذه السمات التي يمكن أن نرصدها في شعر هذه الفترة ما يلي :

1 — سمة التقليد : نجده في شعر هذه الفترة يقلد كثيرا من شعراء المشارقة كأبي نواس . يقول : « وقلت في أسلوب الحسن بن هانيء »[7] . كما نجده يقلد أبا تمام في قصيدته السينية التي يمدح بها السلطان أبا حمو[8] ، وقد علق أبو عبد الله التنسي عليها فقال : « ان ابن الخطيب حذا حذو سينية أبي تمام التي أولها :

أقشيب ربعهـــــــم أراك دريسا تقــري ضيــوفك لوعـــة ورسيسا

(3) انظر ص : 108
(4) انظر ص : 485 .
(5) انظر ص : 199
(6) النفح (جـ : 7 ص 26) .
(7) انظر ص : 701
(8) انظر ص : 712 .

واختلس كثيرا من ألفاظها ومعانيها[9] ، كَمَا كَانَ متأثرا بالمتنبي في كثير من المظاهر الشعرية والسلوكية كما سنوضحه فيما بعد . على أن هذا التقليد يمكن أن نجعله سمة عامة في شعره وإن كان في هذه الفترة أوضح منه في الفترتين الأخريين .

2 ــ وقد أدى هذا التقليد بابن الخطيب إلى التكلف ، فكان يجهد نفسه لالتماس الصيغ والمعاني حتى يرضي غروره ويظهر للعيان أنه ليس أقل شاعرية من هؤلاء الشعراء العظام .

3 ــ الضعف : وقد وجدناه يعتذر أحيانا عن هذا الضعف بصغر سنه كما في مدحه أبا بكر بن الحكيم ، يقول : « وقلت في زمن الحداثة حسبما يلوح عليه التكلف أخاطب الوزير أبا بكر ابن ذي الوزارتين أبي عبد الله بن الحكيم »[10] أو يصرح بقوله : « وانحطاط هذه الأبيات عن الاجادة لما قدمنا من العذر بين ولا يحتاج إلى عذر مع تسمية الكتاب بحول الله »[11] . وفوق هذا كله فقد كان يكلف بقول الشعر ارتجالا أحيانا كثيرة ، الشيء الذي لم يتح له التجويد والتنقيح واعمال الروية حتَّى يَنْظُمَ شعرا مستويا فيه عَاطِفَةٌ واحساس .

وواضح أنه لم يكن يرتجل إلا تلك المقطعات الصغيرة . وأما ما يدعيه من ارتجال قصائد طويلة فنظن أن ليس ذلك إلا دعوى .

4 ــ تصوير الحياة المشرقة وملاذ الحياة الدنيا ، فليس هناك ذم للدهر أو عتب على الدنيا ، أو نظرات في الحياة الأخرى ، فإذا قال شعرا عليه مسحة دينية ، فإنَّمَا قاله ، بناء على طلب الأمير[12] ولم ينظمه لدوافع وجدانية ذاتية .

ب) فترة السلطة المطلقة والقلق والحيرة : (760 ــ 772)

لم تسر أيام ابن الخطيب في هذه الفترة على وَتِيرَةٍ واحدة ، فقد شاء القدر أن يتعرض لهزات عنيفة رجت كيانه وجعلته يكفر بالحياة وأهليها ، وينظر فيما قدمت يداه من خير ابتغاء مرضاة الله في الحياة الأخرى . ونستطيع أن نلخص هذه الهزات العنيفة في المظاهر الآتية :

---

(9) انظر الأزهار (جـ : 1 ص 257) .
(10) انظر ص : 115 .
(11) انظر ص : 173 .
(12) انظر ص : 485 .

1 — حدث انقلاب ضد مخدومه السلطان (الغني بالله) الذي لجأ إلى المغرب بمساعدة السلطان أبي سالم[13] . وبقي بعده ابن الخطيب وزيرا في الدولة الناجمة ، ولكن سعى الساعون[14] ضده فأودع السجن . وصودرت أمواله ، وقد صور هذا بمرارة في قَوْلِهِ : « وتقبض علي ، وانتهب قليل ما يعلم لي وكثيره ، وتافهه وخطيره ، وأعمل التدبير في الاراحة مني ، والاحتيال في سبب هلاكي »[15] .

2 — وبعد أن تدخل السلطان أبو سالم المريني لصالحه جاء إلى المغرب واستقر في مكان عرف منذ القديم بالصلاح ، وَسُكْنَى أولياء الله الصالحين ، والزوايا ، فصادف هذا الجو السلاوي هوى في نفس ابن الخطيب ، وقد أشار إلى هذا بقوله : « فحججت إلى السكن بمدينة سلا حيث ضربت الحرمة رواقها ، وأقامت الحسنة بسبب الضريح المقدس أسواقها تجرَى علي بها النعم ، ويظللني المجد والكرم ، فلا أعد من عمري إلا أيام مقامي بها ، وسكناي فيها تفرغا إلى ما أريده من دنيا وآخرة وعافية شاملة ، وجنة عاجلة[16] » . ولم يلبث هذا الجو التقي أن صبغه بصبغته وشارك فيه مشاركة . يقول : « وكنت وصلت من المغرب ولي ورد في الليل ووظيفة من الذكر ، وحظ من الخير ضايقني في ذلك كله فضول القول والعمل فهجرت السُّبْحة ، وطلقت الورد ، وما طلت الغرض بوقته ، وعمرت الزمان بِمَا لَا يُغْنِي عَنِّي مِنَ ٱللَّهِ مِنْ شَيْءٍ »[17] .

3 — يضاف إلى ما قدمنا عامل مهم آخر لعله كان أنكأ على نفسية ابن الخطيب من كثير من الحوادث التي مرت به ، فقد زوجه في هذه الفترة الحرجة من حياته ، وقد ناله من جراء هذا الفقد حزن أليم ، وقد صوره في هذه العبارات الدامعة : « وفي السادس لذي قعدة من عام اثنين وستين وسبعمئة المذكور طرقني ما كدر شربي ، ونَغَّص عيشي من وفاة أم الولد عن أصاغر زغب الحواصل بين ذكران وإناث في بلد الغربة ، وتحت سرادق الوحشة ، ودون أذيال النكبة فجلت عليها حسرتي ، واشتد جزعي »[18] .

(13) انظر نفاضة الجراب (جـ : 2 ص : 215)
(14) انظر بعض هؤلاء الساعين في قصيدته ص :
(15) أعمال الاعلام . ص: 358 وما بعدها .
(16) انظر المرجع نفسه ص 313 . وانظر أيضا نفاضة الجراب (جـ 3 لوحة 123) . ورسالة « يول نويا » على ابن « عباد الرَّندي » فقد تعرض فيها لمدرسة أحمد بن عاشر اثناء استقراره « بسلا »
(17) انظر اعمال الأعلام ص 315 — 317
(18) انظر نفاضة الجراب (جـ : 2. ص 205)

4 ـ وفوق كل هذا ، هناك عامل السن ، فقد وصل ابن الخطيب إلى سن الحرج التي يعود فيها الإنسان إلى ربه ، ويندم فيها المسلم على ما فرط منه ، بالإضافة إلى تربية دينية نَشِئَ فيها .

ومهما يكن من أمر ، فإن هذه العوامل كلها مجتمعة قد أثرت في شعر ابن الخطيب من حيث الكم والكيف ، فمن حيث الأغراض لا نجد في شعر هذه الفترة شعرا خمريا ، ويتضح من الديوان أنه لم يكن شاعر خمرة فَحَتَّى في شبابه كان يقوله تكليفا أو معارضة[19] ، كذلك لا نجد شعرا للغزل ، بل صار حينما يورد قصيدة غزلية في الديوان قالها في شبابه يذكر بعض العبارات التي تفيد ندمه : « وقلت في غرض النسيب لمن كلفني ذلك في زمن الصبا والله يتجاوز بفضله »[20] أو « وقلت في التَّغَزُّلِ وما أبعده عني في الوقت ، والحمد لِلّه »[21] .

على أنه إذا انعدم هذان الغرضان في شعره في هذه الفترة ، فقد نما فَنٌّ آخَر عنده وهو الشعر الديني ونقصد به ، هنا ، شعر التصوف والزهد ليس غير ، ونلمس هذا النمو لهذا الغرض في هذه المقطوعات التي نجدها في « روضة التعريف بالحب الشريف » بل يذهب بعض الباحثين إلى أنه كان متصوفا في هذه الفترة : « ولكن الشيء الذي لا يعرفه أكثر الدارسين هو أنه كان متصوفا ، أكثر منه شاعرا وأديبا كما يبدو من كتابه « روضة التعريف بالحب الشريف »[22] » .

وما قدمناه لا يعني أن هذه الفترة من حياته كانت فقيرة في انتاجه الشعري ، إذ أن أهم مؤلفاته ألفها في هذه الفترة ،[23] ومؤلفاته ـ كعادته ـ يضمنها كثيرا من شعره ، وانما الذي نزعمه أن فنونا عندهَ من الشعر اختفت أو كادت ، وبخاصة ما وصفه بالهذر . يقول : « ومنها الاشتغال بالهذر عن العلم والنظر منذ أزمان عديدة ، ومدد مديدة ، فلم يبق مما حصل ، وإليه في الزمن الأول توصل إلاَّ رسم بلقع ، وشمل ما له مرقع »[24] .

وقد أثرت تلك العوامل في شعره من الناحية الكيفية ، ولعل هذا التأثير يظهر في الخصائص الآتية :

---

(19) انظر قصائد من الديوان كثيرة .
(20) انظر ص : 394 .
(21) انظر مطالع بعض المقطوعات والقصائد الواردة في هذا الشأن .
(22) الشيخ مصطفى عبد الخالق الشبراوي ـ مقدمة روضة التعريف ص : 12 .
(23) انظر مقال العبادي : عن مؤلفات ابن الخطيب .
(24) روضة التعريف ص : 699 .

1 – **الصدق** : فلم يكن ابن الخطيب صادقا ولا أصيلا في شعر الشباب . وإنما كان يقوله بدافع المحاكاة حينا والمعارضة حينا آخر ، وبتكليف من الأمير طورا آخر ، كأن يقول : « وقلت على الطريقة التحقيقية »[25] أو « على أسلوب الحسن بن هانىء »[26] أو يُغيرُ على أسلوب المتنبي ومعانيه ... أما شعره في هذه الفترة فتطغى عليه سيما الصدق ، وخاصة ما يتعلق به كرثائه لزوجه :

روع بالي وهاج بلبالي ... وسامني الثكل بعد اقبال
ذخيرتي حين خانني زمني ... وعدني في اشتداد أهوال
حفرت في داري الضريح لها ... تعللا بالمحال في الحال
وغبطة توهم المقام معي ... وكيف لي بعدها بامهال
سقي الحيا قبرك الغريب ولا ... زال مناخا لكل هطال
قد كنت مالي لما اقتضى زمني ... ذهاب مالي ، وكنت آمالي[27]

2 – **الشكوى** : ليس عجيبا أن نجد شعر ابن الخطيب يطفح بالشكوى بعد هذه النوازل التي حلت به ، وإنما العجب أن يخلو منها ، فمصادرة أمواله ، وسجنه ، وغربته ، وموت زوجه كفيلة أن تجعله يكثر من التضرع والشكوى . يقول :

تخونني صرف الحوادث فانثنى ... يقبل ارداني ومن بعد أرداني
وأزعجني عن منشأي ومُبَوَّئي ... ومعهد أحبابي ومألف جيراني
تلون اخواني علي وقد جنت ... علي خطوب جمة ذات ألوان
وما كنت أدري قبل أن يتنكروا ... بأن خواني كان مجمع خواني[28]

جـ) بداية النهاية : (منتصف 772 – 776 هـ)

يقول ابن خلدون : « وخلا لابن الخطيب الجو ، وغلب على هوى السلطان ، ودفع إليه تدبير المملكة ، وخلط بَنِيهِ بِنُدَمَائِهِ وأهل خلوته ، وانفرد ابن الخطيب بالحل والعقد ، وانصرفت إليه الوجوه ، وعلقت عليهِ الآمال ، وغشي بابه الخاصة ، وغصت به بطانة السلطان ، وحاشيته ، فتوافقوا في السعاية عليه »[29]

(25) انظر ص : 385 .
(26) انظر ص : 701 .
(27) انظر الديوان ص : 499 .
(28) انظر الديوان ص : 602 وما بعد .
(29) انظر العبر (جـ : 7 ص : 395) .

نستنتج من هذا :

1 ــ أن ابن الخطيب لم ينصرف عن الدنيا ، والسلطان ، والتكالب عليهما ، والانفراد بالحل والعقد ، وأن الجو الروحاني الذي عاش في ظلاله في سلا لم يؤثر فيه إلا تأثيرا موقوتا[30] ، والحق ، أن ابن الخطيب لم يزهد في الدنيا وقتا من الأوقات ، بل كان ديدنه اكتساب الأموال والضياع حتى في منفاه في المغرب[31] .

2 ــ أنه لم يخل له الجو مطلقا بل صارت السعاية عليه تترى حتى صارت حياته جحيما لا يطاق ، فبطانة الملك (الغني بالله) ، ومنها تلاميذ ابن الخطيب ، قد أفلحت في تعميق هذه السعاية حتى صار يعيش في حالة نفسية تعسة . وقد عبر عن هذه الحالة بقوله : « يعلم مولاي حال عبده منذ وصل إليكم في المغرب بولدكم ، ومقامه لديكم بحال قلق وقلعة »[32] ، وبقوله : «وصرت أنظر إلى الوجوه فألمح الشر في نظراتها ، وأعتبر الكلمات فأتبين الحسائفَ في لغاتها ، والضغينة في كل يوم تستحكم والشر يتضاعف ... أنظر إليهم يتناقلون الإشارات بالعيون ، والمغامزة بالجفون ، والمخاطبة باللغوز »[33] .

إن هذا الجو المسموم قد كوَّن عند ابن الخطيب ما أسماه بالضجر واليأس فصار لا يطيق المكث في البلاد الأندلسية ، بالإضافة إلى استحلائه جو البلاد المغربية التي لقي فيها إكراما وحفاوة وجاها من غير نافس عليه وحاقد ، ولذلك : «كانت عينه ممتدة إلى المغرب وسكناه ، فكان لذلك يقدم السوابق والوَسَائل عند ملوكه »[34] . ويظهر أنه كان مضيقا عليه فلذلك أعمل الحيلة للهرُوبِ إلى المغرب . فقد « تحرك لمطالعة الثغور الغربية ، وقرب من فرضة المجاز واتصال الأرض ببلاد الشرق طرقته الأفكار ... فغلبته حال شديدة هزمت التعشق بالشمل الجميع »[35] .

لعل هذه أهم العوامل التي جعلته يغادر الأندلس ، وقد أتى إلى المغرب راجيا أن يعيش عيشته السالفة أيام المنفى الأول وقد ظفر بما تمناه فـ « نزل بفاس واستكثر من شراء الضياع وتأنق في بناء المساكن ، وإغراس الجنات ، وحفظ عليه القائم بالدولة الرسوم التي

---

(30) انظر دراستنا : التيار الصوفي والمجتمع .
(31) انظر أعمال الاعلام ص : ي
(32) انظر التعريف ص : 129
(33) ابن خلدون ــ تاريخ البربر (جـ : 2 ص : 492)
(34) ازهار الرياض (جـ : 1 . ص 234) .
(35) التعريف ص : 148

رسمها له السلطان »[36] . بيد أن الحاقدين لم يضعوا السلاح ، وإنما أقسموا لينتقمن منه شر انتقام ، فصاروا يَتَتَبَّعُونَ عوراته وسقطاته مختلقين كثيرا منها ، فكان أن وجهت له تهمة الزندقة «ثم لفظ المنافسون له في شأنه ، وأغروا السلطان بتتبع عثراته ... وشاع على ألسنة أعدائه كلمات منسوبة إلى الزندقة أحصوها عليه ، ورفعوها إلى قاضي الحضرة »[37] .

وقد بقيت الرسل تترى على السلطان عبد العزيز ليسلم ابن الخطيب ، ولكنه كان يرفض تسليمه ، غير أن القدر شاء أن يجمع عدة عوامل أدت في الأخير إلى نهاية ابن الخطيب المأساوية ، وأهم هذه العوامل :

1 ــ موت السلطان القوي عبد العزيز فخلفه خلف استطاع ابن الأحمر أن يشغب عليهم النواحي الشمالية .

2 ــ استيلاء خصوم ابن الخطيب على السلطان في بلاط غرناطة .

3 ــ استنجاده بالسلطان أبي حمو جاء متأخرا[38] ، فلم يوجه ابن الخطيب رسائله إليه إلا بعد أن أصبح في ثقاف الأسر ، وفي غيابات السجن .

وبالتأكيد ، فإن هذا الجو المسموم والقلق النفسي الذي اعتراه من جرائه لابد أن يترك آثاره في شعره . غير أننا لا نستطيع أن نشخص السمات التي اكتساها شعره في هذه الفترة من حياته بكل دقة وذلك لقلة ما وصل إلينا من شعره فيها ، وربما ترجع هذه القلة إلى العوامل الآتية :

ا) قصر المدة التي قضاها حيا فلا تكاد تبلغ هذه الفترة أربع سنوات .

ب) ان القليل الذي تركه ابن الخطيب من الشعر فيها لم يصلنا إلا أقله ، وأهم ما وصلنا منه في مديح أبي حمو[39] والسلطان السعيد وحاجبه[40] وفي هجاء أبي الحسن النباهي[41] .

(36) ابن خلدون ــ تاريخ البربر (جـ : 2 ص : 493) .
(37) ابن خلدون ــ تاريخ البربر (جـ : 2 ــ ص 497) .
(38) انظر الديوان ص : 719 .
(39) انظر ص : 719 .
(40) انظر ص : 24 .
(41) انظر الصفحات : 740 ، 136 .

على أننا على ضوء ما وصلنا منه نستطيع أن نعطي حكما تقريبيا على شعر هذه الفترة . ولعله يتسم بالسمات الآتية :

1 – **النقمة** : ان ابن الخطيب ـــ كما يظهر من خلال آثاره ـــ كان شخصا حاد الطبع ، متعجرفا إلى حدود قصوى ، ومن ثم كان لا يسمح لأي شخص بالنيل منه ، فإذا نال منه أو خيل إليه أنه نال منه صب جام غضبه عليه.وقد زاد هذا الغضب عنفا وحدة في هذه الفترة ، وبخاصة أنه جاءته الكريهة من صنائعه . وقد صب نقمته هذه على أبي الحسن النباهي . يقول في هجائه :

عِـمَـامَـةُ آلْـبُـنِّيِّ مشـهورة بالحسن والإقبال ما أقبله
عمامة قد ظهرت في الأذى كأنها الفُقَّاعُ في المزبلة[42]

ويقول فيه :

جعسوس زين خطة الحكم التي شهد العفاف لَهُ بِهَا والخِيرُ
فصل الخصوم وقام يركب ذاهبا عنها ومد جناحه الطاشور
وكأنه جعل يدحرج جاهدا كرة الخراء ، وبعد ذاك يطير[43]

2 – **مسحة الحزن** : نلمس في أبيات كثيرة من شعر هذه الفترة هذه المسحة مع كآبة وتعلق بالمستحيل فيقول :

أما لو علمنا أنه ينطق الرسم ولم يبق يوما من مسماه إلا اسم
وأن سؤال الربع ينقع غلة فيخطر من أنباء من ظَعَنَ العلم
لطال وقوف واستهلت مدامع وبث غرام طالما صانه كتم
ولكنه جسم تحمل روحه ومهما تولي الروح لا يسأل الجسم
وحتى متَى شُغْلٌ بِمَا شَاءَهُ الْهَوَى وكيف بعزم بعدما خذل العزم[44]

ويقول في أخرى :

هيهات لا تغني لعل ولا عسى في مثلها إلا لآبة عيسى
والدهر في دست القضء مدرس فإذا قضي يستأنف التدريسا
تفتن في جمل الورى أبحاثه لا سيما في باب نعم وبيسا

---

(42) انظر الديوان ص : 522 .
(43) انظر الديوان ص : 446 .
(44) انظر القصيدة بتمامها في الديوان ص : 536 وما بعدها .

وسجية الانسان ليس بناصل من صنعها حتى يرى مرموسا
يغتر مهما ساعدت آماله فإذا عراه الخطب كان يَؤوسا
فلو أن نفسا مكنت من رشدها يوما وقدسها الهوى تقديسا
لم تستفز رسوخها النعمى ولا هلعت إذا كشرت إليها البوسى
قل للزمان إليك عن متذمم بضمان عز لم يكن ليخيسا[45]

3 – **اليأس من الحياة** : فقد تأكد بعدما جرت رياح الأقدار ضده بالمصير المحتوم ، وعلم أن الموت أقرب إليه من حبل الوريد ، ومن هنالك بدأ يرثي نفسه رثاء مرا تقطع له نياط القلوب . يقول في رثاء نفسه :

بعدنا وان جاورتنا البيوت وجئنا بوعظ ونحن صموت
وأنفاسنا سكنت دفعة كجهر الصلاة تلاه القنوت
وكنا عظاما فصرنا عظاما وكنا نقوت فها نحن قوت
وكُنَّا شموس سماء العلا غربن ، فناحت عليها البيوت
فكم جدلت ذا الحسام الظبي وذا البخت ، كم خذلته البيوت
وكم سيق للقبر في خرقة فتي ملئت ، من كساه التخوت
فقل للعدى : ذهب ابن الخطيب وفات ، ومن ذا الذي لا يفوت
فمن كان يفرح منكم له فقل يفرح اليوم من لا يموت[46]

الاستعانة بالتراث : ان الاستعانة بالتراث قديمة قدم الشعر العربي ، ولكنها بدأت تأخذ طابع القصد على يد أبي تمام ومن بعده من الشعراء ، حتى صار عند بعضهم الشعر ضربا من التلفيق وسيأتي تفصيل هذا .

ونجد استغلال التراث عند ابن الخطيب في جميع شعره تقريبا ، ولكنها في هذه الفترة صارت لافتة للانتباه ، ولعل لهذه الظواهر دواعي :

ا) **قصد تحقيق الجناس** :

— أبو تاشفين حدها وحسامها فقد صح منها الحدُّ في المجد والرسم[47]
— من قاس ذاتك بالذوات فانه جهل الوزان وأخطأ التَّقْيِيسَا[48]

(45) انظر الديوان ص : 712 وما بعد .
(46) انظر الديوان ص : 185 .
(47) انظر الديوان ص : 536 وما بعد .
(48) انظر الديوان ص : 712 وما بعد .

ب) اظهار البراعة :

صدقت للآمال صنعة جابر ... وكفيتها التشميع والتشميسا
والحل والتقطير والتصعيد والتـ ... ـخمير والتصويل والتكليسا[49]

جـ) للمبالغة في المديح :

ولو أجلبت للحرب عاد وجرهم ... وَلَبَّتْ جديسا إذ دعت اختها طسم
ولو أقسمت أن تغلب الجمع تغلب ... وتنسف جرم الأرض إن حملت جرم
وراءكـــم عما أردتم فـــانها ... لدائرة في الرأي داخلها الخرم
متى ترجح الشهب الحصي لافتخارها ... لكثرتها أو تذعر الأسد اليهم[50]

د) للبرهنة والاطالة :

لعنا نستطيع أن نستنتج من الأمثلة السابقة وغيرها ، أنه كان يستغل هذه المعارف لغرضين متلازمين لاقامة الحجة على دعواه ، وذلك أنه يقدم دعوى ويسرد المقدمات لها وينتهي بالنتيجة . وهذا القياس المنطقي ــ في بعض صوره ــ أدى إلى هذه الاطالة في مثل هذه القصائد .

وهكذا نرى أن شعر ابن الخطيب ــ رغم الأغراض الجزئية البسيطة التي كان يتناولها ــ يصلح أن يكون ترجمة صادقة لصاحبه ، في أفراحه ، وأحزانه .

(49) انظر الديوان ص : 712 وما بعد .
(50) انظر الديوان ص : 536 وما بعد .

فنونه الشعرية

يقول أبو البقاء الرندي : « اعلم أن أغراض الشعر كثيرة ، ولكن الذي يدور منها على الألسنة ، وتتداوله مع الأزمنة ، ثمانية أنواع : النسيب ، والمدح ، والتهنئة ، والرثاء ، والاعتذار ، والعتاب ، والذم ، والوصف »[51] . ان هذه الفنون هي السائدة في الشعر العربي جميعه ــ شرقيه وغربيه ــ الا في بعض اللوينات المحلية التي لا مفر منها . وديوان ابن الخطيب معرض مصغر لها جميعا ، يقول في مقدمة ديوانه : « فقد اشتمل هذا المجموع على الحديث والقديم ، وهينمة العابد ، وَهَذَرِ النديم ، ووسع الغني وجهد العديم »[52] . غير أن هذه الأغراض ــ ولا مشاحة في هذا ــ تختلف من حيث الكم . ولعل أهم غرض يقابلنا في ديوانه ما يأتي :

1 – الوصف :

يقول أبو البقاء الرندي : « وهو (أي الوصف) باب جليل ، وعليه مدار الشعر إلا القليل »[53] ، فلذا لا نستغرب إذا وجدنا الوصف يأخذ قسطا كبيرا من شعر ابن الخطيب ، ومرد ذلك إلى أمور أهمها :

ا) طبيعة الشعر العربي تقوم على الوصف : كما قال أبو البقاء .

ب) البيئة التي عاش فيها ابن الخطيب ، والظروف التي تقلب فيها ، فقد عاش في الأندلس والمغرب متصلا بالملوك والأمراء ، منادما إياهم ، ومسامرا إياهم ، وواصفا ما كان يدور في هذه المجالس .

جـ) محبته للطبيعة : فهو ــ ككل الشعراء الأندلسيين ــ أشرب في قلبه حب الطبيعة . فقد كان وصف الطبيعة عند شعراء الأندلس شعيرة يجب أن تحترم منذ ابن

(51) الوافي في نظم القوافي لوحة : 24 .
(52) انظر مقدمة الديوان ، ص : 91 .
(53) الوافي في نظم القوافي لوحة : 64 .

خفاجة الذي ظل محتذى إلى آخر مملكة غرناطة[54] ، ولا أدل على هذا الشغف بالطبيعة من هذه الكتب التي تدعى بالتشبيهات[55] .

وقد وصف ابن الخطيب الطبيعة حية وميتة ، طبيعية ومصنوعة ، صامتة وناطقة .[56] يقول في وصف يوم ممطر :

وقد قاد يوم الغيث سحبا كأنها ... رفاق أتت تمشي الهوينى على رفق
كأن حداة الرعد ظلت طريقها ... فهزت ، لكيما تهتدي مشعل البرق
وكعبة روض زارها القطر والتقت ... بميقاتها جوابةُ الْغَرْبِ وَالشَّرْقِ
وقد قلب السوسان فيها رداءه ... كأن النعامى أبرزته ليَستسقِ
كأن عليل النَّرْجِسِ اهتاج داؤه ... وقد قعدت تبكيه ساجعة الورق
وقد أشفق الغيم الظَّليل لما به ... فتنفث فيه سحبه ، والصبا ترقي
عكفنا عليه ، والبروق كأنها ... مطهمة شقر ، تبارت إلى السبق[57]

ويقول في وصف حديقة :

والروض يجلو عذاريه وقد لبست ... عقائل الورق ديباجا من الورق
كأنما الغصن فيه شارب ثمل ... بكأس مصطبح ، في الأنس ، مغتبق
فكلما ارتاح هز العطف من طرب ... وزاد زهوا بمنشور من الورق
كأنما الدوح ، والاغصان جائلة ... قد جادها كل جهم الغيث مندفق
أحبةٌ راعها ، والشمل منتظم ... داعي الوداع ، فمن باك ومعتنق
كأنما الطل ، إذ طل الشقيق به ... خد بصفحته رشح من العرق
همت ثغور الأقاحي أن تقبله ... وللبنفسج وجه الواجم الحنق
كأن أوراقه والريح يعطفها ... سواعد رفعت خضرا من الورق
كأنما الآس آذان الجياد وقد ... شعرن بالروع في قفر من الطرق
كأنما النهر ، في أثنائه ، أفق
والورد ، في الشط منه ، حمرة الشفق[58]

(54) الشعر الأندلسي ص : 59
(55) انظر التشبيهات لابن الكتاني الطيب ، تحقيق احسان عباس .
(56) انظر جودت الركابي : في الأدب الأندلسي . ص 124 .
(57) انظر الديوان ص : 685 وما بعد .
(58) انظر الديوان ص : 681 وما بعد .

ويقول في مطلع قصيدة يمدح بها السلطان أبا الحجاج :

هـلم ، فما بـيني وبيـنك ثـالث ... وقد غفلت في الحب عنا الحوادث
وما ثم غير الكأس والآس والهوى ... وغير المثـاني سـاعـدتها المثـالث
أفي الحق يا أخت الغزالة أنني ... أجـد بـأشواقي ولحظك عـابث
أعوذ بصبري من جفون مَريضة ... لها مرض في القلب مني لابث
ووالله ، ما تغني ، ولا تنفع الرقي ... وهـاروتها في عقدة السحر نافث
إذا هز غصن البَانِ عاطر نسمة ... مع الفجر هزتني إليك البواعث
وما كان عهد في هواك عقدته ... لينكثه ـ حتى القيامة ـ ناكث[59]

ونستطيع أن نستنتج من خلال هذه الشواهد وغيرها من شعر ابن الخطيب الحقائق الآتية :

ا) قلما وردت قصيدة خاصة في وصف الطبيعة ، بل نراها تمتزج مع باقي الأغراض الأخرى من غزل وخمر ومدح .

ب) الاستقصاء في الوصف : فقد كان يستقصي في الوصف أحيانا على عادة الشعراء الأندلسيين الذين كانوا : « يتناولون موصوفهم في هدوء وطمأنينة ، وكأنهم كانوا يتأملون ما حولهم في فتور وبطء ، وان أوصافهم كانت ملأى بالتشابيه »[60]

2 – المـدح :

إن مما يلفت نظرنا في شعر ابن الخطيب كثرة الأمداح التي نجدها فيه ، ويمكن أن نعلل هذه الكثرة بالدواعي الآتية :

ا) ارتباطه بالحاكمين وخدامهم ، وليس هناك من وسيلة لنيل عطف هؤلاء ورضاهم الا بمدحهم ، ومع أنه لم يكن فقيرا معدما حتى يستجدي بشعره ، فإن شرهه إلى الأموال ، وشغفه بالمزيد منها اضطراه إلى أن يتكسب ، وبخاصة حينما كان لاجئا في المغرب بعيدا عن مركز سلطته بالأندلس .

ب) أنه كان يتحمل مسؤوليات في الدولة النصرية ، وكان يشارك في الحروب ضد النصارى ، وما كان أكثر هذه الحروب ، فكان يشيد بالانتصار عليهم وبالتأسي والعزاء حين الهزيمة ، ويتفاءل بهزيمتهم في المستقبل ، وخلال ذلك يمدح الأمير النصري .

(59) انظر الديوان ص : 189 .
(60) تاريخ الفكر الأندلسي ص : 29 ـ 44 .

جـ) أنه حلت به نكبات جعلته يفارق وطنه . وليجد الملجأ الأمين ، والحظوة المتوخاة عند هؤلاء الذين لجأ عندهم كان عليه أن يمدحهم . وكان نتيجة هذا ما نجده من امتداح في ملوك بني مرين وأبي حمو الزياني .

د) وفوق هذا كله ، فالمدح تقليد شعري لا يمكن للشاعر أن يطير ذكره في الآفاق إلا إذا كان من مداح الملوك والأمراء ، ولهذا كله نجد ابن الخطيب يتحين كل فرصة مواتية ليصوغ قصيدة عصماء في المديح .

وابن الخطيب لم يتبع طريقا واحدا في استهلال قصائده المدحية ، فتارة نجده يبدأ بالغزل ، [61] وحينا يعمد إلى غرضه مباشرة[62] ، وقد يبدأ بالغزل فالرحلة فالمديح . ومهما يكن من أمر فقد كان يتنقل بين طرائق متعددة — في قصائده المدحية — شأن الشعراء المتأخرين .

يـقــول :

حتى ربوع الحي من نـــعمان ... جود الحيا وسواجم الأجفان
دار عَهِدتُ بها الشبيبة دوحة ... طـيب الحيـاة بها جني داني
....
ألف الترحـل لا يـقيم بـبلدة ... الا مـقـام الـعـذل في الآذان
أي البلاد أؤم أم أي الورى ... أبغي فأصرف نحو ذاك عناني
وبـبـاب مولانـا المؤيـد يوسف ... ما شئت من حُسْنَى ومن احسان[63]

ويقول في أخرى :

يـا زاجـر العيس أنضاء مضمرة ... كـأنها أسـهـم يمرقن عن فوق
أهـلـة مـا لها عـهـد بمنـزلـة ... من كل منخسف الجثمان منمحق
أرح رِكابَكَ قد أوردت في نهل ... وقد ظفرت بحبل الله فاعتلق[64]

والقيم التي كان يضفيها على ممدوحيه هي القيم المعروفة من كرم وشجاعة وفصاحة . على أن أهم خصلة كان يلح عليها هي جهاد الملوك النصريين وتسعفه في هذا الالحاح حياة واقعية ، يقول :

(61) انظر ص : 594 .
(62) انظر ص : 271 .
(63) انظر ص : 594 .
(64) انظر ص 681 .

ولما أبَى الأعـداء إلا لجاجـة نهضت بأمر الله أحسن ما نهض
مقيما بما استرعاك فرض جهادهم ولم تأل في ندب إليه وفي حض
وأعددت من غر الجياد صوافنا مطهمة من كل أجرد منقض[65]

والنصارى لابد منهزمون ، لأنهم يستحيل عليهم أن يقاوموا أبا الحجاج الذي يستمد قوته من الله ، فإذا انتصروا في وقيعة فالعقبي له :

لا يـغـررن الـروم في املائهـا قـدر جرى فالحرب هات وهاكا
وللملك العقبي وحسبك ناصرا أن الالاه عـدو من عـاداكـا
لـله يوسف من امام هداية جَلّى بـنور يـقـينه الاحلاكا

وكما أنه كان يستغل جهاد النصريين في تقليب معناه على صور مختلفة فكذلك كان يستغل أصلهم وما أسدوه إلى الرسول ودعوته :

تـنـميه من أبناء نصر سادة حاطوا العباد ، ودمروا الاشراكا
فتراهـم في يوم محتـدم الوغى أسـدا ، وفي خـلـواتهم نسـاكـا

وكان أحيانا ، وأثناء ذلك ، يصف آلات الحرب التي كان يستعملها النصريون من خيل وسيوف ورماح :

وأعـد أوزار الحروب صـوافـنـا تمضي على عـقـبـانهن أسوده
من كل أجرد سابق عبل الشوى ما ان تحط عن الحروب لبوده
وقواضبا بيضا سقين دم العدى فـبـدا على صـفـحـاتها توريـده
ومفاضة زغفا تضاعف نسجها خـلـقـاء قـدر نسـجـها داوده
وحنية تحنو على سهم الردى فيصيب شاكلة الرمي سديده[66]

كما كان أحيانا يستعين بأسلوب النابغة والأخطل في تشبيهها الاستداري لاستقصاء الصورة ، وتجويد المعني :

ما روضة ضحكت ثغور أقاحها طـربـا ، وحياها الحيا فتباكا
حضر الولي وأحكمت ريح الصبا بين ألْـغَـمَـامِ وبـيـنـهـا املاكـا
فـأتت تـغـنيـهـا الحمام فتنـثني طربـا ، وتسنيها السحاب دراكا

(65) انظر ص : 630 .
(66) انظر ص : 191 ، 192 .

والـريح تحسبهـا كصـائـد لجة يرمي على صفح الغدير شباكا
بأنم من عرف امتداحك نفحة مهما ثَنَيْنَا القول نحو ثناكا[67]

وهذه النماذج وغيرها تبين بوضوح أن مديح ابن الخطيب سواء لحكام الدولة النصرية أو غيرها ليس فيه صور جديدة لم يسبق إليها ، وإنما كان يسير في الطريق المعبد الذي سلكه الشعراء السالفون ، مستعيرا صورهم وتعابيرهم واستغلالهم للعنصر الديني والقبلي .

3 – الـغـزل :

ان ابن الخطيب ليس من الشعراء المكثرين في الغزل ويرجع السبب إلى أنه لم يشعر في هذا الفن إلا في فترة الشباب . ولعل الدواعي التي كانت تدعوه لقوله ما يلي :

ا) تمهيدا للمديح ، فقد سار على السنة المتبعة لدى معظم الشعراء السابقين عليه في استهلال قصائدهم المدحية بالغزل وقد أشار إلى هذا في قوله :

فـكـأنما لـيلي نسـيب قصـيـدتي والصـبـح فـيـه تخلص لمديحي[68]

ب) كان يقوله استجابة لعواطفه أو يقوله لأنه غرض من الأغراض الشعرية التي يجب أن يقول فيها[69] .

جـ) كان يقوله بتكليف من مولاه أمير المسلمين أبي الحجاج ، وقد نتج عن هذه الأنماط الثلاثة من الدواعي للغزل ثلاثة أشكال في طريقة قوله ، فنجده مستقلا حين يقصد الغزل للغزل ، ويكون هو الغالب حينما يقوله بتكليف من مولاه ، ويكون مطلعا ليس غير في القصيدة المدحية .

وغزل ابن الخطيب لا نستطيع أن نرده إلى الغزل العفيف الصرف ، أو الغزل المفحش ، ولكنه يمكن أن يرد إلى النوع السائد لدى معظم شعراء العربية عامة والأندلسيين خاصة. على أننا نستطيع أن نميل بهذا الغزل إلى العفة أكثر من مَيْلِنَا به إلى الفحش. ومرد ذلك أمور :

ا) أن الغزل الأندلسي عف في مجمله لتأثره بفلاسفة هذا الغزل كابن حزم في كتابه طوق الحمامة، وابن داوود في كتابه «الزهرة».

---

(67) انظرها : 463 .
(68) انظر القصيدة الحائية ص 241 وما بعد .
(69) الأمداح النبوية والخمريّات .

ب) أنه كان يقوله بتكليف من مولاه المظنون فيه التقوى والزهادة ولو ظاهريا .

جـ) كما كان للتربية التي تربي عليها ، والمسؤولية التي كان يتحملها في الدولة دورهما في أن يحافظ على التقاليد السائدة في المجتمع .

على أن شِعْرَهُ لم يخل من بعض الأبيات المفرقات في الغزل بالمذكر ، ولكنه كان يقوله تقليدا لا اختراعا وَباعْتِبَارِهِ غَرَضاً من الأغراضِ الشِّعْرِيّة .

وقلت من النظم القديم باقتراحه :

برئت إلى الشوق المبرح من قلبي ... وسلمت أمري في الغرام إلى ربي
وصانعت ألحاظ الظباء بمهجتي ... فما قبلت سلمى ، ولا تركت حربي
إذا لام قلبي في الهوى عيني التي ... جنت صرفت عني الملام إلى قلبي[70]

وقلت متغزلا :

يا هلالا يا قضيبا يارشا ... ان تبدى أو تثني أو مشي
يا غزالا ورده في أدمعي ... كلما شاء ، ومرعاه الحشا
قد فشا هيامي في الورى ... ولولا دمع عيني ما فشا[71]

وقلت في غرض النسيب :

ثني الصعدة السمراء من لين قده ... وجرد من أجفانه سيف حده
وأقبل في جيشٍ من الحسن رائع ... ترى العرب العرباء من دون بنده
تبسم عن در من السمط رائق ... تأنق صنع الله في نظم عقده
ثناياه قد أبدت معالم بارق ... وأنفاسه أبدت نواسم نجده[72]

ولعل هذه النماذج وغيرها تعكس بوضوح أن ابن الخطيب قد اتكأ على المعاني القديمة المكرورة : فالنسيم يذكره بأحبته ، ويذكي لواعج قلبه ، والعواذل يترصدونه ليكفوه عن الحب ، وهو يحاول كتمان هذا الحب ...

ولا نكير عليه في أنه اتكأ على المعاني القديمة ، لأن هذه المعاني هي قدر مشاع

---

(70) انظر ص : 122 .
(71) انظر ص : 729 .
(72) انظر ص : 284 .

للجميع ، على أن الذي ينكر عليه فهو فقدان حرارة العاطفة لأنه لم يكن صادقا ، فغزله يظهر عليه طابع التكلف ، وتحقيق متطلبات البديع :

يـا هلالا يـا قضـيـبـا يـارشـا ان تـبـدى أو تـثني ، أو مشي

فربما كان يريد تحقيق اللف والنشر المرتب في هذا البيت قبل أي شيء آخر ، كما أن هذه المبالغات التي نجدها في غزله تنفي عنه كل سمة صدق :

كـلـما صـحـت بها واكـبـدي مـادت الأرض ، لما بي ، دهشا

4 – الرثـاء :

يقول أبو البقاء الرندي « اعلم أن مدار هذا الباب على ثلاث : التوجع ، والتأبين ، والتعزية . فأما التوجع فيكون بتعظيم الرزء ، واجلال الخطب ، واعمال التأسف . وأما التأبين ، فيذكر مآثر المرثي ومكارمه ، ووصف ما يجب له . وأما التعزية فبالحرص على الصبر ، والترغيب في الأجر ، والتأسي بالسلف فيما ناب من فجائع الدنيا وقوارع البلوى »[73] .

وهذه القوالب التي حددها أبو البقاء هي التي صاغ ضمنها ابن الخطيب أشعاره الرثائية ، وان لم تكن هناك حدود فاصلة بين هذه الأنواع . يقول في رثاء أخيه وأبيه :

لا كان يومك يا طريف فطالما أطـلـعت للآمـال بـرقـا خـلـبـا
ورميت دين الله منك بفادح عـم البسيطة مشرقا أو مـغربا
وخصصتني بالرزء والثكل الذي أوهى القوى ، مني ، وهد المنكبا
لا حسن للدنيا لدي ولا أرى في العيش بعد أبي وصنوي مأربا
لولا الـتـعـلـل بـالـرحـيـل وأننا نـنـضي مـن الأعمار فيها مـركـبـا
.....
لجريت طـوع الحزن دون نهايـة وذهبت مِنْ خلع التصبر مذهبا[74]

ويقول في رثاء ابن الجياب :

مـا لـلـيراع خواضـع الأعـنـاق طـرق الـنـعي فـهـن في اطـراق
وكأنما صبغ الشحوب وجوهها والسقم ، من جزع ، ومن اشفاق

(73) الوافي في نظم القوافي لوحة : 49 .
(74) انظر ص : 107 ، 108 .

ما لي عدمت تجلدي وتصبري ... والصبر في الأزمات من أخلاق
خطب أصاب بني البلاغة والحجى ... شَبَّ الـزفير بـه عـن الأطواق
ثق بالوفاء على المدى في فتية ... حتى زرت بجمائم الأطواق[75]

وقلت أخاطب عامر بن محمد شيخ جبل هنتاتة أعزيه بأخيه ، رحمه الله أثناء رسالة :

أبا ثابت ، كن في الشدائد ثابتا ... أعيذك أن يُلْفَى عدوك شامتا
عزاؤك عن عبد العزيز هو الذي ... يليق بعز منك أعجز ناعتا
لقد هد أركان الوجود مصابه ... وأنطق منه الشجو من كان صامتا
وللصبر أولى أن يكون رجوعنا ... إذا لم نكن بالحزن نرجع فائتا[76]

وإذا استعرضنا رثاءه فإننا تبدو لنا الملاحظات الآتية :

ا) أنه كان مقلدا في رثائه في مرحلة الشباب للمتنبي وبخاصة في ارسال الحكم . غير أن حكمة ابن الخطيب كانت تنقصها التجربة العميقة التي نجدها عند المتنبي[77] .

ب) كان يتسم بالتكلف في مرحلة الشباب ، وكثيرا ما نجد ابن الخطيب يعترف بضعفه في شعر الرثاء : « وقلت في غرض ناء عن الجزالة »[78] .

جـ) بيد أننا نجد في رثائه نغمة صادقة بعد المشاق التي نالته ، وبعد أن رهف حسه ، وتقدم سنه ، واكتسب تجارب ، كرثائه لزوجه أو لنفسه[79] .

5 – الهجـاء :

ان أول ما يلفت نظرنا في شعر ابن الخطيب قلة الهجاء فيه ، فليس لدينا منه إلا قليل . ولعل أهم الأسباب التي حالت دون العثور على هجاء كثير في شعره ، مردها :

(75) انظر ص : 176 .
(76) انظر ص : 176 وما بعد .
(77) انظر قصيدته في رثاء أبا الحجاج .
(78) كثيرا ما يذكر مثل هذه العبارة اعتذاراً منه .
(79) انظر الصفحات : 382 – 149 .

ا) أنه لم يكن له أعداء كثر ، فكان ينظر إليه باحترام كبير ، والدليل على ذلك أن مؤلفاته في التراجم أغلبها يدور حوله وأصدقائه الذين كانوا يمدحونه أو يتوسلون له . كما نجد في الاحاطة والكتيبة الكامنة .

ب) أنه لم تكن هناك أحزاب سياسية متعارضة النظريات والمصالح مما يدعوها للتصادم بينها مثلما نجد في شعر المشرق ، وبخاصة زمن بني أمية .

جـ) أن كثيرا من شعراء العربية كان يهجو أو يهدد بالهجو للتكسب . وابن الخطيب غني عن مثل هذا .

د) فقد بعض آثاره : ان أهم الخصوم الذين يمكنه أن يكيل لهم السباب ويقذع لهم في الفحش هما القاضي النباهي وابن زمرك . وقدألف كتابا في هجاء القاضي النباهي وهو « خلع الرسن في وصف القاضي أبي الحسن » لم يصلنا بعينه فربما كانت فيه أشعار كثيرة في هجاء أبي الحسن ، ولكننا لم نعثر على شيء من ذلك إلا على أبيات نقلها ابن الأحمر في كتابه « نثير فرائد الجمان » .

هـ) أن ابن الخطيب كان يميل إلى التوقر، وعدم التعرض لأعراض الناس بالهَبْش والنبش حتى اننا لنجده يعتذر عن هجائه لابن أبي الفتح وصهره : « وفي ذلك أقول مستريحا ، ان لم يكن — علم الله تعالى — شأني ، ولا تكرر في ديواني »[80] . كما نجده يقول : « وقلت في مخاطبة ساقط أفرط في الخنزوانة وتناهى ، وفخر بالعرض الحائل وباهى ولها حكاية ، والله يتجاوز بفضله وكرمه »[81] .

ومهما يكن من أمر ، فما وصل إلينا من هجاء ابن الخطيب قد بلغ غاية في الفحش لا نجد مثيلها إلا عند ابن الرومي وأضرابه من الشعراء الهجائيين . وقد أشار المقري إلى هذا بقوله : وأعلم أن لسان الدين بن الخطيب — رحمه الله تعالى — الغاية في المدح والقدح ، فتارة على طريق الترسل ، وطورا على غيرها ، وقد أقذع وبالغ — رحمه الله تعالى — في هجو أعدائه بما لا تحتمله الجبال ، وهو أشد من وقع النبال»[82] .

يقول من قصيدة في هجو ابراهيم بن أبي الفتح وصهره :

يا ناقص الدين، وَٱلْمُرُوءَةِ والـ ـعـقـل، ومجرى الـلسـان بالهذر

(80) انظر ص : 110 من نفاضة الجراب .
(81) انظر ص : 136 .
(82) النفح (جـ 5 ص : 140) .

يـا ولـد السـحق غير مـكـتتم حـديثه يا ابن فاسـد الـدبر
يـا بـغـل طـاحـونـة يـدور بها مجتهد السير ، مـغـمض الـبصر
في أشـهـر عشرة طـحـنـتهـم فيا رحى الشؤم ، والبوار درى
ومن أبو الفتح في الكلاب ومن لجاهـل في الأنـام من خـطـر

ويقول فيمن أفرط في الخنزوانة :

يا خجلة من ضارط في محفل تـبقي غضـاضتهـا على أعـقـابـه
وفضيحة الخوان في باب امرىء أسباب من يبغيه تحت ثيابه
يا من تشكى عصره من عاره يـا من تبرم دهره من عابه
يـا من يغص به الزمان ندامة من كـفه ، وتراه قارع نابه[83]

ويقول في النباهى :

جنـازة جعسوس أثـارت غريبةً عداهـا الرضي من جيفةوَتَخَطَّاها
وجـــاء بها فـلان يشـــتمانها إلى المحرث الغفل الجديب فحطاها
ومـر بها قـط أنـيس فشـمـهـا وأسرع في ضم التراب وغطاها[84]

6 – التهكم والمداعبة :

وفحش هذا الهجاء يجرنا إلى الحديث عن التهكم « والتهكم – كما عرفه الحوفي – لون من السخرية » ، يراد به نسبة عيب إلى شخص أو تفخيم عيب في شخص... والفرق بين التحكم والهجاء فهو أن الهجاء صادر عن نفس واحدة ، غاضبة حاقدة ، «والتهكم صادر عن نفس ساخرة ناقدة مبرأة من الحقد والموجدة»[85] .

ان هذه التفرقة بين الهجاء والتهكم تفرقة مصطنعة ، بل هي تناقض تعريفه للتهكم ، كما أنها تناقض تطبيقه حينما أتي بأمثلة من هجاء ابن الرومي . فالتهكم اذن لون من ألوان الهجاء أو فلنقل انه أعنف الهجاء .

وابن الخطيب له آثار في هذا الفن شعرا ونثرا[86] . ولعل قصيدته الجيمية في السبتي

---

(83) انظر ص : 163.

(84) انظر ص : 742.

(85) انظر الفكاهة في الأدب : أصولها وأنواعها.

(86) راجع مقالة الأستاذ كنون في مجلة البحث العلمي العدد 2 سنة 1964 ص : 123 — 133 (لسان الدين بن الخطيب الأديب السّاخر).

خير مثال لهذا الفن ، وقد ركز فيها على عيبين خلقيين وهما البرودة والثقل ، زعم ابن الخطيب أن هذا السبتي مصاب بهما يقول :

قـــــــل للأشوني ولا تحتشم ... قول امـــرىء بـــالحق محتج
يـــا من بـــراه الله لما بـــرى ... من بـــرد صرف ، ومن ثـلج
وقشر رمـــــان ، وشب ، ومن ... سك ، وعـــفص قـــابض فج
عـــقـــدك كـــافور بلا مـــرية ... وعـــقـــلك الهلـــهـــل من بـنج
ولفـــظك البـــارد ، يـــا سيـــدي ... مـــن زمهـــر يـــرهـبَّ في فـــج
لف على المعني الضعيف القوى ... كَخِرْوِ قط لف في خمج[87]

ولعل التهكم بمعناه عند الحوفي يقابل المداعبة عند ابن الخطيب ، وكان يعمد إلى هذه المداعبات اظهارا لمقدرته على التَنَدُّر ، واثارة الضحك . . يقول : « وقلت أداعب صاحب القلم الأعلى جملة الفضل والتخلق أبا عبد الله بن زمرك ولها حكاية :

يا طالبا من جاره اسكرفجا ... هـــذا يخبر أن جوعك فـــاجـا
ويدل أنك قد نبذت تداويا ... ويـــدل أنك قد تركت علاجا
وكلـفت بالْمَمْلُـوكِ تؤثـر أكلـــه ... أبـــدا ، وتـــرفض صحـــة ومزاجـــا
خف من غذاء غير معتدل القوى ... واحذر طعاما يفسد الأمشاجا
هيهات ، تـعتبر الهجاء طبيعة ... في خيسها أسد الخساسة هاجا
والمرء من فمه ، يصاب ، وفرجه ... فـيـعود مورده ٱلشَّرُوبُ اجاجا
فكأنني بك قد نبذت مُهَرْقِماً ... وقصـذت في أعـقـابـه سَفّاجا
وصـحـبت جزارا للحم طيِّبٍ ... وخـدمت غير مـقصّـرٍ دجّـاجـا
وبلعت كالكَبُّونِ فضل عصيدة ... وشربت من ماء العصير مجاجا
وغدوت كالحبلى جَنِينُكَ خَرْبَةٌ ... تأتي بها عند الصباح خِدَاجا[88]

فقد صور شره صاحبه في تركه للحمية والاعتكاف على اللحم وبقاياه والاسفنج والدجاج ، وأنواع المآكل الأخرى التي انتجت نتيجتها ، وكل هذا قصد به ابن الخطيب الدعابة البريئة .

(87) انظر الديوان ص : 208 .
(88) الديوان ص : 217 .
وهذا التهكم له مدلوله إذ إن ابن زمرك كان قصير الجسم فيما يقول المترجمون له .

ويظهر أن فن الدعابة كان شائعا في هذا العصر فقد عقد بابا خاصا للدعابات والفكاهات في ريحانة الكتاب[89] خاطب فيه عدة شخصيات من بينهم ابن خلدون .

7 – الخمـــر :

نستطيع أن نقرر أن ابن الخطيب ليس شاعر الخمرة كالأعشى والأخطل ، والوليد بن يزيد وأبي نواس ، وأن ما نجده في ديوانه من شعر يتعلق بالخمرة ليس صادرا عن حب فيها وإنما يمكن أن يرد إلى العوامل الآتية :

ا) أن وصفها يأتي خلال وصفه للطبيعة ، وهذا ديدن الأندلسيّين في وصف الطبيعة ، فكثيرا ما يمزجون وصفها بالخمر .

ب) بتكليف من الأمير « وأمرني – رحمه الله – بنظم أبيات صبوحية على عادته من الانحطاط عن الجزالة ولين عريكة الكلام »[90] .

جـ) لتقليد أبي نواس : « وقلت في أسلوب الحسن بن هانىء »[91] .

وربما كانت الأسباب التي جعلت ابن الخطيب لا يكثر من شعر الخمرة أن ابن الخطيب من أسرة متدينة ، وكان يتحمل مسؤوليات كبيرة في الدولة ، وهذا من شأنه أن يكفه عن القول في الخمر المحرمة شرعا ، ولعله لذلك كان يقدم لنا الأعذار بأنه قال شعرا في الخمرة تحت الأوامر أو للمحاكاة .

يقـــول :

خذها فقد وضح الصباح ولاحا والروض يُهْدِي عَرْفَهُ النَّفَّاحَا
مازال يكتم من حديث نسيمه والان أمكنه الحديث فباحا
....
حث الكؤوس وهاتنيها قهوة تشفي الهموم وتجلب الأفراحا[92]

ويقـــول :

(89) انظر لوحة : 437 وما بعدها في الريحانة .
(90) انظر الديوان ص : 221 .
(91) انظر الديوان ص : 701 .
(92) انظر الديوان ص : 221 وما بعد .

نبه نديمك للصبوح وهاتها كالشمس تشرق من جميع جهاتها
واصرف بصرف الراح هما كامنا واحيى السرور تنعما بِحَيَاتِهَا
صفراء تسفر عن حباب كؤوسها رقت فراق لنا الزمانَ بذاتها
أبدى عليها المزج در حبابه فتخاله درا على لباتها
وكأنما بين الندامَى أطلعت بَدْراً يجنح الليل من آياتها[93]

ويقول :

وديرِ أخنا في قرارته العيسا بحلة رهبان إلاَهُمُ عيسا
عكوف على التمثال يستلمونه ويعنون بالانجيل حفظا وتدريسا
زعقنا بهم، بعد العشي، فهينموا كأنا ذعرنا غابة، منه، أو خيسا
وقلنا : بنو سبل جوانح للقرى فقال زَعِيمُ القوم : رحبا وتانيسا[94]

ولعلنا لا نحتاج إلى تأكيد ان هذه المعاني والطريقة التي صاغها بها لا تنبىء عن أصالة في هذا الفن .

8 - الشعر الديني :

نقصد بالشعر الديني شعر الزهد والتصوف ، والامداح النبوية . فهذه الأنواع الثلاثة مرتبط بعضها ببعض ، يرى زكي مبارك : « أن المدائح النبوية من فنون الشعر التي أذاعها التصوف »[95] . غير أننا لا نستطيع أن نجعل أشعار التصوف أساس الأمداح النبوية عند ابن الخطيب ، بل هي سابقة عليها ومعايشة لها .

ولعل وجود هذا القسط من شعر الزهد والتصوف يمكن أن يرد إلى العوامل الآتية :

ا) تلبية لرغبة الأمير : « وقلت ، وقد تشيع السلطان ، رحمة الله عليه ، للصوفية والفقراء وأحضرهم مجالسه ، وأظهر الميل إليهم ، وأمر بالنظم في طريقهم »[96] .

ب) نزعة صوفية صادقة أو مقلدة اعترته حينما رجع من منفاه في المغرب ، وألف « روضة التعريف بالحب الشريف » فقد ضمنه أشعارا زهدية وصوفية من نظمه .

(93) انظر المتن ص : 169 .
(94) انظر المتن ص : 701 .
(95) المدائح النبوية ص : 17 .
(96) انظر المتن ص : 198 وما بعد .

جـ) تقدمه في السن ، وما يبعثه هذا التقدم من ذكرى للافعال التي فرطت : « وقلت متوجعا لفقد الشبيبة »[97] .

يـقـــول :

هب الـــنسيم مـــعـــطـــر الاراج ... فشفى لواعج قـــلبي المهـــتـــاج
وافي يحدث عن أحـبـيتي الآلي ... أصـبـحت أكني عنهم وأحاجي
فاشرب على ذكر الحبيب وسقني ... صهباء تشرق في الظلام الداجي
من خـمـرة السر المقدسة التي ... كـلـفت بـطـاستها يـد الحلاج[98]

وقلت في التصوف :

إذا لم أشاهد منك قبل منيتي ... نهايـة آمـالي ، وغـايـة غـايـاتي
فـحسـن عـزائي حـيل بيني وبينه ... وقـــرة عـــيني لم تجل بمرآتي
شهودك أمن من عداة خواطري ... وقـربك حـرز من توقع آفات
فإن لم يكن وصل ، فهيها إشارة ... فيا حسن شاراتي بها من إشارات[99]

ويـقـــول :

جهاد هوى، لكن بغيري ثوابي، ... وشكوى جوى، لكن بغيري جوابي
وعمر تولى في لعل، وفي عسى ... ودهـر تـقضى في نـوى، وعتاب
....
تـأمـلتـهـا خـلـفي مـراحـل جبتها ... يـنـاهـز فيها الأربعين حسابي[100]

أما شعر الامداح النبوية فليس خفيا ان البوصيري هو الإمام في هذا الفن وعلى يديه انتشر وانتشرت تقاليده في المشرق والمغرب إلى عصرنا هذا ، غير أن العناية بهذا الفن كانت فائقة عند « بني مرين » و « بني الأحمر » ، ومن ثمة لا نعجب إذا وجدنا ديوان ابن الخطيب يفهق بهذا النوع من الشعر ، ولكل هذا دواع :

أ) ارضاء لتقليد اسلامي في الاحتفال بالمولد النبوي .

(97) يردد مثل هذه العبارة كثيرا .
(98) انظر المتن ص : 198 .
(99) انظر المتن ص : 178 .
(100) انظر المتن ص : 155 .

ب) سيادة نزعة صوفية في هذا الوقت وبخاصة في المغرب .

جـ) تكالب الروم على وطن الأندلس ، واشتداد الازمات فيه مما يدعو إلى التعلق بالاسباب الدينية والتماس العون من الله .

يـقـول :

تـألق نجديـا فـاذكـرني نجدا وهـاج لي الشوق المبرح والوجدا
وميض رأى بـرد الغمامة مغفلا فمد يـدا بـالتبر أعـلمت البردا
سقى الله نجدا ما نضحت بذكرها على كبدي الا وجدت لها بردا

بمولـدك اهـتـز الوجود وأشرقت قصور ببصري ضاءت الهضب والوهدا
وغـاض لـه الوادي وصبح عزه بيوتا لنار الفرس أعدمها الوقدا
وجـاد الغمام العـد فيها خلائفا مآثرهم لا تعرف الحصر والعدا[101]

من خلال هذه النصوص وغيرها نجد ابن الخطيب ليس إلا صائغا للمعاني القديمة التي وجدها عند أبي العتاهية وابن الفارض والبوصيري وغيرهم ، ولعل له العذر في التقليد في شعره المولدي الذي اتخذ قوالب جامدة لا يعدوها الشاعر ، يقول الحموي في خزانة الأدب : « ان الغزل الذي يصدر به المديح النبوي يتعين على الناظم أن يحتشم فيه ، ويتأدب ، ويتضاءل ، ويتشبب مطربا بذكر سلع ورامة وسفح العقيق ، والعذيب والغوير ولعلع ، وأكناف حاجر ، ويطرح ذكر محاسن المرد والتغزل في ثقل الردف ، ودقة الخصر ، وبياض الساق ، وحمرة الخد ، وخضرة العذار ، وما اشبه ذلك »[102] . وقد سار ابن الخطيب على هذا النهج المرسوم سواء في المعاني أو في بناء القصيدة : إذ نجده بعد المقدمة يتخلص لمديح الرسول ثم مدح الأمير الذي في كنفه . على أننا نجد سمتين أخريين في شعره هذا :

أ) يلح على النزعة الجهادية التي يقوم بها بنو الأحمر ، ويرجع هذا إلى الظروف التي كانت تعيشها الأندلس في حرب دائمة مع النصارى .

ب) انه في المغرب كثيرا ما كان يشير إلى الغربة ويتشكى لانقاذه منها وانقاذ سلطانه .

(101) انظر المتن ص : 346 .
(102) خزانة الأدب ص : 14 .

9 – أغـراض أخـرى :

نجد أغراضا أخرى غير هذه الأغراض الأساسية في شعره كالاخوانيات والعتاب وندب الآثار والنصح والارشاد والشكوى والحكمة .

وغرض الاخوانيات يحتل حيّزاً كبيرا من ديوان ابن الخطيب ، ولا عجب فابن الخطيب كان له أصدقاء كثيرون بحكم مركزه السياسي والأدبي ، ومؤلفاته في التراجم تعكس هذا . يقول :

يـا جـمـلـة الـفضـل والـوفـاء ... مـا بمعـالـيك من خـفـاء
عـنـدي لـلـود فـيك عـقـد ... صـحـبـه الـدهـر بـاكـتـفـاء
ما كـنت أقضي علاك حقا ... لو جئت مدحا بكل فاء
فـأول وجـه الـقـبـول عـذري ... وجـنب الشك في صـفـاء[103]

ومتطلبات الصداقة لا يمكن أن يفي بها الشخص دائما فهو اما مقصر واما مقصر في حقه ، فإذا قصر فهو يعتذر :

يا سيدي الاوحد الأسمى ومعتمدي ... وذا الوسيلة من أهل ومن بلد
العذر أوضح من نور على علم ... فعد ان غبت عن لهو وعن فند
دعوت في يوم الاثنين الصِّحابَ ضحى ... وفيه ما ليس في سبت ولا أحد
يـوم السلام على المولى وخـدمـتـه ... فاسمح ، وإن عثرت رجلي فخذ بيدي[104]

وإذا قصر في حقه فهو يعاتب :

أجلك عن عتب يغض من الود ... وأكرم وجه العذر فيك عن الرد
ولـكني أهـدي إلـيك نصـيحتي ... وإن كنت قد أهديتها ثم لم تجد[105]

كما لم يخل ديوان ابن الخطيب من ندب الآثار ، وهذا غرض تفوق فيه الأندلسيون بصفة عامة ، يقول في سبتة :

يـاسـبـتـة الـعـزفـيين الالى درجـوا ... وقـد تضـوع مـن أخـبارهـم أرج

---

(103) انظر المتن ص : 101 .
(104) انظر المتن ص : 261 .
(105) انظر المتن ص : 333 .

ما بال ربعك قد حط العفاء به ... رحل المقيم وأودى حسنك البهج
اين المجالس ، ام اين الفهارس أم ... اين المدارس لا تنبو بها الحجج[106]

ويقول في مراكش :

بلد قد غزاه صرف الليالي ... وأباح الحريم منه مبيح
فالذي خر من بناه قتيل ... والذي قر منه بعض جريح[107]

كما نجد ابن الخطيب كان يقوم بدور المرشد المصلح للحكام الذين كان يحكم معهم ، يقول مخاطبا الغني بالله :

ودونكها من ناصح الجيب مخلص ... وصية صدق أعربت لك عن ود
أفض في الرعايا العدل تَحْظَ بحبها ... وحكم عليها الحق في الحل والعقد
«وما من يد إلا يد الله فوقها» ... ومن شيم المولى التلطف بالعبد[108]

ويقول مخاطبا اسماعيل :

لا تدن من بابك شخصا يرى ... بأنه في الناس أولى به
وعنده مال ومن خلفه ... أيد تعلقن بأهدابه[109]

(106) انظر المتن ص : 207 وما بعد .
(107) انظر المتن ص : 235 وما بعد .
(108) انظر المتن ص :
(109) انظر المتن ص : 300 وما بعد .

خصائص فنه

نستنتج مما تقدم أن ابن الخطيب كان يتحرك في أطر الشعر المشرقي ، ويسبح في بحره شأن اخوانه شعراء الأندلس ، وليس معني هذا أننا نريد أن ننفي كل أصالة عن ابن الخطيب ، فلا شك أن شعره يصور بعض المظاهر المحلية الأندلسية والمغربية . بل انه لسجل حافل للأحداث التاريخية خصوصا .

وتظهر أطر الشعر المشرقي في معارضاته وتقليده :

ا) فقد عارض أبا نواس في مقطوعته هذه : « وقلت في أسلوب الحسن بن هانىء »

فقلنا هواء الشام غال نفوسنا فهل لك في شيء ينفس تنفيسا
فقال: أخمر وهي شيء محرم عليكم لبئس المسلمون إذَنْ بيسا[110]

ب) وعارض مهيارا : « وقلت في أسلوب مهيار رحمه الله :

جز على أجرع الحمى لا محالهْ وتعرض لرائد الرحالهْ
وأفض في تلاع نجد وقد جـ ـم بها الحمض وآذكرن أبقاله[111]

جـ) وكان يقلد أبا تمام والمتنبي ، وقد أشار بوضوح أنه يتأثر هذين الشاعرين :

متنبىء أنا في حلى تلك المعالي لكن شعري فيك شعر حبيب[112]

ويظهر تأثره بالمتنبي في تلك الحكم التي كان يرسلها أحيانا :

لا تستقر على التنافس صحبة ومودة الاكفاء أمر يصعب[113]
من رام الشيء قبل أوانه رام انتقال يلملم وعسيب[114]

---

(110) انظر المتن ص : 710 .
(111) انظر المتن ص : 520 .
(112) انظر المتن قصيدة ص : 128 — 133 .
(113) انظر المتن ص : 109 — 112 .
(114) انظر المتن ص : 145 .

وفي تبجحه :

خذها كما شاء الخلوص بديعة تزهى بشارتها على بشار[115]
ما ضرني أن لم أجيء متقدما السبق يعرف آخر المضمار

وفي احتقاره للاخرين وفي تقلبه السياسي حسب الظروف . أما تأثره بأبي تمام فلنمسه في الصياغة وفي المحسنات البديعية[116] :

د) التأثر ببعض الشعراء المشارقة من أهل الدعابة سواء أكانوا معاصرين له أو قبله كالصفدي وابن النبيه وابن نباته ، يقول : « وقلت على طريقة المشارقة وهو معنى غريب » :

لما رضيت بفرقتي وبعادي وصرمت آمالي وخنت ودادي
لاعنت أم الصبر فيك وبعده ورثت للأَشْجَانِ كنز فؤادي[117]

على أن هناك خصائص عامة اتسم بها الشعر العربي في هذا العصر فانعكست في شعر ابن الخطيب أيضا ، ويمكن أن نقسم هذه الخصائص قسمين :

ا) خصائص معنوية ، وتتمثل هذه الخصائص في مظهرين بارزين :

1 ــ المبالغة ، كانت المبالغة قليلة لدى شعراء الجاهلية وعصر بني أمية ، وصدر دولة بني العباس ، ولكن اتصال الثقافة العربية بالثقافة اليونانية جعلت الشعر يتسم بطابع المبالغة وبخاصة في ميدان المديح ، وتصل هذه المبالغة الذرْوة عند أبي تمام والمتنبي والمعري ، ثم قلدهم الشعراء فيما بعد .

وشعر ابن الخطيب تتجلى فيه الظاهرة بأنواعها في غلو واغراق واحالة ، ولعله من غير المجدي أن نكثر الاستشهاد عليها :

يقول :

ركبت الغول في سبل المعالي فلقيت السعادة والوفاقا
ضربت الصخر فانفجر انفجارا ضربت البحر فانفرق انفراقا[118]

(115) انظر المتن ص : 486 وما بعد .
(116) يلاحظ هذا في غير مَا قَصيدة
(117) انظر المتن ص : 325 .
(118) انظر المتن ص : 697 .

ويقول :

لو عاذ البحر بغرته لم يخش الخسف ولا محقا
أو أم اليم بعزمته يوما لتصدع وانفرقا[119]

2 ـ التكرار : ان هذه الخاصة ليست مقصورة على شعره ، بل تتجلى في كل انتاجه ، ولهذا نراه يعيد ويبدي ، ويبدأ ويعيد في معان بعينها ، بل نجد عدة أبيات معادة ومكرورة في قصائد مختلفة[120] :

ب) أما الخصائص اللفظية فتتجلى في :

1 ـ التورية : يظهر أن التورية صارت فنا شائعا في هذا العصر لدى الأندلسيين ، إذ نجد بعضهم ألف فيها كتبا كمؤلف ابن الحاج التَّمِيْرِي المرتب على حروف المعجم « مثالث القوانين في التورية والاستخدام والتضمين » ومؤلف ابن خاتمة[121] . وابن الخطيب وان لم يترك مؤلفا في هذا الفن البديعي فقد كان يقصد إليه قصدا في شعره ، فقد روى بكثير من الأشياء فمن توريته بأسماء الكتب :

ذهب الالي كانوا نجو ما للورى فالكون مظلم
أنا كاتب السلطان ما طالعت قط كتاب مسلم[122]

ويقول :

ولما رأت عزمي حثيثا على السرى وقد رابها صبري على موقف البين
أتت بكتاب الجوهري دموعها فعارضت من دمعي بمختصر العين[123]

2 ـ التضمين : كما كان يقصد إلى التورية فإنه كان يقصد إلى التضمين ، فقد ضمن الأمثال والحديث والقرآن ... يقول في تضمين المثل :

لا تهج بالذكر في كبدي نار وجد شق محتمله
ويقول الناس في مثل « لا تحرك من دنا أجله »[124]

---

(119) انظر المتن ص : 678 .
(120) انظر المتن فانك تجد ذلك بارزا .
(121) رَاتِقُ التحلية في فاتق التّورية .
(122) انظر المتن ص : 547 .
(123) انظر المتن ص : 597 .
(124) انظر المتن ص : 503 .

ويقول في تضمين الحديث :

يا من بأكناف فؤادي ربع ... قد ضاق بي في حبك المتسع
ما فيك لي جدوى ولا أرعوي ... «شح مطاع وهوى متبع»[125]

ويقول في تضمين القرآن :

رفعت قصة أشتياقي ليحيى ... فزوى الوجه رافضا للفتوة
ورمى الكتاب ضعف اهتبال ... قلت «يحيى خذ الكتاب بقوة»[126]

3 — التجمل بمصطلحات العلوم والفنون : لعل هذه السمة تفوق كل السمات التي نجدها في شعره ، فلا تكاد تخلو قصيدة أو مقطوعة من استغلال معلوماته الثقافية المختلفة فيها من فقه ونحو ومنطق وفلك ... يقول موريا بالمنطق :

حتى إذا فرض الجلاد جداله ... ورأيت ريح النصر ذات هبوب
قدمت سالبة العدو وبعدها ... أخرى لعز النصر ذات وجوب[127]

ويقول موريا بالفلك :

لم لا تنال العلا أو يعقد التاج ... والمشتري طالع والشمس هيلاج[128]
والسعد يركض في ميدانها فرحا ... جذلان ، والفلك الدوار هملاج

ويقول موريا بالمصطلحات الفقهية :

يا من تقلد للعلاء سلوكا ... والفضل أضحى نهجه مسلوكا[129]
كاتبتني متفضلا فلكتني ... لازلت منك مكاتبا مملوكا

ويقول موريا بالمصطلحات الحديثية :

لك الله من قلب على الحب ما صحا ... وجفن وشي بالسر مني وأفصحا
روى عنه خدي مسندا ومسلسلا ... حديث دموع العين حتى تجرحا[130]

(125) انظر المتن ص : 650 .
(126) انظر المتن ص : 745 .
(127) انظر المتن ص : 128 — 133 .
(128) انظر المتن ص : 214 .
(129) انظر المتن ص : 468 .
(130) انظر المتن ص : 258 .

4 ــ الجناس والطباق : نجد عنده هذين الخاصتين بارزتين في شعره ، وليس بدعا فيهما كما لم يكن بدعا في الخصائص الأخرى ، غير أن الجناس والطباق لم يكونا ياتيان تلقائيا ، وإنما كان يعمد إليهما عمدا ويقصد إليهما قصدا . يقول :

خُذْها إليك على النوى سينية ترضي الطباق وتشكر التجنيسا[131]

وَيَقُولُ :

مَا لِي أُعَذِّبُ نَفْسِي فِي مَطَامِعِهَا وَٱلنَّفْسُ تُزْرِي بِتَهْذِيبِي وَتَهْذِي بِي
وَإِذَا ٱسْتَعَنْتُ عَلَى دَهْرٍ بِتَجْرِبَةٍ تَأْبَى ٱلْمَقَادِرُ تَجْرِيبِي وَتَجْرِي بِي

ويقول أيضا :

دعوتك للود الذي جنباته تداعت مبانيها وهمت بأن تهي
وقلت لعهد القرب والوصل بعدما تناءى، وأن أسلو حياتي وأنتَ هي
ومن شام في جو الشبيبة بارقا ولم تنه عنه النهى كيف ينتهي[132]

5 ــ الألغاز : لعل أستاذه في هذه الخاصة هو أبو الحسن بن الجياب الذي كان يكثر كثرة مفرطة منها ، فسار ابن الخطيب على منواله . يقول ملغزا في شنيل والنيل :

ما اسم إذا زدته ألفا من العدد أفاد معناه لم ينقص ولم يزد
وإنما اختلفا من بعد ما ائتلفا في شيئين من قدر ومن بلد[133]

وكتبت هذه الأبيات معماة الحروف للشيخ أبي الحسن بن الجياب :

ما مثل قولي لك انظر كسوة حسنت أو مثل قولي لك اذكر راوي السير
وما اسم شيء إذا صحفت ثانيه فاذكر به رجلا طال في صجر
يأتي مع النجم في تعديل جدوله حينا، وان كان معدودا من الشجر[134]

إن الناظر إلى هذه الخصائص يرى أنها كانت تأتي في شعر الشعراء الأوائل عفوا بحكم ثقافتهم العميقة في هذه الفنون ، أو كانوا يقصدون إلى ذلك للتملح أو ضرب المثل

---

(131) انظر القصيدة السّينية المشار إليها قبل .
(132) انظر المتن ص : 733 .
(133) انظر المتن ص : 337 .
(134) انظر المتن ص : 389 .

وغيرهما ، على أن هذا الذي كان يأتي عفوا صار يقصد إليه قصدا وكان نتيجة هذا أن صار الشعر العربي مثقلا بالألغاز والأحاجي ، والصناعة البديعية على مختلف أنواعها ، ومن ثم فقد الشعر العربي ميزة الشعر الأساسية « الصدق » وصار عبارة عن أوزان وقوافٍ وألفاظ مرصوفة لا يثير عاطفة ولا يغني وجدانا .

فنه صورة لبيئته

أولا : صورة للحياة السياسية :

لا نكران أن الشعر مصدر من مصادر التاريخ ، وإن كان أحيانا يتسم بالمبالغة ، فإنها لا تزيل عنه الدلالة التاريخية .

وشعر ابن الخطيب لم يبق بمعزل عن تصوير التقلبات التي طرأت على الأندلس في عصره ، بل انه ليعكسها بوضوح ، ذلك أنه كان يتقلد مسؤوليات هامة في الدولة النصرية ، بالإضافة إلى أنه كان شاعر بلاطها ، عليه أن ينشر انتصاراتها ويلتمس الاعذار لانكساراتها ، كما أنه صور بعض مظاهر الصراع في المغرب لأنه قدر له أن يعيش فترة في المغرب ، ولارتباط الأندلس به .

وهكذا نستطيع أن نصنف شعره من حيث دَلَالَاتُهُ التاريخية إلى :

1 ــ ما يتعلق بالأندلس . 2 ــ ما يتعلق بالمغرب .

ونستطيع أيضا أن نقسم ما يتعلق بالأندلس إلى :

أ) تصوير الجبهة الموحدة ضد النصارى
ب) صراع البيت النصْري مع نفسه .

كما نستطيع أن نقسم ما يتعلق بالمرينيين إلى :

ا) الصراع المريني مع نفسه .
ب) علاقة المرينيين بدولة بني عبد الواد .

3 ــ علاقة ابن الخطيب مع رجال الحكم بالمغرب .

أ) تصوير الجبهة الموحدة :

1 ــ لن نحاول أن نتتبع جذور اتصال الدولة النصرية بالدولة المرينية لتكوين جبهة

مودة للدفاع عن الأندلس ، وانما سنحاول أن نقتصر على الاتصالات والأحداث التي نجد مقابلا لها في شعر ابن الخطيب .

اننا إذا تتبعنا الكتب التاريخية فإنها تنبئنا أن اتصالا وقع بين محمد بن اسماعيل بن الأحمر (732 هـ) وبين أبي الحسن المريني فقد « عبر هذا الأمير — رحمه الله — البحر بنفسه مستصرخا ومستدعيا للجهاد في الرابع والعشرين من ذي حجة عام اثنين وثلاثين وسبعمئة — ووفد على ملكه السلطان الشهير أبي الحسن .. مستصرخا إياه فأعظم وفادته وأكرم نزله وأصحبه إلى الأندلس ولده وحباه بما لم يحب به ملك تقدمه »[135] ويقول ابن الخطيب في شأن هذه الوفادة « قلت أهنيء السلطان أبا عبد الله بن أمير المسلمين أبي الوليد بن نصر — رحمه الله — عند قدومه من بلاد المغرب مستصرخا لسلطانه على العدو :

هَذِي الجزيرة لا تزال عزيزة محفوظة بك يا إمام ولاتها
فليهن أندلسا قدومك انه حرز لها من عاديات عتاتها[136]

ولما رجع أبو عبد الله نازل جبل الفتح بمساعدة المرينيين فَتَمَّ فتحه « في يوم الثلاثاء الثاني عشر من شهر ذي حجة عام ثلاثة وثلاثين وسبعمئة »[137] بعد أن بقي هذا الجبل بين يدي العدو نيفا وعشرين سنة ، وهكذا استرجع المسلمون صلة الوصل بين المملكتين بفضل معاونة السلطان أبي الحسن العسكرية في البر والبحر[138] .

بل ان ولده الأمير أبا مالك لم يكتف بهذا بل توغل في دار الحرب واكتسحها وخرج بالسبي والغنائم — ولكن النصارى لم يستسلموا لهذا الانهزام فجمعوا خيلهم ورجلهم ، وأبو مالك غير مكترث بهذا لعدم خبرته بالحروب حتى صبحته عساكر النصرانية في مضجعه فجدلوه قبل أن يستوي على فرسه[139] ، يقول ابن الخطيب « انشدته في النيروز الموافق لعام أربعين وسبعمئة » وذلك بعقب الوقيعة بالأمير أبي مالك رحمة الله عليه :

لعمري لئن هاجت عزائمك العدى كما بحثت عن حتفها ربة الظلف

(135) اللمحة البدرية ص : 80 - 81 الاستقصا (جـ : 3 ص : 125) تاريخ البربر (جـ: 2 ص : 385) .
(136) انظر المتن ص : 169 وما بعد .
(137) اللمحة البدرية ص : 81
(138) انظر : لسان الدين بن الخطيب لعنان ص : 24 — 25
(139) الاستقصا (جـ : 3 ص 134) ابن خلدون تاريخ البربر (جـ : 2 ص : 385)

وغـــرتهم الحرب الســجـال وقـلما يدل غرور القوم إلا على الحتف
فقد آن أخذ الدين منهم بثأره وما كان جفن الدهر في مثلها يغفي

وقد حاول أبو الحسن أن يثأر لابنه فجمع الجيوش من كل فج « وجاز على عهده (أبي يوسف) إلى الأندلس إثر صلاة يوم الجمعة تاسع شهر صفر عام أحد وأربعين وسبعمئة بعد أن أوقع بأسطول الروم المستدعى من أقطارهم وقيعة كبيرة شهيرة استولى فيها من المتاع والسلاح والاجفان على ما بعد به العهد »[140] يوم السبت سادس شوال سنة 740 هـ[141] . يقول ابن الخطيب في هذه الوقيعة « وانشدته أيده الله في الوقيعة البحرية بالروم من عام أربعين وسبعمئة :

تـلك الجواري المنشآت صـداقـهـا مـهج العدى وخلوقهن من الدم
وحـجـالهن من البـنـود فلا ترم وصلا بـــديـــنـــار لهن ودرهـــم
نصرت عباد الله — جل جلاله — وسـطت بعباد المسيح ومريم[142]

2 — ولعله واضح من هذه الأحداث السابقة أن كفة المسلمين كانت راجحة منذ استرجاعهم جَبَلَ الفتح ، إذ في هذا الوقت بعد أن يئس ملك قشتالة من كسب المعركة آثر الصلح ، وانتهى الأمر بعقد الهدنة بين غرناطة وقشتالة[143] ، وهذا ما صوره ابن الخطيب في غير ما قصيدة يقول :

ولاذوا إلى السلم استلاما ورهبة وقد شارفوا ورد المنيَّة أو كادوا[144]
وأحصَن درع أيـقـنـوا بـدفـاعـه لبـأسك اذعـان إليه واخلاد[145]
حتى إذا غـدت الـبلاد قـريـرة والا من تـسحب بينهن ذيوله
والسلم قـد كـفت أكف عداتها والبأس نامت في الغمود نصوله[146]

والواقع أن المسلمين الحقوا بالنصارى عدة عزائم في هذه المدة كالتغلب على

(140) اللمحة البدرية ص : 92 الاستقصا (جـ : 3 ص 135) ابن خلدون تاريخ البربر (جـ : 2 ص : 386) الإحاطة لوحة : 383 .
(141) انظر المرجعين السابقين والصفحات نفسها .
(142) انظر المتن 531 وما بعد .
(143) ابن الخطيب — لعنان ص : 25 .
(144) انظر المتن ص : 272 .
(145) انظر المتن ص : 272 .
(146) انظر المتن ص : 471 .

كركبول[147] وشوذر[148] ، والوقيعة البحرية ، ونزع جبل طارق من أيديهم وأمام هذا التفوق البين فقد عمد النصارى أحيانا للخديعة ونقض العهد علهم يسترجعون ما أخذ منهم . يقول ابن الخطيب :

قولا لطاغية الفرنج وقد أبى ... إلا لجاجا قاد منه حماما
قدك اتئد فهي التي عودتها ... من قبل سامت أنفك الارغاما
نكث العهود وغره شيطانه ... وَرَأى الوفاء بما وفيت حراما[149]

ولكن هذه المحاولات كلها كانت تبوء بالفشل للمعونة الهامة التي كان يقدمها المغرب للأندلس بقيادة الملك الشهم أبي الحسن .

3 — غير أن حالة هذه الانتصارات لم تدم فقد وقعت معركة طريف الفاصلة في السابع من جمادي الأولى سنة 748 هـ (30 أكتوبر سنة 1341م) هزم فيها المسلمون شر هزيمة ، وكانت محنة عظيمة لم يشهد المسلمون في المغرب والأندلس مثلها منذ بعيد[150] ولن نستطيع أن نحدد مسؤولية هذا الانهزام على من تقع ولكن يفهم من كلام ابن الخطيب أن أبا الحسن كان مقصرا . يقول : « ثم عاني شدائد العدو (يعني أبا الحجاج) فكرم يوم الوقيعة العظمى بظاهر طريق موقفه[151] ، ويقول :

حتى إذا محص الله القلوب بها ... ولا دفاع لحكم الواحد الصمد
وقفت والروع قد ماجت جوانبه ... بحيث لا والد يلوي على ولد[152]

ومهما يكن فهذه المعركة ، ووجود ملك قشتالة القوي الذي كان « مرهوبا وملكا مجدودا هبت له الريح ، وعظمت به في المسلمين النكاية ، وتملك الخضراء بعد أن أوقع بالمسلمين الوقيعة العظمى بطريف »[153] ، ضعضعت قوى المسلمين وصارت المعاقل تسقط في يد النصارى . فقد سقطت قلعة بني سعيد[154] حصن غرناطة من الشمال وغيرها .

(147) انظر المتن ص : 103 .
(148) انظر المتن ص : 219 .
(149) انظر المتن ص : 529 .
(150) العبر (جـ : 7 ص : 332) .
(151) انظر المتن ص : 277 .
(152) اللمحة البدرية ص : 89 .
(153) اللمحة البدرية ص : 35 .
(154) انظر النفح (جـ : 2 ص : 760 وما بعدها) .

4 ـ وقد حاول أبو الحسن مع أبي الحجاج أن يثأرا لهزيمتها هذه فحاولا محاولات برية وبحرية كانت تنتهي في غالب الأحيان لصالح النصارى ، أو على الأكثر يحقق فيها المسلمون بعض المكاسب المحدودة . وقد صور بعض مراحل هذه الفترة ابن الخطيب أحسن تصوير ، بقوله : « أنشدت السلطان أيده الله بالقصر من مالقة عند توجهه إلى تجهيز الأسطول وبعثه في عيد الأضحى من عام اثنين وأربعين :

فلله عَيْنَا من رآها صوافنا ... أفاض عليها القار سحم جلاله
إذا ساعدتها هبة الريح أسرعت ... كَمَا انْسَابَ أيم الروض غب انسلاله
وغربان أثباج زجرت سنيحها ... ويظهر نجح الأمر في حسن فاله[155]

ولكننا سرعان ما نستشف اشفاق ابن الخطيب وتيقنه بقوة شوكة النصارى في قوله :

هواف إلى حرب العدو وإنما ... وثقن بنصر الله يوم قتاله
لملكك عقبي النصر فارقب طلوعها ... فقد آن للإسلام آن اقتباله
هو الله يملي للعدى ويد الهدى ... ببرهانها تجلو ظلام محاله[156]

وفعلا فقد انتهت المعركة بهزيمة المسلمين وتمزيق أسطولهم سنة 743 هـ (1342م)[157] .

كما يورد ابن الخطيب في شعره وقيعة استطاع خلالها أبو الحجاج ـــ وربما أبو الحسن كذلك ـــ أن يخرِّب فيها حصن اسْتِجَّة ، ويفتح معقل بني بشير عام ثلاثة وأربعين يقول :

كان افتتاح بني بشير مبدأ ... سبب البشارة بعده موصول
سرت بموقعه النفوس وانه ... نبأ على سمع العدو ثقيل[158]

وخلال هذه القصيدة نلمس الهزيمة المكتومة في نفس ابن الخطيب :

لا يغررن الروم في املائها ... قدر ، فأيام الحروب تدول
والعزم وار في الحفيظة زنده ... والرأي مشحوذ الغرار صقيل
ولو انهم ملأوا البسيطة كثرة ... ان الكثير مع الضلال قليل[159]

---

(155) انظر المتن ص : 477 .
(156) انظر المتن ص : 477 .
(157) لسان الدين ابن الخطيب لعنان ص 37 .
(158) انظر المتن ص : 480 .
(159) انظر المتن ص : 480 .

ولعل قصيدة ابن الخطيب الفائية هي صيحة حرى لتجميع قوى المسلمين ضد قوى النصارى المتكالبة ، وتبصيرهم بالخطر الذي يحدق بما تبقي من الأندلس ، يقول :

أإخواننا لا تنسَوُا الفضل والعطفا فقد كاد نور الله بالكفر أن يطفا
وَإذْ بـلـغ الماء الزبي فتـداركـوا فقد بسط الدين الحنيف لكم كفا
تحكـم في سكان أندلس العدى فلهفا على الإسلام ما بينهم لهفا[160]

ويمضي فيها مستحثا العزائم مبينا خطر النصارى على ثغر الأندلس ، وأسرهم للأطفال الصغار ، وجعل النساء أيامى حواسر ، وأخيرا يحثهم على انقاذ الأندلس محمسا لهم[161] .

ولكن هذه الاستغاثة لم تجد صدى كافيا ، فأبو الحسن بعد هزيمته الكبرى في طريف ، والجزيرة الخضراء ، وبعد أن بددت قواه البرية والبحرية ولى شطر وَجْهِهِ المغرب لاستكمال الفتح ، وقد نجح أولا ، ولكن أصابته هزيمة القيروان العظمى سنة 749 هـ على يد الأعراب ، وأشيع أنه قتل ، فأعلن ابنه أبو عنان البيعة لنفسه ، وجرت بينهما حروب هزم خلالها أبو الحسن ، فالتجأ إلى جبل هِنْتَاتَة وبقي به حتى توفي سنة 752 هـ من ربيع الثاني .

إن هذا الصراع المغربي الداخلي شجع الفونسو الحادي عشر على أن يشدد قبضته على الجزيرة . فقد « نازل جبل الفتح وكاد يستولي على الأندلس ، لولا أن الله تداركها بجميل صنعه ، وخفي لطفه فهلك بمحلته حتف أنفه ليلة عاشوراء من عام أحد وخمسين وسبعمئة »[162] وقد صور ابن الخطيب هلاكه بمزيد من الغبطة والسرور :

ومـا هي إلا دعوة يوسـفـيـة أثـارت قبـول الله ضربـة لازب
سمت نحو أبواب السماء فلم ترع بتشغيب بواب ولا اذن حاجب
لقد طوق الادفنش سعدك خزية تجد على مر العصـور الذواهب
وفيت ، وخان العهد في غير طائل وصـدق اطماع الـظـنـون الكواذب
فصـار إلى مثـوى الإهـانة ذاهبا وخلف عار الغدر ليس بذاهب[163]

غير أنه لما استقر الحال لأبي عنان وآنس بلاط غرناطة امكان المساعدة من بني مرين

(160) انظر المتن ص : 669 .
(161) انظر المتن ص : 669 .
(162) اللمحة البدرية ص : 95 .
(163) انظر المتن ص : 112 ـ 114 .

أرسل الوزير ابن الخطيب ، فاستقبل بترحاب وحفاوة ، وكان ذلك في الثامن والعشرين في ذي القعدة سنة 755 هـ ، فأنشد أبا عنان أبياته التي يقول فيها :

ليس لنا ملجأ نؤمله ... سواك أنت الثمال والوزر
والناس طرا بأرض أندلس ... لولاك ما أوطنوا ولا عمروا
وجملة الأمر أنه وطن ... في غير عالياك ما له وطر
وقد اهمتهم نفوسهم ... فوجهوني إليك وانتظروا[164]

ويقول في أخرى :

يا ناصر الثغر الغريب ، وأهله ... أنضاء مسغبة ، وفل خطوب
حقق ظنون بنيه فيك فانهم ... يستعللون بوعدك المرقوب
ضاقت مذاهب نصرهم فتعلقوا ... بجناب عز من علاك رحيب[165]

وهكذا نستطيع أن نقول انه بعد تنحية أبي الحسن على الحكم وخلفه أخلافه لم تبق الأندلس تلقي تلك المساعدات التي كانت تجدها من هذا الملك الشهم . نعم لم تنقطع العلاقات بين المغرب والأندلس ولكنها كانت علاقات يشوبها كثير من الحذر والخوف .

5 ــ إذا نظرنا إلى شعر ابن الخطيب من خلال ما تقدم من أحداث تاريخية يتبين لنا :

أ) أنه لم ينصف المغاربة ، فلم يقدم لنا الدور الذي كانوا يقومون به في حجمه الطبيعي فقلما نجد إشارة لاطراء المغاربة وجيوشهم والبسالة التي كانوا يقاومون بها العدو ، بل حينما يتعرض لذكر الهزائم التي مني بها المسلمون (أندلسيون ومغاربة) لا يرثي من مات من القادة المغاربة كالأمير أبي مالك ، ولا يذكر بأي شيء قتل بعض نساء أبي الحسن ... وإنما يتعرض لمدح أبي الحجاج والتماس الأعذار للهزيمة ، وتوجعه هو نفسه على أخيه وأبيه ، ولعل لهذا الغمط أسبابا :

1 ــ المنافسة التقليدية بين المغاربة والأندلسيين ، فلم يكن يلجأ الأندلسيون إلى المغاربة إلا مضطرين .

2 ــ انه شاعر البلاط عليه أن ينشر مفاخر البلاط الذي يعيش فيه ، وعلى شعراء المرينيين أن ينشروا مفاخرهم .

---

(164) انظر المتن ص : 403 .
(165) انظر المتن ص : 128 ــ 133 .

ولا ينقض هذا ما نجده من شعره في حق أبي عنان ، فالضرورة كانت تدفعه إلى هذا الموقف ، وهو السياسي الماهر ، عليه أن يبين ضعف الأندلسيين واعتمادهم الكلي على المغاربة ليكون سفيرا ناجحا .

ب) اننا نجد في شعره ذكر بعض الوقائع كفتح كركبول ، وشوذر ، وتخريب حصن استِجَّة ، وفتح معقل بني بشير ، وهي وقائع لا ذكر لها في كتب التاريخ المغربية ولعل المغاربة لعبوا دورا أساسيا فيها ، فلم يبلغنا أن الأندلسيين قاموا بمعارك في هذه الفترة إلا بمعونة من المغاربة .

6 ــ وقد حاول بنو زيان بدورهم مساعدة الأندلس وبخاصة في زمن السلطان القوي أبي حمو موسي ، على أن هذه المساعدة ــ كما يظهر من شعر ابن الخطيب ــ كانت مادية أو ما يتصل بها ولم تكن عسكرية ، يقول :

أنت الذي افتك السفين وأهله ... إذ أوسعت سبل الخلاص طموسا
أنت الذي أمددت ثَغْرَ الله بالصـ ... ـدقات تبلس كرة ابليسا
وأعنت أندلسا بكل سبيكة ... موسومة لا تعرف التدليسا
وشحنته بالبر في سبل الرضي ... والبر قارب قاعها القاموسا
ان لم تجر بها الخميس فطالما ... جهزت فيها للنوال خميسا
وملأت أيديها وقد كادت على ... حكم القضاء تشافه التفليسا[166]

ب) تصوير صراع الملوك النصريين فيما بينهم :

1 ــ نستطيع أن نقول : إن الدولة النصرية في شباب ابن الخطيب خلت من الاضطرابات الداخلية ، لأنها كان على رأسها السلطان أبو الحجاج يوسف الأول الذي «كان الغالب على أيامه الهدنة ، والصلاح والخير»[167] فقد كان النصف الأول من القرن الثامن الهجري بالنسبة لمملكة غرناطة عصر القوة والفتوة[168] غير أن هذا السلطان سلط عليه رجل ممرورا اغتاله في يَوْمِ عِيدِ الفطر سنة 755هـ (أكتوبر 1354) ، وقد وصف لنا ابن الخطيب هذا الحدث بقوله : « وافاه أمر الله ــ جل جلاله ، أتم ما كان شبابا واعتدالا ، وحسنا وفخامة وعزا ، من حيث لا يحتسب ، فهجم عليه يوم عيد الفطر من

(166) انظر المتن ص : 712 وما بعد .
(167) يركز ابن الخطيب على هذا فيما كتب .
(168) ابن الخطيب لعنان يوضح هذا .

عام خمسة وخمسين وسبعمئة في الركعة الأخيرة ، رجل ممرور ، ورمى نفسه عليه وطعنه بخنجر كان قد اتخذه »[169] ، ويقول :

تولى شهيدا ساجدا في صلاته أصيل التقوى رطب اللسان من الذكر
وقد عرف الشهر المبارك حق ما أفاض من النعمى ووفي من البر
وباكر عيد الفطر والأمر مبرم وليس سوى كأس الشهادة من فطر[170]

وقد خلفه ابنه أبو عبد الله محمد (الغني بالله) الذي حاول أن يوطد الأمر في الأندلس ويستأنف السيرة الحسنة التي سنها أبوه في الجهاد والاتصال بملوك بر العدوة ، وهكذا أرسل وزيره ابن الخطيب سفيرا لدى السلطان أبي عنان كما قدمنا .

2 ــ غير أن سنة 760 هـ قد وقعت فيها وبعدها اضطرابات خطيرة ، ذهب ضحيتها عدد من الملوك والقادة والأمراء :

أ) فقد حدث الاضطراب الأول في 28 رمضان سنة 760هـ وانتهى بخلع سلطان غرناطة أبي عبد الله محمد (الغني بالله) ونفيه إلى المغرب ، وتولية أبي الوليد اسماعيل الثاني . فقد كان اسماعيل هذا قد أنزله الغني بالله قصرا من قصور أبيه بجوار قصره مرفها عليه متممة وظائفه[171] :

لم يدر اسماعيل ما طوقته من منة لو كان ممن يعقل
نعم مهنأة وظل سجسج تندى غضارته وماء سلسل
الطاعم الكاسي ، ورفدك كافل والعالة المعفاة مما يثقل[172]

غير أن أم اسماعيل لم ترض لابنها هذه الحياة فقد كانت تريد أن تجعل منه ملكا ، واستخدمت لذلك ثروة ضخمة استأثرت بها من خزانة أبي الحجاج التي كانت في بيتها[173] . كما كان اسماعيل بدوره يحقد على أخيه بسبب زواجه من ابنة عم له كان يحبها[174] . وهكذا وفد اسماعيل وانصاره على الغني بالله محاولين قتله ، ولكنه كان في جنة العريف بمحاذاة قصره ، فلما سمع ضوضاء المتآمرين ركب فرسه وفر إلى وادي آش[175] .

---

(169) اللمحة البدرية ص : 97 .
(170) انظر المتن ص : 396 ، 399 .
(171) اللمحة البدرية ص : 108 .
(172) انظر المتن ص : 489 وما بعد .
(173) اللمحة البدرية ص : 108 .
(174) نفاضة الجراب (جـ : 2 ص 18) .
(175) اللمحة البدرية ص : 101 الإحاطة (جـ : 2 ص : 12) .

وقد صور ابن الخطيب هذه الأحداث في قصيدته اللامية الشهيرة :

ولفيف جبان إذا ما استوقفوا نادت بهم آجالهم فتسللوا
طرقوا على الضرغام ليلا غابه والبدر تاج بالنجوم مكلل
فثبتت مجتمع الفؤاد بهفوة خذل النصير بها ، وخان المعقل
وفداك شيخ الأولياء بنفسه والنفس آثر كل شيء يبذل
فحللت من وادي الاشي بقرارة عز الثواء بها وطاب المنزل[176]

وقد بقي في وادي الاشا حتى دعاه السلطان أبو سالم وأنزله أعلى مقام مكرما معززا . «حالا أعلى منازل الترفيع معلل المطلب بالمواعد»[177] يقول ابن الخطيب :

حتى دعاك المستعين وانه لابر بالملك المضاع واكفل
حتى حللت بعنصر الملك الذي يرعى الدخيل به ويكفي المعضل
مثوى بني يعقوب اسباط الهدى وسحائب الرحمى التي تستنزل[178]

ب) وقد وقعت أثناء نفي أبي عبد الله محمد (الغني بالله) ثورة أخرى في 28 شعبان سنة 761هـ على السلطان اسماعيل . قام بها ابن عمه وزوج شقيقته أبو سعيد البرميخو انتهت بقتله وقتل أخيه قيس . كما انتهت بقتل وزيره محمد بن أبي الفتح (العقرب الردي) وابن عمه رئيس الشرطة العليا ابراهيم بن أبي الفتح (الأصلع الغوي) ، وقد أعدما في البحر غرقا[179] يقول ابن الخطيب :

سرعان منا أبداه ثم أعاده في هفوة البلوى وبئس المنزل
وسقى بكأس الحين قيسا بعده والله يملي للطغاة ويمهل[180]

ويقول في حق الوزير ابن أبي الفتح :

قل للوزير البليد قد ركضت في ربعك اليوم غارة الغير
يا ابن أبي الفتح نسبة عكست فلا بفتح أتت ولا ظفر

(176) انظر المتن ص : 374 وما بعدها .
(177) اللمحة البدرية ص : 101 .
(178) انظر المتن ص : 429 وما بعدها .
(179) نفاضة الجراب (جـ : 2 ص 19 — 20) .
(180) انظر المتن ص : 489 وما بعدها .

أهـدتك لـلـبـحـر كـف مـنـتـقـم ألـقـتـك لـلـحـوت كـف مـقـتـدر
يـا يتم أولادك الصـغـار ، ويـا حيرتهم بعد ذاك في الكبر[181]

جـ) وفي هذه الأثناء كان السلطان الغني بالله يعد العدة للعودة إلى الأندلس بمساعدة أبي سالم بناء على اتفاق مع سلطان قشتالة بدرو الأول ، فجمع أبو سالم الأساطيل في مضيق جبل طارق متظاهرا بحرب الأسطول الأراجوني ، كما جاءت الأساطيل القشتالية للمساعدة ، وقد وقع تنافس بين الأسطولين في حمل الغني بالله على ظهره فَفَضَّل الركوب في الأسطول المريني بعد أن ترضي القشتاليين بالمال واركب معهم بعض كبراء قومه[182] ، يقول ابن الخطيب، مصورا هذا الجواز :

جـمـعـت عـلـيـك الـعـدوتـان قلوبها وأكـفـهـا ، وعلى الحماية عـولـوا
والـروم لاسترجـاع حـقك شـمرت هـــذا هـو الـــنصر المعم المخول
واسـتـقـبـلـتك السابحات مواخرا تهوي إلى مـا تـبتغي وتؤمل[183]

وقد استقر برندة الغني بالله ، وكانت مِنَ القواعد التابعة لبني مرين ، ومن ثم بدأ يشغب على السلطان أبي سعيد البرميخو ، ويؤلب عليه شيوخ غرناطة مستغلا سيرته السيئة .

غير أن ظروفا طارئة لم تكن بالحسبان قد أخرت سقوط أبي سعيد بعض التأخر ، ذلك أنه في هذه الفترة بالذات قتل أبو سالم على يد عمر بن عبد الله فأسرع هذا للتحالف مع البرميخو وأمر الأساطيل المغربية بالرجوع إلى قواعدها . كما أن بدرو القاسي اعتذر عن مساعدة الغني بالله بعد موت أبي سالم وحلول موسم الشتاء .

ومع ذلك فقد كانت الأحداث السياسية في المغرب في صالح الغني بالله ، فقد طلب منه عمر بن عبد الله التوسط لدى ملك قشتالة ليرسل أبا زيان ليتولى السلطة بالمغرب ، فقبل الغني بالله التوسط على أن تسلم له مدينة رندة ، فقبل عمر بن عبد الله[184] ، فاتخذها الغني بالله منطلقا لاسترجاع ملكه فغزا ثغر مالقة ، ثم بعد ذلك غرناطة التي استولى عليها في شهر جمادي الاخرة سنة 763هـ (أبريل سنة 1362م)[185] .

---

(181) انظر المتن ص : 428 وما بعد .
(182) انظر مقدمة نفاضة الجراب (جـ : 2 ص 36) اللمحة البدرية ص : 101 .
(183) انظر المتن ص : 489 وما بعدها .
(184) انظر العبر (جـ : 7 ص 313) التعريف ص 80 نفح الطيب (جـ : 7 ص 29) (جـ : 8 ص 119) . نفاضة الجراب (جـ : 2 ص :) .
(185) انظر نفاضة الجراب مخ (جـ : 3 لوحة 67 وما بعدها) .

ولما تيقن أبو سعيد وأنصاره بالهزيمة فروا إلى قشتالة ، فكانوا كالمستجير من الرمضاء بالنار إذ لم يلبث ملك قشتالة أن كاتب الغني بالله في شأنهم فأعدموا وأرسلت رؤوسهم إلى غرناطة فطيف بها ، وقد صور ابن الخطيب هذه الأحداث شعرا كما صورها نثرا إذ كان يعيش في خضمها :

وبقية من قوم عاد أهلكوا ببقية الريح العقيم وجدلوا
بالباطل البحتِ الصراح تعززوا فالان للحق المبين تذللوا
خضبت مناصلك المفارق منهم حنا نَجِيعٍ صبغها لا ينصل
أقبلت في يوم الهياج فادبروا أقدمت في ليلِ العجاج فاجفلوا[186]

ويقول عندما عرضت رأس أبي سعيد :

في غير حفظ الله من هامة هام بها الشيطان في كل واد
ما خلفت ذكرا ولا رحمة في فم انسان ، ولا في فؤاد[187]

3 — ولعل لهذه الاضطرابات التي شهدتها مملكة غرناطة في هذه الفترة عدة عوامل :

أ) انتشار المجاعة والأوبئة . فقد انتشر وباء الطاعون في منتصف القرن الثامن الهجري فأهلك الزرع والضرع . حتى إن بعض الكتاب المعاصرين لهذا الوباء كتبوا فيه عدة رسائل «كتحصيل غرض القاصد في تفصيل المرض الوافد» لابن خاتمة ، و «مقنعة السائل عن المرض الوافد» لابن الخطيب . ولاشك أن هذه الاضطرابات الاقتصادية والاجتماعية الخطيرة كان لها دخل كبير فيما حل بالبلاد[188] .

ب) الحزازات الشخصية . فقد كان أبو الحجاج يوسف بن نصر تزوج من أمرأتين من جواريه وهما بثينة ومريم ، فأنجب من الأولى محمدا وعيشة ، ومن الثانية اسماعيل وقيسا ، وعدة بنات تزوج احداهن أبو سعيد البرميخو ، فسعت أم اسماعيل مع صهرها أبي سعيد لانتزاع الملك إلى ابنها مما أدى إلى هذه التناحرات[189] .

جـ) سوء تصرف الحاكمين ، فقد وصفهم ابن الخطيب بأقبح الصفات إذ كانوا

(186) انظر المتن ص : 489 وما بعد .
(187) انظر المتن ص : 328 .
(188) مقدمة نفاضة الجراب (جـ : 2 ص : 13) .
(189) مقدمة نفاضة الجراب (جـ : 2 ص : 14) .

يتعاطون الحشيش وأحلوا المحرمات ، وفوق ذلك ولوا أعمال الدولة شخصيات ضعيفة وعزلوا أو طردوا الشخصيات القوية[190] .

4 ــ غير أن هذه الفتن قد أخمدت على يد الغني بالله بعد رجوعه من منفاه لأنه كان شخصية قوية ، بل استطاع أن يقوم بأعمال عمرانية ضخمة[191] . وأن يبذل جهودا مشكورة في سبيل العمل على بث روح الجهاد ، فقام بسلسلة من الغزوات في أراضي قشتالة كغزوة مدينة اطريرة وحصن آشر ، وغزو مدينة جيان وأبدة والجزيرة الخضراء .

وقد كان ساعده الايمن في هذا الصنيع أبو عبد الله ابن الخطيب الذي يقول عن نفسه : « وشرعت في عقد السلم مع العدو لسنين ، ورتبت الأمر ترتيب الاباء للبنين ، ورجوت احسان الله لي والله لا يضيع أجر المحسنين »[192] غير أن السعايات بدأت تتوالى على ابن الخطيب من بعض صنائعه كابن زمرك ، والنباهي وقد وجدت هذه السعايات صدى فشعر باحداق الخطر به فتحيل للهروب من الأندلس باستئذان سلطانه بأن يقوم بجولة لتفقد الثغور الغربية حتي وصل إلى جبل طارق فاستقبل فيه بحفاوة وترحاب وكان ذلك في جمادي الاخر سنة 772هـ[193] ثم استأنف مسيره إلى تلمسان حيث السلطان عبد العزيز المريني فوصل عنده في التاسع عشر من رجب سنة 772هـ (1370م) « فاهتزت له الدولة وأركب السلطان خاصته لتلقيه ، وأحله بمجلسه بمحل الأمن والغبطة ، ومن دولته بمكان الشرف والعزة »[194] ثم أرسل السلطان عبد العزيز رسولا للاتيان بأسرته من الأندلس فجاء بها فطابت نفس ابن الخطيب[195] .

غير أنه لسوء حظ ابن الخطيب توفي عبد العزيز فخلفه ابنه السعيد تحت كفالة ابن الوزير فساءت الأحوال واستأسد بنو الأحمر على المرينيين فصاروا يثيرون لهم الشغب كما قدمنا . وكان نتائج ذلك موت ابن الخطيب .

ولسوء الحظ لم يصلنا كثير من شعر ابن الخطيب في هذه الفترة فلعله أعدم من جملة ما أعدم من تراثه . يقول مخاطبا أبا حمو :

---

(190) المرجع السابق والصفحات نفسها .
(191) الإحاطة (جـ : 2 ص 29 ــ 30) .
(192) أعمال الأعلام (ص : 317) .
(193) العبر (جـ : 7 ص : 335) التعريف ص : 139 ــ 140 لسان الدين ابن الخطيب لعنان ص : 33 .
(194) العبر (جـ : 7 ص : 335)
(195) اعمال الاعلام ص : 308

جـعـلـتك مـرمى همي ومـؤملا لنيل التي ما هام في غيرها هم
وقوضت رحلي عن بلاد نبا بها مهادي إلى حيث السلامة والسلم
وما كنت أخشى الجور في حكم جيرة أجـرتهم فـاعـتـد ذلك لي جـرم
أتـيـتهـم بالصبح لكنهم عـمـوا وآذانتهم بالصبح لكنهم صموا[196]

ويقول : «قلت من قصيدة طويلة شرحت فيها حالي فيما بليت به بالأندلس من مكايدة الصم البكم الذي لا يعقلون» :

ان تورعت أصبحت حوزة الملـ ـك ضـيـاعـا لجرأة الـفُـجَّـار
أو طردت العفاة خفت من اللـ ـه إذا ما سئلت عن أوزار
أو تـقاعدت أصبح الأمر فوضى تـلـعـب الشـاة فـيـه بـالجزار
أو تـعرضت وانتدبت سمعت النـ ـقـد حـال الايـراد والاصـدار
لا يـزال الملام عـنـه بحال حالة الشيخ وابنه ، والحمار[197]

وهكذا نرى أن ابن الخطيب كان يصارع في واجهتين ، مقارعة خصومه الذين يكيدون له ، ومحاولة دفع غضب العامة ، وكان يصارع أيضا لدفع هجمات النصارى في هذا الوقت . ولعله كان السبب الرئيسي في إثارة الأحقاد حوله ، فقد كان انسانا متعجرفا تعجبه الأبهة ومظاهر الاحترام إلى الجنون ، فكل شخص كان يأنس منه بعض ما يغض منه يصب عليه جام غضبه . كما نرى من خلال هذا أن مساعدي البيت النصري كانت بينهم منافسات ومناوشات وكيد ذهب ضحيتها ابن الخطيب ، وكل هذا كان له تأثير كبير في سير دواليب الدولة .

جـ) تصويره للحياة السياسية بالمغرب :

أ) نستطيع أن نؤكد أن الوضع السياسي في عهد أبي الحسن المريني كان مستقرا فدوخ المغرب الأقصى والأوسَط وحارب إلى جانب الأندلسيين . غير أن كائنة طريف وهزيمته في القيروان كانتا بداية النهاية له[198] .

فقد ثار عليه ابنه أبو عنان وصار يحاربه حتى ظهر عليه فبدأ يتعقبه من سجلماسة إلى مراكش التي وقفت بجانب أبي الحسن سنة 751 هـ ، ولكن وقعة أم الربيع كانت فاصلة

(196) انظر المتن ص : 536 وما بعد .
(197) انظر المتن ص : 432 .
(198) الاستقصا (جـ : 3 ص : 170) اللمحة البدرية ص : 93 .

إذ هزم فيها أبو الحسن فرجع على أعقابه مستجيرا بجبل هنتاتة . وبعد هذا مرض السلطان أبو الحسن فاعتذر له ابنه فكتب له ولاية العهد . وفي اليوم السابع والعشرين من ربيع الثاني سنة 752 هـ توفي السلطان أبو الحسن[199] ، ونجد تصويرا لهذه المراحل الأخيرة من حياة أبي الحسن في شعر ابن الخطيب . يقول :

أزرت وجوه الصيد من هنتاتة ... في جَوِّها بمطالع الأقمار
نصرت أمير المسلمين وملكه ... قد أسلمته عزائم الأنصار
آوت عليا عندما ذهب الردى ... والروع بالاسماع والأبصار
حتى دعاه الله بين بيوتهم ... فأجاب ممتثلا لامر الباري
لو كان يمنع من قضاء الله ما ... خلصت إليه نوافذ الأقدار[200]

ولما وقعت هذه الأحداث المغربية بدأت أطراف الدولة تنتقض فانتزى بنو زيان وغيرهم[201] . وكانوا قد عقدوا سلما ومهادنة مع أبي عنان واشترطوا له على أنفسهم دفاع السلطان أبيه عن الخلوص إليه[202] ، ولكن هذه الأفعال من أبي عنان لم تكن إلا مناورة ، فبمجرد ما توطد له الأمن في المغرب صرف عنايته إلى حرب الأطراف المنتقضة . وهكذا رجع إلى حرب بني زيان سنة 753 هـ فهزمهم واسترجع تلمسان ثم تملك بجاية أيضا[203] . كما نفى بعض المنافسين له في الحكم مثل أبي سالم[204] .

ب) فترة الاضطراب :

1 ـ بيد أن الحسن بن عمر الفودودي ثار على أبي عنان وقتله وبايع ابنه الطفل أبا بكر السعيد الذي كان ـ فيما يرى ابن الخطيب ـ « أهلا لما رشح إليه نبلا وإدراكا ورواء ، فقد اتقن الخط ، وحفظ المنزل وشدا شيئا من العربية .. حسن القبض على المنديل والمدية »[205] ولكن صغر سن هذا السلطان ، وهزيمة جيشه في تلمسان ، واستبداد الحسن بن عمر شجعت المرينيين على الثورة والمطالبة بسلطان قوي ينقذ الشرف .

(199) العبر (جـ : 7 ص : 267 وما بعدها) .
(200) انظر المتن ص : 419 .
(201) تاريخ البربر (جـ : 2 ص : 415)
(202) تاريخ البربر (جـ : 2 ص : 416)
(203) تاريخ البربر (جـ : 2 ص : 226) الاستقصا (جـ : 4 ص 33)
(204) نفاضة الجراب (جـ : 2 ص 215)
(205) نفاضة الجراب (جـ : 2 ص : 219/218) .

ولسوء الحظ ليس لدينا شعر كثير لابن الخطيب يصور الصراع الذي دار في هذه الفترة إذ كان بعيدا في الأندلس . فكل ما يتعلق بهذه الفترة ما قاله في وفادته على أبي عنان ، ومن خلال ما قاله نستنتج أن الأمن كان سائدا في زمنه وأنه استطاع أن يسوس البلاد بحكمة وتبصر :

هي دولة العدل الذي شمل الورى ... فالشاة لا تخشي اعتداء الذيب
لو أن كسرى الفرس أدرك فارسا ... ألقي إليه بتاجه المعصوب
لما حللت بأرضه متمليا ... ما شئت من بر ومن ترحيب[206]

ويقول في ابنه السعيد :

قسما بمن يبدأ الورى ويعيد ... ويقرب المأمول وهو بعيد
وبخير من أدى أمانة وحيه ... إن السعيد على الورى لسعيد[207]

2 — وفي تلك الظروف العصيبة طلب شيوخ بني مرين مجيء أبي سالم لتسلم الحكم فقام طالبا المعونة من رضوان النصري فأبي فاستنجد بملك قشتالة بدرو الثاني فأعانه بشروط وأجازه في سفينة أوصلته إلى مرسي (مازيغان) الجديدة ، ولكنه لم يجد صغوة لدعوته فولى وجهه نحو الشمال فوجد مناصرين في جبل غمارة وناحيته ، وكذلك رندة وجبل طارق[208] . فلما اشتدت شوكته جمع الجيوش وقصد فاس ، فلما أحس الحسن بن عمر بخسران قضيته أعلن خلع الملك الطفل السعيد ، وبايع أبا سالم فدخل البلد الجديد في منتصف شعبان سنة 760 هـ .

وقد وصف ابن الخطيب في شعره هذه البيعة أجمل وصف مؤكدا ما ورد في كتب التاريخ :

دعتك قلوب المومنين وأخلصت ... وقد طاب منها السر ، لله ، والجهر
ومدت إلى الله الأكف ضراعة ... فقال لهن الله ، قد قضي الأمر
وألبسها النعمى ببيعتك التي ... لها الطائر الميمون والمحتد الحر
وقد كان مولانا أبوك مصرحا ... بأنك في أبنائه الولد البر
وكنت خليقا بالإمارة بعده ... على الفور ، لكن كل شيء له قدر

(206) انظر المتن ص : 128 — 133 .
(207) انظر المتن ص : 337 .
(208) انظر نفاضة الجراب (جـ : 2 ص 233) .

فرد عليك الله حقك إذ قضي بأن تشمل النعمى ، وينسدل الستر
وقادوا إليك الملك رفقا بخلقه وقد عدموا ركن الامامة واضطروا[209]

وكان من أهم الأعمال التي قام بها أبو سالم ــ اتقاء لشر الحسن بن عمر ــ أن عقد له على مراكش ليبعده عن مركز الدولة ، ولكن السعاية أفسدت ما بينهما فخرج الحسن بن عمر لاحقا بتادلا منحرفا فجهز له أبو سالم جيشا ، فانهزم الحسن بن عمر وتقبض عليه وأتي به إلى فاس مغلولا في الأصفاد فأهين وعذب ثم أعدم[210] وقد أراد ابن الخطيب أن يشارك بدوره في هذه الحادثة ، فنظم قصيدة يثلب فيها الحسن بن عمر ويمدح أبا سالم :

أيغلب من عاداك والله غالبه ويفلت من ناواك والسيف طالبه
ويخلص من في راحتيك زمامه فسيبك كاسيه ، وسيفك سالبه
كبا بعداك الجد لما تنكبوا رضاك ، وطرف البغي يصرع راكبه
فيا ذل من عاداك يا ملك الورى وخابت أمانيه وساءت عواقبه[211]

غير أن أبا سالم لمْ يتول شؤون رعيته بنفسه فقد ألقى مقادة الحكم إلى حاجبه وخطيبه أبي عبد الله بن مرزوق ، فقد كان صديقا قديما له وبذل مجهودات مشكورة في سبيل استيلائه على الملك ــ وقد أثار ايثار السلطان لابن مرزوق حسد الخاصة والحاشية مع أنه قام بالأمر أحسن قيام و « لكن رضي الناس غاية لا تدرك ، والحسد بين بني آدم قديم »[212] . كما أن أبا سالم اشتغل بدراسة العلوم الفلكية والعمل بآلة الاسطرلاب مع طبيب قصره المختص أبي الحسن المراكشي القسنطيني غافلا عما يجري في مملكته .

كل ذلك أثمر مِمَّا أدى بصهره ووزيره عمر بن عبد الله بن علي بن سعيد اليابانى إلى أن أعلن الثورة عليه بتحالف مع قائد الفرقة العسكرية الاسبانية . « ففي ليلة التاسع عشر من شهر ذي قعدة عام اثنين وستين وسبعمئة وقعت به الدبرة وأخذته في مجثمة الصيحة لتوفر أسباب البغضة وتكاثر دواعي الخلعان »[213] .

ونجد في شعر ابن الخطيب ما يصور سلطة ابن مرزوق مثلما نجد فيه اهتمام أبي سالم

---

(209) انظر المتن ص : 414 وما بعدها .
(210) الاستقصا (جـ : 4 ص : 33) نفاضة الجراب (جـ : 2 ص 261ــ 266) .
(211) انظر المتن ص : 136 وما بعد .
(212) نافضة الجراب (جـ : 2 ص : 270) .
(213) نفاضة الجراب (جـ : 2 ص : 215) .

بالعلوم الفلكية ــ يقول مخاطبا ابن مرزوق شاكيا له ابن الربيب :

وجاه ابن مرزوق لَدَيَّ ذخيرة ... وللشدة العظمى تعد الذخائر
ولو كان يدري ما دهاني لساءه ... وانكر ما صارت إليه المصائر[214]
لو أنني بابن مرزوق عقدت يدي ... وكان محتكما في خيرة الدول
لكان كربي قد أفضي إلى فرح ... وكان حزني قد أوفي على جَذَلِ[215]

ويقول مخاطبا أبا سالم :

ولله من ملك سعيد ونصبة ... قضي المشتري فيها بعزلة كيوان
وسجل حكم العدل بين بيوتها ... وقوفا مع المشهور من رَأْيِ يونان
فلم تخش سهم القوس صفحة بدرها
ولم تشك فيها الشمس من نحس ميزان[216]

3 ــ وهكذا بعد أن تخلص عمر بن عبد الله من أبي سالم امتدت يده لمبايعة أبي عمر تاشفين بن أبي الحسن الملقب بالموسوس في ذي القعدة من سنة 762 هـ فاستقامت الأمور في عهده وانتشرت الرفق وأمنت السبل[217] ، وذلك تحت كفالة عمر بن عبد الله :

إلى الليث الذي راع الأعادي ... وأمن رفق سيرته الرفاقا[218]

4 ــ غير أن أبا سعيد البرميخو وأبا حمو الزياني لم يريدا أن يتركا الأمور تستقر في المغرب فشجعا الأمير عبد الحليم وناديا به ملكا وكان دافعهما الانتقام من بني مرين[219] . فشكل عبد الحليم وزارته فاستوزر محمد بن موسي بن ابراهيم الملقب بالسبيع ، وقلد خطة العلامة للفقيه أبي سعيد بن رشيد ، وخطة الاشغال ليوسف الكناني ، وبدأ يجمع الجبايات استعدادا للحرب ، ووقعت معارك انتهت بانهزام الأمير عبد الحليم[220] .

وابن الخطيب لم يبق مكتوف الأيدي أمام هذه الأحداث بل سرعان ما بدأ يقدم السوابق عند هذه الدولة الناجمة . فمدح الأمير عبد الحليم ، ووزيره ابن السبيع .

(214) انظر المتن ص : 420 .
(215) انظر المتن ص : 513 وما بعد .
(216) انظر المتن ص : 582 ــ 583 .
(217) نفاضة الجراب (جـ : 2 ص : 280) .
(218) انظر المتن ص : 697 .
(219) بغية الرواد (جـ : 2 ص 92/90) العبر (جـ : 7 ص 316 ــ 318) .
(220) انظر تفصيله في نفاضة الجراب (جـ : 2 ص : 303 وما بعدها) .

وصاحب علامته ابن رشيد ، يقول :

يـــا إمـــام الهدى وأي إمـــام أوضح الحق بعد اخفاء رسمه
أنت عبد الحليم حلمك نرجو فالمسمى له نصيب من اسمه[221]

وَيَقُولُ :

أيا سبع الميدان غير مدافع إذا برقت تحت العجاج المناصل[222]
أهنيك أم تهني الوزارة انها أناف عليها منك كاف وكافل

وَيقولُ :

فهززت ، أبا سعيد ، منك دوحا به ما شئت من ظل وجني
فكن حيث اقتضاه بك اعتدادي وشد لي من كريم الرعي مبني[223]

5 ــ وأمام خطر هذه الدولة الناجمة وما كبدت السلطة المركزية من خسارات ، وأمام عدم رضي الناس بهذا السلطان المعتوه استدعى الأمير أبو زيان محمد بن أبي عبد الرحمان بن أبي الحسن المريني ليتولى السلطة ، وكان عند الملك بدرو الثاني فسمح له بشروط أهمها قطيعة المتغلب على الأندلس المتوثب على ملكها واعانة سلطانها الغني بالله ، والتخلي له على رندة[224] .

جاء أبو زيان ونصبه عمر بن عبد الله ملكا . فوفد عليه عامر بن محمد الهنتاتي سنة 763 هـ في جمادي الأولى وخطب إليهم بنت السلطان أبي بكر الحفصي كانت تحت العصمة الفارسية[225] فعقد عليها وانصرف بحر الدنيا وراءه[226] .

على أن طغيان عُمَرَ بن عبد الله وتحجيره على أبي زيان ، وكثرة مراقبته له جَعَلَتْ أَبَا زيان يَضِيقُ بها فأخذ يعد العدة لاغتياله والتخلص منه ، ولكن عمر سبقه إلى تنفيذ القتل فيه في محرم سنة 768 هـ وزعم أنه سقط على دابته وهو ثمل .

وقد سجل ابن الخطيب أهم الأحداث التي جرت في عصر أبي زيان إلا أنه ــ وهذا طبيعي ــ لم يسجل لنا إلا الأحداث التي حدثت وهو بالمغرب ، يقول مخاطبا السلطان على يد عامر بن محمد :

(221) انظر المتن ص : 565 .
(222) انظر المتن ص : 510 .
(223) انظر المتن ص : 806 .
(224) نفاضة الجراب (جـ : 3 لوحة 36 / 37) .
(225) النفاضة (جـ : 3 لوحة 35) .
(226) الاستقصا (جـ : 4 ص 50) .

وبذلت وسعي واجتهادي مثلما يلقي لملكك سيف أمرك عامر
وهو الولي لك الذي أقتحم الردى ونضا العزيمة وهو سيف باتر
ووليّ جدك في الشدائد عندما خذلت علاه قبائل وعشائر
فاستهد منه النصح واعلم أنه في كل معضلة طبيب ماهر[227]

ويقول في زواج أبي ثابت عامر بن محمد :

وسوغك العقد السعيد مسرة وهنأك الأملاك أعذب مورد
شددت بصهر الملك ازر مجادة توارثها عن أوحد بعد أوحد
ومثلك من يرمي بهمته العلى ويرفع أعلام الثناء المجدد
ويحيي من التوحيد رسما يعيده لخير اجتماع الشمل بعد تبدد[228]

جـ) وإذن من خلال استعراضنا للأحداث السابقة منذ موت أبي عنان فارس نرى الحالة كانت مضطربة لا تدعو إلى الطمأنينة ، فكان المغرب في هذه الاثناء يضطرم بمختلف الثورات والفتن ، وكان الخوارج يظهرون في كل ناحية ، وفوق هذا كانت السماء تشح بالمطر مما سبب قحطا شديدا أدى إلى إخافة السابلة في كل أنحاء المغرب ، فقد « ظهر (الفساد) بأرض مكناسة وفاس وتازا ، وما إلى ذلك لكونها لم تستأثر ببلالة رحمة مما قسم الله لغيرها ، إلى ما أصابها من معرة الفتنة إلى هذا العهد ، واستهدف من بها إلى هلكة المجَاعةِ »[229] وقد وصف ابن الخطيب هذه الأزمة شعرا :

مكناسة جمعت بها زمر العدى فدى بريد فيه ألف مريد
من واصل للجوع لا لرياضة أو لابس للصوف غير مريد
فإذا سلكت طريقها متصوفا فابن السلوك بها على التجريد[230]

بل حتى تامسنا وناحية مراكش لم تبقيا بمعزل عن هذه الفتن التي صار لا يأمن فيها الإنسان على نفسه ومتاعه يقول ابن الخطيب « ثم تحقق خروج الوزير مسعود بن رحو ... في سبيل تمهيد وطن تامسنا فقد كان أهله طردوا السعاة ومنعوا الجباية وأخافوا السبل »[231] ولعل الأبيات الآتية لابن الخطيب تلخص الحالة التي كان يعيش فيها المغرب

(227) انظر المتن ص : 381 وما بعد .
(228) انظر المتن ص : 310 .
(229) انظر النفاضة (جـ : 3 لوحة : 21) ، (جـ : 2 ص : 328) .
(230) انظر المتن ص : 340 .
(231) نفاضة الجراب (جـ : 3 ص : 62) .

في هذه الفترة يقول مخاطبا أبا زيان :

وقد كان طيف الحلم لا يعمل الخطا ... وللفتنة العمياء في الأرض اطباق
وللغيث امساك ، وفي الأرض رجة ... وللدين والدنيا وجوم واطراق
فكل فريق فيه للبغي راية ... وكل طريق فيه للعيث طراق[232]

د) على أن الدولة المرينية أتاح لها الله أن تنقذ مرة أخرى ولو مؤقتا على يد ملك همام أعاد أمجاد الدولة المرينية وهو السلطان فارس عبد العزيز فقد دعاه عمر بن عبد الله بعد قتل أبي زيان ليجعله كسابقيه ألعوبة في يده ولكن فارسا عبد العزيز ما لبث أن بدأ يطيح بالرؤوس الكبار التي كانت تتحكم في الدولة . فقد قضي على عمر بن عبد الله ، وعلى أبي الفضل بن أبي سالم بايعاز من عامر بن محمد ، كما أطاح بعامر نفسه ومبارك بن ابراهيم الخلطي سنة 771 هـ . وامتدت همته إلى مساعدة الأندلس فاستطاع أن يسترجع بمساعدته لسلطان الأندلس الجزيرة الخضراء سنة 770 هـ . بل ان طموحه امتد إلى تدويخ المغرب الأوسط فاحتل تلمسان بعاشوراء سنة 772 هـ ، على أن الأقدار لم تمهله إذ في سنة 774 هـ لبي نداء ربه .

غير أن هذه الأحداث لا نجد لها تصويرا في شعر ابن الخطيب ذلك أنه كان في هذه الفترة في الأندلس ، فكل ما نجده أبياتٌ قالها بعد مقتل عامر بن محمد يقول : « وقلت عندما مر السلطان عبد العزيز على جبل عامر بن محمد المنتاتي بديهة :

أمولاي استزده بالشكر صنعا ... فقد وعد المزيد الله بعده
أبحت ذمار من ناواك لما ... نويت جهاده ، وقصدت قصده
وما كان الذمار بمستباح ... ولكن العزيز أعز عبده[233]

هـ) وبعد موت السلطان أبي فارس عبد العزيز أذاع وزيره أبو بكر ابن غازي النبأ وقدم لهم ولده السعيد وكان صغير السن فألف ابن الخطيب للدفاع عنه كتاب « أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام » يدلّل فيه على أن لهذه التولية نظائر . وقد قام كفيله ابن الكاس بعدة أعمال كاصلاح السكة وغيرها ولكن الاعداء تكالبت على الدولة لضعفها . هذا الضعف الذي كان سببا في قتل ابن الخطيب .

يقول ابن الخطيب في هذه الكفالة :

(232) انظر المتن ص : 688 وما بعد .
(233) انظر المتن ص : 326 .

سيف السعيد وكافل الأمر الذي قد ناب عن مولاه خير مناب
وأعدت سكتهم كأن وجوهها زهر الرياض ربت بصوب رباب
وجبيت مال الله واستخلصته من بين ظفر للسباع وناب[234]

ويقول في أخرى :

سعيد فابتهج لفظا ومعني يطاوعه الزمان بلا زمام
ودارك للسعود بها مدار وشملك في اتساق وانتظام[235]

د) علاقة بني مرين ببني زيان :

وشعر ابن الخطيب أيضا قد صور بعض مظاهر العلاقات التي كانت سائدة بين المرينيين وبين بني عبد الواد . ونلاحظ على حسب ما يظهر لنا أن هذه العلاقات لم تكن ودية ولا شبيهة بالودية . انما كانت علاقات حرب أو تحفز لحرب .

فقد كان كل هم المرينيين الاستيلاء على تلمسان وهي عاصمة المغرب الأوسط العلمية واعظم واجمل مدنه .. فقد استولى عليها أبو الحسن سنة 737 هـ ولكن اشتغاله بالجهاد في الأندلس جعلها تنتقض مرة أخرى فرجع أبو الحسن لاعادة الأمن فيها إلى نصابه ولكن هزيمته بالقيروان جعلت حدا لمطامحه ، وقد استرجعها أبو عنان أيضا سنة 753 هـ ونجد صدى لهذا الاسترجاع في شعر ابن الخطيب في القصيدة التي قالها في أبي عنان ، يقول :

والنصر يضحك كل مبسم غرة والفتح معقود بكل سبيب
والروم فارم بكل نجم ثاقب يذكي بأربعها شواظ لهيب
بذوابل السلب التي تركت بني زيان بين مجدل وسليب[236]

وقد تتابعت المحاولات لخضد شوكة الزيانيين ، ولكن الزيانيين بمجرد ما كانوا يأنسون الضعف من المرينيين يسترجعون ما أخذ منهم وهكذا استرجعوا تلمسان أيضا سنة 760 هـ ، ولكن أبا سالم استرجعها في شعبان سنة 761 هـ ، وقد خلد ابن الخطيب هذا الفتح في قصيدته النونية :

أطاع لساني في مديحك احساني وقد لهجت نفسي بفتح تلمسان

(234) انظر المتن ص : 136 .
(235) انظر المتن ص : 558 .
(236) انظر المتن ص : 128 ــ 133 .

خـفـفت إليهـا والجفون ثـقيلة كما خف شئنُ الكف من أسد خفان
وقدت إلى الأعداء فيها مبادرا ليوث رجال في مناكب عقبان
وقد ذعرت خولان بين بيوتها غداة بدت منها البيوت بخولان
فلو رميت مصر بها وصعيدها لاضحت خلاء بلقعا بعد عمران[237]

غير أن الدولة المرينية تشاغلت بالحروب الداخلية مما منعها من مراقبة الأحداث عن كثب فاسترجع بنو زيان كرتهم لاسترداد تلمسان ، ولا نجد صدى في شعر ابن الخطيب في هذه الفترة ، غير أنه لما أتى فارا إلى المغرب من الأندلس والتحق بالسلطان أبي فارس عبد العزيز بتلمسان التي كان قد استعادها في عاشوراء سنة 772 هـ ، ترك لنا إشارات تنبىء بهذا الاسترجاع ، يقول مادحا ابن الكاس :

تستعبد الأحرار بين تحية مبرورة وتواضع وثواب
وتمهد الملك الذي بك جاوزت أسياف عزمته نجوم الزاب
دامت سعودك ما تألق بارق وبدا بأفق الشرق ضوء شهاب[238]

هـ) علاقة ابن الخطيب مع المسؤولين :

أ) يتضح لنا مما سبق أن ابن الخطيب كانت له علاقات كثيرة مع السلاطين والوزراء وحكام الأقاليم ، غير أن هذه العلاقات لم تكن صادقة بل كانت تتسم بكثير من الملق ، وبنكران الصنيع أحيانا . ولعل ظروفه السياسية التي عاش فيها كانت السبب الرئيسي في هذا السلوك ، فكان ككل سياسي ماهر يريد أن يتخذ كثيرا من المآمن يلجأ إليها حينما تدعوه الحاجة إلى ذلك ، وعلى ضوء هذا نستطيع بالإضافة إلى عيشه في كنف النصريين والدولة المرينية أن نفسر علاقته بالهنتاتيين وببني عبد الواد .

ب) **علاقته بالهنتاتيين** : لعلنا نستطيع أن نرد علاقته بالهنتاتيين إلى أسباب متعددة ومتداخلة ولكن أهم سبب في نظرنا هو أنه :

1 ـ كان يريد أن يضمن لنفسه أمنا من خوف وقرارا من فرار ، وهذا ما تؤكده هذه الفقرة « فلما حم الواقع وعجز عن خرق الدولة الأندلسية الراقع ، وأصبحت ديار الأندلس وهي البلاقع وحسنت من استدعائك اياي المواقع ، قوي العزم ، وإن لم يكن ضعيفا وعرضت على نفسي السفر بسببك فألفيته خفيفا »[239] ويقول في أبيات :

(237) انظر المتن ص : 569 وما بعد .
(238) انظر المتن ص : 136 .
(239) نفاضة الجراب (جـ : 2 ص 45) .

تقول لي الأظعان والشوق في الحشي له الحكم يمضي بين ناه وآمر
إذا جبل التوحيد أصبحت فارعا فخيم قرير العين في دار عامر[240]

2 — دفاعهم عن أبي الحسن المريني ، فقد كان أبو الحسن المريني يخص بعطف خاص لدى الأندلسيين جميعهم لما بذله من جهد في دفاع النصارى عن الثغر الغريب . وقد اتخذ هذا العطف ابن الخطيب منطلقا لرثائه والثناء على الهنتاتيين ، يقول :

يا حسنها من أربع وديار أضحت لباغي الأمن دار قرار
وجبال عزلا تذل أنوفها الا لعز الواحد القهار
ومقر توحيد وأس خلافة آثارها تنبي عن الأخبار[241]

3 — انتماؤهم لأصل محمد بن تومرت ، نَظُنُّ أن ابن الخطيب لم يكن شيعيا ولا يمت إلى الشيعة بسبب ، وإنما كان يستعمل مصطلحهم « المعصوم » مجاراة لادعاء ليس غير . غير أننا نظن أنه كان يقدر دولة الموحدين لجهادهم ومنجزاتهم العظيمة ، يقول :

وزر تربة المعصوم ان مزارها هو الحج ينضي نحوه كل ضامر[242]

جـ) **علاقته ببني عبد الواد** : لعل علاقته مع بني عبد الواد تتبين لنا بوضوح سمة التقلب في سلوكه ، فرغم ما كان بينه وبين السلطان فارس عبد العزيز من وثيق الصلة وخالص المحبة لم يلبث بعد وفاة عبد العزيز ببضعة أشهر أن كتب يهنىء أبا حمو بمناسبة استرداده لملكه في آخر سنة 774 هـ ، يقول :

الشمس أنت قد انفردت وهل يرى بين الورى في مطلع شمسان
جبرت بجَبْرك كل نفس حرة وشدا بشكر الله كل لسان
فاستقبل السعد المعاود سافرا عن أي وجه للرضي حسان[243]

غير أن هذا النفاق لم يفكه من قبضة المنية ، فقد بعث إلى أبي حمو في شهر المحرم سنة 776 هـ قصيدة ميمية[244] طويلة يستجير به ، ولكن الأقدار عاجلته قبل أن ينقذه أبو حمو .

(240) انظر المتن ص : 427 .
(241) انظر المتن ص : 436 .
(242) انظر المتن ص : 427 .
(243) انظر المتن ص 583 .
(244) انظر المتن ص : 536 وما بعد .

ثانيا : صورة للحياة الاجتماعية :

وكما عكس شعر ابن الخطيب الحياة السياسية فإنه قد عكس الحياة الاجتماعية أيضا بما فيها من مظاهر ايجابية وسلبية ، فليس خافيا ان ابن الخطيب عاش في بيئتين مغربية وأندلسية . وليس خافيا أيضا أن هناك كثيرا من أوجه الشبه بين البيئتين ، وان هناك وجوها من الاختلاف . ولذلك لا مناص من رصد تصوير ابن الخطيب لبعض المظاهر الاجتماعية في كل من البيئتين على حدة .

1 – تصويره لبعض مظاهر الحياة الاجتماعية المغربية :

أ) **الأعياد** : من الأعياد التي نجد لابن الخطيب أثرا شعريا فيها عيد المولد . وقد بدأ الاحتفال بهذا العيد مع المبالغة في هذا الاحتفال أيام العزفيين[245] . وذلك لمقاومة التقليد الديني المسيحي ، فقد دأب الأندلسيون على تقليد المسيحيين في احتفالهم بالمهرجان (أي العنصرة) وبالنيروز .

وقد اتخذ الاحتفال بالعيد النبوي تقاليد خاصة على مر العصور ، ولكن الذين أعطوه هذه التقاليد الخاصة وكسوه رونقا رائعا هم المرينيون وبخاصة في عهد أبي الحسن ثم من جاء بعده . يقول ابن مرزوق « هذه مكرمة خص الله بها هذه المملكة الشامخة والسلطنة المرينية ، وان حكاها غيرهم فما أشبه ولا قرب أثار الفقيه العزفي رحمه الله صيدها فصادوه ونبه على الخير فمضوا عليه واعتادوه وزاد فيها هذا المولى رضي – الله عنه – من المحاسن ما صيرها مثلا وألبسها من سيره الجميلة حللا»[245] .

على أن أهم زيادة هي ما أضافه أبو عنان الذي صار يزين قاعة الاحتفال بالساعة الميكانيكية التي أخترعت لتخبر بالوقت[247] . وصارت هذه المنكانة من اللوازم بالاحتفال بالمولد النبوي لدى ملوك بني مرين وغيرهم .

وقد ترك ابن الخطيب أشعارا في المولد النبوي أثناء مقامه بالمغرب كَقَصِيدَتَيْهِ

---

(245) انظر الأذهان (جـ : 2 ص : 374) ودعوة الحق .

بعض تأليف أبا القاسم العزمي « الدر المنظم في مولد النبي المعظم ﷺ ، وشرّف وكرم »

(246) المسند الصحيح الحسن – الباب السادس

(247) انظر وصفها في المقال السابق بدعوة الحق المولد النبوي الشريف السنة 12 ص 117 – 131) العدد 7

الميمية[248] والدالية[249] ، كما ترك شعرا في وصف المنكانة في أحد الاحتفالات به أيام أبي سالم ، يقول :

يـا إمـامـا غـدا لـديـن ودنـيـا خير مستصرخ وخير غـيـاث
حـلـف الـلـيـل وهـو بر كـريم عـنـد ذكـراك مقسما بالثلاث[250]

ويقول أيضا :

مولاي سِتٌّ من الظلام مضت كـالمسك في صـبـغـة وفي أرج
أجزاء لـيـل مـرت كما انـطـلقت كف على سبحة من السبج[251]

ب) **زيارة الأضرحة والربط :**

لعل هذا يتصل بما قبله ، فهو يشخص النزعة الدينية التي كانت مهيمنة على سلاطين دولة بني مرين ، توارثوها كَابراً عن كابر . فقد جاء في الذخيرة السنية عند الحديث عن عبد الحق المريني ما يلي : «كانت له بركة معروفة ودعاء مستجاب ، وكان كثير الأوراد والأذكار[252]» ، كما جاء في اللمحة البدرية عند كلام ابن الخطيب على أبي يوسف الذي قال عنه ما يلي « أشبه بالشيوخ منه بالملوك »[253] وقد سار على هذا النهج الملك الهمام أبو الحسن المريني ، فـ « في آخر سفراته — رضي الله عنه — من فاس إلى مراكش ، وكان معظم قصده فيها زيارة الصلحاء الأحياء والأموات »[254]

ولعل أبا الحسن هذا هو الذي وقف الاوقاف بكثرة على الربط والأضرحة مما سبب أحيانا كثيرة بعض الإقطاعات . لأنه كان « من عادته أن جميع ما جرى للعلماء والمرابطين من الاقطاعات والتحريرات لا يعدل بها عن ذرية من سوغت له عادة جارية وسنة ماضية »[255]

---

(248) انظر المتن ص 543 وما بعد .
(249) انظر المتن ص : 346 وما بعد .
(250) انظر المتن ص : 192
(251) انظر المتن ص : 208 .
(252) الذخيرة السنية ص : 29
(253) اللمحة البدرية ص : 29
(254) المسند الصحيح الحسن — الباب السابع
(255) المسند الصحيح الحسن — الباب التاسع عشر (الفصل الثالث)

وقد حاول ابن الخطيب أن يغتنم هذا الجوّ السّائد ، فأراد أن يطوف في أرجاء المغرب وبخاصة الجنوب ، فقام برحلته مطلعا على الآثار ومتبركا بالربط وجامعا للأموال . حتى عاد إلى شالا « وقعد بازاء لحد المولى أبيكم (أي أبي سالم) ساعة إيابه من الوجهة المباركة وزيارة الربط المقصودة والترب المعظمة »[256] وأظن ظنا أن ابن الخطيب لا يقصد من كل هذه التحركات إلا ضمانا للسلامة والغنى ، مغتنما هذا التقليد الذي سنه السلاطين المرينيون .

وقد وجدنا صدى لهذه الحركة الدينية في شعر ابن الخطيب . يقول (خاطبت عميد الدولة ، وقد بلغني إيابه من زيارة الصلحاء بريف بادس ، ضجرا بحمل الدولة متراوغا عنها »

هنيئا بالقدوم من الزيارة ولقيت السعادة والبشارة
وقاد لك الالاه خفي لطف يبلغ مجدك الأَعْلَى اختياره[257]

جـ) وصف بعض الألعاب :

نستنتج من شعر ابن الخطيب أن المرينيين إلى جانب احتفالاتهم الدينية كانوا يهتمون أيضا بالجانب الترفيهي ، ومن ذلك مصارعة الأسد والثور .

فقد كان لهذه اللعبة ميدان خاص أسماه ابن الخطيب « ملاعب الليث المفترس » فكان الأسد يتصارع مع ثور قوي يقدمه قطيع من الجواميس ، ويدير المعركة أبطال محترفون يختفي أحدهم داخل كرة خشبيَّة مستديرة يحركها ويمشي بها فيهجم عليها الأسد ويعالجها بالنطح فلا يستطيع كسرها ، ثم يحمي وطيس المعركة بينه وبين الثور ، فيظهر الثور ثم يناله المصارعون قصعا بالرماح فينجدل بين يدي السلطان مضرجا بالدماء[258] ، ثم يجازي الملك هؤلاء الأبطال بالنقود وبالثياب الجديدة .

وقد ترك ابن الخطيب وصفا طريفا لهذه اللعبة نثرا وشعراً ، يقول مخاطبا أبا عنان :

أنعام أرضك تقهر الآسادا طبع كسا الأرواح والأجسادا
وخصائص لله بث ضروبها في الأرض ساد لاجلها من سادا
ان الفضائل في حماك بضائع لم تخش من بعد النفاق كسادا

---

(256) نفاضة الجراب (جـ : 2 ص : 81) .
(257) انظر المتن ص : 435 .
(258) انظر الاحاطة (جـ : 2 ص 6 ــ 7) مجلة البحث العلمي عدد 11 / 12 السنة 1964 .

كـــان الهزبـر محاربـا فـجـزيـتـه بجزاء من في الأرض رَامَ فسادا
فَابْغِ المزِيدَ من الالاه بشكره وارغـم بما خولته الحسادا[259]

ويقول (وقلت في البرج المعد لذلك) :

أبو عـــنـــان خير مســـتـــخـلـف أصلح من أمر الورى ما فسد
لا يـنـكـر الـفضـل لملاكـه إلا أمـرؤ غطى عـليـه الحسـد
وحق من جمع في الخلق بيـ ـن الـنـفس والـروح والجسـد
لأنت ، يا مولاي ، شمس العلا حقا ، وهذا البرج برج الأسد[260]

ويظهر من وصف ابن الخطيب أن هذا البرج كان معدا للنظارة يتتبعون من فوقه هذه المصارعة العنيفة .

د) وصف بعض العادات الخاصة :

1 — لعله مما يلفت انتباهنا وصف سكين الكم ، وهي سكين ربما كانت تستعمل للدفاع عن النفس أولا ، ثم صارت زينة ودليلا على الرجولية وشرف المحتد يقول ابن الخطيب واصفا سكين ابراهيم أبي سالم :

رفلت بابراهيم في حلل السعد وأفـردت بـالـفَـخْـرِ المؤثـل والمجد
تبني حسـام النصر مني مرضـعا وعوضت حجر المستعين في المهد[261]

2 — إشارة إلى بعض المآكل وَفِئَات المجتمع ، وشعر ابن الخطيب لا يخلو أيضا من من بعض الإشارات إلى بعض الاكلات المغربية الخاصة كالحريرة :

ورب صلاة قـدم الـنـفـل فيها وتشرب من قبل الثريد حريرة[262]

ويقول في طبقات المجتمع :

مـبـتلى أنت بـالبرابـر والـغـ ـز وأهـل الجبـال والصحراء[263]

(259) انظر المتن ص : 363 وما بعد .
(260) انظر المتن ص : 336 .
(261) انظر المتن ص : 333 .
(262) انظر المتن ص : 379 .
(263) انظر المتن ص : 97 ، 99 .

2 – تصويره لبعض مظاهر الحياة الاجتماعية الأندلسية :

أ) **الأعياد** : كان الأندلسيون يحتفلون بالأعياد الإسلامية مثل باقي المسلمين ، ولكنهم كانوا كذلك يحتفلون بالمهرجان والنيروز . غير أن أهم احتفال – خلال حياة ابن الخطيب – كان الاحتفال بالعيد النبوي ، وبخاصة عندما رجع (الغني بالله) من منفاه في المغرب إلى الأندلس . قال ابن خلدون : «صار يحتفل في الصنيع في ليلة المولد والدعوة ، وانشاد الشعراء اقتداء بملوك المغرب»[264] .

وأول احتفال بالعيد النبوي قام به (الغني بالله) على طريقة المغاربة احتفال سنة 764 هـ إذ في هذا الاحتفال أُقيمَتْ أول مرة ساعة المنكانة التي اختص ابن الخطيب بوصفها هذه الليلة . يقول :

ساعة أولى من الليل انقَضت شرعت شرع الـــرضي وافترضت
ومضت من بعـد انس وكذا ساعة الانس إذا سرت مضت[265]

وقد تابع وصفه إلى الساعة الحادية عشرة، محاولا إضفاء مَعَانٍ صوفية على وصفه، حتى ختم القول بقول : « وعند هذه المقطوعة وقع الفضح ، واهتزت النفوس وقد ألطفها السهر ، وأهمها الفراق ، وتمثلت لها بانقضاء النعيم العبرة فتجوذب التأوه ، ثم وقع الاجهاش ثم علا النحيب ثم نودي بالصلاة ، فصلى السلطان – أعزه الله – بوضوء عشائه ، ثم أفيض الذكر ثم كان الأكل ثم الطيب ثم الإذن بالانصراف»[266] .

أما عيد الأضحى فنجد إشارة في شعر ابن الخطيب تبين الكيفية التي يتم عليها . فقد كان يخرج السلطان إلى المصلى في موكب من الفرسان لابسين دروعهم ويوزع الطعام على الفقراء بعد الصلاة ثم يرجع إلى القصر ليتقبل التهاني يقول :

وقد زحفت يعشي العيون رواؤها صفوف من الفرسان وهي دوارع
فلما قضيت العيد سنة نحره وأطعم مُعْتَرٌّ هنـاك وقانع
رجعت إلى دار الخلافة والعلى فضاءت بنور الهدى تلك المرابع
وعرضت للتقبيل كفا كريمة تفيض على الطلاب منها ينابع[267]

غير أننا لا نستطيع أن نتبين من خلال شعر ابن الخطيب بعض الملامح الخاصة بعيد

---

(264) انظر العبر (جـ : 7 ص : 412) .
(265) انظر المتن ص : 638 .
(266) نفاضة الجراب (مخ جـ : 3 لوحة 227) .
(267) ص : 640 وما بعد .

النيروز . ولعل هذا العيد في هذا الوقت لم تبق له أهمية كبرى لسيطرة النزعة الدينية — ولو ظاهريا — عند السلاطين النصريين .

أما المهرجان وهو عيد فلاحي كان الأندلسيون يحتفلون به يوم 24 يونيو فقد كانوا يخلعون الثياب الملونة ويلبسون البيضاء ابتداء من هذا اليوم إلى أول أكتوبر[268] . فلا نجد في شعر ابن الخطيب أية إشارة للاحتفال بهذا العيد .

ب) **الاحتفال بالحذقة** :

والحذقة هي الاحتفال بالوصول إلى جزء من القرآن معين وحفظ هذا الجزء كالرحمان أو سورة الفتح أو مريم أو كهيعص ، أو ختمه . والحذاق بكسر الحاء وفتح الذّال المعجمة الطعام الذي يعمل عند حذق الصبي أي ختمه القرآن .

ويظهر من هلال وصف ابن الخطيب أن الأندلسيين كانوا يكتبون في لوحة الحاذق شعرا . يقول (وقلت مما يكتب في لوح حذق الأمير ولد السلطان قيس على العادة في مثل ذلك) .

فكان أول ما قدمت في صغري ... من بعدما قد جمعت الفضل والأدبا
أني جعلت كتاب الله معتمدا ... لا تعرف النفس في تحصيله تعبا
كأنني كلما رددته بفمي ... استنشق المسك أو استطعم الضربا
حتّى ظفرت بحظ منه أحكمه ... حفظا فيسر منه الله لي أربا
وعن قريب بحول الله أختمه ... فربما ادرك الغايات من طلبا[269]

كما يظهر من خلال شعره أيضا أن الدعوة كانت — عندهم — توجه لابناء الأصدقاء والأصحاب للمشاركة في الاحتفال بهذه المناسبة ، يقول : (وكتبت إلى الشريف القاضي — رحمة الله عليه — وقد استدعَى الأولاد إلى حذقة أحد أولاده) .

غشيان مثواك مثوَى الجود يوم ندَى ... مما ينافس فيه الوالد الولدا
وحبك اليوم ذخر من تأثله ... جَنَى به الفوز في دار النعيم غدا
وقد مددت لاذن من علاك يدي ... فاسمح بها دمت أعلى العالمين يدا[270]

---

(268) النفح (جـ : 2 ص 752) Pérès, poesie Andalouse p : 303-305

(269) انظر المتن ص : 118 وما بعد .

(270) انظر المتن ص : 332 .

جـ) تصويره لبعض الآفات الاجتماعية :

1 ـ الغزل بالغلمان : يظهر من شعر ابن الخطيب أنه كان شائعا في عصره كما كان شائعا قبل عصره في الأندلس وغيرها . حتى صار ظاهرة مألوفة لا يجد الشاعر المحترم تحرجا في قول الشعر فيها ، غير أن الذي يلفت الانتباه أكثر هو كلف الأندلسيين بالغلمان السود : يقول ابن الخطيب :

بنفسي حالك شِبْهُ السويدا ... لذلك ما يحن له الفؤاد
أطيل له التفاتي والتماحي ... لأن العين ينفعها السواد[271]

ويقول (وقلت في بعض الأصحاب ، وقد قتله من كانت له به علاقة هوًى تجاوز الله عن الجميع) :

يا شمس فضل سناها ليس يحتجب ... والشمس تسفر أحيانا وتنتقب
كلفت بالبدر والاقدار غالبة ... تقفو مدارجه طورا ، وتعتقب
والبدر يكسف جرم الشمس عادته ... هذا الخسوف الذي قد كنت[272] ارتقب

2 ـ تعاطَى الحشيش : وقد كان الأندلسيون أيضا يتعاطون الحشيش قبل زمن ابن الخطيب . يقول أحد الشعراء :

وخضراء بل لا تفعل الخمر فعلها ... لها وثبات في الحشا وثبات
تؤجج نارا في الحشا وهي جنة ... وتبدي لذيذ العيش وهي نبات[273]

وكان قطب الدين القسطلاني يحدث « أنه ظهر في السنة السابعة من المفاسد العظام ثلاث : مذهب ابن سبعين، وتملك الططر للعراق، واستعمال الحشيشة[274]» ولكن تعاطيها انتشر بصورة فظيعة في هذا القرن الذي عاش فيه ابن الخطيب ، فقد حدث صاحب شرطة أبي سعيد البرمخو قال : « أطريته باجتناب الناس الخمر في أيامه .. فقال لي في الملا المشهور . والحشيش كيف حالها ؟ قلت ما عثرت على شيء منه . فقال هيهات . انزل إلى بيت فلان وفلان وعدد كثيرا من الساسة والأوغاد ... وانصرفت إلى ما ذكر ، فوالله ما أخطأت شيئا مما رسمه ، ولا فقدت شيئا مما ذكره »[275]

---

(271) انظر المتن ص : 328 .
(272) انظر المتن ص : 144 .
(273) انظر مقدمة نفاضة الجراب (جـ : 2 ص : 21) .
(274) النفح (جـ : 7 ص : 170) .
(275) نفاضة الجراب (جـ : 2 ص 183) .

ونجد إشارات إلى هذه الآفة في شعر ابن الخطيب ، يقول (وقلت أيضا أعرض بمن تناول نبات القنب وكنيت عنه بالربيع موافقة لكنية أبي الخطاب) :

أتى ابن سليمان وفي الفكر فترة تخبر أن العقل جد مغيب
فقلت أظن السيد اعتم عمة ولكنها في الأصل من كنية الأب[276]

د) **تصويره لمظاهر النعمة والترف :**

مما كان شائعا في زمن ابن الخطيب وقبله كتابة الشعر على الأبنية والأشياء الجميلة ، لذلك نجده يقول شعرا ليكتب في الحمالة[277] وعلى السكين[278] ، وعلى السرر[279] وعلى طيقان الماء[280] ، وفي أبنية المدارس[281] ، وفي أبنية القصور .

على أن أهم وصف لابن الخطيب نجده في القصور التي أقامها أبو الحجاج يقول ابن الخطيب في بداية بناء أبي الحجاج أحد قصوره :

ولما استتم بناء العلَى وأحرز شأو الجلال البعيد
وأيقن أن لم يدع غاية لراج ، ولا موضعا للمزيد
وان الديار جسوم الجسوم تولّى اقامة قصر مشيد[282]

كما نجد في شعره وصفا دقيقا لما بداخل القصر من زخارف وزليج مختلف الأشكال ومن صور مما يذكرنا بوصف البحتري لإيوان كسرَى . يقول ابن الخطيب :

دحيت من الزليج صفحة أرضه بلونين مبيض الأديم ومسود

* * *

وأرسلت فيها جدول الماء سائلا كما سل مصقول الغرارين من غمد
من الصفر الا أنها عربية إذا اجتليت فيها سمات بني سعد

* * *

(276) انظر المتن ص : 153 .
(277) انظر المتن ص : 384 .
(278) انظر المتن ص : 333 .
(279) انظر المتن ص : 242 وما بعد .
(280) نجد أيضا في شعره ما يتعلق بهذه الأشياء .
(281) انظر المتن ص : 363 .
(282) انظر المتن ص : 262 .

رأينا بها كرسي كسرَى وتاجه تلاحظه عينا على قدم العهد
وكم رامح للفرس فيها ونابل وراح تعاطيها مهفهة القد[283]

هـ) الألفاظ والأمثال العامية :

مهما يكن من تقليد الأندلسيين للمشارقة طوال تاريخهم الأدبي ، فإنَّ الأندلسيين أحسوا أحيانا بذاتيتهم ، وانهم في استطاعتهم أن يأتوا بمثل ما أتى به المشارقة أو أكثر. وَهَكَذَا بدأ بعض الأندلسيين يؤلفون رسائل في فضل الأندلس كابن حزم[284] أو أرخوا لمدنهم الكبرَى جغرافيتها وتاريخها وخصائصها وترجموا فيها لمشاهير الأعلام[285] .

وأهم مظهر يمثل هذا الشعور بالذاتية من بين المظاهر الأخرَى الامثال العامة ، وشعر ابن الخطيب لم يخل من تضمين بعض الأمثال العامية ، تعلقا ببيئته ، وتقليدا للنموذج الذي سبق ، يقول : (وقلت في التورية بعرف العامة) :

قلت وقد ألبس جسمي الضنَى صبغة سقم أبدا لا تحول
يا من رآني اشفق لما حل بي «يلبس مخيوط على ذا النحول»[286]

وقلت في طول الليل :

ساورت أسود في ، ظلام دجَى من نابه فالى الهموم دفع
أنا لا أقول سطا الصباح به لكن طغَى ثعبانه فرفع[287]

3 ـ غير أن شعر ابن الخطيب لم يعكس ترف الطبقة الحاكمة فقط ، فقد عكس الطبقة المسحوقة أيضا سواء في المغرب أو الأندلس . فقد عرف كل من المغرب والأندلس ظروف عدم الاستقرار . وقد قدمنا نتيجة عدم الاستقرار في المغرب من انتشار الخوف « وتفاحش الغلاء بسبب تضاؤل مواد المعيشة حتَّى ارتفعت قيمة منزل للسكنَى بفاس إلى ألف دينار »[288] كما قدمنا أن تلك الاضطرابات التي حصلت في الأندلس كان سببها المجاعة وانتشار وباء الطاعون . يقول (وقلت وقد خف عني شغب الناس بسبب أخذ الدواء :

---

(283) انظر المتن ص : 298 وما بعدها .
(284) النفح (جـ : 4 ص : 155 ـ 170) .
(285) تاريخ النقد الأدبي في الأندلس ص : 45 .
(286) انظر المتن ص : 513 .
(287) انظر المتن ص : 656 .
(288) مظاهر الحضارة المغربية ص 85 .

وقاني أذَى الناس أخذ الدواء وجاء بعذر لرفع الجناح
كذلك الحبارَى إذا ضويقت يدافع عنها سلاح السلاح[289]

وقلت ضجرا من المصبحين بباب السلطان أيام النيابة عنه :

قال من يعني بأمري ليت ربي قد أراحَكْ
وطن تسمع فيه أنعم الله صباحك[290]

وقلت أخاطب صاحب الانشاء بالمغرب ، وقد قدمت من مدينة سلا محملا الكثير من حوائج الناس على سبيل المباسطة :

وساعاة ذوي اجتداء والحا ف شديد ياتون بعد العشاء
وذوو كدية وقوم أسارَى عبروا البحر رغبة في الفداء
أوقح القَوْمِ ضجت الأرض منهم نبذوا كل حشمة وحياء[291]

(289) انظر المتن ص : 248 .
(290) انظر المتن ص : 249 .
(291) انظر المتن ص : 97 — 99 .

خاتمة

نرَى مما تقدم أن شعر ابن الخطيب في شبابه صورة لشباب طموح يريد أن يعتلي ذرَى المجد ، ويقتعد أريكة الشهرة ، والوصول إلى تحقيق مآربه واشباع نهمه إلى السلطان مهما كلفه ذلك من ثمن .

ـ وصورة في كهولته لشخصية قد عركتها الأحداث الجسام ، وتقلبات الدهر ، فكان متفجعا شاكيا ، متوسلا يائسا من الحياة صابا جام غضبه على أعدائه متخذا لكل حالة لبوسها .

ـ صورة لطبيعة فينانة ، وحضارة عريقة تأنقت فيها يد صناع

ـ صورة لوطن الجهاد الذي كان يقارع النصارَى ، وينتصر عليهم كثيرا وينهزم قليلا .

ـ صورة للصراع في البيت الحاكم نفسه في المغرب وفي الأندلس .

ـ صورة لبيئة اجتماعية بما فيها من ايجاب وسلب .

تشحيره

بسم الله الرحمن الرحيم ، وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه وسلم

أمَّا بَعْدَ حَمْدِ ٱللَّهِ على سبوغ نعمته ، والاستقالة من أفكار وأعمال صرفت في غير خدمته ، والعياذ (بالله)[1] من سخطه برضاه ، ومن مؤاخذته برحمته والصلاة على سيدنا ومولانا محمد دَليل الهدَى لمن اهتدَى به من أمته ، ومطلع نور الله في دجنّة الكفر وظلمته والرضا عن آله وأصحابه المتمسكين بأذمته .

فإني مازلت ــ والله يتجاوز عن الزلل ، ويصفح عن الذنب الجلل ــ أقيد ما ينشأ عنّي ويصدر ، واجمع ما يبرز عن معدن قريحي ويندر[2] . كلما كمل منه مجموع أتبع بذيل ، أو جُهِّز منه جيش قفي برجل وخيل ، خالطا صبحا بليل ومنكحا ثريّا بسهيل[3] ، وماثلا بعد استقامة ، ومستقيما من ميل . إذ الفكر له قعدات ووثبات (ق 1 أ)/ والاجادة والتقصير من الله (هبات)[4] ، فسميت لذلك مجموعا انتهَى بانتهاء سنة ثمان وأربعين وسبعمائة ب « الصيب والجهام ، والماضي والكهام »[5] ثم ذيلته بثان سميته « الحالي والعاطل ، والمسعف والماطل[6] » ثم عززتهما بثالث ضلّ[7] عنّي الآن اسمه ، توفر من الإجادة قَسمه .

---

(1) اضافة من نسخة «ح» .

(2) نَدَر الكلام : فَصُح .

(3) الثريّا : نجم وهو علم عليها سمي بذلك لكثرة كواكبه مع صغر مرآتها فكأنها كثيرة العدد بالاضافة إلى ضيق المحل ، وسهيل : نجم قيل تنضج الفواكه عند طلوعه وينقضي القيظ . وفي هذا اشارة إلى قول عمر ابن أبي ربيعة :

أيها المنكح الثريا سهيلا عمرك الله كيف يلتقيان
هي شامية اذا ما استقلت وسهيل اذا استقل يماني

(4) في نسخة «ف» بياض وملؤه من «ح»

(5) الصيب : السحاب والمطر ، قال تعالى : كصيب من السماء : والجهام : السحاب لا ماء فيه ويقال جاءني من هذا الأمر بجهام بما لا خير فيه ، وكهم السيف كل فهو كهام

(6) الماطل : من مطل فلانا حقه وبحقه أخلّ بوعد الوفاء به مرة بعد الأخرى .

فلما دالت الدولة فعاثت[8] في العتاد الأيدي العادية وتعاورت النّعم المتالف الرائحة الغادية ، وانتهبت الخزائن ، وامتهنت المزايا والمزائن[9] ، وفي الله الخلف مما استأثر به من التلف .

واستقر القرار بمدينة « سلا »[10] مسعفا — والحمد لله — في الاستمتاع بالبقية ، نائما عند ارتفاع الثنية[11] ، كلفا — والله الموفق — بالأمور الحَفية ، رافلا في الجراية التي لا ينالها إلا من جرّ الدنيا برسن ، مطرفا من البر بكل حسن ، معللا بلطف اللطيف الخفي من كل نوم أو وسن . « وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها »[12] .

وشغلت الوقت بتصنيف غريب وأنس لا يريب ، وتيسير لمهمات الرحلة الحجازية وتقريب ، فاستدعيت من المنظوم جملة (أثرتها)[13] من مظانّها فطارت عند سماع النّداء، وخلصت من بين بنان الاعداء، فسكنت إجهاشها، واستنجدت رياشها (ف 2 ب)/وجدّدت منها ما درس ، وآسيت ما عقر الدهر منها وافترس ، وأضفت إلى سلكها ما صدر منّي بعد الكائنة[14] ، وألحقت[15] بنسبي ، بعد مراجعة الأمنة المباينة ، منتهيا به إلى وسط سنة سبعين وسبعمائة ، مسميا جميعه بالتسمية الأولى وهي : « الصيب ، والجهام ، والماضي ، والكهام » ليشفع صيبه في جهامه ، وماضيه في كهامه . مرتبا إياه

---

(7) في «ف» و«ح» ظل

(8) الأفصح أن يكون جواب شرط لما إذا كان ماضيا بدون اقتران بالفاء .

(9) المزائن : لعلها من مزن فلانا ، فضله .

(10) مدينة سلا واقعة على ساحل المحيط الأطلسي على الضفة الشرقية من مصبّ وادي أبي رقراق ويقابلها الرباط على الضفة الغربية من ذلك النهر . أسسها أبو الكمال تميم أمير بني يفرن الزناتيين في القرن الخامس الهجري وجعلها قاعدة لدولته .
انظر : الادريسي ، ص : 83
CH. Terrasse : Medersa du Maroc p. 15-17 Art Musulman 514
مذكرات ابن الحاج النميري : ص : 45 وما بعدها
الاتحاف الوجيز ، مخطوط بالخزانة العامة الرباط

(11) لعل فيه اشارة إلى المثل : اعمل الخير في البرية ، وارقد عند الثنية ، اعمل خير وارقد فالطريق ، إلى طه حسين ص : 314 .

(12) وتمام الآية : ان الانسان لظلوم كفار : سورة ابراهيم ، اية 37 .

(13) أثرتها : اضافة من نسخة «ح»

(14) يقصد بالكائنة النكبة التي حلت به وبملكه السلطان محمد الخامس (الغني بالله)

(15) هكذا في النسختين معا بالشكل ، ولتوضيح المعنى ينبغي أن تقرأ بالضم مبنية للمجهول

على الحروف ، ومنها على المشهور من بواعثه والمعروف . وما كان أولاني بستره لو أنصفت ، ونبذه نبذ الحذاء الذي رقّعت وخصفت[16] والله يتغمد بعفوه الأقوال والأعمال ، ويبلغ من فضله الآمال .

قلت : ثم إن الله سبّب الإدالة ، وأحال الحالة ، وجعل للمظلوم يد الخيار ، وردّ إلى الديار فصدرت بذلك أذيال تتعلق بذلك الثوب ، وأغراض يتغمدها بفضله « غافر الذنب وقابل التوب » . إلى منتصف عام اثنين وسبعين وهو الذي أزمع فيه الإقلاع عن هذه النزعات ، والفطام عن هاك وهات . بعد أن كمل بناء الزاوية والتربة[17] ، وآمل قبول القربة ، وتأنيس الغربة .

فقد اشتمل هذا المجموع على الحديث والقديم ، وهينمة العابد وهذر النديم ووسع الغني وجهد العديم ، ومن الله نسأل أن يقبل من طردته ذنوبه ، ولم يجد إلّا بابه الذي سترت[18] فيه عيوبه وتغمد حوبه[19] ولم يلجأ الانسان إلا لهُ فيما ينوبه . سبحانه لا إله إلا هو .

---

(16) من خصف النعل رقّعها

(17) نجد هذا التعبير كثيرا في كتابه ، نفاضة الجراب ، يقول : « ووقفت العقار الثمين على زاوية أقتها .» لوحة : 123 (جـ : 3) .

(18) في «ح» ستر

(19) حوبا: الاثم ، قال تعالى : « ولا تاكلوا أموالهم إلى أموالكم ، انه كان حوبا كبيرا » .

حرف الالف

1

وَهَذَا ٱلْحَرْفُ يَسِيرٌ فِي هَذَا ٱلْمَجْمُوعِ ، وَعَلَى ذَلِكَ فَقُلْتُ مِنْ قَصِيدَةٍ أَمْدَحُ بِهَا أَمِيرَ ٱلْمُسْلِمِينَ « أَبَا ٱلْحَجَّاجِ [1] بْنَ نَصْرٍ » — رَحِمَهُ ٱللَّهُ — وَأُهَنِّئُهُ بِبَعْضِ ٱلْأَعْيَادِ وَأَلِمُّ بِذِكْرِ رُسُلِ ٱلنَّصَارَى (دَمرهم اللَّهُ) وَانْعِقَادِ ٱلسِّلْمِ ، وَهُوَ مِنَ ٱلشِّعْرِ ٱلصَّادِرِ فِي زَمَنِ ٱلْحَدَاثَةِ عَامَ خَمْسَةٍ وَثَلَاثِينَ [2] .

(الكامل)

وَسْوَاسُ حَلْيِكِ أَمْ هُمُ ٱلرُّقَبَاءُ ... لِلْقَلْبِ نَحْوَ حَدِيثِهِمْ إِصْغَاءُ
وَوَمِيضُ ثَغْرِكِ أَمْ تَأَلُّقُ بَارِقٍ ... وَشِهَابُ شُنْفِكِ ذَا أَمِ ٱلْجَوْزَاءُ ؟ [3]
يَا بَانَةً ، وَرَقُ ٱلشَّبَابِ ظِلَالُهَا ... وَكَأَنَّ قَلْبِي ، بَيْنَهَا ، وَرْقَاءُ
يَا بَدْرَ تِمٍّ يَهْتَدِي بِضِيَائِهِ ... سَارِي ٱلْفَلَاةِ ، وَلَيْلَتِي لَيْلَاءُ
أَشْكُوكِ ؟ أَمْ أَشْكُو إِلَيْكِ صَبَابَتِي ... أَنْتِ ٱلدَّوَاءُ ، وَمِنْكِ كَانَ ٱلدَّاءُ

وَمِنْهَا فِي ٱلْمَدْحِ :

مَا لَجَّ دَاءٌ أَوْ تَفَاقَمَ مُعْضِلٌ ... إِلَّا وَفِي يُمْنَى يَدَيْهِ شِفَاءُ
إِنْ رَامَ بِٱلتَّدْبِيرِ حِيلَةَ بُرْئِهَا ... أَبْدَتْ مَنَافِعَهَا لَهُ ٱلْأَعْضَاءُ (ف 4 أ)

---

(1) أبو الحجاج (718 — 755هـ) — 1318 — 1354م يوسف بن اسماعيل ابن فرج بن اسماعيل الانصاري الخزرجي — سابع ملوك بني نصر . الاعلام الجزء التاسع ، ص 288 . الاحاطة مخ لوحة 382 وما بعدها .

(2) هذه القصيدة في «ف» و«ح» كما أن بعضها في «ق»

(3) الشنف : القرط الاعلى أو معلاق فوق الاذن ، ج : شنوف ، والجوزاء برج في السماء

وَمِنْهَا فِي وَصْفِ أَرْسَالِ ٱلرُّومِ وَذِكْرِ ٱلْمُهَادَنَةِ[4] :

حَتَّى إِذَا سَئِمَتْ نُفُوسُهُمُ ٱلرَّدَى ... وَاعْتَاصَ مُصْطَبَرٌ ، وَعَزَّ عَزَاءُ[5]
وَافَوْا ، وَقَدْ جَعَلُوا ٱلدُّرُوعَ ضَرَاعَةً ... إِذْ لَمْ يَكُنْ ، غَيْرَ ٱلْخُضُوعِ ، وَفَاءُ
وَتَبَوَّأُوا دَارَ ٱلْخِلَافَةِ مَلْجَأً ... فَلَهُمْ بِعَقْوَةِ[6] بَابِهَا ٱسْتِجْدَاءُ
فَعُيُونُهُمْ صُورٌ ، وَوَقْعُ حَدِيثِهِمْ ... هَمْسٌ ، وَرَجْعُ كَلَامِهِمْ إِيمَاءُ[7]
رَهَباً ، فَعَافٍ شَاقَهُ بَذْلُ ٱلنَّدَى ... رَاجٍ وَطَاعٍ سَاقَهُ ٱسْتِعْفَاءُ[8]
عَلِمُوا مَوَاقِعَ ذَنْبِهِمْ مِنْ عَفْوِهِ ... فَٱسْتَشْعَرُوا ٱلْإِحْسَانَ حِينَ أَسَاءُوا
لَا يَحْسَبَنَّ «ٱلرُّومُ» سِلْمَكَ رَهْبَةً ... فَٱلزَّنْدُ لِلنِّيرَانِ فِيهِ ثَوَاءُ
لَمْ تُغْمَدِ ٱلْأَسْيَافُ مِنْ وَهَنٍ[9] بِهَا ... لَكِنْ نُفُوسٌ أُجِّلَتْ وَدِمَاءُ
نَامَتْ عَلَى شِبَعٍ ، وَقَدْ سَالَمْتَهُمْ ... وَعِلَاجُ فَرْطِ ٱلْبِطْنَةِ[10] ٱلْإِغْفَاءُ

وَمِنْهَا فِي سَائِرِ ٱلْمَدْحِ :[11]

يَا نَيِّراً لَوْلَا تَوَقُّدُ نُورِهِ ... هَفَتِ ٱلْحُلُومُ وَقَالَتِ[12] ٱلْآرَاءُ
لَوْ أَنَّ بَأْسَكَ ، وَٱلْجُمُوعُ زَوَاحِفٌ ، ... فِي مَجْمَعِ ٱلْبَحْرَيْنِ غِيضَ ٱلْمَاءُ
لَوْ أَنَّ مِنْ مُسْتَنِّ[13] عَزْمِكَ هَبَّةً ... فِي ٱلرِّيحِ ، مَا نُسِبَتْ لَهُنَّ رُخَاءُ
لِلَّهِ سَيْفُكَ وَٱلْقُلُوبُ بَوَالِغٌ ... ثُغَرَ[14] ٱلْحَنَاجِرِ ، وَٱلنُّفُوسُ ظِمَاءُ
تَتَزَاحَمُ ٱلْأَرْوَاحُ ، دُونَ وُرُودِهِ ... فَكَأَنَّمَا هُوَ نُطْفَةٌ[15] زَرْقَاءُ
لِلَّهِ قَوْمُكَ «آلُ نَصْرٍ» وَٱلْقَنَا ... قِصَدٌ ، وَأَجْسَامُ ٱلْعِدَى أَشْلَاءُ[16]

(4) في «ق» ومنها في وصول الارسال وعقد السلم .
(5) هذا البيت غير موجود في «ق»
(6) العقوة : الساحة والمحلة .
(7) في «ق» جاء هذا البيت مقدما على الذي قبله .
(8) البيتان في «ق» فقط .
(9) في «ق» ملل .
(10) في «ق» الفطنة
(11) اختصت «ق» بهذا
(12) فالت الآراء : ضعفت ووهنت
(13) مستن عزمك : حاد عزمك .
(14) الثَّغْرُ (ج) الثُّغْرَةُ : نُقْرَةُ النَّحْرِ
(15) النطفة : الماء الصافي
(16) في «ق» أسلاء

اَلطَّاعِنُونَ اَلْخَيْلَ يَوْمَ اَلْمُلْتَقَى ... وَاَلْمُطْعِمُونَ ، إِذَا عَدَتْ شَهْبَاءُ

سِيمَاهُمُ اَلتَّقْوَى أَشِدَّاءُ عَلَى اَلْـ ... ـكُفَّارِ فِيمَا بَيْنَهُمْ رُحَمَاءُ[17]

نَصَرُوا اَلْجَزِيرَةَ أَوَّلاً ، وَنَصِيرُهَا ... ضَاقَتْ عَلَيْهِ بِرَحْبِهَا اَلْأَنْحَاءُ[18]

وَأَتَوْا ، وَدِينُ اَللَّهِ لَيْسَ بِأَهْلِهِ ... إِلَّا أَلِيلٌ ، خَافِتٌ ، وَذَمَاءُ[19]

قَمَعُوا بِهَا اَلْأَعْدَاءَ حَتَّى أَذْعَنُوا ... وَاَلْبِيضُ ، مِنْ عَلَقِ اَلنَّجِيعِ ، رِوَاءُ

فَكَأَنَّمَا حُمْرُ اَلْبُنُودِ خَوَافِقاً ... مِنْهَا قُلُوبٌ شَفَّهُنَّ عَنَاءُ

لَمْ يَأْمَنُوا مَكْرَ اَلْإِلَاهِ ، وَإِنَّمَا ... أَمْهَالُهُمْ عَنْ وِرْدِهِ إِمْلَاءُ

إِنْ أَبْرَمُوا أَمْراً ، فَرَبُّكَ مُبْرِمٌ ... أَمْراً ، وَإِنَّهُمُ هُمُ اَلسُّفَهَاءُ

وَاَللَّهُ — جَلَّ اَسْماً — لِمُلْكِكَ نَاصِرٌ ... وَاَللَّهُ فِيهِ كِفَايَةٌ وَكِفَاءُ

فَمَنِ اَلْمُدَافِعُ وَاَلْمَلَائِكُ حِزْبُهُ ... وَاَللَّهُ رِدْءٌ ، وَاَلْجُنُودُ قَضَاءُ

وَإِذَا هُمُ عَادُوا لِمَا عَنْهُ[20] نُهُوا ... فَغِرَارُ سَيْفِكَ لِلْعُصَاةِ جَزَاءُ

مَزِّقْ جُفُونَ اَلْبِيضِ عَنْ أَلْحَاظِهَا ... لِتَسِيلَ فَوقَ شِفَارِهَا اَلْحَوْبَاءُ[21]

وَاهْزُزْ غُصُونَ اَلسُّمْرِ ، وَهْيَ ذَوَابِلٌ ... تَسْقُطْ عَلَيْكَ اَلْعِزَّةُ اَلْقَعْسَاءُ[22]

يَا أَيُّهَا اَلْمَلِكُ اَلَّذِي مِنْ رَأْيِهِ ... جُنْدٌ ، لَهُ اَلنَّصْرُ اَلْعَزِيزُ لِوَاءُ

يَهْنِيكَ أَسْعَدُ وَافِدٍ مَا تَنْقَضِي ... أَيَّامُهُ وَسَعَادَةٌ وَبَقَاءُ

عِيدٌ أَعَدْتَ اَلدَّهْرَ فِيهِ يَافِعاً ... طَلْقاً تَلُوحُ بِوَجْهِهِ اَلسَّرَّاءُ

لَمَّا بَرَزْتَ إِلَى اَلْمُصَلَّى مَاشِياً ... وَدَّتْ خُدُودٌ أَنَّهَا حَصْبَاءُ

وَسَمَتْ إِلَى لُقْيَاكَ أَبْصَارُ اَلْوَرَى ... حَتَّى كَأَنَّ جَمِيعَهُمْ حِرْبَاءُ[23]

حَتَّى إِذَا اَصْطَفُّوا ، وَأَنْتَ وَسِيلَةٌ ، ... وَسَمَا ، إِلَى مَرْقَى اَلْقَبُولِ ، دُعَاءُ

مُلِئَتْ صُدُورُ اَلْمُسْلِمِينَ سَكِينَةً ... إِذْ ذَاكَ ، وَانْتَاشَ اَلْقُلُوبَ رَجَاءُ

وَتَيَقَّنُوا اَلْغُفْرَانَ فِي زَلَّاتِهِمْ ... مِمَّنْ لَدَيْهِ اَلْخَلْقُ وَاَلْإِنْشَاءُ

قَسَماً ، بِرَبِّ اَلْبُزْلِ[24] ، وَهْيَ طَلَائِحٌ ... نَحَتَتْ مَنَاسِمَ[25] سُوقَهَا اَلْبَيْدَاءُ

---

(17) اشارة إلى الآية 29 من سورة الحجرات

(18) اختصت «ق» من 25 إلى 47.

(19) الأليل : الأنين . والذماء : بقية الروح في المذبوح وغيره . وفي المثل « أطول ذماء من الظب »

(20) في الأصل : نهوا عنه

(21) الحوباء : النفس : ج : حوباوات

(22) القعساء : عزة قعساء : ممتنعة ثابتة

(23) حرباء : دويبة تدور مع الشمس كيفما دارت ، ويضرب بها المثل في الحزم .

(24) البزل : بزل البعير مثل شق وفطر ، وجمل بازل ، وابل بزل

(25) في الأصل : مناسف

مِنْ كُلِّ نِضْوِ ٱلْآلِ[26] يَسْتَفُّ ٱلْفَلَا ... سَيْراً تَقَلَّصُ دُونَهُ ٱلْأَرْجَاءُ
عُوجاً كَأَمْثَالِ ٱلْقِسِيِّ ضَوَامِراً ... أَغْرَاضُهُنَّ ٱلرُّكْنُ وَٱلْبَطْحَاءُ
يَحْمِلْنَ كُلَّ مُسَهَّدٍ، أَضْلَاعُهُ ... صَيْفٌ، وَفِي ٱلْآمَاقِ مِنْهُ شِتَاءُ
لَرَفَعْتَ ظِلَّ ٱلْأَمْنِ خَفَّاقاً فَقَدْ ... كَادَتْ تَسِيرُ مَعَ ٱلذِّئَابِ ٱلشَّاءُ
وَكَفَفْتَ كَفَّ ٱلْجَوْرِ فِي أَرْجَائِهَا ... وَعَمَرْتَ رَبْعَ ٱلْعَدْلِ، وَهْوَ خَلَاءُ
وَعَفَفْتَ حَتَّى عَنْ خَيَالٍ طَارِقٍ ... وَوَهَبْتَ حَتَّى أَعْذَرَ ٱسْتِجْدَاءُ
قَسَماً، لَأَنْتَ مَلَاذُ كُلِّ رَغِيبَةٍ، ... وَمَأَمُّ مَنْ ضَاقَتْ بِهِ ٱلْغَبْرَاءُ
وَلَأَنْتَ ظِلُّ ٱللَّهِ، بَيْنَ عِبَادِهِ ... وَبِلَادِهِ، إِنْ عُدِّدَ ٱلْأَفْيَاءُ
أَمُؤَمَّلَ ٱلْإِسْلَامِ، إِنَّ وَسَائِلِي ... هُنَّ ٱلشُّمُوسُ، فَمَا بِهِنَّ خَفَاءُ
مَا لِي سِوَى حُبِّي لِمُلْكِكَ مَذْهَبٌ ... وَلَرُبَّمَا تَتَحَالَفُ ٱلْأَهْوَاءُ

وهذه القصيدة عندي غير مذهبة لشرود معانيها وتوعر ألفاظها ، ولكن دعاني إلى تقلايمها ما اشترطته من الترتيب على الحروف[27] .

2

وَقُلْتُ مِنْ جُمْلَةِ مَكْتُوبٍ كَثِيرٍ فِي وَصْفِ ٱلِٱرْتِحَالِ مِنْ مَدِينَةِ « فَاسَ » حَسَبَمَا تَضَمَّنَ ذَلِكَ كِتَابُ « ٱلنَّفَاضَةِ » مِنْ تَأْلِيفِي عِنْدَ ٱلْحَادِثَةِ عَلَيْنَا « بِٱلْأَنْدَلُسِ » :[28]

(الطويـل)

وَخَفَّ لِتَوْدِيعِي وَتَشْيِيعِ رِحْلَتِي ... أَخُو كُلِّ إِيثَارٍ وَكُلِّ وَفَاءِ
فَكَمْ مِنْ أَكُفٍّ أَغْرِيَتْ بِتَصَافُحٍ ... وَكَمْ مِنْ جُفُونٍ أُولِعَتْ بِبُكَاءِ

3

وَقُلْتُ وَقَدْ رَحَلْتُ مِنْ « مُرَّاكُشَ » إِلَى « سَلَا » عَنْ تَحَفٍّ شَهِيرٍ ، وَبَاكَرْتُ « بَابَ

(26) الآل : السراب .
(27) اختصت «ق» بهذا التعليق .
(28) البيتان مذكوران في «ف» و«ح» ولا وجود لها في السفر الثالث المخطوط من النفاضة ، ولا السفر الثاني المطبوع ولعلها موجودان في السفر الأول المفقود ..

ٱلرَّخَاءِ »[29] مِنْ أَبْوَابِهَا ، فَتَعَذَّرَ فَتْحُ ٱلْبَابِ لِخَلَلٍ أَصَابَ مِفْتَاحَهُ ، فَانْصَرَفْنَا وَفِي ٱلنُّفُوسِ حَزَازَةٌ فَأَنْشَدْتُ بَدِيهَةً ٱلْقَاضِيَ « ٱلْحَاجَّ أَبَا مُحَمَّدٍ[30] ٱلزَّقْنْدَرِيَّ » : [31]

(خفيف)

يَا مَحَلاً لِخُلَّتِي وَانْتِخَائِي لَمْ يُبِحْ لِي ٱلْخُرُوجَ « بَابُ ٱلرَّخَاءِ »
دَلَّ أَنَّ ٱلرَّخَاءَ مُعْتَبِطٌ بِي فَبِحَقٍّ تَبَجُّحِي وَانْتِخَائِي

4

وَقُلْتُ أُخَاطِبُ صَاحِبَ ٱلْإِنْشَاءِ بِٱلْمَغْرِبِ وَقَدْ قَدِمْتُ (فـ 6 بـ) مِنْ مَدِينَةِ « سَلَا » مُحَمَّلاً ٱلْكَثِيرَ مِنْ حَوَائِجِ ٱلنَّاسِ عَلَى سَبِيلِ ٱلْمُبَاسَطَةِ : [33]

(خفيف)

سَيِّدِي أَنْتَ عُمْدَتِي فَاحْتَمِلْنِي وَتَغَمَّدْ بِٱلْفَضْلِ مِنْكَ جَفَائِي
مُبْتَلَىً أَنْتَ « بِٱلْبَرَابِرِ » وَ« ٱلْغُزِّ »[34] وَأَهْلِ ٱلْجِبَالِ وَٱلصَّحْرَاءِ

(29) باب الرخاء قديما يسمّى الآن برياض العروس
انظر : الاعلام (ج : 1 ص : 109)

Les portes anciennes de Marrakech — Hespéris-Alain (Charles) et Gaston (De Verdun) p. 85-128.

(30) ستأتي ترجمته في ص : 360 .

(31) ورد البيتان في «م» و«ف» و«ح» وفي النفاضة (الجزء الثاني الصفحة 68)

(32) صاحب الانشاء هو أبو القاسم عبد الله بن يوسف بن رضوان النجاري صاحب كتاب « الشهب اللامعة والسياسة الجامعة» مخطوط بخزانة الرباط ، توفي بأنفا (الدار البيضاء) سنة 783 ودفن بمقبرة الحاج صالح .
انظر :
ابن خلدون : التعريف ص : 22 ـ 24
ابن الأحمر : روضة النسرين ص : 29
ابن القاضي : جذوة الاقتباس ص : 246 ـ 247
ابن مرزوق : المسند ص : 14
الناصري : الاستقصا (ج 4 ص : 39)
مذكرات ابن الحاج النميري ص : 48

(33) وردت الأبيات في «ف» و«ح» و«م» وفي نفاضة الجراب (ج : 3 لوحة 28 وما بعدها)

(34) الغزّ : جنس من الترك وقد دخلوا في الجيش المغربي سنة 583 أو 582هـ .

وَذَوي أَيْـنُقٍ وَأَهْـلٍ حَـمِـيـرٍ ... وَرِجَـالٍ وَصِـبْـيَـةٍ وَنِسَـاءِ
وَبَوَادٍ يَـجْرِي لَكَ ٱلْجِلْفُ مِنْهُمْ ... بِـكِسَـاءٍ طَوْراً وَدُونَ كِسَـاءِ
تَرْفَعُ ٱلصَّوْتَ إِنْ مَرَرْتَ عَلَيْهِمْ ... كَـٱلْكَرَاكِيِّ[35] أَوْ بَنَاتِ ٱلْمَاءِ
وَإِذَا مَا ٱعْتَذَرْتَ لَمْ يَقْبَلُوا ٱلأَعْـ ... ـذَارَ خُصَّ ٱلْقَبُولُ بِٱلْعُقَلاَءِ
وَشُيُوخٍ بِيضِ ٱللِّحِي خَضَبُوا ٱلأَرْ ... جُلَ مِثْلَ ٱلْحَمَامِ بِٱلْحِنَّاءِ
وَسُعَاةٍ ذَوِي ٱجْتِدَاءٍ وَإِلْحَا ... فٍ شَدِيدٍ يَأْتُونَ بَعْدَ ٱلْعِشَاءِ
وَأَفَارِيدَ[36] يَسْرُدُونَ دَوِيّاً ... كَدَوِيِّ ٱلرَّحَى قَلِيلِ ٱلْغَنَاءِ
يَكْتُبُ ٱلشَّخْصُ مِنْهُمُ أَلْفَ حَوْلٍ ... وَهْوَ لاَ يَسْتَبِينُ شَكْلَ ٱلْهِجَاءِ
غَيْرَ ذَالٍ تُرَدُّدَ الاَ وَطَاءٍ ... جُعِلَتْ نَائِباً مَنَابَ ٱلظَّاءِ
وَحَبِيشٍ ، كَلاَمُهُمْ يُشْبِهُ ٱلْخُطَّـ ... ـافَ عِنْدَ ٱنْفِجَارِ خَيْطِ الضِّيَاءِ
وَتُيُوسٍ مِنْ أَرْضِ أَنْدَلُسٍ قَدْ ... قَصَدُوا عَنْ ضَرُورَةٍ وَجَلاَءِ
كَانَ مِنْهُمْ « مَرْزَبَّةٌ »[37] وَسِوَاهُ ... وَهْوَ مِنْهُمْ مِنْ جُمْلَةِ ٱلظُّرَفَاءِ (ف 7 أ)
وَدَوُو كُدْيَةٍ[38] وَقَوْمٌ أُسَارَى ... عَبَرُوا ٱلْبَحْرَ رَغْبَةً فِي ٱلْفِدَاءِ
أَوْقَحُ ٱلْقَوْمِ ضَجَّتِ ٱلأَرْضُ مِنْهُمْ ... نَبَذُوا كُلَّ حِشْمَةٍ وَحَيَاءِ
وَسِعَ ٱلْكُلَّ مِنْكَ خُلْقٌ جَمِيلٌ ... وَجَنَابٌ لِلْفَضْلِ رَحْبُ ٱلْفِنَاءِ
وَتَوَلَّوْا عَلَى ٱنْفِرَادٍ يَبُثُّو ... نَ ، وَقَدْ أُسْعِفُوا ، حَمِيدَ ٱلثَّنَاءِ
مَنْ لَهُ قُدْرَةٌ سِوَاكَ عَلَى ٱلْـ ... ـخِدْمَةِ ـ بُورِكْتَ ـ أَوْ عَلَى ٱلثَّقَلاَءِ
إِنَّمَا أَنْتَ لِلْبَرِيَّةِ كَهْفٌ ... وَمَلاَذٌ فِي شِدَّةٍ وَرَخَاءِ
أَيْنَ ثِقْلِي ـ إِذَا فُرِضْتُ ثَقِيلاً ... وَكَثِيرَ ٱلْجَفَاءِ ـ مِنْ هَؤُلاَءِ
وَمُقَامِي نَزْرٌ وَأَصْرِفُ وَجْهِي ... « لِسَلاَ » حَيْثُ مَعْدِنُ ٱلْحُمَقَاءِ[39]
فَأَعِنِّي وَٱصْرِفْ ، لِتَجْدِيدِ مَا أَصْـ ... ـدَرْتَ ، وَجْهَ ٱلأَمَاجِدِ ٱلْحُسَبَاءِ

أنظر :
المعجب ص : 288 ـ 289
البيان المغرب (ج : 3 ص : 159)

(35) الكراكي ج : الكركي : طائر كبير أغبر اللون طويل العنق والرجلين أبتر الذنب قليل اللحم يأوي إلى الماء أحيانا .

(36) الأفاريد : ج : إفريد ، الطالب والتلميذ
انظر : مختصر الأفاريد للشيخ زنون

(37) مرزّبة : اسم شخص

(38) في النفاضة : فدية

(39) لا وجود لهذا البيت في الأصول ، وانما مذكور في النفاضة .

وَأَعِذْنِي لِخَلْوَتِي عَنْ قَرِيبٍ لاَ تُعَذِّبْ قَلْبِي بِطُولِ ٱلثَّوَاءِ
خَالِصاً عِنْدَ كُلِّ سِرٍّ وَجَهْرٍ لَكَ حُبِّي وَمِدْحَتِي وَدُعَاءِي[40]
أَنْتَ أَنْقَذْتَهُ وَلَيْسَ لَهُ إِلَّـ ـاكَ فِي كُلِّ غَايَةٍ وَٱبْتِدَاءِ[41]
خَتَمَ ٱللَّهُ بِٱلرِّضَى ، يَا ٱبْنَ «رِضْوَا نٍ» لَكَ ٱلْعُمْرَ بَعْدَ طُولِ ٱلْبَقَاءِ

5

وَلَمَّا ٱسْتَدْعَى صَدْرُ ٱلدَّوْلَةِ ٱلْمَرِينِيَّةِ ٱلْفَقِيهُ ٱلْخَطِيبُ «أَبُو عَبْدِ ٱللَّهِ[42] ٱبْنُ مَرْزُوق» مَنْظُومَ أَهْلِ ٱلْعَصْرِ فِي كِتَاب «الشِّفَاءِ» «لِأَبِي ٱلْفَضْلِ عِيَاضٍ» ، وَقَدْ عُنِيَ بِشَرْحِهِ كَانَ مِمَّا قُلْتُهُ فِيهِ : [43]

(طويـل)

(ف 8 ب)/شِفَاءُ «عِيَاضٍ»[44] لِلنُّفُوسِ[45] شِفَاءُ
فَـلَـيْسَ بِـفَضْـلٍ قَـدْ حَوَاهُ خَـفَـاءُ

(40) هنا خلاف في ترتيب الابيات بين الأصول والنفاضة
(41) لا وجود لهذا البيت في الأصول وهو في النفاضة .
(42) محمد بن أحمد بن محمد بن محمد بن محمد بن مرزوق العجيسي الخطيب المشهور بالجد وبالخطيب (أبو عبد الله شمس الدين) 710 — 781هـ توفي بالقاهرة ، من تآليفه : شرح كتاب الشفا في التعريف بحقوق المصطفى ، لم يكمله ، ايضاح السالك على ألفية ابن مالك في النحو .
انظر : معجم المؤلفين العرب (جـ : 9 ، ص : 16 و17)
(43) وردت المقطوعة في الأصول ماعد «ق» ، وفي النفح (جـ : 7 ، ص : 328)، وفي الازهار (جـ : 1 ، ص : 274 ، 275)، وفي نفاضة الجراب (جـ : 2 ، ص 128) والاحاطة ، المخطوط لوحة : 129 .
(44) عياض بن موسى بن عياض اليَحْصُبي السبتي ولد بسبتة سنة 476هـ وتوفي بمراكش سنة 544هـ
انظر :
ابن خلكان : وفيات الاعيان (جـ : 1 ، ص : 392)
الفتح بن خاقان : قلائد العقيان ، ص : 222
الضبي : بغية الملتمس ، ص : 425
ابن الأبار : معجم أصحاب الصدفي ، ص : 924
المقري : ازهار الرياض في أخبار عياض
محمد بن عياض : ترجم لوالده في مخطوط بالخزانة العامة بالرباط رقم 553ك
(45) في النفح : للصدور ، وفي النفاضة : للقلوب .

هَدِيَّةُ بَرٍّ لَمْ يَكُنْ لِجَزِيلِهَا[46] سِوَى ٱلْأَجْرِ وَٱلذِّكْرِ ٱلْجَمِيلِ كِفَاءُ
وَفَى لِنَبِيِّ ٱللَّهِ حَقَّ وَفَائِهِ وَأَكْرَمُ أَوْصَافِ ٱلْكِرَامِ وَفَاءُ
وَجَاءَ بِهِ بَحْراً يَقُولُ بِفَضْلِهِ عَلَى ٱلْبَحْرِ : طَعْمٌ طَيِّبٌ وَصَفَاءُ
وَحَقَّ رَسُولِ ٱللَّهِ بَعْدَ وَفَائِهِ رَعَاهُ ، وَإِغْفَالُ ٱلْحُقُوقِ جَفَاءُ
هُوَ ٱلذُّخْرُ يُغْنِي فِي ٱلْحَيَاةِ عَتَادُهُ وَيُشْرَكُ فِيهِ لِلْبَنِينَ رِفَاءُ[47]
هُوَ ٱلْأَثَرُ ٱلْمَحْمُودُ لَيْسَ يَنَالُهُ دُثُورٌ ، وَلَا يُخْشَى عَلَيْهِ عَفَاءُ[48]
حَرَصْتُ عَلَى ٱلْإِطْنَابِ فِي نَشْرِ فَضْلِهِ وَتَمْجِيدِهِ ، لَوْ سَاعَدَتْنِيَ فَاءُ

6

وَقُلْتُ فِي عَقِبِ خَلْوَةٍ تَكَيَّفَتْ بِهَا ٱلنَّفْسُ ، وَذَهَبَ ٱللُّبْسُ ، وَٱلْمَشْكُورُ ٱللَّهُ ، وَهُوَ ٱلْمُؤَمِّلُ لِلْمَزِيدِ مِنْ فَضْلِهِ : [49]

(الطويل)

إِلَيْكَ مَدَدْتُ ٱلْكَفَّ فِي كُلِّ لَأْوَاءِ وَمِنْكَ عَرَفْتُ ، ٱلدَّهْرَ ، تَرْدِيدَ نَعْمَاءِ
وَيَسَّرْتَنِي قَبْلَ ٱبْتِدَائِي وَنَشْأَتِي لِشِقْوَةِ بُعْدِي أَوْ سَعَادَةِ إِدْنَائِي
تَعَالَيْتَ يَا مَوْلَايَ عَنْ كُلِّ مُشْبِهٍ فَيَا جَلَّ مَا طَوَّفْتَ مِنْ غَرِّ ٱلْآلَاءِ !
إِذَا ٱعْتَبَرَتْ نَفْسِي سِوَاكَ بِفِكْرَتِي فَيَا خُسْرَ أَوْقَاتِي وَضَيْعَةَ آنَائِي !
وَإِنْ أَبْصَرَتْ عَيْنَايَ غَيْرَكَ فَاعِلاً
فَقَدْ تِهْتُ لِلْأَوْهَامِ فِي جُنْحِ ظَلْمَاءِ (ف 9 أ)
بِمَا لَكَ مِنْ سِرٍّ بَدَأْتَ بِهِ ٱلْوَرَى وَعِلْمٍ مُحِيطٍ بِٱلْوُجُودِ وَأَسْمَاءِ
أَعِنِّي وَطَهِّرْنِي وَخَلِّصْ حَقِيقَتِي إِلَيْكَ وَأَيِّدْ نُورَ سِرِّي وَمَعْنَائِي

7

وَصَدَّرْتُ كِتَاباً بِقَوْلِي : [50]

---

(46) المقري : لمذيلها .
(47) النفاضة : خفاء .
(48) الرفاء : الاتفاق والالتآم . في الدعاء للمملك : بالرفاء والبنين : أي بالالتآم والاتفاق .
(49) وردت المقطوعة في الأصول الثلاثة «م» و«ح» و«ف»
(50) وردت هذه الأبيات في الأصول الثلاثة ، «م» و«ح» و«ف» ، وفي الإحاطة ، مخ لوحة : 296 ، والريحانة ، مخ ، لوحة : 371 ، والنفاضة ، (ج : 2 ص : 148) ، وفي النفح (ج 8 ص 276) ، ومركز الاحاطة مخ (ج : 2 لوحة 353)

(مخلّع البسيط)

يَـاجُـمْـلَـةَ ٱلـفَـضْـلِ وَٱلْـوَفَـاءِ مَا بِمَعَالِيكَ مِنْ خَفَاءِ[51]
عِـنْـدِي لِـلْوُدِّ فِـيكَ عَـقْـدٌ صَـحَّحَهُ[52] ٱلـدَّهْرُ بِاكْتِفَاءِ
مَا كُنْتُ أَقْضِي عُلَاكَ[53] حَقّاً لَوْ جِئْتُ مَدْحاً بِكُلِّ فَاءِ
فَـأَوْلِ وَجْـهَ ٱلـقَـبُـولِ عُـذْرِي وَجَنِّبِ[54] الشَّكَّ فِي صَفَاءِ

8

وَقُلْتُ أَيْضاً : [55]

(المجتث)

مَوْلَايَ أَنْتَ فِـــــــدَائِي أجِبْ خَـــــفِيَّ نِـــــدَائِي
إِنْ لَـــمْ تُـــدَارِكْ بِـرُحْـمَى فَـــقَـــدْ هَـــلَـــكْتُ بِـــدَائِي

9

وَقُلْتُ وَهُوَ مَعْنًى غَرِيبٌ ، وَٱلْحُبَاحِبُ ذُوَيْبَةٌ إِذَا ظَهَرَتْ بِٱللَّيْلِ يُضِيءُ ٱلْمَوْضِعُ : [56]

(الكامـل)

صَدَعَ ٱلظَّلَامَ بِهَا وَحَتَّ كُؤُوسَهَا صِـرْفـاً بِـغَـيْـرِ بُلَالَةٍ مِنْ مَاءِ
فَلَوَ انَّـهُـمْ نَـظَـرُوا إِلَى أَحْشَائِهِ لَـرَأَوْهُ مِـثْـلَ حُـبَاحِبِ ٱلظَّلْمَاءِ[57]

---

(51) والمخاطب بهذه الأبيات كما في المقرّي هو علي بن بدر الدين بن موسَى بن رحو بن عبد الله بن عبد الحق يكنّى : أبا الحسين . ولي مشيخة الغزاة بعد سنة 764 ، واستمر فِيهَا حتّى قتل في غزوة جيّان سنة 769هـ ، انظر : المراجع السابقة

(52) النفح : صحفه

(53) النفح : حلاك

(54) النفح : وحسبك

(55) البيتان في الأصول ماعدا «ق»

(56) البيتان في الأصول ماعدا «ق»

(57) إلى هنا ينتهي ما في الديوان من حرف الهمزة

10

ملحـــق :

وقلت في « بَلْيُونُشَ » مِنْ أَحْوازِ ضَاحِيَةِ « سَبْتَةَ » ٱلْمَذْكُورَةِ : (58)

(البسيـــط)

لِلَّهِ بَنْيُونُشٌ(59) تَحْكِي مَنَازِلُهَا كَوَاكِباً أَشْرَقَتْ فِي جُنْحِ ظَلْمَاءِ
صَحَّ ٱلْهَوَاءُ(60) ، فَمَا يَعْتَلُّ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا النَّسِيمُ ، وَلَا يَرْتَاعُ(61) مِنْ دَاءِ
وَمِنْ كَرَامَتِهَا : أَنَّ ٱلشَّمَالَ ، إِذَا رَامَتْ زِيَارَتَهَا ، تَمْشِي عَلَى ٱلْمَاءِ

---

(58) وردت المقطوعة في السحر والشعر ، مخ ، لوحة 69 ، وفي الاحاطة مخ ، لوحة 451 .

(59) بنيونش : تكتب في تقويم البلدان لأبي الفداء اسماعيل ، والمغرب في بلاد افريقية والمغرب للبكري ، وفي نفح الطيب للمقرّي في بعض المواضع ، وفي الاستبصار ، في عجائب الامصار باللام ، وتكتب احيانا بالنون .
انظـــر :
مشاهدات لسان الدين ابن الخطيب ص : 101 ــ 102
الروض المعطار : لوحة 111
الاستبصار : ص : 137 .
ألفاظ مغربية ص : 24

(60) الاحاطة : النسيم

(61) الاحاطة : وما

حرف الباء

11

أَنْشَدْتُ ٱلسُّلْطَانَ أَمِيرَ ٱلْمُسْلِمِينَ «أَبَا ٱلْحَجَّاجِ»[1] رَحْمَةُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ أَهَنَّئُهُ بِفَتْحِ «كَرْكَبُولَ[2]» مِنْ ثُغُورِ ٱلْعَدُوِّ فِي إِحْدَى رَبِيعَيْ عَامِ أَرْبَعِينَ وَسَبْعِمَائَةٍ :[3]

(الكامل)

بُشْرَى يَقُومُ لَهَا ٱلزَّمَانُ خَطِيباً ... وَتَأَرَّجُ ٱلْآفَاقُ مِنْهَا طِيبَا
هَذَا طُلُوعُ فُتُوحِكَ ٱلْغُرِّ ٱلَّتِي ... مَا كَانَ طَالِعُ سَعْدِهَا لِيَغِيبَا
أَظْهَرْتَ دِينَ ٱللَّهِ فِي ثَغْرِ ٱلْعِدَى ... وَقَهَرْتَ تِمْثَالاً بِهِ وَصَلِيبَا
وَذَعَرْتَ بِٱلْجَيْشِ ٱللُّهَامِ[4] بِلَادَهَا ... مِلْءَ ٱلْفَضَا ، مَلَأَ ٱلْقُلُوبَ وَجِيبَا
جَيْشٌ يَرَى تَعَبَ ٱلْمَفَاوِزِ رَاحَةً ... وَٱلسَّهْلَ صَعْباً ، وَٱلْبَعِيدَ قَرِيبَا

(وَ)[5] مِنْها فِي وَصْفِ ٱلْحِصْنِ :

شَرِقَتْ ثُغُورُ ٱلدِّينِ مِنْهُ بِغُصَّةٍ ... وَلَقِينَ مِنْهُ حَوَادِثاً وَخُطُوبَا
وَمَتَى سَرَتْ ، لِلْمُسْلِمِينَ ، سَرِيَّةٌ ... أَبْدَى لَهَا ٱلتَّحْذِيرَ وَٱلتَّأْلِيبَا
حَتَّى إِذَا ٱسْتَشْرَى وَأَعْضَلَ دَاؤُهُ ... شَكَتِ ٱلثُّغُورُ بِهِ فَكُنْتَ طَبِيبَا

---

(1) تقدمت ترجمته ص : 93.

(2) كركبول ، أو كركيول Car Cawaul من أقاليم قرطبة يبعد عن برجة في الشمال الغربي بعشر كلم وانظر أيضا قصيدة الكاتب أبي العلاء العاملي في هذه الغزوة ــ الكتيبة الكامنة ص : 119 انظر : معجم الجغرافية ص : 617

(3) القصيدة مذكورة في الأصول الأربعة وهي القصيدة الأولى في جميعها .

(4) اللهام : الجيش الكثير

(5) الواو زيادة من «ق»

وَإِذَا أَرَادَ ٱللَّـهُ بُرْءَ زَمَانَةٍ ... لَمْ تَعْدُ مِيقَاتاً لَهَا مَكْتُوبَا

لِلَّهِ يَوْمُ ٱلْفَتْحِ مِنْهُ فَإِنَّهُ ... يَوْمٌ، عَلَى ٱلْكُفَّارِ، كَانَ عَصِيبَا

فَتْحٌ تَفَتَّحَتِ ٱلْمُنَى عَنْ زَهْرِهِ ... وَٱفْتَرَّ ثَغْرُ ٱلدَّهْرِ عَنْهُ شَنِيبَا[6] (ف 11 أ)

حَفَّتْ بِهِ رَايَاتُكَ ٱلْحُمْرُ ٱلَّتِي ... قَادَتْ إِلَيْهِ قَبَائِلاً وَشُعُوبَا

وَتَعَلَّقَتْ بِهِمُ[7] ٱلرِّجَالِ بِسُورِهِ[8] ... فَتُخَالُ فِي شُرُفَاتِهِ يَعْسُوبَا[9] (10)

وَحَنَتْ بِهِ عُوجُ ٱلْقِسِيِّ ضُلُوعَهَا ... تَغْتَالُ فِيهِ جَوَانِحاً وَقُلُوبَا

فَكَأَنَّمَا قُزَحٌ حَنَتْ أَقْوَاسَهُ ... أَيْدِي ٱلْغَمَامِ وَأَمْطَرَتْ شُؤْبُوبَا

وَرَأَى ٱلْمَنِيَّةَ رَبُّهُ وَهَفَا[11] إِلَى ... طَلَبِ ٱلْأَمَانِ فَقِيلَ: لَا تَثْرِيبَا

وَإِذَا ٱمْرُؤٌ أَلْقَى إِلَيْكَ قِيَادَهُ ... وَرَجَاكَ أَدْرَكَ حِلْمَكَ ٱلْمَوْهُوبَا

مِنْ بَعْدِ مَا قَعَدَتْ بِهِ أَنْصَارُهُ ... رَهَباً، وَأَبْصَرَ وَعْدَهُمْ مَكْذُوبَا

وَتَبَلْبَلَتْ بِٱللَّيْلِ أَلْسُنُ نَارِهِ ... تَصِلُ ٱلصَّرَاخَ فَمَا لَقِينَ مُجِيبَا

لَوْ أَنَّهُمْ جَاشُوا إِلَيْكَ وَجَمَّعُوا ... أَقْصَى نُحُومِهِمُ صَباً وَجَنُوبَا

غَادَرْتَهُمْ[12] صَرْعَى عَلَى عَفْرِ ٱلثَّرَى ... وَمَلَأْتَ أَرْضَهُمُ بُكاً وَنَحِيبَا

وَتَرَكْتَ كُلَّ مُثَقَّفٍ مُتَقَصِّدٍ[13] ... فِيهِمْ، وَكُلَّ مُهَنَّدٍ مَخْضُوبَا

بِعِصَابَةٍ يَمَنِيَّةٍ[14] مَهْمَا ٱنْتَمَتْ ... فِي ٱلْعُرْبِ، كَانَ لَهَا ٱلْحُسَامُ نَسِيبَا

أَلْبَسْتَ مُلْكَ ٱلرُّومَ عَاراً بَاقِياً ... وَكَسَوْتَ غَمّاً وَجْهَهُ وَقُطُوبَا

فَٱسْتَقْبِلِ ٱلْمُلْكَ ٱلْمُؤَيَّدَ خَالِداً ... وَٱلدَّهْرَ غَضّاً وَٱلزَّمَانَ قَشِيبَا

وَٱهْنَأْ «أَبَا ٱلْحَجَّاجِ» بِٱلْفَتْحِ ٱلَّذِي ... يُهْدِي إِلَيْكَ مِنَ ٱلْفُتُوحِ ضُرُوبَا

---

(6) الثغر الشنيب : أي ذو شنب ، والشَّنَب : جمال الثغر وصفاء الأسنان

(7) اليهم : ج : اليهمة : الشجاع

(8) في الأصل بصورة والتصويب منّا

(9) اليعسوب : ذكر النحل . والمعنى أنهم اجتمعوا حوله كما تَجْمَعُ النَّحْل حول اليعسوب .

(10) انفردت «ق» بهذه الأبيات

(*) جاء في ديباجة «ق» : «أنشدته أهنيه بفتح حصن كركبول ، عام أربعين وسبعمائة وهي من المبتدهات» .

(11) في «ق» : فهفا

(12) في «ق» لتركتهم

(13) تقصدت الرماح : تكسرت وصارت قصدا قصدا

(14) في «ق» يمانية .

(15) في «ق» والسعد

وَانْعَمْ بِمَوْقِعِهِ ٱلْجَمِيلِ فَإِنَّهُ يُشْجِي عَدُوّاً أَوْ يَسُرُّ حَبِيبَا
وَالدَّهْرُ مُحْتَفِلٌ لِمُلْكِكَ مُحْتَفٍ[16] يُبْدِي عَلَى أَثَرِ ٱلْعَجِيبِ عَجِيبَا

12

وَوُلِدَ لَهُ عَلَى إِثْرِ هَذَا ٱلْفَتْحِ وَلَدُهُ «إِسْمَاعِيلُ» وَقَدْ (ف 12 ب)/ تَأَذَّنَ ٱللَّهُ بِشُؤْمِهِ، وَبُعْدِهِ عَنِ ٱلتَّوْفِيقِ «وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ»: [18]

(الكامل)

هِيَ أَسْعُدٌ مَا دُونَهُنَّ حِجَابُ لَا يَنْقَضِي عَدٌّ[19] لَهَا وَحِسَابُ
وَبَشَائِرٌ تَصِلُ ٱلنُّفُوسَ كَأَنَّمَا بَيْنَ ٱلنُّفُوسِ، وَبَيْنَهَا أَنْسَابُ
تَأْتِي عَلَى قَدَرٍ فَيَخْلُفُ بَعْضُهَا بَعْضاً، كَمَا خَلَفَ ٱلسَّحَابَ سَحَابُ

مِنْهَا بَعْدَ أَبْيَاتٍ عَدِيدَةٍ:

أَمَّا ٱلْفُتُوحُ فَقَدْ تَجَلَّى وَاضِحٌ مِنْ صُبْحِهَا ٱلْأَجْلَى، وَفُتِّحَ بَابُ[20]
وَسَرَتْ بَشَائِرُهَا بِكُلِّ تَحِيَّةٍ شُدَّتْ لَهَا ٱلْأَقْتَادُ وَٱلْأَقْتَابُ
حَتَّى إِذَا شَمَلَ ٱلْبِلَادَ وَأَهْلَهَا فَعَلَا لَهُمْ قِدْحٌ وَعَزَّ جَنَابُ
طَلَعَتْ عَلَى ٱلْأَعْقَابِ أَعْذَبَ مَوْقِعاً مِنْهَا وَلَأْلَاءُ ٱلسُّيُوفِ عَذَابُ[21]
فَارْتَاحَ دَوْحُ ٱلْمُلْكِ عَنْ فَرْعِ ٱلْعُلَى وَازْدَادَ، فِي أُفُقِ ٱلْجَلَالِ، شِهَابُ
وَٱسْتَلَّ، مِنْ أَجْفَانِ خَزْرَجَ، صَارِمٌ خَضَعَتْ إِلَيْهِ مَفَارِقٌ وَرِقَابُ
وَهَوَتْ إِلَيْهِ أَسِنَّةٌ وَأَسِرَّةٌ[22] وَمَوَاكِبٌ وَكَتَائِبٌ وَكِتَابُ
فَاسْعَدْ أَمِيرَ ٱلْمُسْلِمِينَ بِطَالِعٍ يُنْمَى إِلَيْهِ ٱلْحَرْبُ وَٱلْمِحْرَابُ
وَاشْدُدْ بِهِ لِأَخِيهِ أَزْراً وَارْتَقِبْ مِنْهُمْ أُسُوداً، وَٱلْأَسِنَّةُ غَابُ

---

(16) في «ق» متحف
(17) هو اسماعيل بن يوسف (740 ــ 761) بن اسماعيل، قتل مغتالا، استولى على الملك من يد أخيه (الغني بالله) سنة 760هـ.
انظر: الاعلام (جـ: 1 ص: 328).
(18) القصيدة مذكورة في الأصول الأربعة، وهي القصيدة الثانية في جميعها.
(19) في «ق»: عدد
(20) انفردت «ق» بهذه الأبيات الأربعة.
(21) أغلب كلمات هذا الشطر ممحوّةٌ وقومناها نحن
(22) في «ق»: أسرّة وأسنّة

فَإِذَا تَسَعَّرَتِ[23] ٱلْوَغَى وَتَنَكَّرَتْ بُهْمُ ٱلرِّجَالِ ، دَعَوْتَهُمْ فَأَجَابُوا
وَرَمَيْتَهَا مِنْهُمْ بِكُلِّ مُجَرَّبٍ ذَلَّتْ لَهُ ٱلْأَقْرَانُ ، وَهْيَ صِعَابُ
هُنِّيتَهَا نُعْمَى[24] لَدَيْكَ جَلِيلَةً لَا يَسْتَقِلُّ بِشُكْرِهَا إِطْنَابُ
لِلَّهِ مِنْكَ مُؤَيَّدٌ ذُو عَزْمَةٍ رَاضٍ ، وَأَيَّامُ ٱلزَّمَانِ غِضَابُ
مِنْ آلِ نَصْرٍ ، مِنْ ذُؤَابَةِ خَزْرَجٍ
قَوْمٌ هُمُ ٱلْأَنْصَارُ وَٱلْأَصْحَابُ (ف 13 أ)
آثَارُكَ ٱلْغُرُّ ٱلْكِرَامُ كَوَاكِبٌ تَأْبَى ٱلْكَوَاكِبُ أَنْ يَضِلَّ رِكَابُ
فَإِذَا هَمَمْتَ بَلَغْتَ كُلَّ مُمَنَّعٍ[25] وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلرَّأْيَ فَهْوَ صَوَابُ
أَبْدَيْتَ ، مِنْ تَقْوَى ٱلْإِلَاهِ ، سَرِيرَةً يُحْبَى مَقَامُكَ فَضْلَهَا وَيُثَابُ
وَجَرَيْتَ فِي ٱلْعَلْيَاءِ مُقْتَدِياً بِمَا ذَخَرَتْ إِلَيْكَ أُرُومَةٌ وَنِصَابُ
فَٱسْلَمْ ، وَمُلْكُكَ آمِنٌ مَا يَتَّقِي تُصْفَى ، عَلَيْهِ لِلْمُنَى ، أَثْوَابُ

13

وَكَتَبَ إِلَيَّ ٱلْأَدِيبُ « أَبُو مُحَمَّدٍ بْنُ[26] ٱلْمَرَابِعِ »[27] عَقِبَ ٱلْكَائِنَةِ[28] « بِطَرِيفٍ » قَصِيدَةً ، أَوَّلُهَا[29] : *

(23) في «ق» : تنكرت الوغى وتنكرت
(24) في «ق» : نعما
(*) ديباجة «ق» : (وولد له على اثر هذا الفتح الأمير الاسعد اسماعيل فأنشدته مهنئا به)
(**) نجد هذه العبارة في «م» و «ح» و«ف»
(25) في «ق» : ممتع
(26) في «ق» : (ابن) ساقطة
(27) هو عبد الله بن ابراهيم بن عبد الله الازدي من أهل بلّش ، يكنى أبا محمد ، ويعرف بابن المرابع ، توفي بالطاعون عام 750هـ .
انظر :
الاحاطة ، المخ . لوحة 226 وما بعدها
مركز الاحاطة ، المخ . لوحة 260 و261
(28) وقعت هذه الكائنة ضحوة يوم الاثنين سابع جمادي الآخرة من سنة 741هـ ، انهزم فيها المسلمون
انظر : الاستقصا (جـ : 3 ، ص : 136)
(29) القصيدة في الأصول الأربعة وهي الثالثة في جميعها . وفي النفح (جـ : 5 ، ص : 13 و14) .
والاحاطة ، المخ . لوحة 226 وما بعدها ، مركز الاحاطة لوحة : 260 و261 .

خَطْبٌ أَلَمَّ فَأَذْهَبَ ٱلْأَخَ وَٱلْأَبَا رَغْماً لِأَنْفِ شَاءَ ذَلِكَ أَوْ أَبَا
قَدَرٌ جَرَى فِي ٱلْخَلْقِ لَا يَجِدُ ٱمْرُؤٌ عَمَّا بِهِ جَرَتِ ٱلْمَقَادِرُ مَهْرَبَا[30]

فَقُلْتُ أُجِيبُهُ :

أَهْلاً ، بِمَقْدَمِكَ ٱلسَّنِيِّ ، وَمَرْحَبَا فَلَقَدْ حَبَانِي ٱللَّهُ مِنْكَ بِمَا حَبَا
وَافَيْتَ ، وَٱلدُّنْيَا عَلَيَّ كَأَنَّهَا سَمُّ ٱلْخِيَاطِ ، وَطِرْفُ صَبْرِي قَدْ كَبَا
وَالدَّهْرُ قَدْ كَشَفَ ٱلْقِنَاعَ فَلَمْ[31] يَدَعْ لِي غُدَّةً لِلرَّوْعِ إِلَّا أَذْهَبَا
صَرَفَ ٱلْعِنَانَ إِلَيَّ غَيْرَ مُنَكِّبٍ عَنِّي وَأَثْبَتَ دُونَ ثُغْرَتِيَ[32] ٱلشَّبَا[33]
خَطْبٌ تَأَوَّبَنِي[34] يَضِيقُ لِهَوْلِهِ
رَحْبُ ٱلْفَضَاوَتَهِي لِمَوْقِعِهِ ٱلرُّبَا (ف 14 ب)

لَوْ كَانَ ، بِٱلْوَرْقِ ٱلصَّوَادِحِ فِي ٱلدُّجَى ، مَا بِي لَعَاقَ ٱلْوَرْقَ عَنْ أَنْ تَنْدُبَا
فَأَثَرْتَ ، مِنْ ظَلْمَاءِ نَفْسِي[35] ، مَا دَجَا وَقَدَحْتَ ، مِنْ زَنْدِ ٱصْطِبَارِي ، مَا خَبَا
فَكَأَنَّنِي لَعِبَ ٱلْهَجِيرُ بِمُهْجَتِي فِي مَهْمَهٍ وَبَعَثْتَ لِي نَفَسَ ٱلصَّبَا
لَا كَانَ يَوْمُكَ ، «يَا طَرِيفُ» ، فَطَالَمَا أَطْلَعْتِ لِلْآمَالِ بَرْقاً خُلَّبَا[36]
وَرَمَيْتِ دِينَ ٱللَّهِ مِنْكَ بِفَادِحٍ عَمَّ ٱلْبَسِيطَةَ مَشْرِقاً أَوْ مَغْرِبَا[37]
وَخَصَصْتِنِي بِالرُّزْءِ وَٱلثُّكْلِ ٱلَّذِي أَوْهَى ٱلْقُوَى ، مِنِّي ، وَهَدَّ ٱلْمَنْكِبَا
لَا حُسْنَ لِلدُّنْيَا لَدَيَّ وَلَا أَرَى فِي ٱلْعَيْشِ بَعْدَ أَبِي وَصِنْوِي مَأْرَبَا
لَوْلَا ٱلتَّعَلُّلُ بِٱلرَّحِيلِ ، وَأَنَّنَا نُنْضِي مِنَ ٱلْأَعْمَارِ فِيهَا مَرْكَبَا
فَإِذَا رَكِضْنَا لِلشَّبِيبَةِ أَدْهَماً جَالَ ٱلْمَشِيبُ بِهِ فَأَصْبَحَ أَشْهَبَا
وَٱلْمُلْتَقَى كُثُبٌ وَفِي وِرْدِ ٱلرَّدَى نَهَلَ ٱلْوَرَى مَنْ شَاءَ ذَلِكَ أَوْ أَبَى

(ه) ديباجة «ق» وكتب إليّ أبو محمد المرابع عند فقد أخي وأبي في الكائنة بطريف جبرها الله .
(30) في «ق» وردت قصيدة ابن المرابع برمتها وكذلك في النَّفْحْ
(31) في النفح وفي «ق» ولم
(32) في النفح نصرتي .
(33) شباة الشيء : حدّ طرفه . يقال : شباة السيف (جـ) شباً
(34) تأوب الشيء فلانا : عاوده .
(35) في النفح وفي «ق» : همّي
(36) البرق الخلب الذي لا غيث فيه كأنه خادع يومض حتّى تطمع بمطره ثم يخلفك .
(37) في النفح : عمّ البسيطة مشرقا ومغربا

لَجَرَيْتُ طَوْعَ ٱلْحُزْنِ دُونَ نِهَايَةٍ وَذَهَبْتُ مِنْ خَلْعِ ٱلتَّصَبُّرِ مَذْهَبَا
وَالصَّبْرُ أَوْلَى مَا ٱسْتَكَانَ لَهُ ٱلْفَتَى رَغْماً، وَحَقُّ ٱلْعَبْدِ أَنْ يَتَأَدَّبَا
وَإِذَا ٱعْتَمَدْتَ ٱللَّهَ يَوْماً مَفْزَعاً لَمْ تُلْفِ مِنْهُ، سِوَى إِلَيْهِ، ٱلْمَهْرَبَا

14

وَقُلْتُ أَصِفُ لَيْلَةَ أُنْسٍ حَسَبَمَا كُلِّفْتُ ذَلِكَ : [38]

(الطويـل)

وَلَيْلَةِ أُنْسٍ بَاحَ مِنَّا بِهَا ٱلْهَوَى
فَهُزَّتْ لِتَرْجِيعِ ٱلْقَبِيلِ ٱلْمَنَاكِبُ (ف 15 أ)
بِعُودٍ تَرَى وَقْعَ ٱلْأَنَامِلِ فَوْقَهُ[39] كَمَا ٱجْتَهَدَتْ فِي نَسْجِهِنَّ ٱلْعَنَاكِبُ
حَشَدْنَا جُمُوعَ ٱللَّحْنِ مِنْهُ فَأَقْبَلَتْ كَتَائِبَ تَقْفُو، إِثْرَهُنَّ، كَتَائِبُ
وَدَارَتْ بِنَا ٱلْأَقْدَاحُ حَتَّى كَأَنَّنَا بُدُورٌ، وَكَاسَاتُ ٱلْمُدَامِ كَوَاكِبُ
يُظَلِّلُنَا بِٱلْغَيْمِ[40] نَدٌّ وَعَنْبَرٌ وَتَنْضَحُنَا بِالطِّيبِ سُحْبٌ سَوَاكِبُ
إِلَى مِثْلِ هَذَا ٱلْأُنْسِ يَرْكَبُ جَالِسٌ جَنِيباً[41] لِلُقْيَاهُ، وَيَجْلِسُ رَاكِبُ

15

وَقُلْتُ مِنْ قَصِيدَةٍ : [42] *
أَوَّلُهَا :

(الطويـل)

سَقَى طَلَلَ ٱلْحَيِّ ٱلَّذِي أَنْتُمُ بِهِ .....
تَعَالَوْا بِهَا[43] نُعْطِي ٱلصَّبَابَةَ حَقَّهَا وَيُسْعِدُ صَوْبَ ٱلدَّمْعِ أَجْفَانُ صَبِّهِ

---

(38) وردت في الأصول كلها وهي الرابعة في جميعها .
(39) في «م» و«ح» : فوقها .
(40) في «ق» : بالندّ
(41) الجنيب : المقود إلى الجنب من الخيل وغيرها .
(42) وردت المقطوعة في الأصول كلها وهي الخامسة في جميعها .
(43) في «ق» : بنا
(*) في «ق» : ولي من قصيدة .

وَتُمْسِحُ[44] أَعْطَافُ ٱلزَّمَانِ لَعَلَّهُ يَعُودُ إِلَى عُتْبَاهُ مِنْ بَعْدِ عَتْبِهِ
أَعِنْدَكُمُ عِلْمٌ بِمَا يَفْعَلُ ٱلْهَوَى إِذَا ٱسْتَنَّ دَمْعُ ٱلْعَيْنِ فَوْقَ[45] مَصَبِّهِ
وَمَا يَقْدَحُ ٱلتَّذْكَارَ ، أَنْ هَبَّ مِنْكُمُ نَسِيمٌ يَغَصُّ ٱلْمِسْكُ . دُونَ مَهَبِّهِ
وَمَا كَانَ إِلَّا أَنْ جَنَى ٱلطَّرْفُ نَظْرَةً غَدَا ٱلْقَلْبُ رَهْناً فِي عُقُوبَةِ ذَنْبِهِ[46]
وَمَا ٱلْعَدْلُ أَنْ يَأْتِي ٱمْرُؤٌ بِجَرِيرَةٍ فَيُؤْخَذَ فِي أَوْزَارِهَا جَارُ جَنْبِهِ

16

وَقُلْتُ أُرَاجِعُ شَيْخَنَا «أَبَا ٱلْحَسَنِ[47] بْنَ ٱلْجَيَّابِ» ، رَحِمَهُ ٱللَّهُ ، عَنْ قَصِيدَةٍ بَعَثَ بِهَا إِلَيَّ مُقْتَنَةَ ٱلْأَغْرَاضِ :[48]

(الكامل)

زَارَتْ وَقَدْ صَرَفَ ٱلْعِنَانَ ٱلْغَيْهَبُ
وَٱلصُّبْحُ يُنْشَرُ مِنْهُ بُنْدٌ مُذْهَبُ (ف 16 ب)

وَٱلزُّهْرُ فِي نَهْرِ ٱلْمَجَرَّةِ[49] ، بَعْضُهَا يَطْفُو بِصَفْحَتِهَا ، وَبَعْضٌ يَرْسُبُ
وَكَأَنَّمَا ٱلْفَلَكُ ٱلْمُكَوْكَبُ غَادَةٌ زُفَّتْ ، وَحَلَّ لَهَا ٱلْحُلِيَّ ٱلْمَغْرِبُ
وَٱلدَّوْحُ صَلَّى بِٱلتَّحِيَّاتِ ٱلَّتِي أَلْقَى بِمَسْمَعِهِ ٱلنَّسِيمُ ٱلطَّيِّبُ
وَٱلطَّيْرُ قَدْ نَفَضَ ٱلْجَنَاحَ مُؤَذِّناً وَٱلْوُرْقُ تَتْلُو وَٱلْبَلَابِلُ تَخْطُبُ
بِكْرٌ مِنَ ٱلسِّحْرِ ٱلْحَلَالِ «بِبَابِلٍ[50]» تُنْمَى إِلَى «هَارُوتِهِ» إِذْ تُنْسَبُ

---

(44) في «ق» : تمسح

(45) في «ق» : دون

(46) ورد البيتان في الاحاطة المخ . لوحة 449 وزهر الأكم في الامثال والحكم لوحة : 216 والنفح (جـ : 6 ص 507). شرح مقصورة حازم ص : 192 .

(47) هو علي بن محمد بن سليمان بن علي بن سليمان بن الحسن الانصاري الغرناطي المعروف بابن الجياب (أبو الحسن) ولد بغرناطة سنة 673هـ وتوفي ضمن ضحايا الوباء الكبير سنة 749هـ انظر : معجم المؤلفين العرب (ج ، 7 ص : 201)

(48) وردت القصيدة في الأصول ماعدا «ق» ، كما وردت في مجموعة أوراق بالقرويين تحت رقم 2588 ، لوحة 12ب ، 14ب . انظر قصيدة بن الجياب في هذا المخطوط .

(49) المجرة : البياض المعترض في السماء ، والنسران من جانبيها . ويقال : نهر المجرة

(50) بابل : موضع بالعراق، أو موضع ينسب إليه السحر والخمر.
انظر : لسان العرب (ج : 11، ص : 41 و42).

(٥) في «ق» : ولي من قصيدة.

مَحْجُوبَةٌ فِي خِدْرِ طِرْسٍ دُونَهَا ... لِلْحُسْنِ، مِنْ غُرِّ ٱلْمَعَانِي، مَوْكِبُ
مَمْنُوعَةُ ٱلْأَبْيَاتِ بِٱلْبِيضِ ٱلظُّبَا ... فَٱلنَّجْمُ، لِلطُّرَّاقِ مِنْهَا أَقْرَبُ
أَلْبَابَ رَبَّاتِ ٱلْحِجَالِ بَلِ ٱلْحِجَى ... كَيْفَ ٱهْتَدَيْتِ، وَمَا ٱسْتَبَانَ ٱلْمَذْهَبُ ؟ !
قَدْ كُنْتُ أَقْنَعُ مِنْكِ فِي سِنَةِ ٱلْكَرَى ... بِالطَّيْفِ فَضْلاً عَنْ مَزَارٍ يَقْرُبُ
وَيَئِسْتُ إِذْ عَاقَتْكِ أَحْرَاسُ ٱلْعِدَى ... عَنْ زَوْرَتِي وَتَأَلَّفُوا وَتَأَلَّبُوا
تَاللَّهِ، لَوْ أَرْسَلْتِ طَيْفَكِ لَانْثَنَى ... خَوْفَ ٱلْقَوَاطِعِ خَائِفاً يَتَرَقَّبُ
فَأَبَيْتِ إِلَّا أَنْ تُبَرِّدَ غُلَّةً ... لَوْ عُلِّلَتْ بِٱلْبَحْرِ كَانَتْ تُلْهِبُ
فَرَغَ ٱلْإِلَاهُ[51] مِنَ ٱلْحَظُوظِ فَعَدَّ عَنْ ... حَظٍّ تَكِدُّ لَهُ فَحَظُّكِ يَطْلُبُ
قَسَماً بِمُهْدِيكِ ٱلَّذِي أَنْوَارُهُ ... كَالشَّمْسِ إِلَّا أَنَّهَا لَا تَغْرُبُ
لَنَعِشْتِ مِنِّي مُهْجَةً مَطْلُولَةً ... وَأَنِلْتِنِي فَوْقَ ٱلَّذِي أَنَا أَطْلُبُ (ف 17 أ)
إِيهٍ، أَبَا حَسَنٍ، بِأَيِّ عِبَارَةٍ ... أُثْنِي عَلَى عُلْيَاكَ ؟ عَزَّ ٱلْمَطْلَبُ !
طَوَّقْتَنِي مِنْهَا قِلَادَةَ مَفْخَرٍ ... فِي مِثْلِهَا بَاغِي ٱلْمَكَارِمِ يَرْغَبُ
هَذَا، وَكَمْ لَكَ مِنْ يَدٍ مَشْفُوعَةٍ ... لَا يَسْتَقِلُّ، بِحَمْلِهَا لِي، مَنْكِبُ
وَتَوَخَّنِي بِٱلْعُذْرِ إِنَّ قَرِيحَتِي ... كَالضَّرْعِ جَفَّ وَشَحَّ مِمَّا يُحْلَبُ
أَمَّا دُعَاؤُكَ لِي فَعِلْمِي أَنَّهُ ... مَا إِنْ لَهُ، إِلَّا ٱلْعِنَايَةَ، مُوجِبُ
وَٱلْوَقْتُ فِيهِ لِلْقَبُولِ مَظِنَّةٌ ... وَبِسَاطُ حَالِ ٱلْوَقْتِ عَنْهُ يُغْرِبُ
هَذَا جَنَى غَرَسَتْهُ كَفُّ رِضَاكَ لِي ... فَهَصَرْتَهُ وَهْوَ ٱلْكَثِيرُ ٱلْأَطْيَبُ
وَنَتِيجَةٌ قَدَّمْتُ عِنْدَ قِيَاسِهَا ... مَا يُوجِبُ ٱلْإِحْسَانَ لَا مَا يَسْلُبُ[52]
لَكِنْ غَدَوْتُ بِرَغْمِ أَنْفِي قَاعِداً ... وَٱلدَّمْعُ مِنْ عَيْنِي بِفَيْضٍ وَيُسْكَبُ
وَتَنَازَعَ ٱلْقَصْدَانِ عَزْمِي عِنْدَهَا ... فَٱلضَّعْفُ يُمْسِكُ وَٱلتَّشَوُّقُ يَجْذِبُ
وَإِلَيْكَهَا كَٱلْبَحْرِ قِيسَ بِمِذْنَبٍ[53]
وَٱلشَّمْسِ نَازَعَهَا، ٱلضِّيَاءَ، ٱلْكَوْكَبُ[54]
وَٱلْعَزْمُ، بَيْنَ ٱلْمَقْصَدَيْنِ، مُرَدَّدٌ ... وَٱلْقَلْبُ، بَيْنَ ٱلْحَالَتَيْنِ مُذَبْذَبُ
وَلَوَانَّنِي أَلْفَيْتُ طِرْفاً يُرْتَضَى ... لِلْفَرِّ، وَٱلتَّأْوِيلُ فِيهِ يُجَنَّبُ

(51) ف : عن.

(52) يوري ابن الخطيب هنا بالمنطق، فالنتيجة هي القضية الحاصلة من المقدمتين السَّابِقَتَيْن عليها. فالخمر حرام. هي نتيجة للمقدمتين الآتيتين : الخمر حرام، وكل مسكر حرام، والخمر حرام قضية موجبة، أما ليس عصير التفاح حراما فسالبة.

(53) المذهب : جدول الماء.

(54) هذا البيت غير موجود بالأوراق التي في القرويين، وكذلك في «ق».

وَإِذَا تَبَيَّنَتِ ٱلْمَقَاصِدُ لَمْ يَكُنْ فِيهَا أَخُو جِدٍّ كَمَنْ هُوَ يَلْعَبُ[55]
لَبَذَلْتُ فِيهَا كُلَّ مَا مَلَكَتْ يَدِي
وَحَشَشْتُهَا لِلْحَرْبِ فِيمَا أَحْسَبُ (ف 18 ب)

وَهَزَزْتُ فِيهَا كُلَّ أَسْمَرَ ذَابِلٍ يَشْقَى بِطَعْنَتِهِ ٱلْعَدُوُّ ٱلْأَصْهَبُ[56]
مَا بِنْتُ عَنْهُ لِفَرْطِ جُبْنٍ فَاضِحٍ كَلَّا ، فَمَا قَلْبِي لِذُعْرٍ يُنْخَبُ
وَالحَتْفُ غَايَةُ مَنْ يَرُوحُ وَيَغْتَدِي فَإِذَا فَرَرْتَ إِلَيْهِ ، مِنْهُ ٱلْمَهْرَبُ
وَحَذَرْتَ لِي عُقْبَى ٱلْقَطِيعَةِ جَاهِداً وَهِيَ ٱلطَّرِيقَةُ ، وَٱلسَّبِيلُ ٱلْأَصْوَبُ
لَكِنْ لَدَيَّ فِرَاسَةٌ مَعْضُودَةٌ[57] فَإِذَا ظَنَنْتُ فَإِنَّهَا لَا تَكْذِبُ
وَٱلشَّرْعُ يَعْتَبِرُ ٱلظُّنُونَ ، وَسِيَّمَا ظَنٌّ يَكَادُ ٱلْحَقُّ فِيهِ يَغْلِبُ
كِلْنِي لِعِلْمِي فِي صِحَابِي ، إِنَّنِي بِهِمُ خَبِيرٌ مَاهِرٌ ، وَمُجَرِّبُ
لَكَ ظَاهِرٌ مِنْهُمْ حَكَمْتَ بِهِ ، وَلِي مِنْهُمْ بَوَاطِنُ ، عَنْ عِيَانِكَ غُيَّبُ
سِيَّانِ مِنْهُمْ وَاصِلٌ أَوْ هَاجِرٌ أَوْ عَاذِرٌ أَوْ عَاذِلٌ وَمُؤَنِّبُ
مَهْمَا جَفَانِي صَاحِبٌ فِي ٱلنَّاسِ لِي سَعَةٌ ، وَفِي عَرْضِ ٱلْبَسِيطَةِ مَذْهَبُ
لَا تَسْتَقِرُّ عَلَى ٱلتَّنَافُسِ صُحْبَةٌ وَمَوَدَّةُ ٱلْأَكْفَاءِ أَمْرٌ يَصْعُبُ
وَٱلْمَاءُ إِنْ أَلِفَ ٱلسَّوَاءَ تَغَيَّرَتْ أَوْصَافُهُ وَعَلَا عَلَيْهِ ٱلطُّحْلُبُ[58]
إِنَّ ٱلصَّدَاقَةَ لَفْظَةٌ مَدْلُولُهَا فِي ٱلدَّهْرِ كَٱلْعَنْقَاءِ[59] بَلْ هُوَ أَغْرَبُ
كَمْ فِضَّةٍ فُضَّتْ ، وَكَمْ مِنْ ضَيْعَةٍ ضَاعَتْ ، وَكَمْ ذَهَبٍ رَأَيْنَا يَذْهَبُ
إِلَّا ٱلصَّدَاقَةَ فَهِيَ ذُخْرٌ خَالِدٌ
أَسْمَى وَأَسْنَى مَا ٱكْتَسَبْتَ وَتَكْسِبُ (ف 19 أ)

وَإِذَا رَضِيتَ ، وَقَدْ رَضِيتَ فَلَيْسَ لِي عِلْمٌ بِمَنْ يَرْضَى وَلَا مَنْ يَغْضَبُ
وَإِذَا بَقِيتَ فَلَسْتُ أَبْكِي مَنْ مَضَى لِمَ لَا ؟ وَأَنْتَ ٱلْأَهْلُ عِنْدِي وَٱلْأَبُ
أَمَحَلَّ وَالِدِيَ ٱلَّذِي لِجَنَابِهِ آوِي وَفِي مَرْضَاتِهِ أَتَقَلَّبُ
خَيَّرْتَنِي بَيْنَ ٱلْمُقَامِ أَوِ ٱلسُّرَى وَٱلْأَمْرُ يُفْصِحُ بِٱلْمَسِيرِ وَيُعْرِبُ
فَتَرَجَّحَ ٱلْعَزْمُ ٱلْحَثِيثُ ، وَسَاقِطٌ حُكْمُ ٱلْإِبَاحَةِ ، مَا ٱسْتَبَانَ ٱلْأَوْجَبُ

---

(55) هذا البيت قلق
(56) الاصهب : ذو اللون الأصفر الضارب إلى شيء من الحمرة والبياض
(57) في «م» : مقصودة
(58) الطحلب : خضرة تعلو الماء الآسن ، وهي نبات له سوق وورق وليس له جذور حقيقية ، يَنْبُتُ في المناقع والأرض الرطبة ، وعلى الشجر والصخور أحيانا (جـ : طحالب) .
(59) العنقاء : طائر متوهم لا وجود له .

وَوَعَدْتَ بِٱلْعُذْرِ ٱلْجَمِيلِ وَإِنَّنِي لَأَخَافُ مَنْ يَبْغِي وَلَا مَنْ يُعْتِبُ
نُبِّهْتُ لَمَّا نِمْتُ عَنْكَ مُؤَمَّلاً يُرْدِي ٱلْأَعَادِي مِنْكَ مَاضٍ مِقْضَبُ
فَامْدُدْ لَهَا كَفّاً بُنَيَّةَ سَاعَةٍ لَكِنْ أَبُوهَا، دُونَ فَخْرٍ، مُنْجِبُ
وَإِذَا أَتَتْكَ عَشِيَّةً فَانْشُدْ لَهَا «عَارَضْتَنَا أُصُلاً فَقُلْنَا ٱلزَّبْرَبُ»(60)

17

وَقُلْتُ : فِي مُخَاطَبَةِ «يُوسُفَ بْنِ إِسْمَاعِيلَ» أَهْنِئُهُ بِهَلَاكِ طَاغِيَةِ(61) «ٱلرُّومِ» ، وَهُوَ مُحَاصِرٌ «جَبَلَ ٱلْفَتْحِ»(62) يَوْمَ عَاشُورَاء مِنْ عَامِ خَمْسِينَ وَسَبْعِمَائِهِ وَهِيَ مِنَ ٱلْمُبْتَدَهَاتِ : (63) *

(الطويـل)

أَلَا حَدِّثَاهَا فَهْيَ أُمُّ ٱلْعَجَائِبِ(64) وَمَا حَاضِرٌ فِي وَصْفِهَا مِثْلُ غَائِبِ
وَلَا تُخْلِيَا مِنْهَا عَلَى خَطَرِ ٱلسُّرَى سُرُوجَ ٱلْمَذَاكِي أَوْ ظُهُورَ ٱلنَّجَائِبِ
وَلَا تُغْفِلَا مِنْ وَسْمِهَا كُلَّمَا سَرَتْ
صُدُورَ ٱلْقَوَافِي أَوْ صُدُورَ ٱلرَّكَائِبِ (ف 20 ب)

---

(60) مطلع قصيدة للبحتري في مديح اسحاق بن ابراهيم وعجزه :
حتّى أضاء الأقحُوان الأشنَب
انظر : الديوان (جـ : 2 ص : 317) دار صادر ، بيروت .

(61) المقصود بالطاغية الأذفنش الحادي عشر ملك قشتالة الذي هزم المسلمين في موقعه طريف سنة 741هـ واستولى على الجزيرة الخضراء سنة 744هـ .
انظر : اللمحة البدرية ص : 61 .

Ricard (Robert) la relation portugaise de la baitaille du salado — Hésperis — 1956.

(62) جبل الفتح : جبل طارق Gibraltar كان هذا الجبل محط عناية كل غاز فكان أحيانا يستولي عليه المسلمون وأحيانا أخرى النصارى . فقد استولى عليه النصاري حوالي سنة 709هـ/1309م ، فاسترجعه أبو الحسن ثنة 733هـ/1333م
انظر : العبر (ج : 7 ص : 530 ـ 531) .

(63) وردت القصيدة في الأصول ماعدا «ق» ، وبعضها في اللمحة البدرية ص 95 ـ 96 ، وفي الاحاطة المخ . لوحة 327

(64) الاحاطة : الغرائب .

(*) ديباجة «ق» : «وقلت أهنئ أمير المسلمين أبا الحجاج رحمة الله عليه بهلاك طاغية الروم» .

وَحُطَّا لَهَا بَيْنَ «ٱلْحَطِيمِ» و«زَمْزِمٍ»[65]
رِحَالاً مِنَ ٱلْبُشْرَى مِلَاءَ ٱلْحَقَائِبِ

هُوَ ٱلْخَبَرُ ٱلصِّدْقُ ٱلَّذِي وَضَحَتْ بِهِ سَبِيلُ ٱلْهُدَى بَعْدَ ٱلْتِبَاسِ ٱلْمَذَاهِبِ
وَمَا هِيَ إِلَّا دَعْوَةٌ يُوسُفِيَّةٌ أَثَارَتْ قَبُولَ ٱللَّهِ ضَرْبَةَ لَازِبِ[66]
سَمَتْ نَحْوَ أَبْوَابِ ٱلسَّمَاءِ فَلَمْ تُرَعْ بِتَشْغِيبِ بَوَّابٍ وَلَا إِذْنِ حَاجِبِ
أَ«يُوسُفُ» إِنَّ ٱلدَّهْرَ أَصْبَحَ وَاقِفاً عَلَى بَابِكَ ٱلْمَأْمُولِ مَوْقِفَ تَائِبِ[67]
دُعَاؤُكَ أَمْضَى مِنْ مُهَنَّدَةِ ٱلظُّبَى وَسَعْدُكَ أَقْضَى مِنْ سُعُودِ ٱلْكَوَاكِبِ
سُيُوفُكَ فِي أَغْمَادِهَا مُطْمَئِنَّةٌ وَلَكِنَّ سَيْفَ ٱللَّهِ دَامٍ[68] ٱلْمَضَارِبِ
فَثِقْ بِالَّذِي أَرْعَاكَ أَمْرَ عِبَادِهِ وَسَلْ فَضْلَهُ فَاللَّهُ أَكْرَمُ وَاهِبِ[69]
لَقَدْ طَوَّقَ «الأَذْفُنْشَ» سَعْدُكَ خِزْيَةً تَجِدُّ عَلَى مَرِّ ٱلْعُصُورِ ٱلذَّوَاهِبِ[70]
وَفَيْتَ وَخَانَ ٱلْعَهْدَ فِي غَيْرِ طَائِلٍ وَصَدَّقَ أَطْمَاعَ ٱلظُّنُونِ ٱلْكَوَاذِبِ
جَرَى فِي مَجَارِي ٱلْعِزِّ غَيْرَ مُقَصِّرٍ وَهَلْ نَهَضَ ٱلْعُجْبُ ٱلْمُخِلُّ بِرَاكِبِ
وَغَالَبَ أَمْرَ ٱللَّهِ، جَلَّ جَلَالُهُ وَلَمْ يَدْرِ أَنَّ ٱللَّهَ أَغْلَبُ غَالِبِ
وَلِلَّهِ، فِي طَيِّ ٱلْوُجُودِ، كِتَابُ تَدِقُّ وَتَخْفَى عَنْ عُيُونِ ٱلْكَتَائِبِ[71]
تُغِيرُ عَلَى ٱلْأَنْفَاسِ فِي كُلِّ سَاعَةٍ وَتَكْمُنُ حَتَّى فِي مِيَاهِ ٱلْمَشَارِبِ
أَخَذْنَ عَلَيْهِ ٱلطُّرْقَ فِي دَارِ طَارِقٍ[72]
فَمَا كَفَّ عَنْهُ ٱلْجَيْشُ مِنْ كَفِّ نَاهِبِ (ف 21 أ)
فَصَارَ إِلَى مَثْوَى ٱلْإِهَانَةِ ذَاهِباً وَخَلَّفَ عَارَ ٱلْغَدْرِ لَيْسَ بِذَاهِبِ
فَمِنْ قَارِعٍ، فِي قَوْمِهِ، سِنَّ نَادِمٍ وَمِنْ لَاطِمٍ، فِي رَفْعِهِ، خَدَّ نَادِبِ

---

(65) الحطيم : بناء قبالة الميزاب من خارج الكعبة . وزمزم : بئر مشهورة بمكة عند الكعبة يتبرك بها ويشرب ماؤها وينقل إلى الجهات . وهي غير منصرفة للعلمية والتانيث وصرفت لضرورة الشعر هنا .

(66) اللازب : من لزب الشيء يلزب لزوبا ثبت . فهو لازب ، يقال صار الأمر ضربة لازب .

(67) من هنا إلى البيت 26 يبدأ ما في الاحاطة .

(68) في الاحاطة : ماضي

(69) هذا البيت في الاحاطة هو رقم 17 .

(70) ما يلي من الأبيات ساقط من الأصل «م»

(71) هذا البيت يلي البيت العاشر في الاحاطة .

(72) يقصد جبل طارق .

مَصَائِبُ أَشْجَى وَقْعُهَا مُهَجَ ٱلْعِدَى وَكَمْ نِعَمٍ فِي طَيِّ تِلْكَ ٱلْمَصَائِبِ
شُوَاظٌ (73) أَرَادَ ٱللَّهُ إِطْفَاءَ نَارِهِ وَقَدْ لَفَحَ الإِسْلَامَ مَنْ كُلِّ جَانِبِ
وَإِنْ لَمْ يُصِبْ مِنْهُ ٱلسِّلَاحُ فَإِنَّمَا أُصِيبَ بِسَهْمٍ ، مِنْ دُعَائِكَ ، صَائِبِ
وَلِلَّهِ مِنْ ٱلْطَافِهِ فِي عِبَادِهِ خَزَائِنُ مَا ضَاقَتْ بِمَطْلَبِ طَالِبِ
فَمَهْمَا غَرَسْتَ ٱلصَّبْرَ فِي تُرْبَةِ الرِّضَا بِحُكْمِ ٱلْقَضَا فَلْتَجْنِ حُسْنَ ٱلْعَوَاقِبِ
وَلَا تُبْعِدِ ٱلْأَمْرَ ٱلْبَعِيدَ وُقُوعُهُ فَإِنَّ ٱللَّيَالِي أُمَّهَاتُ ٱلْعَجَائِبِ (74)
هَنِيئاً بِصُنْعٍ قَدْ كَفَاكَ عَظِيمُهُ رُكُوبَ ٱلْمَرَامِي وَاخْتِيَارَ ٱلْمَوَاكِبِ
وَدُونَكَ فَافْتَحْ كُلَّ مَا أَبْهَمَ ٱلْعِدَى وَرُدَّ حُقُوقَ ٱلدِّينِ مِنْ كُلِّ غَاصِبِ
وَبَادِرْ عَدُوَّ ٱللَّهِ عِنْدَ ٱضْطِرَابِهِ وَعَاجِلْهُ بِٱلْبِيضِ ٱلرِّقَاقِ ٱلْقَوَاضِبِ
وَإِذَا قِيلَ : أَرْضُ ٱللَّهِ إِرْثُ عِبَادِهِ بِمُوجِبِ تَقْوَى ، أَنْتَ أَقْرَبُ عَاصِبِ (75)
أَلَسْتَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ إِذَا ٱنْتَمَوْا نَمَتْهُمْ إِلَى ٱلْأَنْصَارِ غُرُّ ٱلْمَنَاسِبِ
سَمَاحَةُ أَيْمَانٍ ، وَإِشْرَاقُ أَوْجُهٍ وَصِحَّةُ أَحْلَامٍ ، وَغُرُّ مَنَاقِبِ
إِذَا أَشْرَقَتْ يَوْمَ ٱلنَّوَالِ وُجُوهُهُمْ رَأَيْتَ بُدُوراً فِي خِلَالِ ٱلسَّحَائِبِ
وَيَا جَبَلَ ٱلْفَتْحِ ٱعْتَمِدْهَا صَنِيعَةً
رَأَيْنَا بِهَا كَيْفَ ٱنْجِلَاءُ ٱلْغَيَاهِبِ (76) (ف 22ب)
إِذَا مَا هِبَاتُ ٱللَّهِ كَانَتْ صَحِيفَةً فَمَا هِيَ إِلَّا سَجْدَةٌ فِي ٱلْمَوَاهِبِ (77)

18

وَأَمَرَ بِأَبْيَاتٍ تُكْتَبُ فِي قُبَّةِ ٱلْعَرْضِ ، وَهِيَ ٱلْمُطِلَّةُ عَلَى ٱلْمَجْلِسِ فِي ٱلدَّارِ ٱلْكُبْرَى مِنْ

(73) شواظ : اللهب الذي لا دخان فيه ، وفي التنزيل العزيز : « يرسل عليكما شواظ من نار ونحاس » .

(74) إلى هنا ينتهي ما في الاحاطة ، وختمه بقوله : « وهي طويلة سهلة على ضعف كان » .

(75) عصبة الرجل بنوه وقرابته لأبيه ، وفي الفرائض فكل من لم تكن له فريضة مسماة فهو عصبة ، ان بَقِي شيء بعد الفرائض أخذ . وقد استعار ابن الخطيب هذا المعنى الفقهي . والاشارة إلى الآية 105 من سورة الانبياء . .

(76) الغياهب : ج. غيهب، الظلمة وشدة السواد.

(77) الإشارة في هذا البيت إلى سورة الفتح والسجدة التي في نهايتها.

حَمْرَاءِ[78] دَارِ الْمُلْكِ . فَقُلْتُ : [79]

(الطويـل)

أَأَبْصَرْتَ مِنِّي فِي الْمَصَانِعِ قُبَّةً تَأَنَّقَ فِيَّ السَّعْدُ مِنْ كُلِّ جَانِبِ
فَتَتْلَى سُطُورُ الْكُتْبِ فَوْقِي دَائِماً وَتُعْرَضُ مِنْ تَحْتِي سُطُورُ الْكَتَائِبِ
وَفِي سَاحَتِي مَسْعًى لِطَالِبِ رَحْمَةٍ وَمَأْمَنُ مُرْتَاعٍ ، وَمَوْقِفُ تَائِبِ
فَقُلْ فِيَّ إِنِّي لِلْمُؤَمَّلِ كَعْبَةٌ وَإِنْ كُنْتُ قَدْ أَبْرَزْتُ فِي زِيِّ كَاعِبِ
أَنَا الْعَادَةُ الْحَسْنَاءُ يُغْنِي جَمَالُهَا
عَنِ الدُّرِّ مِنْ فَوْقِ[80] الطُّلَى وَالتَّرَائِبِ[81]
وَمَا الْحُسْنُ إِلَّا مَا يَكُونُ طَبِيعَةً بِلَا جُهْدِ مُحْتَالٍ ، وَلَا كَسْبِ كَاسِبِ
وَمِنْ آيَتِي أَنِّي عَلَى حَالِ عِزَّتِي قَعَدْتُ بِبَابِ الْمُلْكِ مَقْعَدَ حَاجِبِ
أَدُلُّ عَلَى مَا حَازَهُ مِنْ جَلَالَةٍ وَكَمْ شَاهِدٍ ، أَبْدَى مَحَاسِنَ غَائِبِ
فَدَامَ جَمِيعَ الشَّمْلِ فِي ظِلِّ نِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ مَشْمُولاً بِحُسْنِ الْعَوَاقِبِ

19

وَقُلْتُ فِي زَمَنِ الْحَدَاثَةِ حَسَبَمَا يَلُوحُ عَلَيْهِ التَّكْلِيفُ[82] أُخَاطِبُ الْوَزِيرَ أَبَا

---

(78) حمراء غرناطة AL HAMBRA هي دار الملك لبني نصر أسسها محمد ابن الأحمر أول ملوك بني نصر ومؤسس الدولة (635 — 671هـ/1238 — 1273م). وتممها ابنه محمد الفقيه ثاني ملوك الدولة .
انظر :
EI 211/1040-1043 : terrasse — Gharnâta.

(79) وردة المقطوعة في الأصول ماعدا «ق» ولكن الأبيات الاربعة الأولى غير موجودة في الأصل «م»

(80) الطلى : ج : طلاة : العنق أو صفحته . والترائب : عظم الصدر مما يلي الترقوتين وموضع القلادة .

(81) من هنا يبدأ ما في الأصل «م»

(82) لعل الأوجه : التكلّف .

« بَكْرٍ »[83] ٱبْنَ ذِي ٱلْوِزَارَتَيْنِ أَبِي عَبْدِ ٱللَّهِ بْنِ ٱلْحَكِيمِ ـــ رَحْمَةُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ[84] (ف 23 أ) .

(الطويـل)

أُنورَ سَنَاءٍ لَاحَ فِي مَشْرِقِ ٱلْغَرْبِ ... وَفَرْعَ اَعْتِلَاءٍ لَاحَ فِي دَوْحَةِ ٱلْعُرْبِ
وَوَارِثَ أَعْلَامِ ٱلْعُلَى نَشَبَ ٱلنَّدَى ... وَمُوقِدَ نَارِ ٱلْبِشْرِ فِي ظُلَمِ ٱلْكَرْبِ
نَطَقْتَ فَحُزْتَ ٱلْحُكْمَ فَصْلاً خِطَابُهُ ... يُقَلَّبُ مِنْ وَشْيِ ٱلْبَلَاغَةِ فِي عَصْبِ[85]
وَمَنْ كَأَبِي « بَكْرٍ » عَمِيداً مُؤَمَّلاً ... خُلَاصَةَ شِعْبِ ٱلْعِلْمِ نَاهِيكَ مِنْ شِعْبِ
كَفِيلٌ بِنَيْلِ ٱلْجُودِ قَبْلَ سُؤَالِهِ ... وَصُولٌ إِلَى ٱلْغَايَاتِ فِي ٱلْمَرْكَبِ ٱلصَّعْبِ
وَأَيُّ ٱنْسِكَابٍ فِي سَحَائِبِ كَفِّهِ ... إِذَا كَلِحَتْ شَهْبَاءُ عَنْ نَاجِرٍ[86] ٱلْجَدْبِ
وَأَيُّ مَضَاءٍ فِي لَطِيفِ طِبَاعِهِ ... كَمَا سَكَنَ ٱلتَّصْمِيمُ فِي طُبَةِ ٱلْعَضْبِ
سُلَالَةُ أَعْلَامٍ ، وَفَرْعُ مَكَارِمٍ ... بِهِمْ فَلَكُ ٱلْعَلْيَاءِ دَارَ عَلَى قُطْبِ
عَشَوْا نَحْوَ نُورِ ٱللَّهِ يَقْتَبِسُونَهُ ... وَقَدْ خَرَقُوا مِنْ دُونِهِ ظُلَمَ ٱلْحُجْبِ
حَمَوْا حَائِمَ ٱلتَّهْوِيمِ[87] وِرْدَ جُفُونِهِمْ ... وَشَدُّوا وِثَاقَ ٱلسُّهْدِ فِي شَرَكِ ٱلْهُدْبِ
أَتَوْا دَوْحَةَ ٱلتَّحْقِيقِ تَدْنُو قُطُوفُهَا ... فَحَازُوا جَنَاهَا وَهْيَ : مَعْرِفَةُ ٱلرَّبِّ
وَهَزُّوا فُرُوعَ ٱلْعِلْمِ وَهْيَ بَوَاسِقٌ[88] ... فَلِلَّهِ مَا حَازُوهُ مِنْ (رُطَبٍ رَطْبِ) حِبًا
فَإِنْ جَرَتِ ٱلْأَيَّامُ فِي غُلَوَائِهَا ... وَجَرَّتْ وَشِيجَ ٱلْقَسْرِ فِي مَأْزِقِ ٱلْخَطْبِ
فَمَا لَقِيَتْ إِلَّا شُجَاعاً مُجَرَّباً ... وَلَا عَجَمَتْ إِلَّا عَلَى عُودِكَ ٱلصُّلْبِ

(83) هو الوزير أبو بكر ولد سنة 665هـ وتوفي سنة 750هـ
انظر :
الاحاطة (جـ : 2 ص : 199) .
الكتيبة الكامنة ص 175
النفح (جـ : 5 ص : 487) تحقيق احسان عباس .
(84) وردت القصيدة في الأصول ماعدا «ق»
(85) العصب : ضرب من برود اليمن سمي عصبا لأن غزله يعصب ، أي يدرج ثم يصبغ ثم يحاك ولا يجمع انما يقال ، برود عصب .
(86) الناجر : كل شهر في صميم الحرّ ، واسم شهر صفر في الجاهلية إذ كان لا يجيء الا في الحرّ وكان التوقيت شمسيا .
(87) التهويم : الشعور بالحاجة إلى النوم
(88) البواسق : المرتفعات ، من بسق الشيء : تمّ ارتفاعه .

وَإِنْ أَغْفَلَتْ مِنْ فَرْضِ بِرِّكَ وَاجِباً
عَلَى أَنَّهَا قَدْ أَوْطَأَتْكَ ذُرَى ٱلشَّهْبِ (ف 24 ب)
فَقَدْ دَرَأَتْ حَقَّ ٱلْوَصِيِّ ، سَفَاهَةً ،
«عَلِيٍّ» ، وَأَعْلَتْ مِنْ قِدَاحِ بَنِي حَرْبِ[89]

وَرُبَّمَا جَادَ ٱللَّئِيمُ بِنَائِلٍ ... وَشَنَّ ، بِأَقْصَى سَرْحِهِ ، غَارَةَ ٱلْغَصْبِ
وَأَنْتَ مِنَ ٱلصِّيدِ ٱلَّذِينَ سَمَتْ بِهِمْ ... أُرُومَةُ لَخْمٍ[90] فِي حَدَائِقِهَا ٱلْغُلْبِ[91]
إِلَى عَمْرِو هِنْدٍ حَيْثُ يَخْتَصِمُ ٱلْعُلَى ... وَيُشْهَدُ نَصْلُ ٱلسَّيْفِ فِي حَوْمَةِ ٱلْحَرْبِ
إِلَى مُرْتَقَى مَاءِ[92] ٱلسَّمَاءِ ٱلَّذِي كَسَا ... زَمَانَ ٱحْتِدَامِ ٱلْمَحْلِ أَرْدِيَةَ ٱلْخِصْبِ
فَلَا ٱلْعِزُّ يُعْزَى مُنْتَمَاهُ لِحَاجِبٍ[93] ... وَلَا ٱلْجُودُ يُجْدِي مَنْ تُذُوكِرَ فِي كَعْبِ
فَكَمْ أَنْجَبُوا مِنْ صَارِمٍ ، ذِي حَفِيظَةٍ ... إِذَا كَهَمَتْ ذُلْقُ ٱلصِّفَاحِ لَدَى ٱلضَّرْبِ
وَكَمْ أَعْقَبُوا مِنْ ضَيْغَمٍ يُرْغِمُ ٱلطُّلَا ... وَيَهْزِمُ أَسْبَابَ ٱلْكَتَائِبِ وَٱلْكُتْبِ
إِذَا عَمَّ طِرْسَ ٱلْيَوْمِ نَقْسُ دُجُنَّةٍ ... وَعَمَّمَ بِرْسُ[94] ٱلْقُرِّ فِي هَامَةِ ٱلْهَضْبِ
حَشَا بَاهِظَ ٱلْأَجْزَالِ وَقْدَ ضِرَامِهَا ... فَأَوْرَتْ جَحِيماً لَافِحاً أَوْجُهَ ٱلسُّحْبِ
وَأَعْمَلَ فِي ٱلْكَوْمَاءِ[95] حَدَّ حُسَامِهِ ... فَخَرَّتْ وَشِيكاً لِلْجَبِينِ وَلِلْجَنْبِ
فَأَثْقَلَ أَكْتَاداً وَعَمَّ حَقَائِباً ... وَأَنْهَلَ ظِمْئاً نَبْعَ مُطْرِدٍ عَذْبِ
يَرُومُ بِسَكْبِ ٱلْجُودِ كَسْبَ ثَنَائِهِمْ ... فَلِلَّهِ مِنْ سَكْبٍ كَرِيمٍ وَمِنْ كَسْبِ
مَآثِرُكُمْ ، «آلَ ٱلْحَكِيمِ» بَقِيتُمُ ... بَلَغْنَ مَدَى ٱلْحَظِّ ٱلْمُوَاصَلِ وَٱلْكَسْبِ

---

(89) لعله يشير إلى ما قبله علي من قضية التحكيم . والوصي مصطلح شيعي ، وبخاصة عند الامامية .

(90) لخم : حي من جذام ومنهم كانت ملوك العرب في الجاهلية ، وهم آل عمرو بن عدي بن نصر اللخمي ، نزلوا الحيرة ، وهم آل المنذر .
انظـر :
لسان العرب (ج 12 ، ص : 538 — 539)
معجم قبائل العرب (ج 3 ص : 112)

(91) حديقة غلباء : أي عظيمة ، متكاثفة ملتفّة . وفي التنزيل العزيز : « وحدائق غلبا » .

(92) اشارة إلى المنذر بن امرئ القيس ثالث المناذرة ملوك الحيرة .
انظر : الاعلام (ج : 8 ، ص : 226) .

(93) حاجب ابن زرارة توفي نحو ثلاثة للهجرة .
انظر : الاعلام (ج : 2 ، ص : 153)

(94) البرس : القطن .

(95) الكوماء : من كوم البعير فهو أكوم والناقة كوماء ، وغلب استعماله في سنام البعير . جـ : كوم

فَمَاذَا عَسَى أُحْصِي وَمَاذَا عَسَى أَفِي
أَيَنْضِبُ لُجَّ ٱلْيَمِ مُسْتَنْزَرُ ٱلشُّرْبِ (ف 25 أ)
عَلَى أَنَّنِي مَهْمَا ٱقْتَضَبْتُ بَدِيهَةً عَلَى خَبَرِ ٱلْعَنْقَاءِ إِنْ ذُكِرَتْ تُرْبِي
وَمَا الشِّعْرُ إِلَّا مِنْ قَوَ(افِ نَظَمْتُهَا)(96) وَمَا خَلَصَتْ إِبْرِيزَهُ شُعْلَةُ ٱللَّبِ
وَلَسْتُ كَمَنْ يَعْتَدُّ بِالشِّعْرِ مَكْسَباً
هُبِلتُ(97) رَضِيعَ ٱلْمَجْدِ إِنْ كَانَ مِنْ كَسْبِي

20

وَقُلْتُ مِمَّا يُكْتَبُ فِي لَوْحِ (98) حَذْقِ ٱلْأَمِيرِ وَلَدِ ٱلسُّلْطَانِ «قَيْسٍ» عَلَى ٱلْعَادَةِ فِي مِثْلِ ذَلِكَ : (99)

(البسيط)

ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ مَوْصُولاً كَمَا وَجَبَا فَهْوَ ٱلَّذِي بِرِدَاءِ ٱلْعِزَّةِ ٱحْتَجَبَا
ٱلْبَاطِنُ ٱلظَّاهِرُ ٱلْحَيُّ ٱلَّذِي عَجَزَتْ عَنْهُ ٱلْمَدَارِكُ لَمَّا أَمْعَنَتْ طَلَبَا
عَلَا عَنِ ٱلْوَصْفِ مَنْ لَا شَيْءَ يُدْرِكُهُ وَجَلَّ عَنْ سَبَبٍ مَنْ أَوْجَدَ ٱلسَّبَبَا
والشُّكْرُ لِلَّهِ فِي بَدْءٍ وَمُخْتَتَمٍ وَٱللَّهُ أَكْرَمُ مَنْ أَعْطَى وَمَنْ وَهَبَا
ثُمَّ ٱلصَّلَاةُ عَلَى ٱلنُّورِ ٱلْمُبِينِ وَمَنْ آيَاتُهُ لَمْ تَدَعْ إِفْكاً وَلَا كَذِبَا
مُحَمَّدٌ خَيْرُ مَنْ تُرْجَى شَفَاعَتُهُ غَداً وَكُلُّ امْرِيءٍ يُجْزَى بِمَا كَسَبَا
ذُو ٱلْمُعْجِزَاتِ ٱلَّتِي لَاحَتْ شَوَاهِدُهَا فَشَاهَدَ ٱلْقَوْمُ مِنْ آيَاتِهِ عَجَبَا
وَلَا كَمِثْلِ كِتَابِ ٱللَّهِ مُعْجِزَةٌ تَبْقَى عَلَى ٱلدَّهْرِ إِنْ وَلَّى وَإِنْ ذَهَبَا
صَلَّى عَلَيْهِ ٱلَّذِي أَهْدَاهُ نُورَ هُدَىً مَا هَبَّتِ ٱلرِّيحُ مِنْ بَعْدِ ٱلْجَنُوبِ صَبَا
ثُمَّ ٱلرِّضَى عَنْ أَبِي بَكْرٍ وَعَنْ عُمَرٍ
بَدْرَانِ ، مِنْ بَعْدِهِ ، لِلْمِلَّةِ ٱنْتُخِبَا (ف 26 ب)
وَبَعْدُ ، عُثْمَانُ ذُو ٱلنُّورَيْنِ ثَالِثُهُمْ مَنْ أَحْرَزَ ٱلْمَجْدَ مَوْرُوثاً وَمُكْتَسَبَا
وَعَنْ عَلِيٍّ أَبِي ٱلسِّبْطَيْنِ رَابِعِهِمْ سَيْفِ ٱلنَّبِيِّ ٱلَّذِي مَا هَزَّهُ فَنَبَا
وَسَائِرِ ٱلْأَهْلِ . وَٱلصَّحْبِ ٱلْكِرَامِ فَهُمْ قَدْ أَشْبَهُوا فِي سَمَاءِ ٱلْمِلَّةِ ٱلشُّهُبَا

(96) بياض في الأصول، والتقدير منّا. ويصح : وما الشعر إلا ما أفوه بنظمه.
(97) يقال هبلته أمه هبلا : ثكلته، الهبل : الثكل.
(98) الحذق، والحذقة، هي الاحتفال بإتمام الصبي قراءة القرآن أو جزء منه.
(99) وردت القصيدة في الأصول ما عدا (ق).

وَبَعْدُ أَنْصَارُهُ ٱلْأَرْضَوْنَ ، إِنَّ لَهُمْ فَضَائِلاً أَعْجَزَتْ مَنْ عَدَّ أَوْ حَسَبَا
آوَوْهُ فِي ٱلرَّوْعِ لَمَّا حَلَّ دَارَهُمُ وَجَالَدُوا مَنْ عَنَا فِي دِينِهِ وَأَبَى
وَأَوْرَثُوا مِنْ بَنِي نَصْرٍ لِنُصْرَتِهِ خَلَائِفاً وَصَلُوا مِنْ بَعْدِهِ ٱلسَّبَبَا
وَلَا كَيُوسُفَ مَوْلَانَا ٱلَّذِي كَرُمَتْ آثَارُهُ ، وَبَنِيهِ ٱلسَّادَةِ ٱلنُّجَبَا
وَبَعْدَ هَذَا ٱلَّذِي قَدَّمْتُ مِنْ كَلِمٍ صِدْقٍ يُقَدِّمُهُ مَنْ خَطَّ أَوْ خَطَبَا
فَإِنَّنِي جُزْتُ مِنْ سَامِي ٱلْخِلَالِ مَدًى أَجَلْتُ فِيهِ جِيَادَ ٱلْفِكْرِ مُنْتَسِبَا
إِمَارَةٌ قَدْ غَدَا نَصْرٌ بِقُبَّتِهَا عِمَادَ عِزٍّ ، وَكُنَّا حَوْلَهُ طُنُبَا
سَلَكْتُ فِيهَا عَلَى نَهْجِ ٱلْإِمَامِ أَبِي وَطَالَمَا أَشْبَهَ ٱلنَّجْلُ ٱلْكَرِيمُ أَبَا
فَكَانَ أَوَّلُ مَا قَدَّمْتُ فِي صِغَرِي مِنْ بَعْدِ مَا قَدْ جَمَعْتُ ٱلْفَضْلَ وَٱلْأَدَبَا
أَنِّي جَعَلْتُ كِتَابَ ٱللَّهِ مُعْتَمَداً لَا تَعْرِفُ ٱلنَّفْسُ فِي تَحْصِيلِهِ تَعَبَا
كَأَنَّنِي كُلَّمَا رَدَّدْتُهُ بِفَمِي أَسْتَنْشِقُ ٱلْمِسْكَ أَو أَسْتَطْعِمُ ٱلضَّرَبَا
حَتَّى ظَفِرْتُ بِحَظٍّ مِنْهُ أُحْكِمُهُ
حِفْظاً فَيَسَّرَ مِنْهُ ٱللَّهُ لِي أَرَبَا (ف 27 أ)
وَعَنْ قَرِيبٍ بِحَوْلِ ٱللَّهِ أَخْتِمُهُ فَرُبَّمَا أَدْرَكَ ٱلْغَايَاتِ مَنْ طَلَبَا
فَٱللَّهُ يَجْزِي أَمِيرَ ٱلْمُسْلِمِينَ أَبِي خَيْرَ ٱلْجَزَاءِ فَكَمْ حَقٍّ لَهُ وَجَبَا
وَأَنْعُمٍ غَمَرَتْنِي مِنْهُ وَاكِفَةٍ وَأَنْشَأَتْ فِي سَمَاءِ ٱللُّطْفِ لِي سُحُبَا
«قَيْساً» دَعَانِي وَسَمَّانِي عَلَى ٱسْمِ أَبِي
«قَيْس(100) بْنِ سَعْدٍ(101)» أَلَا فَٱعْظِمْ بِهِ نَسَبَا
بِأَيِّ شُكْرٍ نُوَفِّي كُنْهَ نِعْمَتِهِ لَوْ أَنَّ سحبانَ(102) أَوْ قُسّاً(103) لَهَا ٱنْتُدِبَا

(100) قيس بن سعد 60هـ بن عبادة الأنصاري الخزرجي المدني
انظر : الأعلام (ج : 6 ، ص : 56)
(101) يقصد سعد بن عبادة 14هـ الصحابي من أهل المدينة ، كان سيد الخزرج
انظـر :
نهاية الأرب : 236
جمهرة الانساب : 300
تهذيب ابن عسكر : 84
طبقات ابن سعد : (ج : 3 ، ص : 142)
(102) سحبان وائل : 54هـ بن زفر يضرب به المثل في البيان
انظر : الأعلام (ج : 3 ، ص : 123)
(103) قس بن ساعدة ، أحد حكماء العرب ومن أكبر خطبائهم في الجاهلية كان أسقف نجران .
انظر : الاعلام (ج : 6 ، ص : 39)

وَكَافَأَ ٱللَّهُ أَشْيَاخِي بِرَحْمَتِهِ وَمَنْ أَعَانَ وَمَنْ أَمْلَى وَمَنْ كَتَبَا
وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ خَتْماً بَعْدَ مُفْتَتَحٍ
مَا ٱلْبَارِقُ ٱلنَّاحَ أَوْ مَا ٱلْعَارِضُ(104) ٱنْسَكَبَا

21

وَقُلْتُ فِي مَدْحِ مَوْلَايَ أَمِيرِ ٱلْمُسْلِمِينَ « أَبِي ٱلْحَجَّاجِ » رَحْمَةُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ ، وَذَلِكَ فِي عِيدِ عَامِ سَبْعَةٍ وَأَرْبَعِينَ وَسَبْعَمَائَةٍ : (105)

(الطويـل)

سُعُودُكَ لَا مَا تَدَّعِيهِ ٱلْكَوَاكِبُ وَجُودُكَ فِينَا لَا ٱلسَّحَابُ ٱلسَّوَاكِبُ
يَغَصُّ ٱلْغَمَامُ ٱلْجَوْنُ يَوْمَ ٱنْسِكَابِهِ إِذَا صَدَرَتْ عَنْ رَاحَتَيْكَ ٱلْمَوَاهِبُ
وَيَصْغُرُ عِنْدَ ٱلشَّمْسِ فِي رَوْنَقِ ٱلضُّحَى سَنَاهَا ، إِذَا دَارَتْ عَلَيْكَ ٱلْمَوَاكِبُ
بِكَ ٱرْتَاحَ دِينُ ٱللَّهِ، فِي عُنْفُوَانِهِ، وَشُيِّدَ رُكْنٌ مِنْهُ وَاعْتَزَّ جَانِبُ
وَأَصْبَحَتِ ٱلْأَيَّامُ رَائِقَةَ ٱلْحُلَى وَقَدْ حُلِّيَتْ مِنْهَا ٱلطُّلَا وَٱلتَّرَائِبُ
وَفَاخَرَ بَعْضُ ٱلْأَرْضِ بَعْضاً فَأَصْبَحَتْ
مَشَارِقُهَا تُزْرِي عَلَيْهَا ٱلْمَغَارِبُ (ف 28 ب)
لِوَاءُكَ مَنْصُورٌ ، وَحِزْبُكَ ظَافِرٌ وَمُلْكُكَ مَحْفُوظٌ ، وَحِزْبُكَ غَالِبُ
وَرِفْدُكَ(106) مَوْهُوبٌ وَعَزْمُكَ نَافِذٌ(107) وَبَأْسُكَ مَرْهُوبٌ وَسَهْمُكَ صَائِبُ
مَجَازُ ٱلْمَعَانِي ٱلْغُرِّ ، فِيكَ ، حَقِيقَةٌ وَحُبُّكَ فَرْضٌ ، فِي ٱلْعَقَائِدِ ، وَاجِبُ
فَتُهْدَى بِكَ ٱلْأَمْدَاحُ قَصْدَ صَوَابِهَا إِذَا أَعْوَزَتْهَا ، فِي سِوَاكَ ، ٱلْمَذَاهِبُ
سَمَا بِكَ فِي ٱلْأَنْصَارِ بَيْتٌ سَمَا بِهِ إِلَى ذِرْوَةِ ٱلْبَيْتِ ٱلرَّفِيعِ ٱلْمَنَاسِبُ
وَأَطْلَعَ « سَعْدٌ » مِنْكَ بَدْرَ خِلَافَةٍ تُنِيرُ بِهِ ٱلدُّنْيَا ، وَتُجْلَى ٱلْغَيَاهِبُ
وَمَنْ ذَا لَهُ فَخْرٌ «كَسَعْدٍ»(108) عَلَى ٱلْوَرَى
«فَسَعْدٌ» وَزِيرٌ لِلنَّبِيِّ، وَصَاحِبُ

(104) العارض ما اعترض في الأفق فسدّه من سحاب أو جراد أو نحل. وفي التنزيل : «قالوا هذا عارِضٌ ممطرنا».

(105) وردت القصيدة في الأصول ماعدا «ق».

(106) الرفد : بالكسر العطاء.

(107) «ف» مبرم.

(108) يقصد سعد بن عبادة.

مَكَارِمُ لَمْ تَخْلَقْ عَلَى بُعْدِ ٱلْمَدَى ... وَلَا شَابَ مِنْهَا ٱلْخَالِصَ ٱلْبَحْتَ شَائِبُ
لَكَ ٱللَّهُ مِنْ لَيْثٍ حَمَى حَوْزَةَ ٱلْهُدَى ... وَعَضْبٍ يَمَانٍ لَمْ تَخُنْهُ ٱلْمَضَارِبُ
وَبَدْرٍ كَمَالٍ ضَاءَ ، تَلْتَاحُ حَوْلَهُ ... ،مِنَ ٱلْأُمَرَاءِ ٱلْغَالِبِينَ، ٱلْكَوَاكِبُ
إِذَا ذُكِرَ ٱلْأَمْلَاكُ ، مَنْ مِثْلُ يُوسُفٍ ؟ ... يُسَالِمُ فِي ذَاتِ ٱلْهُدَى وَيُحَارِبُ
وَيُعْطِي ٱلرِّمَاحَ ٱلسَّمْهَرِيَّةَ حَقَّهَا ... وَيَضْمَنُ عُتْبَى ٱلدَّهْرِ ، وَٱلدَّهْرُ عَاتِبُ
وَتَضْفُو عَلَى أَعْطَافِهِ حُلَلُ ٱلْحُلَى ... مُطَهَّرَةً مَا دَنَّسَتْهَا ٱلْمَعَايِبُ
وَتَخْتَرِقُ ٱلْأَرْجَاءَ مِنْ طِيبِ ذِكْرِهِ ... جَنَائِبُ تَحْدُوهَا ٱلصَّبَا وَٱلْجَنَائِبُ

هَلِ ٱلْمِسْكُ مَفْتُوتٌ بِمَدْرَجَةِ ٱلصَّبَا
أَمِ ٱدَّكَرَتْ مِنْكَ ٱلْعُلَى وَٱلْمَنَاقِبُ (ف 29 أ)

لَعَمْرُكَ مَا نَدْرِي إِذَا مَا سَمَتْ بِنَا ... ،بِمَجْلِسِكَ ٱلسَّامِي ٱلْجَلَالِ، ٱلْمَرَاتِبُ
وَفَرَّتْ بِمَرْآكَ ٱلْعُيُونُ وَقُيِّدَتْ ... بِمَنْطِقِكَ ٱلْفَصْلِ ٱلْحِسَانِ ٱلْغَرَائِبُ
أَتِلْكَ شَمُولٌ صِرْفَةٌ أَمْ شَمَائِلٌ ؟ ... وَهَلْ ضَرَبٌ عَذْبُ ٱلْجَنَا أَمْ ضَرَائِبُ[110]
مَهَابَةُ مُلْكٍ فِي مَخِيلَةِ رَحْمَةٍ ... كَمَا ٱسْتَرْسَلَتْ عِنْدَ ٱلْبُرُوقِ ٱلسَّحَائِبُ

أَمَا ، وَٱلْقِلَاصِ[111] ٱلْبُدْنِ فِي لُجَجِ ٱلْفَلَا
غَوَارِبَ حَتَّى مَا تَبِينَ ٱلْغَوَارِبُ

إِذَا هَاجَ بَحْرُ ٱلْآلِ[112] مِنْ هَبَّةِ ٱلصَّبَا ... فَهُنَّ طَوَافٍ ، فِي ٱلسَّرَابِ ، رَوَاسِبُ
قَطَعْنَ إِلَى ٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ عَلَى ٱلْوَجَى ... مَفَاوِزَ لَا تَنْجُو بِهِنَّ ٱلنَّجَائِبُ
لَأَنْتَ عِمَادُ ٱلْمُلْكِ ، وَٱللَّهُ رَافِعٌ ... وَأَنْتَ حُسَامُ ٱلدِّينِ ، وَٱللَّهُ ضَارِبُ
نَدَبْتَ ، إِلَى ٱلْأَمْنِ ، ٱلْبِلَادَ وَأَهْلَهَا ... وَلَا قَلْبَ إِلَّا بِٱلْمَخَافَةِ وَاجِبُ
وَسَكَّنْتَ بَحْرَ ٱلْخَطْبِ وَٱللُّجُّ مُزْبِدٌ ... وَمَوْجُ ٱلرَّدَى آتِيهُ[113] مُتَرَاكِبُ
وَصُلْتَ عَلَى ٱلشَّكِّ ٱلْمُلَجْلِجِ بِٱلْهُدَى ... وَقَدْ رُجِمَتْ فِيهِ ٱلظُّنُونُ ٱلْكَوَاذِبُ
وَأَوْضَحْتَ طُرْقَ ٱلْحَقِّ لِلْخَلْقِ بَعْدَمَا ... عَفَتْ مِنْهُ آثَارٌ وَمُحِّتْ مَذَاهِبُ
وَوَافَقَ شَهْرُ ٱلصَّوْمِ مِنْكَ خَلِيفَةً ... لَهُ فِي مَقَامِ ٱلذِّكْرِ قَلْبٌ يُرَاقِبُ
وَأَزْمَعَ عَنْكَ ٱلشَّهْرُ لَا عَنْ مَلَالَةٍ ... فَقَدْ كَمُلَتْ بِٱلْبِرِّ مِنْهُ ٱلْمَآرِبُ

---

(109) المدرجة : ممر الأشياء على الطَّريق وغيره
(110) الضرائب : الطَّبائع .
(111) القلاص : ج : القلوص من الابل : المجتمعة الخلق الفتية .
(112) الآل : السراب
(113) الآتي : الموج الشديد ج : الاواتي . كالآتيّ

وَوَافَاكَ عِيدُ ٱلْفِطْرِ يَطْوِي لَكَ ٱلْمَدَى
وَحُطَّتْ لَهُ ، فِي مُتْئَدَاكَ ، ٱلرَّكَائِبُ (ف 30 ب)

وَمَا هُوَ إِلَّا مِنْ عُفَاتِكَ قَدْ أَتَى ... تُرَغِّبُهُ ، فِيمَا لَدَيْكَ ، ٱلرَّغَائِبُ
أَمَوْلَايَ ، خُذْهَا فِي ٱمْتِدَاحِكَ غَادَةً ... تُغَارُ بِمَرْآهَا ٱلْحِسَانُ ٱلْكَوَاعِبُ
وَرَوْضَ بَنَانٍ أَيْنَعَتْ وَرَقَاتُهُ ... وَقَدْ سَحَّ فِيهَا مِنْ بَنَانِكَ سَاكِبُ
وَلَا زِلْتَ تَجْنِي ٱلنَّصْرَ مِنْ شَجَرِ ٱلْقَنَا ... وَتُدْنِي ٱلْأَمَانِي وَهْيَ شُمْسٌ[114] مَصَاعِبُ
وَتُثْنِي بِعَلْيَاكَ ٱلرَّكَائِبُ فِي ٱلسُّرَى ... (وَلَوْ سَكَتُوا أَثْنَتْ عَلَيْكَ ٱلْحَقَائِبُ)[115]

22

وَقُلْتُ مِنَ ٱلنَّظْمِ ٱلْقَدِيمِ (بِاقْتِرَاحِهِ)[116] رَحِمَهُ ٱللَّهُ :[117]

(الطويل)

بَرِئْتُ إِلَى ٱلشَّوْقِ ٱلْمُبَرِّحِ مِنْ قَلْبِي ... وَسَلَّمْتُ أَمْرِي فِي ٱلْغَرَامِ إِلَى رَبِّي
وَصَانَعْتُ ٱلْحَاظَ ٱلظِّبَاءِ بِمُهْجَتِي ... فَمَا قَبِلَتْ سِلْمِي وَلَا تَرَكَتْ حَرْبِي
إِذَا لَامَ قَلْبِي فِي ٱلْهَوَى عَيْنَيَ ٱلَّتِي ... جَنَتْ ، صَرَفَتْ عَنِّي ٱلْمَلَامَ إِلَى قَلْبِي
فَلَا تُنْكِرُوا أَنْ هَزَّتِ ٱلرِّيحُ مَنْكِبِي ... وَأَذْهَلَنِي وَجْدِي عَنِ ٱلْأَهْلِ وَٱلصَّحْبِ
فَفِي سَكْرَةِ ٱلصَّهْبَاءِ مَا تَعْلَمُونَهُ ... فَكَيْفَ إِذَا ٱنْضَافَتْ إِلَى سَكْرَةِ ٱلْحُبِّ
وَبِي مِنْ ظِبَاءِ ٱلْأُنْسِ رَائِقَةُ ٱلْحُلَى ... وَهَبْتُ لَهَا نَفْسِي وَمَلَّكْتُهَا لُبِّي
صَبَوْتُ ، وَمَا قَلْبِي بِأَوَّلِ مَنْ صَبَا ... لِنَاطِقَةِ ٱلْقُرْطَيْنِ صَامِتَةِ ٱلْقَلْبِ
إِذَا مَا رَنَتْ غَارَتْ بِأَلْحَاظِهَا ٱلظِّبَا ... وَمَهْمَا ٱنْثَنَتْ غَصَّتْ مُنَعَّمَةُ ٱلْقُضْبِ
شَكَوْتُ لَهَا دَاءَ ٱلْهَوَى فَاشْتَكَتْ بِهِ
فَأَبْكِي لَهَا مِنْ حُبِّهَا وَهْيَ مِنْ حُبِّي (ف 31 أ)
خَلِيلَيَّ جَرَّبْتُ ٱلْهَوَى وَخَبَرْتُهُ ... فَمُلِّيتُ عِلْماً مِنْهُ بِالسَّهْلِ وَٱلصَّعْبِ

(114) شمس : ج : شموس. وهو النفور من الدوابّ الذي لا يستقر لشغبه وحدّته، وقد توصف به النّاقة.

(115) هذا الشطر تضمين من قول الشاعر نصيب في مدح سليمان بن عبد الملك :
- فعاجوا فأثنوا بالذي أنت أهله ... ولو سكتوا أثنت عليك الحقائب

(116) اضافة من «ف» و «ح».

(117) في الأصول ماعدا «ق».

وَمَا عَرَفَتْ نَفْسِي أَلَذَّ مِنَ ٱللِّقَا ... وَأَنْدَى عَلَى ٱلْأَكْبَادِ مِنْ سَاعَةِ ٱلْقُرْبِ
وَأَحْلَى مِنَ ٱلْعُتْبَى وَأَشْهَى مِنَ ٱلرِّضَى ... إِذَا جَاءَ مِنْ بَعْدِ ٱلْقَطِيعَةِ وَٱلْعَتْبِ
سَأَذْهَبُ فِي ٱللَّذَّاتِ مِلْءَ أَعِنَّتِي ... وَأُرْكِضُ خَيْلَ ٱللَّهْوِ فِي طَلَقِ رَحْبِ
وَإِنَّ وِدَادِي فِي ٱلْخَلِيفَةِ «يُوسُفٍ» ... يُكَفِّرُ عِنْدَ ٱللَّهِ مَا كَانَ مِنْ ذَنْبِي
سُلَالَةُ أَنْصَارِ ٱلْهُدَى، وَحُمَاتُهُ ... وَوَارِثُ حِزْبِ ٱللَّهِ، نَاهِيكَ مِنْ حِزْبِ
مُحَيًّا كَمِثْلِ ٱلشَّمْسِ فِي رَوْنَقِ ٱلضُّحَى ... وَكَفٌّ، كَمَا حُدِّثْتَ عَنْ وَاكِفِ ٱلسُّحْبِ
يُصَاحِبُهُ ٱلتَّوْفِيقُ فِي كُلِّ وِجْهَةٍ ... وَيَقْدُمُ، مِنْهُ ٱلْجَيْشُ، جَيْشٌ مِنَ ٱلرُّعْبِ
بِهِ نَظَمَ ٱللَّهُ ٱلشَّتَاتَ فَأَصْبَحَتْ ... نُفُوسُ ٱلْبَرَايَا وَهْيَ آمِنَةُ ٱلسِّرْبِ
فَدَامَ قَرِيرَ ٱلْعَيْنِ فِي ظِلِّ عِيشَةٍ ... تُنِيفُ مَعَالِيهِ عَلَى رُتَبِ ٱلشُّهْبِ
وَلَا بَرِحَتْ أَيَّامُهُ وَزَمَانُهُ ... مَآثِرُهَا تُحْيَ بِهَا دَوْلَةُ ٱلْعُرْبِ

23

وَخَاطَبَنِي ٱلشَّرِيفُ ٱلصَّدْرَ «أَبُو ٱلْقَاسِمِ (118) ٱلْحَسَنِيُّ» (119) مِنْ مَنْزِلِ كَرَامَتِهِ «بِٱلْحَمْرَاءِ»، وَقَدْ وَصَلَ رَسُولاً مِنْ صَاحِبِ «ٱلْغَرْبِ» يُعَرِّفُنِي بِمَرَضٍ أَصَابَهُ ثُمَّ مُنِحَ مِنْهُ ٱلرَّاحَةَ فَأَجَبْتُهُ فِي رَوِيِّ أَبْيَاتِهِ ٱلَّتِي كَتَبَ بِهَا: (120)

(مجزوء الوافر)

لَكَ ٱلْحَقُّ ٱلَّذِي يَجِبُ ... وَفَضْلُكَ لَيْسَ يَحْتَجِبُ (ف 32 ب)

---

(118) هو محمد بن أحمد الحسني السبتي المشهير بالشريف القرناطي، أبو القاسم (687 — 760) أشهر تآليفه: (رفع الحجب المستورة عن محاسن المقصورة).
انظر:
المرقبة العليا ص: 171 وما بعدها.
الاحاطة (ج: 2، ص: 129)
نثير الجمان، لوحة 42أ — 43أ.
الديباج ص: 290
مستودع العلامة، ص: 25
النفح (ج: 5، ص: 189 وما بعدها).
ذكريات مشاهير رجال المغرب.

(119) في «م» الحسيني.

(120) وردت القصيدة في الأصول ماعدا «ق».

وَدُونَ عُلَاكَ مَا تُنْمَى إِلَيْهِ ٱلسَّبْعَةُ ٱلشُّهُبُ
وَفَوْقَ ٱبْنِ ٱلْبَتُولِ[121] ٱبْنٌ وَفَوْقَ ٱبْنِ ٱلْبَتُولِ أَبُ
أَتَتْنِي مِنْكَ زَائِرَةٌ يَقُودُ ، هَدِيَّهَا ، ٱلْأَدَبُ
زَرَتْ بِٱبْنِ ٱلْحُسَيْنِ[22] فَمَا لَهُ فِي ٱلْحُسْنِ مُنْتَسَبُ
وَنَادَتْ بِالرَّضِيِّ[123] : لَقَدْ حَكَيْتَ وَفَاتَكَ ٱلشَّنَبُ
تَعَالَى ٱللَّهُ مَنْ يَهَبُ ٱلْـ ـكَمَالَ ، وَنِعْمَ مَا يَهَبُ
تُغَازِلُنِي مَعَانِيهَا فَتُسْفِرُ ثُمَّ تَنْتَقِبُ
وَلَكِنْ نَغَّصَ ٱلْمَسْرَى وَدَهْرِي كُلُّهُ عَجَبُ
وَأَوْحَتْ ، عَنْكَ ، لِي وَصَبَا تَخَطَّى ، مَجْدَكَ ، ٱلْوَصَبُ
فَصِرْتُ كَصَاحِبِ ٱلضِّلِّيـ[124] ـلِ دُونَ ٱلدَّرْبِ أَنْتَحِبُ
فَإِنَّكَ ذُخْرِيَ ٱلْأَعْلَى وَمَعْقِلُ عِزِّيَ ٱلْأَشِبُ
وَأَنْتَ جَمِيعُ أَسْبَابِي إِذَا مَا أَعْوَزَ ٱلسَّبَبُ
وَجَدْتُكَ عُدَّتِي ، وَغِنَى يَدِي إِذْ أَذْهَبَ ٱلذَّهَبُ
فَلَوْلَا أَنَّكَ ٱسْتَبْقَيْـ ـتَنِي ، وَٱلْعَقْلُ مُسْتَلَبُ
وَبِالدُّرِّ ٱلنَّثِيرِ شَعَبْـ ـتَ صَدْعاً لَيْسَ يَنْشَعِبُ (ف 33 أ)
فَدَتْكَ كَوَاكِبُ ٱلْخَضْرَا ءِ لَا عَجَمٌ وَلَا عَرَبُ
وَدُمْتَ ٱلدَّهْرَ فِي سُحُبٍ مِنَ ٱلْآلَاءِ تَنْسَحِبُ

24

وَوَقَفْتُ عَلَى أَبْيَاتٍ مِنْ نَظْمِ ٱلسُّلْطَانِ «أَبِي عِنَانٍ»[125] رَحْمَةُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ يَرْثِي بِهَا

(121) يقصد : فاطمة الزهراء .
(122) يقصد أحمد بن الحسين المعروف بالمتنبي ، ويشير ابن الخطيب « بالزائرة » إلى قصيدة المتنبي في الحمى أما زائرة ابن الخطيب فهي رسالة الشريف .
(123) يقصد الشريف الرضي محمد بن الحسين المتوفي سنة 406هـ .
(124) يقصد امرأ القيس ، الشاعر الجاهلي المعروف
انظر : الاعلام (ج : 1 ص : 351)
والبيت اشارة إلى قول امرئ القيس :
بكى صاحبي لما رأى الدرب دونه وأيقن أنا لاحقان بقيصرا
وقلت له لا تبك عيناك انما نحاول ملكا أو نموت فنعذرا
(125) أبو عنان المريني (729 ــ 759هـ/1329 ــ 1358م) ، فارس بن علي بن عثمان بن يعقوب =

حَاجِبُهُ[126] ٱلْمُسْتَكْمِلَ خِلَالَ ٱلسُّؤْدَدِ فِي ٱلزَّمَنِ ٱلْيَسِيرِ ٱلْمُشْرِئِبَّ إِلَى ٱلرِّيَاسَةِ وَٱلْإِسْتِيلَاءِ عَلَى ٱلْغَايَةِ لَوْ سَاعَدَهُ ٱلْإِمْهَالُ ، فَمَنَّتْهَا فِي سَبِيلِ مَرْضَاتِهِ وَبِحَسَبِ ٱقْتِرَاحِهِ بِقَوْلِي : [127]

(الطويـل)

حَدِيثٌ ، عَلَى رَغْمِ ٱلْعُلَا ، غَيْرُ كَاذِبِ ... يَغَصُّ ٱلنَّوَادِي ، عِنْدَهُ بِالنَّوَادِبِ
وَلِلَّهِ مِنْ سَهْمٍ ، عَلَى ٱلْبُعْدِ ، صَائِبٍ ... رَمَى ثُغْرَةَ ٱلْمَجْدِ ، ٱلصَّرِيحِ ٱلْمَنَاسِبِ
أَيَا صَاحِبَيْ نَجْوَايَ ، دَعْوَةُ صَاحِبٍ ... أَطَافَتْ بِهِ ٱلْأَشْجَانُ مِنْ كُلِّ جَانِبِ
أَلِمَّا بِأَحْدَاثِ ٱلْعُلَى وَٱلْمَنَاقِبِ ... تُحَيِّ ثَرَاهَا وَاكِفَاتُ ٱلسَّحَائِبِ
أَلَا فَٱبْكِيَا رَوْضَ ٱلْجَلَالِ ٱلَّذِي ذَوَى ... عَلَى حِينَ هَزَّتْهُ ٱلسَّمَاحَةُ وَٱسْتَوَى
وَجَادَتْهُ أَخْلَافُ ٱلْخِلَافَةِ فَٱرْتَوَى ... وَنُوحَا عَلَى نَجْمِ ٱلْعَلَاءِ ٱلَّذِي هَوَى
فَأَبْرَزَ شَمْسَ ٱلْجَوِّ فِي خِلْعَةِ ٱلْجَوَى
فَلِلَّهِ مِنْ دِيوَانِ فَضْلٍ قَدِ ٱنْطَوَى (ف 24 ب)
وَعُوجَا بِأَكْنَافِ ٱلضَّرِيحِ ٱلَّذِي حَوَى ... مِنَ ٱلْجُودِ وَٱلْإِفْضَالِ أَسْنَى ٱلْمَرَاتِبِ
أَقِيمَا بِحَقِّ مَأْتَمِ ٱلْبَأْسِ وَٱلنَّدَى ... وَلَا تَقِفَا خَيْلَ ٱلدُّمُوعِ إِلَى مَدَى
لِبَدْرٍ جَلَا جُنْحَ ٱلدُّجَى لِمَنِ ٱهْتَدَى ... وَغُصْنٍ ذَوَى حِينَ ٱسْتَوَى وَتَأَوَّدَا
وَسَيْفِ إِمَامٍ أَغْمَدَتْهُ يَدُ ٱلرَّدَى ... وَلَا تَأْنَسَا مَا رَاحَ رَكْبٌ وَمَا غَدَا
أَلَا فَٱبْكِيَا غَيْثَ ٱلْمَوَاهِبِ وَٱلْجَدَى ... وَلَيْثَ ٱلشَّرَى[128] نَجْلَ ٱلسَّرَاةِ ٱلْأَطَايِبِ
هُوَ ٱلدَّمْعُ إِنْ شَحَّتْ لِخَطْبٍ عُيُونُهُ ... عَلَى «ٱبْنِ أَبِي عَمْرٍو» يُذَالُ مَصُونُهُ
فَتًى حَرَّكَ ٱلْأَرْجَاءَ حُزْناً سُكُونُهُ ... وَغَالَتْ قَصِيَّاتِ ٱلْأَمَانِي مَنُونُهُ
فَحُثَّا سَحَابَ ٱلدَّمْعِ نَهْمِي هَتُونُهُ ... عَلَيْهِ ، كَمَا كَانَتْ تَصُوبُ يَمِينُهُ
وَجُودَا بِوَبْلِ ٱلدَّمْعِ نَهْمِي شُؤُونُهُ[129] ... كَمَا هَمَلَتْ مُزْنُ ٱلْغُيُوثِ ٱلسَّوَاكِبِ

= المريني المتوكل على الله .
انظر : الاعلام (ج: 5 ، ص : 323) .

(126) هو الحاجب ابن أبي عمرو ، كان آباؤه وأجداده رجال علم ، ولذلك جعله أبو الحسن مؤدبا لأبي عنان ، فلما خلص الملك لأبي عنان أضفى عليه سائر ألقاب دولته .
انظـر :
ابن خلدون (تاريخ البربر ج: 2 ، ص: 434)
الاستقصاء (ج: 3 ، ص: 184)

(127) وردت القصيدة في الأصول ماعدا «ق»

(128) الشرى : موضع كثير الاسد . ويقال هم أسد الشرى : أشدّاء شجعان .

(129) شؤون العين : مجاريها الدمعية .

وَقُولَا لِمَنْ شُدَّتْ إِلَيْهِ نُسُوعُهُ[130] يُؤَمِّلُ مِنْهُ ٱلنَّصْرَ فِيمَا يَرُوعُهُ
فَيُصْرِخُهُ إِنْ ضَاقَ بِالرَّوْعِ رُوعُهُ هُوَ ٱلْقَدَرُ ٱلْمَحْتُومُ حُمَّ وُقُوعُهُ
وَبَدْرُ ٱللَّيَالِي لَا يُرَجَّى طُلُوعُهُ وَقَلْبُ ٱلْمَعَالِي أَسْلَمَتْهُ ضُلُوعُهُ (ف 35 أ)
وَنُوحَا فَإِنَّ ٱلْمَجْدَ أَقْوَتْ رُبُوعُهُ وَزُلْزِلَ مِنْهُ مُشْمَخِرٌّ[131] ٱلْأَهَاضِبِ
هَصَرْتَ ثِمَارَ ٱلْعِزِّ طَيِّبَةَ ٱلْجَنَى وَشَيَّدْتَ مَثْوَى ٱلْفَخْرِ مُسْتَحْكِمَ ٱلْبِنَا
وَخَلَّفْتَ فِي ٱلْآفَاقِ مِنْ ذَائِعِ ٱلثَّنَا فَضَائِلَ لَا يَغْتَالُهَا طَارِقُ ٱلْفَنَا
وَصَيَّرْتَ صَعْبَ ٱلشَّرْقِ لِلْغَرْبِ هَيِّناً وَكُنْتَ مُسِيراً ، لِلْخُلُوصِ وَمُعْلِنَا
وَمَا كُنْتَ إِلَّا ٱلْبَحْرَ وَٱلطَّوْدَ وَٱلسَّنَا تُضِيءُ ضِيَاءَ ٱلزَّاهِرَاتِ ٱلثَّوَاقِبِ
أَلِفْتَ عَلَيْهَا مِنْ خِلَالٍ كَرِيمَةٍ كَرَوْضِ ٱلرُّبَا تَفْتَرُّ فِي أَرْضِ دِيمَةٍ
تَرِفُّ[132] جَنَاهَا عَنْ أُصُولٍ قَدِيمَةٍ وَدُرَّةِ مَجْدٍ لَا تُقَاسُ بِقِيمَةٍ
تَذُودُ عَنِ ٱلْأَحْرَارِ كُلَّ هَضِيمَةٍ[133] وَكَمْ مِنْ مَعَالٍ ، قَدْ حَوَيْتَ عَظِيمَةٍ
وَمَا كُنْتَ إِلَّا حَائِزاً كُلَّ شِيمَةٍ مِنَ ٱلْفَخْرِ سَبَّاقاً لِبَذْلِ ٱلرَّغَائِبِ
إِذَا ذُكِرَ ٱلْحُجَّابُ فِي كُلِّ مَشْهَدٍ وَأَمْلَاكُهُمْ مِنْ كُلِّ « هَادٍ » و« مُهْتَدِي »
و« مُعْتَمِدٍ » مِنْ بَعْدِهِمْ ، و« مُؤَيَّدِ » وَعُدِّدَتِ ٱلْآثَارُ مِنْ كُلِّ أَوْحَدِ
كَمَا زِينَ نَحْرٌ بِٱلْفَرِيدِ ٱلْمُقَلَّدِ
وَكَانُوا نُجُوماً فِي ٱلزَّمَانِ لِمُهْتَدِي (ف 36 ب)
فَمَا ٱخْتَصَّتِ ٱلْأَمْلَاكُ مِثْلَ « مُحَمَّدٍ » وَمَا[134] ٱفْتَخَرَتْ طُولَ ٱلزَّمَانِ بِحَاجِبِ
« مُحَمَّدُ » أَحْرَزْتَ ٱلْعَلَاءَ ٱلْمُكَمَّلَا فَعُلْيَاكَ قَدْ حَطَّتْ سِوَاكَ وَإِنْ عَلَا
فَكُنْتَ ٱلْحَيَا وَٱلْبَدْرَ جُوداً وَمُجْتَلَى وَسَيْفاً طَرِيرَ[135] ٱلْحَدِّ مُنْتَظِمَ ٱلْحُلَا
بَلَغْتَ ٱلَّتِي ، مَا فَوْقَهَا ، مُتَمَهِّلاً وَمَا بَالَغَ ٱلْإِطْنَابُ ، فِيكَ ، وَإِنْ غَلَا
وَمَا نَالَتِ ٱلْأَشْرَافُ مَا نِلْتَ مِنْ عُلَا وَلَا لَكَ نِدٌّ فِي ٱلْعُلَا وَٱلْمَنَاقِبِ
لَأَبْدَيْتَ فِي ٱلتَّدْبِيرِ كُلَّ عَجِيبَةٍ بِآرَاءِ كَهْلٍ فِي ثِيَابِ شَبِيبَةٍ
فَأَعْجَزْتَ حُجَّابَ ٱلْعُلَا بِضَرِيبَةٍ[136] مِنَ ٱللُّبِّ وَٱلْخُلُقِ ٱلْحَمِيدِ قَرِيبَةٍ

(130) النسوع : ج : النسع : سير عريض طويل تشدّ به الحقائب أو الرحال.
(131) المشمخرّ : المرتفع العالي.
(132) رفّ البقل ونحوه : أكله، وهنا : يذلّ.
(133) الهضيمة : أن يتهضمك القوم شيئا أي يظلموك.
(134) في «م» و «لا».
(135) سنانٌ طريرٌ ومَطْرُورٌ : مُحَدَّدٌ.
(136) الضَّريبةُ : الطَّبيعةُ.

وَنَفْسٍ إِلَى دَاعِي ٱلْكَمَالِ مُجِيبَةٍ تَذُوبُ حَيَاءً ، وَهْيَ غَيْرُ مُرِيبَةٍ
وَإِنْ خُصَّ مِنْهُمْ مَاجِدٌ بِنَقِيبَةٍ فَقَدْ حُزْتَ فِي ٱلْعُلْيَا جَمِيعَ ٱلْمَنَاقِبِ
كَمُلْتَ فَلَمْ تَلْحَقْ عُلَاكَ ٱلنَّقَائِصُ سَمَوْتَ فَلَمْ يُدْرِكْ مَحَلَّكَ شَاخِصُ
وَحُفَّتْ ، لِمَغْنَاكَ ٱلرَّحِيبِ ٱلْقَلَائِصُ
وَرُدَّتْ بِكَ ٱلْأَهْوَالُ ، وَهْيَ نَوَاكِصُ[137]
فَإِنْ شِئْتَ إِخْلَاصاً ، فُؤَادُكَ خَالِصٌ
وَيَا دُرَّةً ، مَا حَازَهَا ، قَطُّ ، غَائِصُ (ف 37 أ)
نَمَتْكَ إِلَى ٱلْمَجْدِ ٱلْأَصِيلِ خَصَائِصُ
يُقَصِّرُ عَنْهَا نَجْلُ « زَيْدٍ » وَ« حَاجِبٍ »[138]

هو ٱلْبَيْنُ حَتْماً لَا لَعَلَّ وَلَا عَسَى وَمَاذَا عَسَى يُغْنِي ٱلْوَلِيُّ وَمَا عَسَى
وَلَوْ كَانَ يُجْدِي ٱلْحُزْنُ أَوْ يَنْفَعُ ٱلْأَسَى لَمَا وَجَدَتْ أَنْفَاسُنَا مُتَنَفَّسَا
فَكَمْ بَيْنَ مَنْ هَدَّ ٱلْبِنَاءَ وَأَسَّسَا وَلَبْسَ سَوَاءٌ أَحْسَنَ ٱلدَّهْرُ أَمْ أَسَا
ظَعَنْتَ عَنِ ٱلدُّنْيَا حَمِيداً مُقَدَّسَا وَسِرْتَ بَرِيئاً مِن ذَمِيمِ ٱلْمَثَالِبِ
كَذَا ٱلْبَتُّ لَا يُشْفَى بِلَيْتَ ، وَعَلَّنِي أُعَالِجُ أَشْجَانِي إِذَا ٱللَّيْلُ جَنَّنِي
وَأَنْهَلَنِي وِرْدَ ٱلدُّمُوعِ وَعَلَّنِي وَمَا أَنَا عَنْ حُزْنِي عَلَيْكَ بِمُثْنِي
فَلَمْ يُلْهِنِي مَا طَابَ مِنْ عَيْشِيَ ٱلْهَنِي أَقُولُ لِمَنْ يَبْغِي سُلُوِّي : خَلِّنِي
فَبِاللَّهِ مَا دَمْعِي بِرَاقٍ وَإِنَّنِي أَكَفْكِفُ مِنْهُ كَٱلْعِهَادِ[139] ٱلسَّوَاكِبِ
لَبِسْتَ ٱلرِّضَى فِي بَدْأَةٍ وَتَتِمَّةٍ وَدَافَعْتَ عَنْ مَوْلَاكَ كُلَّ مُلِمَّةٍ
بَقِيتَ إِذَا ٱسْتِيكْفَاكَ كُلَّ مُهِمَّةٍ وَلَمْ تَأْلُ فِي صِيتٍ بَعِيدٍ وَهِمَّةٍ
وَكُنْتَ أَحَقَّ ٱلْمُخْلِصِينَ بِنِعْمَةٍ
فَقُدِّسْتَ مِنْ آلٍ كَرِيمٍ وَرِمَّةٍ (ف 38 ب)
وَغَمَّدَكَ[140] ٱلرَّحْمَنُ مِنْهُ بِرَحْمَةٍ تُبَلِّغُكَ ٱلزُّلْفَى وَأَقْصَى ٱلْمَآرِبِ
تَرَحَّلْتَ عَنْ رَبْعٍ عَلِمْتَ غُرُورَهُ وَفَارَقْتَ مَغْنَاهُ وَأَخْلَيْتَ دُورَهُ
وَرَافَقْتَ وِلْدَانَ ٱلْجِنَانِ وَحُورَهُ وَمَنْ قَدَّمَ ٱلْخَيْرَ ٱسْتَطَابَ وجُورُه[141]

---

(137) نكص : رجع القهقرى
(138) المقصود بزيد زيد الفوارس . انظر الاعلام (جـ: 1 ص 97) وبحاجب ، حاجب بن زرارة (نحو 3هـ) من سادات العرب في الجاهلية ، انظر الاعلام (جـ 2 ص: 153)
(139) العهاد : مطر أول السنة. ومكان نزوله
(140) في الأصول: وغمضك ولعلّه خطأ
(141) وجوره : الدواء يوجَر في الفم

فَضَاعَفَ فِي مَثْوَاكَ رَبُّكَ نُورَهُ وَنَضْرَتَهُ ، لَقَّاكَهَا ، وَسُرُورَه
وَبَوَّاكَ مِنْ أَعْلَى ٱلْجِنَانِ قُصُورَهُ تُحَيِّيكَ فِيهَا مُسْبَلَاتُ ٱلذَّوَائِبِ
عَلَى مِثْلِهِ ، ثُكْلاً ، تَشِيبُ ٱلْمَفَارِقُ وَهَلْ تُخْطِئُ ، ٱلْمَرْءَ ، ٱلْخُطُوبُ ٱلطَّوَارِقُ
لَقَدْ شَاقَنِي مِنْكَ ٱلْحَبِيبُ ٱلْمُفَارِقُ فَقَلْبِي وَأَجْفَانِي ٱلْعَقِيقُ وَبَارِقُ(142)
أُصِبْتُ بِذُخْرِي مِنْكَ ، وَٱلدَّهْرُ سَارِقٌ سَأَصْحَبُ فِيكَ ٱلْوَجْدَ مَا ذَرَّ شَارِقُ
عَلَيْكَ سَلَامُ ٱللَّهِ مَا لَاحَ بَارِقُ وَمَا سَجَعَتْ وُرْقُ(143) ٱلْحَمَامِ ٱلنَّوَادِبِ

25

وَخَاطَبْتُهُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ عَقِبَ ٱلْإِنْصِرَابِ مِنْ بَابِهِ فِي غَرَضِ ٱلرِّسَالَةِ عَنْ بِرٍّ كَبِيرٍ وَاغْتِبَاطٍ بَالِغٍ غَايَةَ ٱلْإِحْتِفَالِ بِقَوْلِي ، وَهِيَ مُذْهَبَةُ هَذَا ٱلْحَرْفِ : (144) (ف 39 أ)

(الكامـل)

أَبْدَى ، لِدَاعِي ٱلْفَوْزِ ، وَجْهَ مُنِيبِ وَأَفَاقَ مِنْ عَذْلٍ وَمِنْ تَأْنِيبِ
كَلِفُ ٱلْجَنَانِ إِذَا جَرَى ذِكْرُ ٱلْحِمَى وَٱلْبَانِ ، حَنَّ لَهُ حَنِينَ ٱلنِّيبِ
وَٱلنَّفْسُ لَا تَنْفَكُّ تَكْلَفُ بِٱلْهَوَى وَٱلشَّيْبُ يَلْحَظُهَا بِعَيْنِ رَقِيبِ
رَحَلَ ٱلصِّبَا فَطَرَحْتُ فِي أَعْقَابِهِ مَا كَانَ مِنْ غَزَلٍ وَمِنْ تَشْبِيبِ
أَتَرَى ٱلتَّغَزُّلَ بَعْدَ أَنْ رَحَلَ(145) ٱلصِّبَا شَأْنِي ٱلْغَدَاةَ إِذِ ٱلْمَشِيبُ(146) نَسِيبِي
أَنَّى لِمِثْلِيَ بِٱلْهَوَى مِنْ بَعْدِ مَا لِلْوَخْطِ فِي ٱلْفَوْدَيْنِ أَيَّ دَبِيبِ
لَبِسَ ٱلْبَيَاضَ وَحَلَّ ذِرْوَةَ مِنْبَرٍ مِنِّي وَوَالَى ٱلْوَعْظَ فِعْلَ خَطِيبِ(147)
قَدْ كَانَ يَسْتُرُنِي ظَلَامُ شَبِيبَتِي وَٱلْيَوْمَ يَفْضَحُنِي صَبَاحُ مَشِيبِي
وَإِذَا ٱلْجَدِيدَانِ ٱسْتَجَدَّا أَبْلَيَا مِنْ لِبْسَةِ ٱلْأَعْمَارِ كُلَّ قَشِيبِ

(142) العقيق وبارق : فيهما تورية وسيأتي شرحها ص 139.
(143) الورق ج. ورقة: الحمامة التي لونها بين السواد والغبرة
(144) وردت القصيدة في الأصول ماعدا «ق» كما أنها وردت في النفح (ج: 9 ص: 160 ـ 165) وفي الاحاطة مخ. لوحة 440 ـ 441. والاستقصا (ج: 3، ص: 199) ومركز الاحاطة مخ. (ج: 3 لوحة: 511 ـ 514)
(145) في النفح : ظعن
(146) في الأصول أو النسيب نسيبي
(147) هذا البيت والذي يليه، في: السحر والشعر، مخ لوحة 114. وفي النفح (ج: 9 ص: 208) وفي الازهار (ج:1، ص:312) وهو الذي قبله في زهر الاكم لوحة: 216

سَلْنِي عَنِ ٱلدَّهْرِ ٱلْخَؤونِ ، وَأَهْلِهِ ،
تَسَل « ٱلْمُهَلَّب »(148) عَنْ حُرُوب « شَبِيب »(149)

مُتَقَلِّبُ ٱلْحَالَاتِ فَاخْبُرْ نَقْلَهِ(150) مَهْمَا أَعَدْتَ يَداً إِلَى تَقْلِيبِ
فَكِلِ ٱلْأُمُورَ إِذَا ٱعْتَرَتْكَ لِرَبِّهَا مَا ضَاقَ لُطْفُ ٱلرَّبِّ عَنْ مَرْبُوبِ
قَدْ يَخْبَأُ ٱلْمَحْبُوبَ فِي مَكْرُوهِهَا مَنْ يَخْبَأُ ٱلْمَكْرُوهَ فِي ٱلْمَحْبُوبِ
وَٱصْبِرْ عَلَى مَضَضِ ٱللَّيَالِي إِنَّهَا كَحَوَامِلٍ سَتَلِدْنَ كُلَّ عَجِيبِ
وَٱقْنَعْ بِحَظٍّ لَمْ تَنَلْهُ بِحِيلَةٍ
مَا كُلُّ رَامٍ ، سَهْمُهُ ، بِمُصِيبِ (ف 40 ب)

يَقَعُ ٱلْحَرِيصُ عَلَى ٱلرَّدَى وَلَكَمْ غَدَا تَرْكُ ٱلتَّسَبُّبِ أَنْفَعَ ٱلتَّسْبِيبِ
مَنْ رَامَ نَيْلَ ٱلشَّيْءِ قَبْلَ أَوَانِهِ رَامَ ٱنْتِقَالَ يَلَمْلَمٍ وَعَسِيبِ(151)
فَإِذَا جَعَلْتَ ٱلصَّبْرَ مَفْزَعَ مُعْضِلٍ عَاجَلْتَهُ عِلَّتَهُ بِطِبٍّ طَبِيبِ
وَإِذَا ٱسْتَعَنْتَ عَلَى ٱلزَّمَانِ « بِفَارِسٍ » لَبَّى نِدَاءَكَ مِنْهُ خَيْرُ مُجِيبِ
بِخَلِيفَةِ ٱللَّهِ ٱلَّذِي فِي كَفِّهِ غَيْثٌ يُرَوِّضُ سَاحَ كُلِّ جَدِيبِ
ٱلْمُنْتَقَى مِنْ طِينَةِ ٱلْمَجْدِ ٱلَّذِي مَا كَانَ يَوْماً صِرْفُهُ بِمَشُوبِ
يَرْمِي ٱلصِّعَابَ بِسَعْدِهِ(152) فَيَقُودُهَا ذُلُلاً عَلَى حَسَبِ ٱلْهَوَى ٱلْمَرْغُوبِ
وَيَرَى ٱلْحَقَائِقَ مِنْ وَرَاءِ حِجَابِهَا لَا فَرْقَ بَيْنَ شَهَادَةٍ وَمَغِيبِ
مِنْ آلِ «عَبْدِ ٱلْحَقِّ»، حَيْثُ تَوَشَّجَتْ شُعَبُ ٱلْعُلَا وَرَبَتْ بِأَيٍّ كَثِيبِ
أَسُدُ الشَّرَى سُرُجُ ٱلْوَرَى فَمَقَامُهُمْ لِلَّهِ بَيْنَ مُحَارِبٍ وَحُرُوبِ
إِمَّا دَعَا ٱلدَّاعِي وَثُوِّبَ صَارِخاً ثَابُوا وَأَمُّوا حَوْمَةَ ٱلتَّثْوِيبِ
شُهْبٌ ثَوَاقِبُ ، وَٱلسَّمَاءُ(153) عَجَاجَةٌ تَأْثِيرُهَا(154) قَدْ صَحَّ بِالتَّجْرِيبِ

وصف اليهود

(148) المهلّب بن أبي صفرة (7 ــ 83هـ)
انظر : الاعلام (ج: 8، ص: 260)
(149) يقصد شبيب الخارجي (26 ــ 77هـ)
انظر : الاعلام (ج: 3، ص: 229)
(150) أصل هذا من المثل « أخبرُه تقله » من قلى فلانا قلى أبغضه وهجره ، وفي التنزيل العزيز : «ما ودعك ربك وما قلى» انظر فصل المقال في شرح كتاب الامثال ص : 299 .
(151) يلملم موضع على ليلتين من مكة ، وهو ميقات أهل اليمن ، وعسيب جبل بعالية نجد معروف
انظر: معجم البلدان (ج : 19 ، ص: 441)
(152) في النفح : بصعبه
(153) في النفح : في سماء
(154) في النفح : مأثورها .

مَا شِئْتَ فِي آفَاقِهَا مِنْ رَامِحٍ ... يَبْدُو ، وَكَفٌّ بِالنَّجِيعِ خَضِيبِ
عَجِبَتْ سُيُوفُهُمُ لِشِدَّةِ بَأْسِهِمْ ... فَتَبَسَّمَتْ ، وَالْجَوُّ فِي تَقْطِيبِ
نُظِمُوا بِلَبَّاتِ الْعُلَى واستَوْسَقُوا ... كَالرُّمْحِ أُنْبُوباً عَلَى أُنْبُوبِ
تَرْوِي الْعَوَالِي فِي الْمَعَالِي عَنْهُمُ ... أَثَرَ النَّدَى الْمَوْلُودِ وَالْمَكْسُوبِ (ف 41 أ)
عَنْ كُلِّ مَوْثُوقٍ بِهِ إِسْنَادُهُ ... بِالْقَطْعِ أَو بِالوَضْعِ غَيْرَ مَعِيبِ[155]
فَأَبُو « عِنَانٍ » عَن « عَلِيٍّ » غَضَّةٌ[156] ... لِلنَّقْلِ عَن « عُثْمَانَ » عَنْ « يَعْقُوبِ »[157]
جَاءُوا كَمَا اتَّسَقَ الْحِسَابُ أَصَالَةً ... وَغَدَا فَذَالِكَ[158] ذَلِكَ الْمَكْتُوبِ
مُتَجَسِّداً مِنْ جَوْهَرِ النُّورِ الَّذِي ... لَمْ تُرْمَ يَوْماً شَمْسُهُ بِغُرُوبِ
مُتَأَلِّقاً مِنْ مَطْلَعِ الْحَقِّ الَّذِي ... هُوَ نُورُ أَبْصَارٍ وَسِرُّ قُلُوبِ
قُلْ لِلزَّمَانِ ، وَقَدْ تَبَسَّمَ ضَاحِكاً ... مِنْ بَعْدِ طُولِ تَجَهُّمٍ وَقُطُوبِ
هِيَ دَعْوَةُ الْحَقِّ الَّتِي أَوْضَاعُهَا ... تَجْمَعَتْ مِن الْآثَارِ كُلَّ غَرِيبِ
هِيَ دولة[159] الْعَدْلِ الَّذِي شَمَلَ الْوَرَى ... فَالشَّاةُ لَا تَخْشَى اعْتِدَاءَ الذِّيبِ

لَوْ أَنَّ « كِسْرَى الْفُرْسِ » أَدْرَكَ « فَارِساً »[160]
أَلْقَى إِلَيْهِ بِتَاجِهِ الْمَعْصُوبِ

لَمَّا حَلَلْتُ بِأَرْضِهِ مُتَمَلِّياً ... مَا شِئْتُ مِنْ بِرٍّ وَمِنْ تَرْحِيبِ
شَمَلَ الرِّضَى ، فَكَأَنَّ كُلَّ أَقَاحَةٍ ... تُومِي بِثَغْرٍ لِلسَّلَامِ شَنِيبِ
وأتيتُ فِي بَحْرِ الْقِرَى أُمَّ الْقُرَى ... حَتَّى خَطَطْتُ بِمَرْفَإِ التَّقْرِيبِ
فَرَأَيْتُ أَمْرَ[161] اللَّهِ فِي ظِلِّ التُّقَى ... وَالْعَدْلَ تَحْتَ سُرَادِقٍ مَضْرُوبِ
وَرَأَيْتُ سَيْفَ اللَّهِ مَطْرُورَ الشَّبَا ... يَمْضِي الْقَضَاءُ بِحَدِّهِ الْمَرْهُوبِ
وَشَهِدْتُ نُورَ اللَّهِ[162] ، لَيْسَ بِآفِلٍ ، ... وَالدِّينَ وَالدُّنْيَا عَلَى تَرْتِيبِ (ف 42 أ)
وَوَرَدْتُ بَحْرَ الْعِلْمِ يَقْذِفُ مَوْجُهُ ... لِلنَّاسِ مِنْ دُرَرِ الْهُدَى بِضُرُوبِ

---

(155) يروي بمصطلحات الحديث
(156) في النفح : نصه
(157) يشير إلى أصل أبي عنان
(158) الفذلكة : فذلك حسابه فذلكة أنهاه وفرغ منه . وهي مخترعة من قول الحاسب إذا أجمل حسابه ، فذلك كذا وكذا اشارة إلى حاصل الحساب ونتيجته .
(159) في النفح : دعوة
(160) يقصد أبا عنان
(161) في النفح : أمن
(162) في النفح : الحقّ

لِلَّهِ مِنْ شِيَمٍ كَأَزْهَارِ ٱلرُّبَى ... غِبَّ ٱنْتِيَالِ ٱلْعَارِضِ ٱلْمَسْكُوبِ
وَجَمَالِ مَرْأًى فِي رِدَاءِ مَهَابَةٍ ... كَالسَّيْفِ مَصْقُولِ ٱلْفِرِنْدِ مَهِيبِ
يَا جَنَّةً ، فَارَقْتُ مِنْ غُرَفَاتِهَا ... دَارَ ٱلْقَرَارِ بِمَا ٱقْتَضَتْهُ ذُنُوبِي
أَسْعَى عَلَى مَا ضَاعَ مِنْ حَظِّي بِهَا ... لَا تَنْقَضِي تَرْحَاتُهُ وَنَحِيبِي
إِنْ أَشْرَقَتْ شَمْسٌ شَرِقْتُ بِعَبْرَتِي ... وَتَفِيضُ فِي وَقْتِ ٱلْغُرُوبِ غُرُوبِي (163)
حَتَّى لَقَدْ عَلَّمْتُ سَاجِعَةَ ٱلضُّحَى ... شَجْوِي ، وَجَانِحَةَ ٱلْأَصِيلِ شُجُوبِي
وَشَهَادَةُ ٱلْإِخْلَاصِ تُوجِبُ رَجْعَتِي ... لِنَعِيمِهَا ، مِنْ غَيْرِ مَسِّ لُغُوبِ (164)
يَا نَاصِرَ ٱلثَّغْرِ ٱلْغَرِيبِ ، وَأَهْلِهِ ... أَنْضَاءُ مَسْغَبَةٍ ، وَفَلَّ خُطُوبِ
حَقِّقْ ظُنُونَ بَنِيهِ فِيكَ ، فَإِنَّهُمْ ... يَتَعَلَّلُونَ بِوَعْدِكَ ٱلْمَرْقُوبِ
ضَاقَتْ مَذَاهِبُ نَصْرِهِمْ فَتَعَلَّقُوا ... بِجَنَابِ عِزٍّ ، مِنْ عُلَاكَ ، رَحِيبِ
وَدَجَا ظَلَامُ ٱلْكُفْرِ فِي آفَاقِهِمْ ... أَوَ لَيْسَ صُبْحُكَ ، مِنْهُمُ ، بِقَرِيبِ ؟!
فَٱنْظُرْ بِعَيْنِ ٱلْعِزِّ مِنْ ثَغْرٍ غَدَا ... حَذَرَ ٱلْعِدَا ، يَرْنُو بِطَرْفٍ مُرِيبِ
نَادَتْكَ «أَنْدَلُسٌ» وَمَجْدُكَ ضَامِنٌ ... أَنْ لَا تَخِيبَ لَدَيْكَ فِي مَطْلُوبِ (165)
غَصَبَ ٱلْعَدُوُّ بِلَادَهَا ، وَحُسَامُكَ ٱلـ
ـمَاضِي ٱلشَّبَا مُسْتَرْجِعُ ٱلْمَغْصُوبِ (ف 43 أ)
أُرِهَا ٱلسَّوَابِحَ فِي ٱلْمَجَازِ حَقِيقَةً ... مِنْ كُلِّ قُعْدَةِ مِحْرَبٍ (166) وَجَنِيبِ
يَتَأَوَّدُ ٱلْأَسَلُ (167) ٱلْمُثَقَّفُ فَوْقَهَا ... وَتُجِيبُ صَاهِلَةٌ رُغَاءَ نَجِيبِ
وَٱلنَّصْرُ يُضْحِكُ كُلَّ مَبْسِمِ غُرَّةٍ ... وَٱلْفَتْحُ (168) مَعْقُودٌ بِكُلِّ سَبِيبِ
وَ« ٱلرُّومَ » فَارْمِ بِكُلِّ نَجْمٍ ثَاقِبٍ ... يُذْكِي بِأَرْبُعِهَا شُوَاظَ لَهِيبِ
بِذَوَابِلِ ٱلسَّلْبِ ٱلَّتِي تَرَكَتْ « بَنِي ... زَيَّانَ » (169) بَيْنَ مُجَدَّلٍ وَسَلِيبِ

(163) الغروب : الدُّمُوعُ
(164) لغوب : مصدر لغب : تعب وأعيَى ، وفي الذكر الحكيم : « وما مسّنا من لغوب » .
(165) في النفح : أن لا يخيب لديك ذو مطلوب .
(166) المحرب : من الرجال المحراب ، يقال رجل محراب خبير بالحرب شجاع ج : محاريب واقْتَعد الدَّابة : ابتذَلها بالرُّكوب : وَهي قُعْدَتُهُ وَقَعُودُهُ .
(167) الاسل : نبات له أغصان كثيرة دقاق بلا ورق . والاسل الرماح على التشبيه به في اعتداله وطوله واستوائه ودقة أطرافه .
(168) في النفح : واليمن
(169) يشير إلى دولة بني زيّان التي أول من أسسها يغمراسن بن زيّان بن ثابت أبو يحيَى انظر :
بغية الرواد (ج : 1 ص : 109 — 116)
نظم الدر والعقيان في شرف بني زيان

وَأَضِفْ إِلَى لَامِ ٱلْوَغَى أَلِفَ ٱلْقَنَا[170] تَـظْـهَـرْ لَـدَيْكَ عَلَامَةُ ٱلتَّغْلِيبِ
إِنْ كُـنْـتَ تَعْجَمُ بِٱلْعَزَائِمِ عُودَهَا عُـودُ ٱلصَّلِيبِ ٱلْيَوْمَ غَيْرُ صَلِيبِ
وَلَكَ ٱلْكَتَائِبُ كَٱلْخَمَائِلِ أَطْلَعَتْ زَهْرَ ٱلْأَسِنَّةِ فَوْقَ كُلِّ قَضِيبِ
فَمُرَنَّحُ ٱلْعِطْفَيْنِ ، لَا مِنْ نَشْوَةٍ ، وَمُوَرَّدُ ٱلْـخَـدَّيْنِ غَـيْـرُ مَـرِيبِ
يَبْدُو سَدَادُ ٱلرَّأْيِ فِي رَايَاتِهَا وَأُمُورُهَـا تَـجْرِي عَلَى تَجْرِيبِ
وَتَرَى ٱلطُّيُورَ عَصَائِباً مِنْ فَوْقِهَا لِحُلُولِ يَوْمٍ ، فِي ٱلضَّلَالِ ، عَصِيبِ
هَذَّبْتَهَا فَٱلْعَرْضُ يُذْكِرُ يَوْمُهُ عَـرْضَ ٱلْوَرَى لِلْمَوْعِدِ ٱلْمَكْتُوبِ
وَهِيَ ٱلْكَتَائِبُ إِنْ تُنُوسِيَ عَرْضُهَا كَـانَـتْ مُـدَوَّنَةً بِلَا تَـهْذِيبِ[171]
حَتَّى إِذَا فَرَضَ ٱلْجِلَادُ جِدَالَهَا وَرَأَيْتَ رِيحَ ٱلنَّصْرِ ذَاتَ هُبُوبِ[172]
قَـدَّمْتَ سَـالِـبَـةَ ٱلْـعَـدُوِّ وَبَـعْـدَهَـا
أُخْرَى لِعِزِّ ٱلنَّصْرِ[173] ذَاتُ وُجُوبِ (ف 44 ب)
وَإِذَا تَوَسَّطَ فَصْلُ[174] سَيْفِكَ عِنْدَهَا جُزْأَيْ قِيَاسِكَ فُزْتَ بِٱلْمَطْلُوبِ[175]
وَتَـبَـرَّأَ ٱلشَّيْطَانُ لَـمَّا أَنْ رَأَى حِزْبَ ٱلْهُدَى مِنْ حِزْبِهِ ٱلْمَغْلُوبِ
ٱلْأَرْضُ إِرْثٌ وَٱلْـمَـطَـامِعُ جَـمَّةٌ كُـلٌّ يَـهُشُّ إِلَى ٱلْتِمَاسِ نَصِيبِ
وَخَلَائِفُ ٱلتَّـقْـوَى هُـمُ وُرَّاثُـهَـا فَإِلَيْكَهَا بِٱلْحَظِّ وَٱلتَّعْصِيبِ[176]
لَكَأَنَّنِي بِكَ قَدْ تَرَكْتَ رُبُوعَهَا قَـفْـراً بِـكَـرِّ ٱلْغَزْوِ وَٱلتَّعْقِيبِ
وَأَقَـمْتَ فِـيهَـا مَأْتَماً ، لَكِنَّهُ عُـرْسٌ لِـنَـسْـرٍ بِـٱلْـفَلَاةِ وَذِيبِ
وَتَرَكْتَ مُفْلَتَهَا بِقَلْبٍ وَاجِبٍ رَهَـباً ، وَخَـدٌّ بِـٱلْأَسَى مَـنْـدُوبِ

---

(170) لام : ج . لأمة : الدرع ، وألف القنا : المقصود به الرماح والمقصود أن يجمعها كما يجمعان في الكتابة .

(171) يعني بالمدونة : مدونة سحنون . وبالتهذيب : تهذيب البراذعي .

(172) هذا البيت واللذان يليانه في السحر والشعر مخ . لوحة : 64 وفي النفح (ج : 9، ص : 173) وزهرة الأكم في الأمثال والحكم لوحة 301/ 302.

(173) السحر والشعر والنفح : بالنصر .

(174) في السحر والشعر والنفح : حدّ

(175) ذكر القضية السالبة وهي : ما حكم فيها بنفي المحمول عن الموضوع نحو : ليس كل مغربي جاهلا حقوقه . وأما القضية الموجبة فهي ما حكم فيها بثبوت المحمول للموضوع نحو أكبر مدينة في المغرب الدار البيضاء . والقياس المنطقي هو قول مركب من قضيتين متى سلمناهما لزم عنهما لذاتهما قول آخر يسمى بالنتيجة نحو الخمر مسكر وكل مسكر حرام : الخمر حرام .

(176) في هذا تورية بالفقه . فالحظ النصيب ، والتعصيب : ما تبقّى بعد ميراث أولي الفروض والإشارة إلى قوله تعالى : « إن الأرْض لِلّه يُورِثُها مَنْ يَشاءُ مِنْ عِبَادِهِ ، والْعاقِبَةُ لِلْمُتّقِينَ » .

تَبْكِي نَوَادِبُهَا وَيَنْقُلْنَ ٱلْخُطَى ... مِنْ شِلْوِ طَاغِيَةٍ لِشِلْوِ صَلِيبِ[177]
جَعَلَ ٱلْإِلَاهُ ٱلْبَيْتَ مِنْكَ مَثَابَةً ... لِلْعَاكِفِينَ ، وَأَنْتَ خَيْرُ مُثِيبِ
فَإِذَا ذُكِرْتَ كَأَنَّ هَبَّاتِ ٱلصَّبَا ... فَضَّتْ بِمَدْرَجِهَا لَطِيمَةَ طِيبِ
لَوْلَا ٱرْتِبَاطُ ٱلْكَوْنِ بِٱلْمَعْنَى ٱلَّذِي ... قَصُرَ ٱلْحِجَا عَنْ سِرِّهِ ٱلْمَحْجُوبِ
قُلْنَا لِعَالَمِكَ ٱلَّذِي شَرَّفْتَهُ ... حَسَدَ ٱلْبَسِيطُ مَزِيَّةَ ٱلتَّرْكِيبِ
وَلِأَجْلِ قُطْرِكَ شَمْسُهَا وَنُجُومُهَا ... عَدَلَتْ عَنِ[178] ٱلتَّشْرِيقِ لِلتَّغْرِيبِ
تَبْدُو بِمَطْلَعِ أُفْقِهَا فِضَّيَّةً ... وَتَغِيبُ عِنْدَكَ ، وَهْيَ فِي تَذْهِيبِ
مَوْلَايَ أَشْوَاقِي إِلَيْكَ تَهُزُّنِي
وَٱلنَّارُ تَفْضَحُ عَرْفَ عُودِ ٱلطِّيبِ (ف 45 أ)
بِحُلَى عُلَاكَ أَطَلْتُهَا وَأَطَبْتُهَا ... وَلَكَمْ مُطِيلٍ ، وَهْوَ غَيْرُ مُطِيبِ
طَالَبْتُ أَفْكَارِي بِفَرْضِ بَدِيهِهَا ... فَوَفَتْ بِشَرْطِ ٱلْفَوْرِ وَٱلتَّرْتِيبِ[179]
مُتَنَبِّي[180] أَنَا فِي حُلَا تِلْكَ ٱلْعُلَى ... لَكِنَّ شِعْرِي فِيكَ شِعْرُ حَبِيبِ[181]
وَٱلطَّبْعُ فَحْلٌ ، وَٱلْقَرِيحَةُ حُرَّةٌ ... فَاقْبَلْهُ بَيْنَ نَجِيبَةٍ وَنَجِيبِ
لَكِنَّنِي سَهَّلْتُهَا وَأَدَلْتُهَا ... مِنْ كُلِّ وَحْشِيٍّ بِكُلِّ رَبِيبِ
هَابَتْ مَقَامَكَ فَاطَّبَيْتُ صِعَابَهَا ... حَتَّى غَدَتْ ذُلُلاً عَلَى ٱلتَّدْرِيبِ
إِنْ كُنْتُ قَدْ قَارَبْتُ فِي تَعْدِيلِهَا ... لَابُدَّ فِي ٱلتَّعْدِيلِ[182] مِنْ تَقْرِيبِ
عُذْرِي لِتَقْصِيرِي وَعَجْزِي نَاسِخٌ ... وَيَجِلُّ مِنْكَ ٱلْعَفْوُ عَنْ تَثْرِيبِ
مَنْ لَمْ يَدِنْ لِلَّهِ فِيكَ بِقُرْبَةٍ ... هُوَ مِنْ جَنَابِ ٱللَّهِ غَيْرُ قَرِيبِ
وَٱللَّهِ مَا أَخْفَيْتُ حُبَّكَ خِيفَةً ... إِلَّا وَأَنْفَاسِي عَلَيَّ تَشِي بِي[183]

(177) في النفح : سليب
(178) في النفح : من
(179) في هذا اشارة فقهية تتعلق بالوضوء .
(180) يقصد أبا الطيب أحمد بن الحسين المتنبي (303 ــ 354هـ)
انظر : الاعلام (ج : 1 ، ص : 111)
(181) يقصد أبا تمام الشاعر المعروف (188 ــ 231هـ)
انظر الاعلام (ج : 2 ، ص : 170)
(182) اعتدل الشعر : اتزن واستقام ، وعدلته أنا . والتقريب والتعديل من مصطلحات الحساب والفلك .
(183) هذا البيت غير موجود في النفح والإحاطة .

26

وَقُلْتُ أُخَاطِبُ ٱلْمُتَوَثِّبَ[184] عَلَى ٱلدَّوْلَةِ ٱلنَّصْرِيَّةِ أُغْرِيهِ بِقَوْمٍ[185] مِنْ أَعْدَائِي ٱلْبَاغِينَ عَلَيَّ لِغَيْرِ عِلَّةٍ إِلَّا ٱلْحَسَدَ وَٱلْبَطَرَ وَعَجَّلَ ٱللَّهُ نَكَالَهُمْ. وَلَهُ ٱلْحَمْدُ سُبْحَانَهُ: [186]

(السريع)

مَوْلَايَ، يَا خَيْرَ مُلُوكِ ٱلْوَرَى ... وَنُخْبَةَ ٱلنَّصْرِ وَأَرْبَابِهِ[187]

قُمْتَ بِأَمْرٍ، أَنْتَ أَهْلٌ لَهُ، ... فَلْتَأْتِ هَذَا ٱلْأَمْرَ مِنْ بَابِهِ

لَا تُدْنِ مِنْ بَابِكَ[188] شَخْصاً يَرَى ... بِأَنَّهُ فِي ٱلنَّاسِ أَوْلَى بِهِ (ف 46 ب)

وَعِنْدَهُ مَالٌ وَمِنْ خَلْفِهِ ... أَيْدٍ تَعَلَّقْنَ بِأَهْدَابِهِ

لَا سِيَّمَا مَنْ دَخَلَتْ[189] أُذْنُهُ ... وَٱنْتَفَخَتْ مِنْ تَحْتِ أَثْوَابِهِ

وَخَافَ مِنْهُ[190] ٱلْمُلْكُ فِيمَا مَضَى ... وَكَانَ يَنْوِي قَطْعَ أَسْبَابِهِ

قَدْ أَفْسَدَتْ أَقْوَالُ كُهَّانِهِ ... فِكْرَتَهُ ٱلْيَوْمَ بِأَكْذَابِهِ

يَنْظُرُ فِي ٱلْمِرْآةِ مِنْ وَجْهِهِ ... بَيْنَ مَوَالِيهِ وَأَحْزَابِهِ.

عَرُوسَ مُلْكٍ طَالَمَا أُعْمِلَتْ ... فِي عَقْدِهِ أَرْجُلُ خُطَّابِهِ

فَهَمُّهُ ٱسْتِبْدَالُ قُوَّادِهِ ... وَفِكْرُهُ ٱسْتِنْخَابُ كُتَّابِهِ

إِنْ نَامَ كَانَتْ حُلْمَ أَفْكَارِهِ ... أَوْ قَامَ كَانَتْ نُصْبَ مِحْرَابِهِ

يَنْقُدُكَ ٱلْغِيبَةَ[191] مَهْمَا خَلَا ... مَا بَيْنَ أَهْلِيهِ وَأَصْحَابِهِ

وَيَجْذِبُ ٱلْجُنْدَ إِلَى نَفْسِهِ ... بِخَادِعِ ٱلْقَوْلِ وَخَلَّابِهِ

كَانَ بِهِ إِنْ لَمْ تَكُنْ حَازِماً ... وَٱلْوَفْدُ يَبْغِي إِذْنَ حُجَّابِهِ

وَٱلْآنَ قَدْ هَابَكَ فَاحْذَرْ فَمَا ... يَبْدَأُ فَتْكاً غَيْرُ هَيَّابِهِ

---

(184) يقصد السلطان اسماعيل.

(185) يقصد محمد بن أبي الفتح وابن عمّه رئيس الشرطة العليا ابراهيم بن أبي الفتح.

(186) وردت القصيدة في الأصول ماعدا «ق»، وفي النفاضة (ج: 2 ص: 107) عدا الاربعة الأخيرة.

(187) هذا البيت غير موجود في النفاضة.

(188) النفاضة: ملكك

(189) دخلت أذنه: فَسَدَتْ، والشّطر الثاني يقْصِد بِهِ أنَّهُ غَير أمين، وهذا معنًى يستعمله ابن الخطيب كثيرا في شعره، والمقصود «طَمِعَ في الملك».

(190) النفاضة: وخاب.

(191) في النفاضة: العيبة.

وَقَاطِعُ ٱلدَّوْلَةِ مُسْتَقْبِلٌ ... فَلْتَسْتَعِذْ مِنْ شَرِّ أَوْصَابِهِ
وَاللَّهُ يَكْفِيكَ شُرُورَ ٱلْعِدَى ... لَا يَسْتَعِينُ ٱلْعَبْدُ إِلَّا بِهِ
وَٱلْمُلْكُ لَمْ يُقْصَرْ عَلَى أُمَّةٍ ... وَإِنَّمَا ٱلْمُلْكُ لِغُلَّابِهِ (ف 47 أ)
هَذَا «ٱبْنُ هُودٍ»(192) بَعْدَ إِرْثِ ٱلْعُلَى ... فَازَ «بَنُو نَصْرٍ» بِأَسْلَابِهِ
لَا يَسْتَلِذُّ ٱلْعَيْشَ لَيْثُ ٱلشَّرَى ... حَتَّى يَذُودَ ٱلْأُسْدَ عَنْ غَابِهِ
وَإِنْ أَضَعْتَ ٱلْحَزْمَ لَمْ تَنْفَلِتْ ... مِنْ ظُفُرِ ٱلْحَيْنِ وَمِنْ نَابِهِ
لَا تَتَّهِمْنِي إِنَّنِي مُمْتَلٍ ... مِنْ حِكَمِ ٱلْمُلْكِ وَآدَابِهِ
وَعَقْلُكَ ٱلْمَوْهُوبَ حَكِّمْهُ فِي ... ٱلْأَحْوَالِ وَاشْكُرْ فَضْلَ وَهَّابِهِ
وَكُلُّ مَنْ أَدْلَلْتَهُ قَبْلَهَا ... عَلِّمْهُ بِٱلْمُلْكِ وَأَلْقَابِهِ
لَمْ يُرَ مَلْكٌ فِي زَمَانٍ خَلَا ... قَامَ لَهُ رَسْمٌ بِأَتْرَابِهِ
مَنْ قُلْتَ، يَا عَمِّ، لَهُ مَرَّةً ... ثِقْ بِتَعَاطِيهِ وَإِعْجَابِهِ
أَوْ سَيِّدِي دَامَ يَرَى سَيِّدِي ... حَقّاً لَهُ، قُمْتَ بِإِيجَابِهِ
وَٱبْسُطْ عَلَى ٱلْخَلْقِ مِنَ ٱلْعَدْلِ مَا ... يَسْتَتِرُ ٱلْخَلْقُ بِجِلْبَابِهِ
وَأَحْكِمِ ٱلسِّلْمَ لَهُمْ عَاقِداً ... عُقْدَةَ غِرٍّ ظَاهِرٍ نَابِهِ
وَمَهِّدِ ٱلسُّلْطَانَ فِعْلَ ٱمْرِئٍ ... يُخَلِّفُ ٱلْمُلْكَ لِأَعْقَابِهِ
وَبَعْدَ فَرْضِ ٱلْحَجِّ لَابُدَّ لِي ... مِنْ دَارِ مَوْلَايَ وَمِنْ بَابِهِ

27

وَأَنْشَدْتُ ٱلسُّلْطَانَ «أَبَا سَالِمٍ»(193) يَوْمَ ٱتَّصَلَ بِهِ ٱلْقَبْضُ عَلَى وَزِيرِهِ ٱلْمَدْفُوعِ لِلْخِلَافِ (ف 48 ب) عَلَيْهِ ٱلْأَخَسِّ «ٱبْنِ عُمَرَ»(194) : (195)

(192) ابن هود هذا هو الذي استولى على جزء من الأندلس في نهاية دولة الموحدين ، انظر : الاعلام (ج 9 ، ص: 111) البيان المغرب (جـ: 3 ، ص 221) أعمال الاعلام ص 170 ـ 171

(193) هو السلطان ابراهيم بن أبي الحسن المريني ، يكنّى أبا سالم .
انظـــر :
الاعلام (ج: 1 ص: 46)
الاحاطة ، مخ . لوحة 311 وما بعدها

(194) هو الحسن بن عمر الفودودي الذي كان ولاه أبو سالم على مراكش فخرج منها في صفر سنة 761هـ ولحق بتادلا منحرفا عن السلطان ، ولكنه لم يفلح في ثورته فقبض عليه وقتل .
انظـــر : =

(الطويـل)

أَيَغْلِبُ مَنْ عَادَاكَ وَٱللَّهُ غَالِبُهْ ... وَيُفْلِتُ مَنْ نَاوَاكَ وَٱلسَّيْفُ طَالِبُهْ
وَيَخْلُصُ مَنْ فِي رَاحَتَيْكَ زِمَامُهُ ... فَسَبْيُكَ كَاسِيهِ ، وَسَيْفُكَ سَالِبُهْ
كَبَا بِعِدَاكَ ٱلْجَدُّ لَمَّا تَنَكَّبُوا ... رِضَاكَ ، وطِرْفُ ٱلْبَغْيِ يُصْرَعُ رَاكِبُهْ
فَيَا ذُلَّ مَنْ عَادَاكَ ، يَا مَلِكَ ٱلْعُلَى ... لَخَابَتْ[196] أَمَانِيهِ وَسَاءَتْ عَوَاقِبُهْ
يُسَالِمُ ، مَنْ سَالَمْتَ ، دَهْرُكَ مِثْلَمَا ... يُدَافِعُ مَنْ عَادَيْتَهُ[197] وَيُحَارِبُهْ
وَلِلَّهِ ، فِي عُلْيَاكَ ، سِرٌّ مُحَجَّبٌ ... تَلُوحُ بِعِزِّ ٱلْمُسْلِمِينَ كَوَاكِبُهْ
«أَبَا سَالِمٍ» ، دِينُ ٱلْإِلَاهِ بِكَ ٱعْتَلَى ... وَأَيَّدَ رُكْنٌ مِنْهُ وَاعْتَزَّ جَانِبُهْ
دَعَا بَابُكَ ٱلْأَعْلَى ٱلْفُتُوحَ فَأَقْبَلَتْ ... أَيَمْنَعُ حَظَّ وَٱلْمُهَيْمِنُ وَاهِبُهْ
أَجَرْتَ وَآوَيْتَ ٱلْغَرِيبَ وَإِنَّهَا ... سَجِيَّةُ مَنْ عَزَّتْ وَطَابَتْ مَنَاسِبُهْ
وَأَظْهَرْتَ يَا مَوْلَى ٱلْأَئِمَّةِ نَصْرَهُ ... فَمُلْكُكَ بِالنَّصْرِ ٱسْتَقَلَّتْ رَكَائِبُهْ
وَمَنْ عَلِمَ ٱلرَّحْمٰنُ نِيَّةَ صِدْقِهِ ... أَتَتْهُ بِأَلْطَافِ ٱلْإِلَاهِ عَجَائِبُهْ
هَنِيئاً ، أَمِيرَ ٱلْمُسْلِمِينَ ، بِنِعْمَةٍ ... لَهَا أَثَرٌ فِي ٱلدِّينِ تَبْدُو مَذَاهِبُهْ
وَلَا زَالَ صُنْعُ ٱللَّهِ يَضْفُو لِبَاسُهُ ... عَلَى أَمْرِكَ ٱلْعَالِي ، وَتَصْفُو مَشَارِبُهْ
وَقَابِلْ صَنِيعَ ٱللَّهِ بِٱلشُّكْرِ وَاسْتَزِدْ ... مِنَ ٱللَّهِ صُنْعاً تُسْتَهَلُّ سَحَائِبُهْ (ف 49 أ)

28

وَقُلْتُ فِي مُخَاطَبَةِ سَاقِطٍ أَفْرَطَ فِي ٱلْخُزْوَانَةِ[198] وَتَنَاهَى وَفَخَرَ بِٱلْعَرَضِ ٱلْحَائِلِ وَبَاهَى ، وَلَهَا حِكَايَةٌ[199] وَٱللَّهُ يَتَجَاوَزُ بِفَضْلِهِ وَكَرَمِهِ.[200]

= ابن خلدون – تاريخ البربر (ج: 2، ص: 458)
الاستقصا (ج: 4، ص: 32)

(195) وردت القصيدة في الأصول ماعدا «ق» ، وفي النفاضة (ج : 2 ، ص : 266) .

(196) في النفاضة : وخابت

(197) سالمته ، في «ف»

(198) الخزوانة والخزوان : الكبر.

(199) اضافة من «م» و «ف»

(200) وردت القصيدة في الأصول ماعدا «ق»، كما أنها وردت في مجموعة أوراق بالقرويين تحت رقم : 3035ك 40 ، المجموعة الثانية (لوحة 6ب – 7أ)

(الكامـل)

يَا طَلْعَةَ ٱلشُّومِ ٱلَّتِي مَهْمَا بَدَتْ ... بَيِّسَتْ عُفَاةُ ٱلنُّجْحِ مِنْ أَسْبَابِهِ
يَا وَقْفَةَ ٱلرَّاعِي بِمَقْتَلِ وَاحِدٍ ... أَذْكَى عَلَى ٱلْأَحْشَاءِ حَرَّ مُصَابِهِ
يَا زَوْرَةَ ٱلْأَلَمِ ٱلَّذِي مَهْمَا يُرَى ... جَاءَتْ رِكَابُ ٱلْمَوْتِ فِي أَعْقَابِهِ
يَا فُرْقَةَ ٱلسَّكَنِ ٱلَّذِي لَا تَرْتَجِي[201] ... يَوْمَ ٱلْوَدَاعِ ، ٱلنَّفْسُ يَوْمَ إِيَابِهِ
يَا صِبْغَةَ ٱلشَّيْبِ ٱلْمِلِمِّ بِعَارِضٍ ... زَجَرَتْ حَمَائِمُهُ غُرَابَ شَبَابِهِ
يَا مَوْقِعَ ٱلْفَقْرِ ٱلشَّدِيدِ عَلَى ٱلْغِنَى[202] ... مِنْ ذِي ضَنًى تُغْرِي ٱلْفَلَا بِرِكَابِهِ
يَا وَقْفَةَ ٱلطُّلَّابِ فِي بَابِ ٱمْرِئٍ ... تُحْزَى سِبَالُهُمُ[203] لَدَى بَوَّابِهِ
يَا خَجْلَةً مِنْ ضَارِطٍ فِي مَحْفَلٍ ... تَبْقَى غَضَاضَتُهَا عَلَى أَعْقَابِهِ
وَفَضِيحَةَ ٱلْخَوَّانِ لَمَّا أُلْفِيَتْ ... أَسْبَابُ مَنْ يَبْغِيهِ تَحْتَ ثِيَابِهِ
يَا مَنْ تَشَكَّى عَصْرُهُ[204] مِنْ عَارِهِ ... يَا مَنْ تَبَرَّمَ دَهْرُهُ مِنْ عَابِهِ
يَا مَنْ يَغَصُّ بِهِ ٱلزَّمَانُ نَدَامَةً ... مِنْ كَفِّهِ وَتَرَاهُ قَارِعَ نَابِهِ
وَيَغُصُّ مِنْ فَرْطِ ٱلْحَيَاءِ[205] جُفُونَهُ
مِنْ سُوءِ مَا قَدْ جَاءَهُ وَأَتَى بِهِ (ف 50 ب)
يَا مَنْ تَجَمَّلَ بِٱلْحَرَامِ وَإِنَّمَا ... قَدْرُ ٱلْفَتَى مَا كَانَ تَحْتَ إِهَابِهِ
هَلَّا ذَكَرْتَ ، وَكَيْفَ ، وَهْيَ فَضِيلَةٌ ... مَا إِنْ يَضُرُّ ٱلْعَضْبَ لَوْنُ قِرَابِهِ

29

وَقُلْتُ فِي قَرِيبٍ مِنْهُ :[206]

(الطويـل)

رَأَيْتُ بِمَحْدُومِي ٱنْتِفَاخاً فَرَابَنِي ... وَبَادَرْتُ دُكَّانَ ٱلطَّبِيبِ كَمَا وَجَبْ
فَقَالَ وَقَاكَ ٱللَّهُ فِيهِ فَلَا تَخَفْ ... عَلَيْهِ ، فَهَذَا ٱلنَّفْخُ ، لَيْسَ لَهُ سَبَبْ

(201) في المجموعة : لا يرتجى . وكذلك «ف»
(202) في المجموعة : النوى
(203) السبال ، ج : سبلة : اللحية .
(٥) ديباجة المجموعة «ومن ذلك في مخاطبة ساقط أفوط في الحنزوانة وتناهى وفخر بالعرض الحائل وباهى»
(204) في «م» دهره
(205) في المجموعة : الحميا
(206) وردت في الأصول ماعدا «ق»

30

وَخَاطَبْتُ رَئِيسَ[207] ٱلْكُتَّابِ بِٱلْمَغْرِبِ ، وَقَدْ صَارَتِ ٱلْكُتُبُ ٱلسُّلْطَانِيَّةُ تَرِدُ مِنْهُمْ مُخْتَصَرَةً ، فَأَقْلَقَ ٱلسُّلْطَانَ ذَلِكَ . وَهِيَ مِنَ ٱلصَّبِّبِ : [208]

(الوافـر)

أَجِـلُّكَ أَنْ يُـلِـمَّ بِكَ ٱلْعِتَابُ ، وَوُدُّكَ لَا يُـدَاخِـلُـهُ ٱرْتِـيَـابُ
وَأَسْتَـعْـدِي عُلَاكَ عَلَى ٱخْتِصَارٍ إِذَا مَا عَادَ لِي مِنْكَ ٱلْجَوَابُ
وَلِلْإِنْصَـافِ قُسْـطَـاسٌ قَـوِيـمٌ يَبِينُ بِهِ مِنَ ٱلْخَطَإِ ٱلصَّوَابُ
أَيُطْنِبُ فِي مَعَانِيهَا ٱلْمَعَالِي بِرَبْعِكُمُ وَيُخْتَصَرُ ٱلْكِتَابُ
وَمَنْ يُعْطِي ٱلْجَزِيلَ بِلَا حِسَابٍ يَكُونُ ، لَهُ عَلَى لَفْظٍ حِسَابُ ؟!

31

وَمِنَ ٱلْإِخْوَانِيَّاتِ ٱلْمُتَقَدِّمَةِ ٱلزَّمَانِ قَوْلِي فِي ٱسْتِدْعَاءِ زِيَارَةٍ : [209] (ف 51 أ)

(الطويـل)

جَوَانِحُنَا نَحْوَ ٱللِّقَاءِ جَوَانِحٌ وَمِقْدَارُ مَا بَيْنَ ٱلدِّيَارِ قَرِيبُ
وَتَمْضِي ٱللَّيَالِي وَٱلتَّزَاوُرُ مُعْوِزٌ عَلَى ٱلزَّعْمِ مِنَّا ، إِنَّ ذَا لَغَرِيبُ
فَدَيْتُكَ عَجِّلْهَا ٱلْعَشِيَّ زِيَارَةً وَلَوْ مِثْلَ مَا رَدَّ ٱللِّحَاظَ مُرِيبُ[210]
وَإِنَّ لِقَاءً جَلَّ[211] عَنْ ضَرْبِ مَوْعِدٍ لَأَكْرَمُ مَا يُهْدِي ٱلْأَرِيبَ أَرِيبُ

---

(207) يقصد أبا القاسم بن رضوان تقدمت ترجمته ص : 97.
(208) وردت في الأصول ماعدا «ق» . ونزهة البصائر والابصار لوحة 135 . وهذا البيت الأخير مأخوذ من قول أبي حفص : يا جواداً بالثّراء وبَخيلا بالثّناء
(209) وردت في الأصول ماعدا «ق» . والاحاطة (جـ: 2 ص 184) والمخاطب بها محمد بن قطبه الدوسي أبو القاسم .
(210) الإحاطة : رَقيبُ
(211) الإحاطة : جَاء

32

وَقُلْتُ مُلْغِزاً فِي ٱللَّوْحِ ٱلْمَصْقُولِ ٱلْمُتَّخَذِ لِلإِسْتِمْلَاءِ : [212]

(الوافـر)

وَأَبْيَضَ مِنْ ذَوِي ٱلْأَشْجَارِ يَبْدُو ... لَـهُ خَـدٌّ كَـمِـرْآةِ ٱلْغَرِيبَهْ[213]
وَرُبَّـتَـمَـا تَـلَـوَّنَ بِـاخْـتِـيَـارٍ ... لَـهُ قَـانٍ[214] ، كَـمُـلْـتَـبِسٍ بِـرِيبَهْ
وَرُبَّـتَـمَـا يَـكُـونُ بِـهِ مُـصَـلًّى ... تَـرَى ٱلصُّـفْـرَ ٱلْـوُجُـوهَ بِـهِ مُـنِـيبَهْ
يَـبُـثُّ لَكَ ٱلْـمَـسَـائِـلَ وَٱلْـمَـعَـانِـي ... وَإِنْ يَـسْـأَلْـهُ شَـخْـصٌ لَـنْ يُـجِـيبَهْ
وَكَـمْ ضَـرْبٍ يُـقَـاسِـي كُـلَّ يَـوْمٍ ... إِذَا ضُـرِبَـتْ عَـلَـى قَـوْمٍ ضَـرِيبَهْ
وَيَـحْـوِي ٱلنَّـحْـوَ ، لَا بَلْ كُـلَّ عِـلْـمٍ ، ... وَيَـرْوِي ٱلشِّـعْـرَ مِـنْ مَـدْحٍ وَغِـيبَهْ

33

وَقُلْتُ فِي ٱلتَّوْرِيَـةِ : [215] (الطويـل)

بِـنَـفْـسِـي غَـزَالٌ فِـي ثَـنَـايَـاهُ «بَـارِقٌ»
وَلَـكِـنَّـهَـا لِـلْـوَارِدِيـنَ عِـذَابُ

---

(212) وردت في الأصول كلّها وهي الثامنة في «ق»

(213) أصله في المثل «أنقى من مرآة الغريبة»
انظر : ثمار القلوب ، ص : 255

(214) في الأصول : ثان ، ولعلّ الصواب ما أثبتنا

(215) يورّى بأسماء هذه الأمكنة : بارق جبل للازد في اليمن أو ماء بالعراق وهو الحدّ بين القادسية والبصرة ، وهو من أعمال الكوفة ، وقد ذكره الشعراء فأكثروا
انـظـر :
معجم البلدان (ج: 1، ص: 319)
لسان العرب (ج: 39، ص: 18)
وعقيق بفتح أوله وكسر ثانيه وقافين بينهما ياء مثناة من تحت يطلق على المسيل من الماء ،
انظر : معجم البلدان (المجلد الثالث : ص: 138)
وحاجر بالجيم والراء ما يمسك الماء من شقّة الوادي .
انظر : معجم البلدان (المجلد الثاني ص: 204)
وقد راعَى المعنَى اللغوي في هذه التورية لهذه الألفاظ .

إِذَا كَانَ لِي مِنْهُ عَنِ[216] ٱلْوَصْلِ «حَاجِرُ»
فَدَمْعِي «عَقِيقٌ» فِي ٱلْجُفُونِ مُذَابُ[217] (ف 52 ب)

34

وَقُلْتُ فِي ٱلتَّوْرِيَةِ :[218]

(البسيط)

نَادَيْتُ دَمْعِيَ إِذْ جَدَّ ٱلرَّحِيلُ بِهِمْ
وَٱلْقَلْبُ مِنْ فَرَقِ ٱلتَّوْدِيعِ قَدْ «وَجَبَا»
سَقَطْتَ ، يَا دَمْعُ مِنْ عَيْنِي غَدَاةَ نَأَى
عَنِّي ٱلْحَبِيبُ ، وَلَمْ تَقْضِ ٱلَّذِي «وَجَبَا»[219]

35

وَقُلْتُ فِي ٱلتَّوْرِيَةِ ، وَقَدْ تُوُفِّيَ شَيْخُنَا «أَبُو جَعْفَرٍ[220] بْنُ صَفْوَانَ» رَحِمَهُ ٱللَّهُ :[221]

(الطويل)

تَوَلَّى «ٱبْنُ صَفْوَانٍ» فَلَا رَبْعَ بَعْدَهُ مِنَ ٱلْإِنْسِ إِلَّا عَادَ وَهْوَ خَرَابُ
وَقَدْ كَانَ سَيْفاً فِي ٱلْغَوَامِضِ مُنْتَضىً فَغَطَّى عَلَيْهِ لِلصَّفِيحِ قِرَابُ
وَقَدْ كَانَ «صَفْوَاناً» عَلَيْهِ طُلَاوَةٌ فَأَصْبَحَ «صَفْوَاناً»[222] عَلَيْهِ تُرَابُ

---

(216) في النفح : حبيب
(217) في النفح : على
(218) وردت في الأصول كلّها ، وهي السادسة في «ق» . وفي النفح (ج: 9، ص: 174 و204)
(219) ورد البيتان في الأصول ما عدا «ق» وفي النفح (ج: 9، ص: 202)، والازهار (ج: 1ص: 304)
(220) وروى فعل «وجب» الذي معناه في الأول خفق واضطرب ، وفي الثاني معناه : تحتّم
(221) أحمد بن صفوان (675 ــ 763هـ/1277 ــ 1362م) من مؤلفاته مطالع الانوار الالاهية ديوان شعر . انظر : معجم المؤلفين العرب (ج: 1 ص: 134)
(222) وردت في الأصول ماعدا «ق»
(223) الصفوان : الصخر الأملس : قال تعالى : «كصفوان عليه تراب» ويقصد بـ«صفوان» الأولى انه كان ضاحكا مستبشرا

36

وَقُلْتُ فِي التَّوْرِيَةِ : [224]

(الكامل)

أَرْسَلْتُ عَيْنِي فِي حُلَاكَ بِنَظْرَةٍ هِيَ كَانَتِ «السَّبَبَ الْقَرِيبَ» لِمَا بِي
وَأَرَاكَ بِالْعَبَرَاتِ قَدْ عَاقَبْتَهَا لَيْسَ الرَّسُولُ بِمَوْضِعِ لِعِقَابِ

37

وَقُلْتُ أُخَاطِبُ وَلَدِي وَأَمَرْتُهُ بِحِفْظِ حِكْمَتِهَا : [225]

(الوافر)

إِذَا ذَهَبَتْ يَمِينُكَ لَا تُضَيِّعْ زَمَانَكَ فِي الْبُكَاءِ عَلَى الْمُصِيبَهْ
وَيُسْرَاكَ اغْتَنِمْ فَالْقَوْسُ تَرْمِي وَلَا تَدْرِي أَرَشْقَتُهَا قَرِيبَهْ (ف 53 أ)
وَمَا بِغَرِيبَةٍ نُوَبُ اللَّيَالِي وَلَكِنَّ النَّجَاةَ هِيَ الْغَرِيبَهْ

38

وَقُلْتُ فِي قَرِيبٍ مِنْهُ : [226]

(الوافر)

إِذَا فَكَّرْتَ فِي وَطَنٍ كَرِيمٍ نَبَتْ بِكَ عَنْهُ نَائِبَةُ اغْتِرَابِ
وَعَوَّضَكَ الزَّمَانُ بِشَرِّ دَارٍ وَسُكْنَى مَنْزِلٍ وَحْشِ الْجَنَابِ
فَأَبْدِ بِمَا انْتَقَلْتَ لَهُ اغْتِبَاطاً وَفَكِّرْ فِي انْتِقَالِكَ لِلتُّرَابِ

---

(224) وردت في الأصول ، ماعدا «ق»، وفي النفح (ج: 9، ص: 177) وفي النفاضة (ج: 2، ص: 166)

(225) وردت في الأصول ماعدا «ق»، وفي الازهار (ج: 1، ص: 299) وفي النفاضة (ج: 2، ص: 165) واستنزال اللطف (لوحة 30)

(226) وردت في الأصول ما عدا «ق».

39

وَقُلْتُ فِي غَرَضِ ٱلتَّوْرِيَةِ : [227] *

(البسيط)

لَا عَدْلَ فِي ٱلْمُلْكِ إِلَّا وَهْوَ قَدْ نَصَبَهْ ... وَصَيَّرَ ٱلْخَلْقَ فِي مِيرَاثِهِ [228] عَصَبَهْ
«وَالكَفَّتَانِ» تُرَى مِنْ كَفِّهِ طُلِبَا [229] ... أَنْ تُخْرِجَا ٱلْعَدَدَ ٱلْمَجْهُولَ لِلطَّلَبَه [230]

40

وَقُلْتُ مِنَ ٱلْمُلَحِ : [231]

(الخفيف)

يَا أَدِيباً أَزْرَى بِكُلِّ أَدِيبِ ... ضَرَبُ ٱلشَّهْدِ أَنْتَ دُونَ ضَرِيبِ [232]
زَعَمَ ٱلنَّاسُ أَنَّ طَبْعَكَ حُلْوٌ ... قُلْتُ : وَٱلطَّبْعُ بِاصْطِلَاحِ ٱلطَّبِيبِ

41

وَقُلْتُ عَلَى لِسَانِ فَرَسٍ عَتِيقٍ أُهْدِيَ لِسُلْطَانِ ٱلْأَنْدَلُسِ مِنْ بَابِ صَاحِبِ ٱلْمَغْرِبِ [233] ، وَذُكِرَ أَنَّ بِعُرْقُوبِهِ جَرَاداً [234] ، وَأَرَدْتُ أَنْ أُشْعِرَ ٱلْمُهْدِي بِذَلِكَ . وَصَدَرَتْ بَعْدَ نَثْرٍ يُمَهِّدُ لَهَا [235] ** (ف 54 ب)

---

(227) وردت في الأصول ماعدا «ق»، وفي النفح (ج: 9، ص: 204) والاحاطة لوحة 450

(*) ديباجة الاحاطة «وقلت في غرض المدح وأشير إلى الكفتين من العدد المستخرج بهما المجهول» .

(228) في النفح ميزانه

(229) في النفح : درتا

(230) يوري هنا بالكفتين اللتين يستخرج بهما العدد المجهول في مسائل الارث .

(231) ورد البيتان في الأصول ماعدا «ق»

(232) الضريب : الشبيه ،

(233) صاحب المغرب : يقصد عمر بن عبد الله .

(234) الجراد : ورم في عرقوب الدابة يعظم حتّى يمنعها من السعي والمشي .

(235) ورد البيتان في الأصول ماعدا «ق» وفي الاحاطة لوحة 448

(**) جاء في الاحاطة «وقلت في التورية أيضا وقد أهدَى الوزير عمر بن عبد الله فرسا به جردٌ في عرقوبه» .

(البسيط)

أَشْكُو إِلَى ٱلصَّيدِ مِنْ «أَبْنَاءِ يَعْقُوبِ» وَٱلنُّجْحُ مَا بَيْنَ مَضْمُونٍ وَمَرْقُوبِ
زَرَعْتُ «عُرْقُوبَ» أَرْضِي مِنْ شَعِيرِكُمْ جَاءَ «ٱلْجَرَادُ» فَأَفْنَى زَرْعَ «عُرْقُوبِي»[236]

42

وَحَضَرْنَا بِزَاوِيَةِ «يَحْيَى ٱلْبُرغُوَاطِي»[237] وَأَوْقَدَ نَاراً فِي حَشِيشٍ لِطَبْخِ طَعَامٍ، فَقَالَ صَاحِبُنَا «أَبُو عَبْدِ ٱللَّهِ بْنُ زَمْرَكٍ[238]» فِي ذَلِكَ:[239]

(الخفيف)

أَضْرَمَ ٱلنَّارَ فِي ٱلْحَشَائِشِ «يَحْيَى» مِثْلَمَا تُضْرِمُ ٱلْحَشِيشُ بِقَلْبِهْ

وَقُلْتُ مُجِيزاً لَهُ:

حَفِظَ ٱللَّهُ قَلْبَهُ مِنْ فَسَادٍ مِثْلَمَا يَحْفَظُ ٱسْمَهُ مَعَ قَلْبِهْ[240]

43

وَقُلْتُ فِي صَاحِبِ دُؤَابَةِ شَعَرٍ:[241]

---

(236) العرقوب من الدابة ما يكون في رجلها بمنزلة الركبة في يديها. ومن الوادي ما انحنى منه والتوى.

(237) كان يحيى فصيحا متصوفا حفظ منازل السائرين للهروي وتائية ابن الفارض
انظر:
النفح (ج: 8، ص: 298)
الاحاطة مخ. لوحة 423 — 424

(238) هو محمد بن زمرك (733 — 793هـ/1333 — 1390م)
انظر
الاعلام (ج: 8، ص: 29)
معجم المؤلفين العرب (ج: 12، ص: 131)

(239) ورد في الأصول ماعدا «ق»

(240) يدعو عليه بالسلامة، ومقلوب اسم: سُمٌّ، وَ«يَحْيَى»: حَيَّة.

(241) ورد في الأصول ما عدا «ق» وفي السحر والشعر لوحة 30 والاحاطة مخ. لوحة 542.

(رمـــل)

يَا . غَزَالاً تَرَكَ ٱلْقَلْبَ ٱلْمُبَلَّى حِينَ وَلَّى فِي خُفُوقٍ وَكَآبَهْ
كَيْفَ يَشْكُو ٱلْقَلْبُ مِنِّي خَفَقَاناً وَدَوَاءُ ٱلْمِسْكِ فِي تِلْكَ ٱلذُّؤَابَهْ

44

وَقُلْتُ فِي بَعْضِ ٱلْأَصْحَابِ ، وَقَدْ قَتَلَهُ مَنْ كَانَتْ لَهُ بِهِ عَلَاقَةُ هَوَى ، تَجَاوَزَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْجَمِيعِ : (242)

(البسيـــط)

يَا شَمْسَ فَضْلٍ ، سَنَاهَا لَيْسَ يَحْتَجِبُ وَٱلشَّمْسُ تُسْفِرُ أَحْيَاناً وَتَنْتَقِبُ
كَلِفْتَ بِٱلْبَدْرِ ، وَٱلْأَقْدَارُ غَالِبَةٌ تَقْفُو مَدَارِجَهُ طَوْراً وَتَعْتَقِبُ (ف 55 أ)
وَٱلْبَدْرُ يَكْسِفُ جِرْمَ ٱلشَّمْسِ عَادَتَهُ هَذَا ٱلْخُسُوفُ ٱلَّذِي قَدْ كُنْتُ أَرْتَقِبُ

45

وَقُلْتُ فِي رِثَاءِ صَدِيقَيْنِ قَرُبَتْ وَفَاتُهُمَا ، رَحْمَةُ ٱللَّهِ عَلَيْهِمَا : (243)

(السريـع)

يَا نَفْسُ لَا تُصْغِي إِلَى سَلْوَةٍ كَم أَخْلَفَ ٱلْمَوْعِدَ «عُرْقُوبُ» (244)
رَأَيْتَ يَا قَلْبِيَ وَصَّاكَ «إِبْـ ـرَاهِيمُ» بِٱلْحُزْنِ وَ«يَعْقُوبُ»

46

وَقُلْتُ أُخَاطِبُ ٱلسُّلْطَانَ أَيَّامَ غَابَ عَنْ دَارِ مُلْكِهِ بِمَدِينَةِ «مَالَقَةَ» (245) وَٱسْتَنَابَنِي عَنْهُ

(242) وردت في الأصول ماعدا «ق»
(243) ورد البيتان في الأصول ماعدا «ق» وفي النفح (ج: 9، ص: 199 وج: 5، ص: 83) والازهار (ج: 1، ص: 300)
(244) هذا مأخوذ من أمثالهم في خلف الوعد : مواعيد عرقوب
انظـــر :
- ثمار القلوب (ص : 102 و103)
لسان العرب (ج: 1، ص: 595)
(245) مالقة : اسم لمدينة وولاية على ساحل البحر الأبيض المتوسط ، وفي أيام ابن الخطيب كانت =

بِحَضْرَةِ مُلْكِهِ « غَرْنَاطَةَ » : [246]

(البسيط)

تَقُولُ « غَرْنَاطَةٌ » يَوْماً « لِمَالَقَةٍ » لَمَّا ٱسْتَرَاحَتْ لِوَعْدٍ مِنْكَ مَرْقُوبِ
أَمْسَكْتِ « يُوسُفَ » عَنِّي فِعْلَ ظَالِمَةٍ فَهَلْ لِيَ ٱلْيَوْمَ إِلَّا حُزْنُ « يَعْقُوبِ » [247]

47

وَقُلْتُ أَيضاً : [248]

(الكامل)

وَكَأَنَّمَا صُوَرُ ٱلزُّجَاجِ وَقَدْ رَمَتْ أَيْدِي ٱلْمِزَاجِ عَلَى ٱلْكُؤُوسِ حَبَابَا
مَلِكَانِ قَدْ قَعَدَا قُعُودَ تَشَاوُرٍ عَمَّتْ جُيُوشُهُمَا ٱلْجِهَاتِ قِبَابَا

48

وَكَتَبْتُ إِلَى أَحَدِ ٱلْقُضَاةِ صُحْبَةَ زُجَاجَةٍ فِيهَا مَاءُ وَرْدٍ مُصَعَّدٌ : [249] (ف 56 ب)

(الكامل)

خُذْهَا مُجَاجَةَ مَاءِ زَهْرٍ بَاسِمٍ مِنْ فَوْقِ غُصْنٍ لِلرِّيَاضِ رَطِيبِ
أَهْدَيْتُهَا طِيباً إِلَيْكَ وَإِنْ يَكُنْ عِلْمِي بِأَنَّكَ طَيِّبُ ٱلطِّيبِ
أَرَأَيْتَ بِنْتَ زُجَاجَةٍ وَمُجَاجَةٍ تُهْدَى إِلَى قَاضٍ مِنِ ٱبْنِ خَطِيبِ

49

وَأَنْشَدْتُ مَنِ ٱسْتَفْهَمَنِي عَنْ حَالِي : [250]

= تعتبر العاصمة الثانية بعد مدينة غرناطة في مملكة بني الأحمر.
انظر : مشاهدات لسان بن الخطيب (ص: 57)

(246) في الأصول ماعدا «ق»

(247) في هذا اشارة إلى قصة يوسف المعروفة.

(248) وردا في الأصول ماعدا «ف» و«ح»

(249) وردت في الأصول ماعدا «ق»

(250) وردت في الأصول ماعدا «ق»

(الكامل)

أَمَلِي مِنَ ٱلدُّنْيَا تَأَتِّي خَلْوَةٍ ... فِي مَنْزِلٍ بَادٍ خَصِيبِ ٱلْجَانِبِ
أَذْكِي بِهِ زَنْدَ ٱلْقِرَاءَةِ وَٱلْقِرَى ... رَحْبُ ٱلْجَنَابِ لِطَارِقٍ أَوْ طَالِبِ
حَتَّى أُلَاقِيَ ٱللَّهَ لَمْ تَصْرِفْنِي ٱلْـ ... ـأَوْهَامُ عَنْهُ بِشَاغِلٍ أَوْ شَاغِبِ

50

وَقُلْتُ لَمَّا قَلَّدَنِي ٱلسُّلْطَانُ فِي زَمَنِ ٱلْفَتَاءِ كِتَابَةَ ٱلسِّرِّ مُوَرِّياً «بِٱلْكَاتِبِ» مِنَ ٱلسَّيَّارَةِ وَهُوَ ٱلَّذِي بَيْتُهُ فِيهِ شَرَفُهُ بِخِلَافِ غَيْرِهِ مِنَ ٱلْكَوَاكِبِ : (251)

(المتقارب)

بَأَوْتُ عَلَى زَمَنِي هِمَّةً ... فَأَعْتَبَنِي ٱلزَّمَنُ ٱلْعَاتِبُ
وَشَرَّفَنِي ٱللَّهُ فِي مَوْطِنِي ... وَفِي بَيْتِهِ يَشْرُفُ «ٱلْكَاتِبُ» (252)

51

وَقُلْتُ فِي هَذَا ٱلْعَهْدِ مِمَّا يُكْتَبُ فِي سِكِّينِ بَشْرٍ ٱتَّخَذَ لِلسُّلْطَانِ «أَبِي سَالِم» رَحِمَهُ ٱللَّهُ : (253)

(الطويل)

أَرَى سَيْفَ «إِبْرَاهِيمَ» بَيْنِي وَبَيْنَهُ ... مُنَاسَبَةٌ عِنْدَ ٱعْتِبَارِ ٱلْمُنَاسِبِ (ف 57 أ)
بَشَرْتُ(254) حُرُوفَ ٱلْكَتْبِ عِنْدَ ٱلْتِبَاسِهَا ... وَتَبْشُرُ حَدَّاهُ حُرُوفَ ٱلْكَتَائِبِ

52

وَقُلْتُ فِي ٱلتَّجْنِيسِ : (255)

---

(251) وردا في الأصول ماعدا «ق» كما وردا في النفح (ج : 9، ص : 169) وفي السحر والشعر ، لوحة 60

(252) الكاتب : عطارد في عرف أهل المغرب

(253) في الأصول ماعدا «ق» ، وفي الاحاطة الخ . لوحة 454

(254) بشرت : بشر الأديم وغيره قشر وجهه .

(255) في الأصول ماعدا «ق» وفي النفح (ج : 9، ص : 192) ، والازهار (ج : 1، ص : 299 و300)

(البسيط)

مَا لِي أُعَذِّبُ[256] نَفْسِي فِي مَطَامِعِهَا وَٱلنَّفْسُ تُزْرِي[257] بِتَهْذِيبِي وَتَهْذِي بِي
وَإِذَا ٱسْتَعَنْتُ عَلَى دَهْرٍ[258] بِتَجْرِبَةٍ تَأْبَى ٱلْمَقَادِيرُ تَجْرِيبِي وَتَجْرِي بِي

53

وَقُلْتُ أُخَاطِبُ ٱلْوَالِيَ ٱلْكَبِيرَ بِأَحْوَازِ «مُرَّاكُشَ» «مُحَمَّدَ[259] بْنَ حَسُّونٍ» أَثْنَاءَ نَثْرٍ وَفُنُونِ أَدَبٍ ، وَهَذَا ٱلرَّجُلُ مِنْ مَفَاخِرِ «ٱلْمَغْرِبِ» لَا يُبَرُّ عَلَى بِرِّهِ إِلاَّ ٱلْمُلُوكُ :[260]

(الكامل)

نَادَتْنِيَ ٱلْأَيَّامُ عِنْدَ لِقَائِهِ وَهْيَ ٱلَّتِي لَا تُغْفِلُ ٱلتَّنْبِيهَا
يَا «ٱبْنَ ٱلْخَطِيبِ» خَطَبْتَ بِٱلْعَزْمِ ٱلْعُلَى فَبَلَغْتَ مِنْهَا ٱلْقَصْدَ بِٱبْنِ أَبِيهَا
ٱلْوَجْهَ طَلْقاً ، وَٱلْمَعَارِفَ جَمَّةً وَٱلْجُودَ رَحْباً ، وَٱلْمَحَلَّ نَبِيهَا
أَثَرَتْ بِأَشْتَاتِ ٱلْفَضَائِلِ كَفُّهُ أَثَرَى وِلَابَتَهُ ٱلَّتِي تَجْبِيهَا

54

وَخَاطَبْتُ بَعْضَ أَهْلِ ٱلدُّنْيَا بِقَوْلِي صَدْرَ رِسَالَةٍ :[261] *

(الرمل)

يَا عِمَادِي صَحَّ عَنِّي أَنَّنِي لَكَ مَمْلُوكٌ وَتِلْمِيذٌ وَصَاحِبْ
فَإِذَا مَا لَمْ تُصَدِّقْ دَعْوَتِي
قِيلَ عَنِّي ــ وَمَعَاذَ ٱللَّهِ ــ كَاذِبْ (ف 58 ب)
فَأَعِدْ عِزِّي ، وَشَرِّفْ مَنْزِلِي وَادْعُنِي فِي ٱلْحَفْلِ مَهْمَا كُنْتُ غَائِبْ
هَذِهِ عِنْدَكَ لَا خَطَرَ لَهَا وَهْيَ عِنْدِي مِنْ سَنِيَّاتِ ٱلْمَذَاهِبْ

---

(256) في النفح أهذب.
(257) في النفح تأنف تهذيبي.
(258) في النفح أهلي.
(259) مِنْ وُلاَةِ بني مَرين.
(260) في الأصول ماعدا «ق»، والريحانة لوحة 418.
(261) وردت في الأصول ماعدا «ق»، والنفاضة (ج : 2، ص : 194).

55

وَقُلْتُ في «كِتَابِ ٱلْمَحَبَّةِ» عِنْدَ ذِكْرِ جَدْوَى ٱلْوَعْظ : (262)

(المجتث)

قَدْ كَانَ قَلْبِيَ مَهْمَا دَعَا مَقَامٌ(263) أَجَابَا
حَتَّى إِذَا صَحَّ قَصْدِي صَارَ ٱلْمَقَامُ حِجَابَا

56

وَقُلْتُ فِي غَيْرِهِ : (264)

(السريع)

كُلُّ أَذىً فَاجْعَلْهُ مَا شِئْتَهُ يَقْطَعُهُ ٱلْمَوْتُ فَأَهْوِنْ بِهِ
فَلْيَحْذَرِ ٱلْمَرْءُ دَوَامَ ٱلْأَذَى وَأَصْلُهُ ٱلْغَفْلَةُ عَنْ رَبِّهِ

57

وَقُلْتُ فِي ٱلْمِنْكَانَةِ :

(البسيط)

تَأَمَّلِ ٱلرَّمْلَ فِي ٱلْمَنْكَانِ مُنْطَلِقاً(265) يَجْرِي ، وَقَدَّرْهُ عُمْراً مِنْكَ مُنْتَهَبَا
وَٱللَّهِ لَوْ كَانَ «وَادِي ٱلرَّمْلِ»(266) يُنْجِدُهُ مَا طَالَ طَائِلُهُ إِلَّا وَقَدْ ذَهَبَا

---

(262) وردا في الأصول ماعدا «ق»، وروضة التعريف ص: 414
(263) في الأصول ماعدا «ق»، واستزال اللطف لوحة 31
(*) تقديم النفاضة «وقلت أخاطب عميد الدولة».
(264) وردا في الأصول ماعدا «ق»، والاحاطة لوحة 469 ، والنفح (ج: 9، ص: 207)
(265) في النفح منقطعا
(266) واد الرمل Guadarrama يطلق على الجبال الواقعة في شمال مجريط (مدريد) وكذلك على النهر الذي تقع عليه المدينة من فروع وادي التاجة.
انظر : مدريد العربية ص: 39 و40

58

وَقُلْتُ أَيْضاً : [267]

(السريع)

يَا وَالِيَ ٱلْعُمْرِ ، وَأَلْقَابُهُ لَهَا إِلَى ٱلتَّضْيِيعِ فَرْطُ ٱنْتِسَابْ
لَا تَأْمَنِ ٱلدَّهْرَ وَعُدْوَانَهُ عَلَيْكَ ، فَٱلدَّهْرُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابْ

59

وَقُلْتُ أَيْضاً[268] : (ف 59 أ)

(السريع)

وَٱللَّهِ مَا ٱلْبَغْلَةُ ، عِنْدِي إِذَا حَقَّقْتَ أَمْرِي غَيْرَ مَقْلُوبِهَا[269]
كِلْتَاهُمَا يَأْتِي عَلَيْهِ ٱلْمَدَى وَإِنَّمَا ٱلنَّفْسُ بِمَطْلُوبِهَا

60

وَقُلْتُ أَيْضاً ، وَٱلْإِشَارَةُ إِلَى ٱلسُّلْطَانِ « ٱلْغَنِيُّ بِٱللَّهِ » رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ : [270]

(البسيط)

يَا مَنْ دَعَانِي إِلَى رِفْدٍ يَجُودُ بِهِ « ٱلْـ ـغَنِيُّ بِاللَّهِ » مُؤْتَمّاً بِمَذْهَبِهِ
حَاشَا وَكَلَّا لِمِثْلِي يَا صَدِيقِي أَنْ يَنْسَى ٱلْغَنِيَّ وَيَسْتَجْدِي ٱلْغَنِيُّ بِهِ

61

وَقُلْتُ أَيْضاً : [271]

---

(267) في الأصول ماعدا «ق»
(268) في الأصول ماعدا «ق»
(269) مقلوبها : ٱلْبُلْغَةُ
(270) في الأصول ماعدا «ق»
(271) في الأصول ماعدا «ق»

(الوافر)

نَسَبْتَ لِيَ ٱلْمَسَاوِيَّ ٱعْتِسَافَا وَغَطَّيْتَ ٱلْمَحَاسِنَ بِٱلذُّنُوبِ
أَعَلَّامَ ٱلْغُيُوبِ جَزَاكَ عَنِّي بِمَا أَسْلَفْتَ عَلَّامُ ٱلْغُيُوبِ

62

وَقُلْتُ أَيْضاً ، وَهُوَ يَجْرِي مَجْرَى ٱلْأَمْثَالِ : (272)

(السريع)

مَنْ كَانَ فِي ٱلْحُكْمِ لَهُ نَائِبُ فَقَدْ أَصَابَتْ مَالَهُ نَائِبَهْ
وَلَّى يَداً خَائِنَةً أَمْرَهُ فَأَصْبَحَتْ صَفْقَتُهُ خَائِبَهْ

63

وَقُلْتُ فِي ٱلْمَدْحِ : (273)

(الكامل)

عَجِبَ ٱلْأَمِيرُ لِجُرْأَتِي يَوْمَ ٱلْوَغَى فَأَجَبْتُهُ وَجَلَبْتُ شَاهِدَ حُبِّهْ (ف 60 ب)
لِمَ لَا يَكُونُ ٱللَّيْثُ ، وَٱلتَّقْدُ ٱلْعِدَى ، مَنْ كُنْتَ أَنْتَ مُصَوَّراً فِي قَلْبِهِ

64

وَقُلْتُ أَيضاً فِي « عَقَبَاتِ مُنَكَّبٍ » : (274)

(المتدارك)

« عَقَبَاتُ مُنَكَّبَ »(275) نَاكِبَةٌ مَنْ أَقْدَمَ فَاقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَهْ
وَتَخَلَّصَ مِنْ دَرَكِ ٱلْمَهْوَى فَلْيَفْكُكْ عَنْ شُكْرٍ رَقَبَهْ(276)

(272) في الأصول ماعدا «ق»
(273) في الأصول ماعدا «ق»
(274) وردا في الأصول ماعدا «ق»
(275) المنكّب : مرفأ ساحلي مرتفع في جنوب شرق الأندلس بمقاطعة غرناطة
انظر : معجم الجغرافية (ج : 1، ص : 96)
(276) فيه اشارة إلى الآيتين 12 و13 من سورة البلد

65

وَقُلْتُ أَيْضاً : [277]

(مجزوء الرمل)

قُلْتُ إِذْ وَجَّهَ لِي حَبّاً مِنَ ٱلرَّمَّانِ حِبّي
مَا مَعِي حَبٌّ يُكَافِيكَ سِوَى حَبَّةِ قَلْبِي

66

وَقُلْتُ أَيْضاً : [278]

(الوافر)

شَرِقْتُ بِعَبْرَتِي لَمَّا تَغَنَّتْ عَلَى ٱلْأَوْتَارِ رَائِقَةُ ٱلشَّبَابِ
وَمَا ٱسْتَعْبَرْتُ مِنْ طَرَبٍ وَلَكِنْ يُذَكِّرُنِي ٱلرَّبَابُ هَوَى « ٱلرَّبَابِ » [279]

67

وَقُلْتُ مُتَأَسِّياً بِمَشِيبِ ٱللَّيْلِ : [280]

(الخفيف)

كُنْتُ آسَى عَلَى زَمَانٍ تَقَضَّى أَخْلَقَ ٱلدَّهْرُ مِنْهُ ثَوْباً قَشِيبَا
فَتَأَسَّيْتُ حِينَ أَبْصَرْتُ فَوْداً لِلَّيْلِ قَدْ عَمَّهُ ٱلصَّبَاحُ مَشِيبَا

68

وَقُلْتُ أَيْضاً ، [281]

---

(277) في الأصول ماعدا «ق»
(278) في الأصول ماعدا «ق»
(279) الرباب : آلة وترية شعبية ذات وتر واحد . والرباب الثانية ، اسم لامرأة
(280) في الأصول اعدا «ق»
(281) في الأصول ماعدا «ق»

(مجزوء الخفيف)

أَنْتَ فَظٌّ وَٱلْعِطْفُ بِٱلضِّـ ـدِّ وَٱلأَمْرُ مُرْتَبِكْ (ف 61 أ)
حِرْتُ مَا بَيْنَ ذَا وَ ذَا أَنَا بِاللَّهِ ثُمَّ بِكْ

69

وَقُلْتُ أَيْضاً : (282)

(الطويل)

فُؤَادِيَ مَأْمُورٌ وَلَحْظُكَ آمِرُ وَطَاعَةُ رَبِّ ٱلأَمْرِ فِي ٱلنَّاسِ وَاجِبُ
وَأَيْدَ ذَاكَ ٱللَّحْظُ مِنْكَ بِحَاجِبِ وَيَقْبُحُ أَنْ يُعْصَى أَمِيرٌ وَحَاجِبُ (283)

70

وقلت أيضا : (284)

(الطويل)

لَكَ ٱلْمُلْكُ ، مُلْكُ ٱلْحُسْنِ فَاقْضِ بِكُلِّ مَا
تَشَاءُ فَمَا يُعْصَى لِأَمْرِكَ وَاجِبُهْ
إِذَا مَا كَسَرْتَ ٱللَّحْظَ مِنْ تَحْتِ حَاجِبٍ
تَحَكَّمَ فِي ٱلأَلْبَابِ كِسْرَى وَحَاجِبُهْ

71

وَقُلْتُ أَيْضاً : (285)

(الطويل)

تَرَفَّعَ عَنْ سُلْطَانِ لَحْظِكَ حَاجِبُهْ وَمِنْ مِثْلِ هَذَا ٱلأَمْرِ ، يَعْجَبُ عَاجِبُهْ
وَمَا هُوَ إِلَّا قَائِمٌ فَوْقَ رَأْسِهِ يُوَفَّى لَهُ مِنْ مَنْصِبِ ٱلْمُلْكِ وَاجِبُهْ

---

(282) في الأصول ماعدا «ق»
(283) الحاجب: البواب وفي الأمير والحاجب تورية
(284) في الأصول ماعدا «ق» في النفح (جـ: 6 ص: 487) تحقيق احسان عباس
(285) في الأصول ماعدا «ق» وفي النفح (ج: 9، ص: 190)

72

وَقُلْتُ أَيْضاً : [286]

(السريع)

مَنْ لِي بِهِ أَسْمَرَ حُلْوِ ٱللَّمَا أَهْيَفَ مَاضِي ٱلْهَجْرِ مَرْهُوبِهِ
كَالنَّحْلِ فِي رِقَّةِ خَصْرٍ وَفِي لَسْعٍ مَتَى شَاءَ وَمَقْلُوبِهِ[287]

73

وَقُلْتُ أَيْضاً : [288]

(الكامل)

واللَّهِ مَا أَبْقَوْا لِعَذْلٍ غَايَةً فَٱللَّهُ يُحْسِبُهُمْ رِضىً وَثَوَابَا (ف 62 ب)
أَوْدَى بِصَبْرِي صُدْغُهُ لَمَّا بَدَا وَجَنَى عَلَيَّ فَسَلْسَلُوهُ عِقَابَا

74

وَقُلْتُ أَيْضاً أُعَرِّضُ بِمَنْ تَنَاوَلَ نَبَاتَ ٱلْقِنَّبِ[289] وكنيْتُ عنْهُ بِالرَّبِيعِ مُوَافَقَةً لِكُنْيَةِ أَبِي ٱلْمُخَاطَبِ[290]

(الطويل)

أَبَى «ٱبْنُ سُلَيْمَانٍ» وَفِي ٱلْفِكْرِ فَتْرَةٌ يُخَبِّرُ أَنَّ ٱلْعَقْلَ جِدٌّ مُغَيَّبِ
فَقُلْتُ أَظُنُّ ٱلسَّيِّدَ ٱعْتَمَّ عِمَّةً وَلَكِنَّهَا فِي ٱلْأَصْلِ مِنْ كُنْيَةِ ٱلْأَبِ

---

(286) في الأصول ماعدا «ق» والاحاطة، مخ. لوحة 452
(287) مقلوب النحل: النخل. واللسع : العسل
(288) في الأصول ماعدا «ق»
(289) نبات القنب هو القنب الهندي وهو نوع يستخرج منه المخدّر الضار المعروف بالحشيش والحشيشة .
انظر :
المعجم الوسيط (ج: 2 ، ص: 767)
دوزي (ج: 2، ص. 409)
(290) في الأصول ماعدا «ق»

75

وَقُلْتُ أَيْضاً : [291]

(الخفيف)

إِنَّمَا كَانَ رِيقُكَ ٱلْعَذْبُ شُهْداً حَيْثُ أَهْلُ ٱلْهَوَى ذُبَابٌ مُكِبَّهْ
ثُمَّ لَمَّا ٱلْتَحَيْتَ طَارُوا جَمِيعاً مَا لِطَرْدِ ٱلذُّبَابِ مِثْلُ ٱلْمَكَبَّهْ[292]

76

وَخَاطَبْتُ ٱلْأَحْبَابَ وَهُمْ سَاكِنُونَ « بِقَصَبَةِ ٱلْمُنَكَّبِ » عِنْدَ تَرَدُّدِ ٱلسُّلْطَانِ إِلَيْهَا صَدْرَ رِسَالَةٍ : [293]

(البسيط)

بِحَقِّ مَا بَيْنَنَا يَا سَاكِنِي « ٱلْقَصَبَهْ »[294] رُدُّوا عَلَيَّ حَيَاتِي فَهْيَ مُغْتَصَبَهْ
مَاذَا جَنَيْتُمْ عَلَى نَفْسِي بِبُعْدِكُمُ وَأَنْتُمُ ٱلْأَهْلُ وَٱلْأَحْبَابُ وَٱلْعَصَبَهْ

77

وَقُلْتُ أَثْنَاءَ مَجْلِسِ وَعْظٍ : [296]

(مديد)

صِحْتُ بِٱلرَّبْعِ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَيْتَ شِعْرِي أَيْنَ يَمْضِي ٱلْغَرِيبُ ؟!
وَبِجَنْبِ ٱلدَّارِ قَبْرٌ خَصِيبٌ مِنْهُ يَسْتَسْقِي ٱلْمَكَانُ ٱلْجَدِيبُ (ف 63 أ)
غَابَ[297] قَلْبِي فِيهِ عِنْدَ ٱلتِمَاحِي قُلْتُ : هَذَا ٱلْقَبْرُ فِيهِ ٱلْحَبِيبُ

---

(291) في الأصول ماعدا «ق»
(292) المكبّة : الغطاء . انظر : دوزي (ج: 2، ص : 436)
(293) في الأصول ماعدا «ق». في النفح (جـ: 6 ص 501)
(294) القصبة من البلاد ، مدينتها .
(295) النفح : قلبي بينكم
(296) وردت في الأصول ماعدا «ق» ، وفي النفح (ج: 9، ص: 23)، وروضة التعريف ص: 111 ، والريحانة لوحة 595
(297) في النفح والروضة : غاض

لَا تَسَلْ عَنْ رَجْعَتِي[298] كَيْفَ كَانَتْ إِنَّ يَوْمَ ٱلْبَيْنِ يَوْمٌ عَصِيبُ
بِاقْتِرَابِ ٱلْمَوْتِ عَلَّلْتُ نَفْسِي بَعْدَ إِلْفِي ، كُلُّ آتٍ قَرِيبُ

78

وَقُلْتُ أَيْضاً مُتَوَجِّعاً لِفَقْدِ ٱلشَّبِيبَةِ وَمَا يَتَعَلَّقُ بِهَذَا ٱلْمَعْنَى ، وَهِي مِنَ « الصَّيِّب » فِيمَا أَظُنُّ : [299] *

(الطويل).

جِهَادُ هَوىً لَكِنْ بِغَيْرِ (ي) ثَوَابِي وَشَكْوَى جَوىً لَكِنْ بِغَيْرِ (ي) جَوَابِي
وَعُمْرٍ تَوَلَّى فِي لَعَلَّ وَفِي عَسَى وَدَهْرٍ تَقَضَّى فِي نَوَى وَعِتَابِ
أَمَا آنَ لِلْمُنْبَتِّ فِي سُبُلِ ٱلْهَوَى بِأَنْ يَهْتَدِي يَوْماً سَبِيلَ صَوَابِ
تَأَمَّلْتُهَا خَلْفِي مَرَاحِلَ جُبْتُهَا يُنَاهِزُ فِيهَا ٱلْأَرْبَعِينَ حِسَابِي
جَرَى بِيَ طِرْفُ ٱللَّهْوِ حَتَّى شَكَا ٱلْوَجَى وَأَقْفَرَ مِنْ زَادِ ٱلنَّشَاطِ جِرَابِي
وَمَا حَصَلَتْ نَفْسِي عَلَيْهَا بِطَائِلٍ وَلَا ظَفِرَتْ كَفِّي بِبَعْضِ طِلَابِ
نَصِيبِيَ مِنْهَا حَسْرَةٌ كَوْنُهَا مَضَتْ بِغَيْرِ زَكَاةٍ ، وَهْيَ مِثْلُ نِصَابِ[300]
وَمَا رَاعَنِي وَٱلدَّهْرُ رَبٌّ وَقَائِعٍ سِجَالٍ عَلَى أَبْنَائِهِ ، وَغِلَابِ
سِوَى شَعَرَاتٍ لُحْنَ مِنْ فَوْقِ مَفْرِقِي قَذَفْنَ لِشَيْطَانِ ٱلصِّبَا بِشِهَابِ
أَبَحْنَ ذِمَارِي وَٱنْتَهَبْنَ شَبِيبَتِي
أَهُنَّ نُصُولٌ أَمْ فُصُولُ خِضَابِ (ف 64 ب)
وَقَدْ كُنْتُ يَهْوَى ٱلرَّوْضُ شَمَائِلِي وَيَمْرَحُ غُصْنُ ٱلْبَانِ طَيَّ ثِيَابِي
فَمُذْ كَتَبَ ٱلْوَخْطُ ٱلْمُلِمُّ بِعَارِضِي حُرُوفاً أَتَى فِيهَا بِمَحْضِ عِتَابِ
نَسَخْتُ بِمَا قَدْ خَطَّهُ سُنَّةَ ٱلْهَوَى وَكَمْ سُنَّةٍ مَنْسُوخَةٍ بِكِتَابِ[301]
سَلَامٌ عَلَى تِلْكَ ٱلْمَعَاهِدِ إِنَّهَا مَرَابِعُ أَلَافِي وَعَهْدُ صِحَابِي[302]

---

(298) الروضة : وجعتي
(299) في الأصول ماعدا «ق» وفي الاحاطة لوحة 446 و447
(300) النصاب من المال : القدر الذي تجب فيه الزكاة إذا بلغه .
(*) تقديم الاحاطة « ومن الاسترجاع والاعتبار والتحزّن لفرط الغفلة ، وما توفيقي الاّ بالله . قلت من الشعر المتقدم عن هذا الوقت » .
(301) فيه اشارة فقهية تعني أن الكتاب ، أي القرآن ينسخ السنة .
(302) هذا البيت والذي يليه في النفح (ج: 6 ص: 509)

وَيَا آسَةَ ٱلْعَهْدِ ، ٱنْعَمِي فَلَطَالَمَا سَكَبْتُ عَلَى مَثْوَاكِ مَاءَ شَبَابِي
كَأَنِّي بِذَاتِ ٱلضَّالِ[303] تَعْجَبُ مِنْ فَتًى تَذَكَّرَ فِيهَا ٱللَّهْوَ بَعْدَ ذَهَابِ
تَقُولُ : أَذِكْرَى بَعْدَمَا بَانَ جِيرَتِي وَصَوَّحَ رَوْضِي وَٱقْشَعَرَّ جَنَابِي
وَأَصْبَحْتُ مِنْ بَعْدِ ٱلْأَوَانِسِ كَالدُّمَى يَهُولُ حُدَاةَ ٱلْعِيسِ جَوْبُ يَبَابِي
تَغَارُ ٱلرِّيَاحُ ٱلسَّافِيَاتُ بِطَارِفِي فَمَا ، إِنْ تَرِيمُ ٱلرَّكْضَ حَوْلَ هِضَابِي
فَإِنْ سَجَعَ ٱلرُّكْبَانُ فِيَّ بِمِدْحَةٍ حَنَنْتُ ، فِي وُجُوهِ ٱلْمَادِحِينَ ، تُرَابِي[304]
أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّ ٱلْوَفَاءَ سَجِيَّتِي إِذَا شَحَطَتْ دَارِي ، وَشَطَّ رِكَابِي
سَقَاكَ ، كَدَمْعِي أَوْ كَجُودِكَ ، وَابِلٌ يُقَلِّدُ نَحْرَ ٱلْحَوْضِ دُرَّ حَبَابِ[305]
وَلَا بَرِحَتْ تَهْفُو لِمَعْهَدِكَ ٱلصَّبَا وَيَسْحَبُ فِيهِ ٱلْمُزْنُ فَضْلَ سَحَابِ
سِوَايَ يَرُوعُ ٱلدَّهْرُ أَوْ يَسْتَفِزُّهُ بِيَوْمِ فِرَاقٍ أَوْ بِيَوْمِ إِيَابِ
وَغَيْرِيَ يَثْنِي ٱلْحِرْصُ ثِنْيَ عِنَانِهِ إِلَى نَيْلِ رِفْدٍ وَٱلْتِمَاسِ ثَوَابِ (ف 65 أ)
تَمَلَّأْتُ بِالدُّنْيَا ٱلدَّنِيَّةِ خِبْرَةً فَأَعْظَمُ مَا بِالنَّاسِ أَيْسَرُ مَا بِي
وَأَيْقَنْتُ أَنَّ ٱللَّهَ يَمْنَحُ جَاهِداً وَيَرْزُقُ أَقْوَاماً بِغَيْرِ حِسَابِ
فَيَا ذُلَّ أَذْنٍ ، هَمُّهَا إِذْنُ حَاجِبٍ وَيَا هُونَ وَجْهٍ خَلْفَ سُدَّةِ بَابِ
وَقَدْ كَانَ هَمِّي أَنْ تُعَانِيَ مَطِيَّتِي بِبَعْضِ نَبَاتِ ٱللَّيْلِ خَوْضَ عُبَابِ
وَأُضْحِي ، وَمِحْرَابُ ٱلدُّجَى مُتَهَجَّدِي وَأُمْسِي ، وَمَاءُ « ٱلرَّافِدَيْنِ »[306] شَرَابِي
وَتَضْحَكُ مِنْ « بَغْدَادَ » بِيضُ قِبَابِهَا إِذَا مَا تَرَاءَتْ « بِالسَّوَادِ » قِبَابِي
وَلَكِنْ قَضَاءٌ يَغْلِبُ ٱلْعَزْمَ حُكْمُهُ وَيَضْرِبُ مِنْ دُونِ ٱلْحِجَا بِحِجَابِ
يَقُولُونَ لِي حَتَّامَ تَنْدُبُ فَائِتاً فَقُلْتُ ، وَحُسْنُ ٱلْعَهْدِ لَيْسَ بِعَابِ ؟
إِذَا أَنَا لَمْ آسَفْ عَلَى زَمَنٍ مَضَى وَعَهْدٍ تَقَضَّى فِي صِبًا وَتَصَابِي
فَلَا نَظَمَتْ دُرَّ ٱلْقَرِيضِ قَرِيحَتِي وَلَا كَانَتِ ٱلْآدَابُ أَكْبَرَ دَأْبِي

79

وَقُلْتُ صَدْرَ رِسَالَةٍ كَتَبْتُهَا عَنِ ٱلسُّلْطَانِ « ٱلْغَنِيِّ بِٱللَّهِ » إِلَى ٱلضَّرِيحِ ٱلنَّبَوِيِّ ٱلْكَرِيمِ فِي

(303) الضّال : السدر البري ، ويقصد دمنة الدار
(304) اشارة إلى الحديث : «إذا رأيتم المدّاحين فاحثوا في وجوههم التّراب »
(305) حباب الماء : معظمه أو تكسره .
(306) الرافدان : دجلة والفرات .

عَامِ أَحَدٍ وَسِتِّينَ[307] وَسَبْعِ مِائَةٍ : [308]

(الطويـل)

دَعَاكَ بِأَقْصَى ٱلْمَغْرِبَيْنِ غَرِيبُ وَأَنْتَ ، عَلَى بُعْدِ ٱلْمَزَارِ ، قَرِيبُ
مُدِلٌّ بِأَسْبَابِ ٱلرَّجَاءِ وَطَرْفُهُ
غَضِيضٌ عَلَى حُكْمِ ٱلْحَيَاءِ مَرِيبُ(ف 66 ب)

يُكَلِّفُ قُرْصَ ٱلْبَدْرِ حَمْلَ تَحِيَّةٍ ، إِذَا مَا هَوَى ، وَٱلشَّمْسَ حِينَ تَغِيبُ
لِتَرْجِعَ مِنْ تِلْكَ ٱلْمَعَالِمِ غُدْوَةً وَقَدْ ذَاعَ مِنْ رَدِّ ٱلتَّحِيَّةِ طِيبُ
وَيَسْتَوْدِعُ ٱلرِّيحَ ٱلشَّمَالَ شَمَائِلاً مِنَ ٱلْحُبِّ . لَمْ يَعْلَمْ ، بِهِنَّ ، رَقِيبُ
وَيَطْلُبُ فِي جَيْبِ ٱلْجَنُوبِ[309] جَوَابَهَا إِذَا مَا أَطَلَّتْ ، وَٱلصَّبَاحُ جَنِيبُ
وَيَسْتَفْهِمُ ٱلْكَفَّ ٱلْخَضِيبَ وَدَمْعُهُ غَرَاماً ، بِحِنَّاءِ ٱلنَّجِيعِ خَضِيبُ[310]
وَيَتْبَعُ آثَارَ ٱلْمَطِيِّ مُشَيِّعاً وَقَدْ زَمْزَمَ ٱلْحَادِي وَحَنَّ نَجِيبُ
إِذَا أَثَرُ ٱلْأَخْفَافِ لَاحَتْ مَحَارِباً يَخِرُّ عَلَيْهَا رَاكِعاً وَيُنِيبُ
وَيَلْقَى رِكَابَ ٱلْحَجِّ ، وَهْيَ طَلَائِحُ[311] طِلَاحٌ[312] ، وَقَدْ لَبَّى ٱلنِّدَاءَ لَبِيبُ
فَلَا قَوْلَ إِلَّا أَنَّهُ وَتَوَجُّعٌ وَلَا حَوْلَ إِلَّا زَفْرَةٌ وَنَحِيبُ
غَلِيلٌ ، وَلَكِنْ مِنْ قَبُولِكَ مُنْهَلٌ عَلِيلٌ ، وَلَكِنْ مِنْ رِضَاكَ طَبِيبُ
أَلَا لَيْتَ شِعْرِي ، وَٱلْأَمَانِيُّ ضَلَّةٌ[313] وَقَدْ تُخْطِئُ ٱلْآمَالُ ثُمَّ تُصِيبُ
أَيَنْجِدُ « نَجْدٌ » بَعْدَ شَحْطِ مَزَارِهِ وَيَكْثُبُ بَعْدَ ٱلْبُعْدِ مِنْهُ « كَثِيبُ »
وَتُقْضَى دُيُونِي بَعْدَمَا مَطَلَ ٱلْمَدَى وَيَنْفُذُ بَيْعِي ، وَٱلْمَبِيعُ مَعِيبُ
وَهَلْ أَقْتَضِي[314] دَهْرِي ؟ فَيُسْمِحُ طَائِعاً وَأَدْعُو بِحَظِّي مُسْمِعاً فَيُجِيبُ

---

(307) في «م» وسبعين
(308) في الأصول ماعدا «ق» وفي النفح (ج: 9، ص: 65) والاحاطة لوحة (465) وريحانة الكتاب لوحة 28 — 29 ، وأعمال الاعلام لوحة 115 — 116 .
أزهار والرياض فخ (ق 2 لوحة 120 — 122) رقم : 229ك ، الخزانة العامة : الرباط .
(309) في النفح الجيوب
(310) هذا البيت والذي يليه غير مذكورين في النفح
(311) في النفح قوافل
(312) الطلاح : المتعبة
(313) في «ق» ظلّة
(314) الاحاطة يقتضي ديني .

وَيَا لَيْتَ شِعْرِي ! هَلْ لِحَوْمِيَ مَوْرِدٌ
لَدَيْكَ ؟، وَهَلْ لِي فِي رِضَاكَ نَصِيبُ ؟ (ف 67أ)

وَلَكِنَّكَ ٱلْمَوْلَى ٱلْجَوَادُ ، وَجَارُهُ ، عَلَى أَيِّ حَالٍ كَانَ ، لَيْسَ يَخِيبُ
وَكَيْفَ يَضِيقُ ٱلذَّرْعُ يَوْماً بِقَاصِدٍ وَذَاكَ ٱلْجَنَابُ ٱلْمُسْتَجَارُ رَحِيبُ
وَمَا هَاجَنِي إِلَّا تَأَلُّقُ بَارِقٍ يَلُوحُ بِفَوْدِ ٱللَّيْلِ مِنْهُ مَشِيبُ
ذَكَرْتُ بِهِ رَكْبَ « ٱلْحِجَازِ » وَجِيرَةً أَهَابَ ، بِهَا نَحْوَ ٱلْحَبِيبِ ، مُهِيبُ
فَبِتُّ ، وَجَفْنِي مِنْ لَآلِيْ دَمْعِهِ غَنِيٌّ ، وَصَبْرِي لِلشُّجُونِ سَلِيبُ (315)
تُرَنِّحُنِي ٱلذِّكْرَى وَيَهْفُو بِيَ ٱلْجَوَى (316) كَمَا مَالَ غُصْنٌ فِي ٱلرِّيَاضِ رَطِيبُ
وَأَحْضِرُ تَعْلِيلاً ، لِشَوْقِيَ بِٱلْمُنَى وَيَطْرُقُ وَجْدٌ غَالِبٌ فَأَغِيبُ
مَرَامِي (317) لَوِ ٱعْطِيتُ ٱلْأَمَانِيَّ زَوْرَةً يُبَثُّ غَرَامٌ ، عِنْدَهَا ، وَوَجِيبُ
فَقَوْلُ «حَبِيبٍ» إِذْ يَقُولُ تَشَوُّقاً : «عَسَى وَطَنٌ، يَدْنُو إِلَيَّ، حَبِيبُ»
تَعَجَّبْتُ مِنْ سَيْفِي ، وَقَدْ جَاوَرَ ٱلْغَضَا بِقَلْبِي ، فَلَمْ يَسْبِكْهُ مِنْهُ مُذِيبُ !
وَأَعْجَبُ أَنْ لَا يُورِقَ ٱلرُّمْحُ فِي يَدِي وَمِنْ فَوْقِهِ ، غَيْثُ ٱلشُّؤُونِ سَكِيبُ
فَيَا سَرْحَ ذَاكَ ٱلْحَيِّ لَوْ أَخْلَفَ ٱلْحَيَا لَأَغْنَاكَ ، مِنْ صَوْبِ ٱلدُّمُوعِ ، صَبِيبُ
وَيَا هَاجِرَ ٱلْجَوِّ ٱلْجَدِيبِ تَلَبُّثاً فَعَهْدِيَ رَطْبُ ٱلْجَانِبَيْنِ خَصِيبُ
وَيَا قَادِحَ ٱلزَّنْدِ ٱلشَّحَاحِ تَرَفُّقاً عَلَيْكَ فَشَوْقِي ٱلْخَارِجِيُّ « شَبِيبُ » (318)
أَيَا خَاتِمَ ٱلرُّسْلِ ٱلْمَكِينِ مَكَانُهُ
حَدِيثُ ٱلْغَرْبِ ٱلدَّارِ فِيكَ غَرِيبُ (ف 68 ب)
فُؤَادٌ (319) عَلَى جَمْرِ ٱلْبِعَادِ مُقَلَّبٌ يُسَاحُ عَلَيْهِ لِلدُّمُوعِ قَلِيبُ (320)
فَوَاللَّهِ مَا يَزْدَادُ إِلَّا تَلَهُّباً أَأَبْصَرْتَ مَاءً (321) ثَارَ عَنْهُ لَهِيبُ ؟!
فَلَيْلُهُ لَيْلُ ٱلسَّلِيمِ ، وَيَوْمُهَا ، إِذَا شُدَّ لِلشَّوْقِ ٱلْعِصَابُ (322) ، عَصِيبُ

(315) في النفح : صليب
(316) في النفح : الهوى .
(317) في الأصول مناي .
(318) يقصد شبيبا الخارجي .
(319) في النفح : فوادي .
(320) القليب : البئر التي لم تطو (ج : قلب)
(321) في «م» نارا
(322) العصاب : ما عصب به من منديل ونحوه .

هَوَايَ هُدىً فِيكَ أَهْتَدَيْتُ بِنُورِهِ وَمُنْتَسَبِي لِلصَّحْبِ مِنْكَ نَسِيبُ
وَنَسْبِي عُلَىٌّ أَنَّنِي لِصَحْبِكَ مُنْتَمٍ وَ« لِلْخَزْرَجِيِّينَ » الْكِرَامِ نَسِيبُ
عَدَتْ عَنْ مَغَانِيكَ الْمَوْثُوقَةِ لِلْعِدَى عَقَارِبُ لَا يَخْفَى لَهُنَّ دَبِيبُ
حِرَاصٌ عَلَى إِطْفَاءِ نُورٍ قَدَحْتَهُ فَمُسْتَلَبٌ مِنْ دُونِهِ وَلَسِيبُ[323]
فَكَمْ مِنْ شَهِيدٍ ، فِي رِضَاكَ ، مُجَدَّلٍ يُظَلِّلُهُ نَسْرٌ ، وَيَنْدُبُ ذِيبُ
تَمُرُّ الرِّيَاحُ الْغُفْلُ فَوْقَ كُلُومِهِمْ فَتَعْبَقُ مِنْ أَنْفَاسِهَا وَتَطِيبُ
بِنَصْرِكَ عَنْكَ الشُّغْلُ مِنْ غَيْرِ مِنَّةٍ وَهَلْ يَتَسَاوَى مَشْهَدٌ وَمَغِيبُ ؟
فَإِنْ صَحَّ مِنْكَ الْحَظُّ طَاوَعَتِ الْمُنَى وَيَبْعُدُ مَرْمَى السَّهْمِ وَهْوَ مُصِيبُ
وَلَوْلَاكَ لَمْ يُعْجَمْ مِنَ « الرُّومِ » عُودُهَا فَعُودُ الصَّلِيبِ الْأَعْجَمِيِّ صَلِيبُ
وَقَدْ كَادَتِ الْأَحْوَالُ ، لَوْلَا مَرَاغِبٌ ضَمِنْتَ ، وَوَعْدٌ بِالظُّهُورِ ، تَرِيبُ
فَمَا شِئْتَ مِنْ نَصْرٍ عَزِيزٍ وَأَنْعُمٍ أَثَابَ بِهِنَّ الْمُومِنِينَ مُثِيبُ
مَنَابِرُ عِزٍّ أَذَنَ الْفَتْحُ فَوْقَهَا
وَأَفْصَحَ لِلْعَضْبِ الطِّرِيرِ[324] خَطِيبُ (ف 69 أ »
نَقُودُ إِلَى هَيْجَائِهَا كُلَّ صَاهِلٍ كَمَا رِيعَ مَكْحُولَ اللِّحَاظِ دَبِيبُ
وَنَجْتَابُ مِنْ سَرْدِ الْيَقِينِ مَدَارِعاً يُكَيِّفُهَا[325] مَنْ يَجْتَبِي وَيُنِيبُ[326]
إِذَا اضْطَرَبَ الْخَطِّيُّ فَوْقَ[327] غَدِيرِهَا يَرُوقُكَ مِنْهَا لُجَّةٌ وَقَضِيبُ
فَعُذْراً وَإِغْضَاءً وَلَا تَنْسَ صَارِخاً بِعِزِّكَ يَرْجُو أَنْ يُجِيبَ مُجِيبُ
وَجَاهَكَ بَعْدَ اللَّهِ نَرْجُو ، وَإِنَّهُ لَحَظٌّ مَلِيٌّ بِالْوَفَاءِ رَغِيبُ
عَلَيْكَ صَلَاةُ اللَّهِ مَا طَيَّبَ الْفَضَا عَلَيْكَ مُطِيلٌ بِالثَّنَاءِ مُطِيبُ
وَمَا اهْتَزَّ قَدٌّ لِلْغُصُونِ مُرَنَّحٌ وَمَا افْتَرَّ ثَغْرٌ لِلْبُرُوقِ شَنِيبُ[328]

80

وَقُلْتُ فِي إِبْرِيقِ زُجَاجٍ : [329]

(323) لسيب : لسب يلسب لسبا : لسق، والعسل ونحوه لسقه.

(324) الطرير : السيف المطرور الصَّقيل.

(325) في النفح يكفتها.

(326) في النفح ويثيب.

(327) في النفح حول.

(328) إلى هنا ينتهي حرف الباب حسب ما في الأصول.

(329) انفردت «ق» بهذين البيتين، وهي القطعة السابعة فيها وقد أخرناها محافظة على ترتيب النسخ المتأخرة.

(السريع)

تَـخَـالُ عـنـد ٱلـمَـزْجِ إبْـرِيـقَـنَـا وَكَـأْسَـنَـا مِـنْ فَـمِـهِ تَـقْـرُبُ
عَـيْـنـاً مِـنَ ٱلـمَـاءِ وَمِـنْ دُونِـهِ غَـزَالَـةٌ قَـدْ أَقْـبَـلَـتْ تَـشْـرَبُ

ملحق

81

وَقَالَ يَرْثِي ٱلسُّلْطَانَ «أَبَا سَالِمٍ ٱلْمَرِينِيَّ»: (330)

(الوافر)

بَنِي ٱلدُّنْيَا بَنِي لَمْعِ ٱلسَّرَابِ «لِدُوا لِلْمَوْتِ وَابْنُوا لِلْخَرَابِ» (331)

82

وَقُلْتُ فِي ٱلتَّوْرِيَةِ أَيْضاً وَضَمَّنْتُهُ مَثَلا: (332)

(الكامل)

لَمَّا رَأَوْا كَلَفِي بِهِ وَدَرَوْا مِقْدَارَ مَا لِي فِيهِ مِنْ حُبِّي
قَالُوا ٱلْفَتَى حُلْوٌ، فَقُلْتُ لَهُمْ «طَلَعَتْ حَلَاوَتُهُ عَلَى قَلْبِي» (333)

83

وَفِي رِثَاءِ ٱلسُّلْطَانِ «أَبِي ٱلْحَجَّاجِ» رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (334)

---

(330) الاحاطة (جـ 1 ص 318) النفح (جـ: 6، ص: 24) تحقيق احسان عباس

(331) صدر بيت لأبي العتاهية وتتمته: فكلّهم يصير إلى تباب.

(332) النفح (جـ: 9 ص 171) الاحاطة مخ لوحة 448

(333) لم نعثر عليه الآن

(334) النفح (جـ: 9 ص 178 جـ 7 ص 12) مركز الاحاطة مخ (جـ: 3 لوحة 463) الاحاطة مخ لوحة 389
ديباجة الإحاطة: «وكَتَبْتُ في بعض المعاهد التي كَانَ يَأْنَسُ بِهَا رَحْمَةُ اللهِ عَلَيْهِ».

(السريع)

غِبْتَ فَلَا عَيْنٌ وَلَا مَحْبَرُ وَلَا ٱنْتِظَارٌ مِنْكَ مَرْقُوبُ
«يَا يُوسُفُ» أَنْتَ لَنَا «يوسُفُ» وَكُلُّنَا فِي ٱلْحُزْنِ، «يَعْقُوبُ»

84

وَخَاطَبْتُ ٱلشَّيْخَ «أَبَا ٱلْحَسَنِ بْنَ بَطَّانٍ»[335] بَقِيَّةَ ٱلرَّعِيلِ، وَخَاتِمَةَ ٱلْأَسْرِيَاءِ، أُهَنِّئُهُ بِوَلَدِهِ «عَبْدِ ٱلْوَاحِدِ» حَائِزَ قَصَبِ ٱلسَّبَاقِ، فِي كَثِيرٍ مِنَ ٱلْخِصَالِ ٱلْحَمِيدَةِ، بَعْدَ ٱغْتِرَابٍ وَشِدَّةٍ وَانْبِتَاتٍ بِٱلْبِلَادِ ٱلشَّرْقِيَّةِ، عَظُمَ لِأَجْلِهِ بَثُّهُ إِلَى أَنْ تَأَتَّى خَلَاصُهُ:[336]

(البسيط)

يَهْنِيكَ مَقْدَمُ «عَبْدِ ٱلْوَاحِدِ» ٱبْنِكَ عَنْ مَطْلٍ بِوَعْدٍ مِنَ ٱلْأَيَّامِ مَرْقُوبِ
«كَيُوسُفٍ» كَانَ فِعْلُ ٱلزَّمَانِ بِهِ وَكُنْتَ فِي ٱلْبَثِّ وَالشَّكْوَى «كَيَعْقُوبِ»

85

وَحَكَى فِي ٱلْإِحَاطَةِ أَنَّهُ لَمَّا ٱسْتَسْقَى وَحَصَلَتِ ٱلْإِجَابَةُ أَنْشَدَهُ، لِسَانُ ٱلدِّينِ:[337]

(الكامل)

ظَمِئَتْ إِلَى ٱلسُّقْيَا ٱلْأَبَاطِحُ وَٱلرُّبَى حَتَّى دَعَوْنَا ٱلْعَامَ عَاماً مُجْدِبَا
وَٱلْغَيْثُ مَسْدُولُ ٱلْحِجَابِ وَإِنَّمَا عَلِمَ ٱلْغَمَامُ قُدُومَكُمْ فَتَأَدَّبَا

86

وَقَالَ:[338]

---

(335) كان واليا لصنهاجة أزمور وقد سجنه أبو الحسن المريني فقضى في السجن 11 عاما انظر: انس الفقير وعز الحقير ص 58 النفاضة جـ 2 ص 161

(336) الجزء الثاني ص 146، الريحانة لوحة 425 — 426.

(337) النفح (جـ 5 ص 472) والمقصود أبو البركات بن الحاج. الاحاطة (جـ: 2 ص 103)

(338) نسب هذان البيتان لابن الخطيب في الصفحة الأولى من كتاب «اعانة المتوجه المسكين على طريقة الفتح والتمكين رقمه 1254د الخزانة العامة.؟؟

(الكامـل)

لَـمَّـا عَلَانِي ٱلشَّـيْبُ قَـالَ صَـوَاحِبِـي
لَا تَـبْـتَـغِي خِلاًّ يُصَـيِّـرُ أَشْـيَبْ
فَصَـبَـغْـتُـهُ خَوفَ ٱلْـفِرَاقِ فَقُلْنَ لِي
هَذِي رِوَايَةُ «أَصْبَغٍ» عَنْ «أَشْهَبْ»(339)

87

وَأَنْشَدْتُهُ(340) ٱبْتِهَاجاً بِشَأْنِهِ ، وَسُرُوراً بِمَحَلِّهِ ، وَمَكَانِهِ مِنْ نَصِيحَةِ سُلْطَانِهِ : (341)

(الكامـل)

يَـا نُـجْـعَـةَ ٱلْوُزَرَاءِ وَٱلـنُّـوَّابِ وَٱلْـمَـلْـهَـمُ ٱلْـمَـهْدِيُّ لِكُلِّ صَوَابِ
وَٱبْنَ ٱلْـمَـجَادَةِ وَالسِّيَادَةِ ، وَالتُّقَى وَٱلْـفَـضْـلِ ، وَٱلْأَنْسَابِ وَٱلْأَحْسَابِ
وَمَنِ ٱلَّـذِي أَيَّـامُـهُ مَـذْكُورَةٌ وَسُـعُـودُهُ مَوْصُولَـةُ ٱلْأَسْـبَـابِ
مَنْصُورَ دَوْلَةِ آلِ عَبْدِ ٱلْحَقِّ ذَا ٱلْـ ـأَثَرِ ٱلْغَرِيبِ لُبَابَ كُلِّ لُبَابِ
سَيْفُ ٱلسَّعِيدِ(342) وَكَافِلَ ٱلْأَمْرِ ٱلَّذِي قَدْ نَابَ عَنْ مَوْلَاهُ خَيْرَ مَنَابِ
قَدْ كُنْتَ تُذْخَرُ لِلْأُمُورِ وَتُرْتَجَى لِلْمُعْضِلَاتِ ، وَأَنْتَ فِي ٱلْكُتَّابِ
وَيُـقَـالُ هَـذَا كَـافِـلٌ لِـخِلَافَـةٍ تَـحْـتَـالُ لِلْبَرَكَاتِ فِي جِلْبَابِ

---

(339) اشهب القيسي بن عبد العزيز بن داوود القيسي العامري الجعدي أبو عمر فقيه الديار المصرية في عصره ، كان صاحب الامام مالك توفي سنة 204هـ واما أصبغ فهو أصبغ بن فرج توفي سنة 225هـ فقيه من كبار المالكية في مصر.

(340) يقصد الوزير ابا بكر بن غازي بن الكاس وكنيته أبو يحيى .

(341) وردت القصيدة في اعمال الإعلام لوحة 5 و6 مخ رقه 1552د الخزانة العامة ، الرباط .

(342) السعيد بالله هو محمد بن عبد العزيز بن أبي الحسن أبو زيان ، ولي الأمر وهو صبي وفيه ألف ابن الخطيب كتابه المسمّى «أعمال الاعلام» كفله الوزير أبو بكر بن غازي بن الكاس . وحدث أن خلع أبو بكر هذا الملك الطفل بعد أن دامت دولته سنة وثمانية أشهر واربعة عشر يوما .

انظـر :

الاستقصا (الجزء 4 ص: 60 ــ 61)

العبر (الجزء 7 ص : 336 ــ 351)

جذوة الاقتباس ص : 130

بُشْرَى أَتَتْ مِثْلَ ٱلصَّبَاحِ لِنَاظِرٍ ... لَمْ تُعْزَ نِسْبَتُهَا إِلَى كَذَّابِ

أَزُعُودُهَا مِنْ بَعْدِ ذَا مُسْتَنْكِرٌ ... أَنْجَازُهَا مِنْ مُنْعِمٍ وَهَّابِ

أَللَّهُ حَسْبُكَ يَا «أَبَا يَحْيَى» فَقَدْ ... أُحْيَيْتَ رَسْمَ ٱلْمَجْدِ بَعْدَ ذَهَابِ

أَنْصَفْتَ جَيْشَ ٱلْمُسْلِمِينَ فَمَا ٱلْقَنَا ... صَعْبَ ٱلْمَهَزِّ، وَمَا ٱلْحُسَامُ بِنَابِي

وَأَعَدْتَ سَكَّتَهُمْ كَأَنَّ وُجُوهَهَا ... زَهْرُ ٱلرِّيَاضِ رَبَتْ بِصَوْبِ رَبَابِ(343)

وَجَبَيْتَ مَالَ ٱللَّهِ، وَٱسْتَخْلَصْتَهُ ... مِنْ بَيْنِ ظُفْرٍ لِلسِّبَاعِ وَنَابِ

وَخَلَفْتَ مَوْلَى ٱلْخَلْقِ خَيْرَ خِلَافَةٍ ... تُرْضِيهِ فِي ٱلْأَعْدَاءِ وَٱلْأَحْبَابِ

وَرَعَيْتَهُ بَعْدَ ٱلْمَمَاتِ كَأَنَّهُ ... رَهْنُ ٱلْحَيَاةِ يَرَاكَ خَلْفَ حِجَابِ

هَذَا ٱلْوَفَاءُ يَقِلُّ مَا حُدِّثْتَهُ ... مِنْ مُقْتَضٍ لِلنَّفْيِ وَٱلْإِيجَابِ

فَٱلْعَدْلُ يُحْكِمُ فِي ٱلْوَرَى قِسْطَاسَهُ ... وَٱلْأَمْنُ ظِلٌّ وَافِرُ ٱلْإِطْنَابِ

وَالدَّهْرُ بَعْدَ مَشِيبِهِ بِكَ لَابِسٌ ... مَا شِئْتَهُ مِنْ عُنْفُوَانِ شَبَابِ

جَعَلَ ٱلْإِلَاهُ عَلَى كَمَالِكَ عُوذَةً(344) ... مِنْ ذِكْرِهِ فِي جِيئَةٍ وَذَهَابِ

يَهْنِيكَ مَا أَوْلَاكَ مِنْ أَلْطَافِهِ ... فِي خَلْقِهِ تَجْرِي بِغَيْرِ حِسَابِ

غَلَبَ ٱلظُّنُونَ ٱلرَّوْعُ أَوَّلَ وَهْلَةٍ ... فَقَضَى بِسَعْدِكَ غَالِبُ ٱلْغَلَّابِ

وَأَهَلَّ مُحْتَبِسُ ٱلْغَمَامِ بِجُمْلَةِ ٱلـ ... ـرَّحْمَى بِفَضْلٍ مُتَمِّمٍ ٱلْآرَابِ

لَطْفٌ يَدُلُّ عَلَى ٱلْعِنَايَةِ وَٱلرِّضَى ... فَكَأَنَّهُ ٱلْعُنْوَانُ فَوْقَ كِتَابِ

وَمَقَاصِدُ شَكَرَ ٱلْإِلَاهُ ضَمِيرَهَا ... وَدُعَاءُ مَسْمُوعِ ٱلدُّعَاءِ مُجَابِ

وَوَسَائِلٌ خَلَصَتْ لِمَنْ رَحِمَاتُهُ ... لِلْقَاصِدِينَ رَحِيبَةُ ٱلْأَبْوَابِ

أَنْتَ ٱلْوَزِيرُ ٱبْنُ ٱلْوَزِيرِ حَقِيقَةً ... إِرْثٌ أَصِيلُ ٱلْحَقِّ فِي ٱلْأَحْقَابِ

وَأَبُوكَ مَوْقِفُهُ أَنَا شَاهَدْتُهُ ... فُسْلِ ٱلْمُحِقَّ فَلَيْسَ كَٱلْمُرْتَابِ

صَدَقَ ٱلْإِلَاهَ وَبَاعَ مِنْهُ نَفْسَهُ ... فَجَزَاهُ بِٱلزُّلْفَى، وَحُسْنَ مَآبِ

مَنْ لِلطَّعَامِ، وَلِلطِّعَانِ وَلِلتُّقَى ... إِلَّاكَ أَوْ لِلْحَرْبِ وَٱلْمِحْرَابِ

تُهْدِي ٱلْأَسِنَّةُ لِلْكَتَائِبِ هَادِياً ... بِسَنَا ٱلْهُدَى مِنْ سُنَّةٍ وَكِتَابِ

لَمْ يُعْطِ مَا أَعْطَيْتَ، مُعْطٍ قَبْلَهَا ... مِنْ صَامِتٍ بُرٍّ وَمِنْ أَثْوَابِ

---

(343) الرباب : السحاب ج : الربابة : السحابة التي ركب بعضها بعضا ، والاشارة إلى السكة المغشوشة التي ظهرت منذ سنة 736هـ على يد اليهود وقد حاول مقاومتها كل من أبي الحسن وأبي عنان ثم من جاء بعدهما من بعض الملوك والحكام المرينيين (انظر الدوحة المشتبكة الباب العاشر ، ومقدمة أعمال الاعلام لوحة 4 ــ 5) .

(344) العوذة : الرقية

تَسْتَعْبِدُ ٱلْأَحْرَارَ بَيْنَ تَحِيَّةٍ ... مَبْرُورَةٍ وَتَوَاضُعٍ وَثَوَابِ
وَتُمَهِّدُ ٱلْمُلْكَ ٱلَّذِي بِكَ جَاوَزَتْ ... أَسْيَافُ عَزْمَتِهِ تُخُومَ ٱلزَّابِ[345]
دَامَتْ سُعُودُكَ، مَا تَأَلَّقَ بَارِقٌ ... وَبَدَا بِأُفْقِ ٱلشَّرْقِ ضَوْءُ شِهَابِ
وَحَلَلْتَ مِنْ كَنَفِ ٱلْإِلَاهِ وَسِتْرِهِ ... أَبَدَ ٱللَّيَالِي فِي أَعَزِّ جَنَابِ
حَتَّى يَكُونَ ٱسْمُ «ٱلسَّعِيدِ» مُضَمَّناً ... فِي كُلِّ مِنْبَرِ خُطْبَةٍ وَخِطَابِ
وَتَقَرَّ عَيْنُ عَلَاكَ مِنْهُ بِوَارِثٍ ... بَهَرَتْ حُلَاهُ نُهَى أُولِي الْأَلْبَابِ
مِنْ عِزِّهِ تَرْوِي ٱلْعُلَى عَنْ «مَالِكٍ»[346] ... أَوْ فِطْنَةٍ تَرْوِي عَنْ «ٱبْنِ شِهَابٍ»[347]
مَنْ كُنْتَ أَنْتَ حُسَامَهُ، فَالنَّصْرُ سَا ... رَ أَمَامَهُ حِزْباً مِنَ ٱلْأَحْزَابِ
إِنْ لَمْ يَدَعْ لِي جُودُ كَفِّكَ حَاجَةً ... أَسْمُو لَهَا بِشَفَاعَةِ ٱلْآدَابِ
لَكِنَّنِي أُثْنِي عَلَيْكَ بِوَاجِبٍ ... شُكْرَ ٱلرِّيَاضِ ٱلدَّائِمِ ٱلتَّسْكَابِ
وَأُخَلِّدُ ٱلذِّكْرَ ٱلْجَمِيلَ وَأَنْثُرُ ٱلْـ ... ـفَخْرَ ٱلْأَصِيلَ مُصَاحِبَ ٱلْأَحْقَابِ
وَفَضَائِلُ ٱلْفُضَلَاءِ يَذْهَبُ رَسْمُهَا ... مَا لَمْ تُشَدْ بِصَحَائِفِ ٱلْكُتَّابِ
فَهِيَ ٱلَّتِي تُرْوَى عَلَى بُعْدِ ٱلْمَدَى ... وَتُشَدُّ فَوْقَ رَوَاحِلِ ٱلْأَقْتَابِ
وَٱللَّهُ غَايَةُ كُلِّ طَالِبِ غَايَةٍ ... وَسِوَاهُ فِي ٱلتَّحْقِيقِ لَمْعُ سَرَابِ
فَعَلَيْهِ عَوِّلْ فِي أُمُورِكَ وَاعْتَمِدْ ... تَنَلِ ٱلْمُنَى وَتَفُزْ بِكُلِّ طِلَابِ

88

وَمِمَّا تَقَدَّمَتْ مُخَاطَبَتِي إِيَّاهُ[348] بِهِ أَيَّامَ بُعْدِي عَنِ ٱلْخِدْمَةِ أَسْتَعِدِيهِ عَلَى أَعْدَائِي وَأَنْتَصِرُ بِهِ:[349]

---

(345) تخوم الزّاب: يقع على أطراف الصحراء في سمت البلاد الجريدية من عمل افريقية
انظر:
الروضة المعطار، لوحة 281
الاستبصار ص: 171

(346) مالك ابن أنس 93 – 179هـ، ابن مالك ابن أبي عامر بن عمر بن الحارث الاصبحي المدني أبو عبد الله، أحد أئمة المذاهب المتبعة في العالم الاسلامي
انظر: معجم المؤلفين العرب (ج: 8، ص: 168)

(347) هو محمد بن مسلم الزهري ابن شهاب المتوفي سنة 124هـ

(348) يقصد أبا الحسن بن الجيّاب شيخه

(349) وردت القطعة في مجموعة أوراق بالقرويين تحت رقم 3038 لوحة 12.

(الطويـل)

أُعَاتِبُ دَهْراً لَا يُصِيخُ إِلَى عَتْبِ وَأَسْأَلُهُ صَفْحاً وَمَالِيَ مِنْ ذَنْبِ
وَأُعْلِنُ بِالشَّكْوَى إِلَى غَيْرِ رَاحِمٍ فَأَشْكُو ، وَقَدْ عَزَّ ٱلْعَزَاءُ إِلَى رَبِّي
« أَبَا حَسَنٍ » ، مَا لِلزَّمَانِ يُنُوشِنِي كَأَنَّكَ لَمْ تَعْلَمْ بِوُدِّي وَلَا حُبِّي
وَمَنْ لِي بِأَقْوَامٍ عَلَيَّ تَأَلَّبُوا أُسَالِمُهُمْ دَهْرِي ، وَيَسْعَوْنَ فِي حَرْبِي
وَأَنْتَ « عَلِيٌّ » قَدْ عَلِمْتَ تَشَيُّعِي[350]
فَكُنْ نَاصِرِي وَٱدْرَأْ جُمُوعَ « بَنِي حَرْبٍ »[351]

89

وَقَالَ :[352]

(الخفيـف)

صَابَ[353] مُزْنُ ٱلدُّمُوعِ مِنْ جَفْنِ صَبٍّكْ عِنْدَمَا ٱسْتَرْوَحَ[354] ٱلصَّبَا مِنْ مَهَبِّكْ
كَيْفَ يَسْلُو يَا جَنَّتِي عَنْكَ قَلْبٌ كَانَ قَبْلَ ٱلْوُجُودِ جُنَّ بِحُبِّكْ
ثُمَّ قُلْ كَيْفَ كَانَ بَعْدَ ٱنْتِشَاءِ الـ ـرُّوحِ مِنْ أُنْسِكَ ٱلشَّهِيِّ وَقُرْبِكْ
لَمْ يَدَعْ بَيْتَكَ ٱلْمَنِيعَ حِمَاهُ لِسِوَاهُ ، إِلَّا إِلَى بَيْتِ رَبِّكْ
أَوَّلِ عُذْرِي ٱلرِّضَا فَمَا جِئْتُ بِدْعاً دُمْتَ ، وَٱلْفَضْلُ وَالرِّضَا مِنْ دَأْبِكْ
وَإِذَا مَا أَدَّعَيْتَ كَرْباً لِفَقْدِي أَيْنَ كَرْبِي وَوَحْشَتِي مِنْ كَرْبِكْ ؟!
وَلَدِي فِي ذَرَاكَ ، وَكْرِيَ فِي دَوْ حِكَ ، لَحْدِي وَتُرْبَتِي فِي تُرْبِكْ
يَا زَمَاناً أَغْرَى ٱلْفِرَاقَ بِشَمْلِي لَيْتَنِي ، أَهْبَتِي أَخَذْتُ لِحَرْبِكْ
أَرْكَبَتْنِي صُرُوفُكَ ٱلصَّعْبَ حَتَّى جِئْتَ بِٱلْبَيْنِ وَهْوَ أَصْعَبُ صَعْبِكْ

(350) لا تظهر في الأصل الا بعض حروف من هذه الكلمة
(351) اشارة تاريخية إلى الأمويين والشيعة
ديباجة : ت « وكتب لابْنِ الجَيَّابِ يستَعْدِيهِ عَلى أَعْدائِه وَذَلِكَ أَيَّامَ بُعْدِهِ عَنْ خِدْمَةِ سُلْطانِ وَقْتِه » .
(352) التعريف بابن خلدون ص : 152 ــ 153
(353) صاب المطر يصوب نزل
(354) استروح : اشتم

90

وَقَالَ يَهْجُوهُ[355] وَذَكَرَ فِيهِ الذَّنَبَ ٱلَّذِي نَسَبَهُ إِلَيْهِ وَضَمَّنَهُ بَيْتَ «حَبِيبٍ» : [356]

(البسيط)

يَا كَوْكَبَ ٱلنَّحْسِ مِنْ قُرْبٍ عَلَى ٱلْحِقَبِ تِلْكَ ٱلذِّنَابَى[357] أَتَتْ بِٱلْحَرْبِ وَٱلْخَرَبِ
لَمَّا رَأَيْنَاكَ حَقَّقْنَا ٱلَّذِي وَصَفُوا لِلنَّاسِ مِن حَدَثَانٍ جَاءَ فِي ٱلْكُتُبِ
إِذْ قَالَ شَاعِرُ «طَيٍّ» فِي قَصِيدَتِهِ وَهْوَ ٱلْمُقَلَّدُ فِي عِلْمٍ وَفِي أَدَبِ
«وَخَوَّفُوا ٱلنَّاسَ مِنْ دَهْيَاءَ دَاهِيَةٍ
إِذَا بَدَا ٱلْكَوْكَبُ ٱلْغَرْبِيُّ ذُو الذَّنَبِ»[358]

---

(355) يقصد أبا الحسن النباهي

(356) نشير : فرائد الجمان ص : 252

(357) الذنابى : الذنب

(358) هذا البيت من قصيدة أبي تمّام البائية المشهورة في مدح المعتصم بالله .
انظر : الديوان ج: 1 ص: 45 — 79

حرف التاء

91 - كان بالشام وتوفي ابنه ١٩ عاماً

قُلْتُ فِي هَذَا ٱلْحَرْفِ أَهْنِئُ ٱلسُّلْطَانَ «أَبَا عَبْدِ ٱللَّهِ[1] ٱبْنَ بِٱلْمُسْلِمِينَ أَبِي ٱلْوَلِيدِ بْنِ نَصْرٍ» رَحْمَةُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ، عِنْدَ قُدُومِهِ مِنْ بِلَادِ «ٱلْمَغْرِبِ»، مُسْتَصْرِخاً سُلْطَانَهُ عَلَى ٱلْعَدُوِّ، وَهِيَ مِنْ أَوَّلِيَّاتِ مَا نَظَمْتُ، أَنْشَدْتُهَا إِيَّاهُ بِٱلْقَصْرِ ٱلْمَنْسُوبِ إِلَى «ٱلسَّيِّدِ»[2] مِنْ «مَالَقَةَ» فِي عَامِ ٱثْنَيْنِ وَثَلَاثِينَ وَسَبْعِمِائَةٍ[3] (*):

(الكامل)

نَبِّهْ نَدِيمَكَ لِلصَّبُوحِ وَهَاتِهَا
كَٱلشَّمْسِ تُشْرِقُ مِنْ جَمِيعِ جِهَاتِهَا
وَٱصْرِفْ بِصِرْفِ ٱلرَّاحِ هَمّاً كَامِناً
وَٱحْيِ ٱلسُّرُورَ تَنَعُّماً بِحَيَاتِهَا (ف 70 ب)

---

(1) أبو عبد الله هو ابن أبي الوليد اسماعيل بن الرئيس أبي سعيد فرج بن الأحمر المتغلب على ملك الأندلس من يد ابن عمه أبي الجيوش، وقد بادر السلطان أبو عبد الله إلى الوفادة على السلطان أبي الحسن لمحاربة الطاغية المستولي على جبل الفتح منذ سنة 709هـ، فقدم عليه بدار ملكه بفاس سنة 732، فأكرم أبو الحسن وفادته وعقد لابنه أبي مالك، فزحف مع بني الأحمر إلى الجبل وأحاطوا به وألحوا عليه إلى أن فتحوه يوم الثلاثاء 12 من شهر ذي الحجة سنة 733هـ.
انظر: الاستقصا (جـ: 3 ص 121 وما بعدها).
ـ اللمحة البدرية ص 81.

(2) قصر السيد بمالقة بناه المأمون بن المنصور حين كان واليا على مالقة، وبرأيه واختراعه.
انظر: العلوم والآداب والفنون على عهد الموحدين ص: 247.

(3) في الأصول كلها.

(*) ديباجة «ق» قلت أهنئ السلطان أمير المؤمنين أبا عبد الله عند قُدُومِهِ من بلاد المغرب وقد استصرخ حاكمه، وهي من أول ما نظمت أنشدتها إياه بالقصر المنسوب للسيد من مالقة حرسها الله في عام اثنين وثلاثين وسبعمائة.

صَفْرَاءُ تُسْفِرُ عَنْ حَبَابِ كُؤُوسِهَا
رَقَّتْ[4] فَرَاقَ لَنَا الزَّمَانُ بِذَاتِهَا
أَبْدَى عَلَيْهَا ٱلْمَزْجُ دُرَّ حَبَابِهِ
فَتَخَالُهُ دُرّاً عَلَى لَبَّاتِهَا
وَكَأَنَّمَا بَيْنَ ٱلنَّدَامَى أَطْلَعَتْ
بَدْراً بِجُنْحِ ٱللَّيْلِ مِنْ آيَاتِهَا
أَكْرِمْ بِهَا، فَالصَّفْوُ[5] بَعْضُ صِفَاتِهَا
وَتَصَادُقُ ٱلْأَعْدَاءِ مِنْ عَادَاتِهَا
مِنْ كَفِّ سَاجِيَةِ ٱلْجُفُونِ كَأَنَّمَا
هَبَّتْ، وَفِي ٱلْأَجْفَانِ بَعْضُ سِنَاتِهَا
وَلِثَغْرِهَا عِنْدَ ٱبْتِسَامِ أَقَاحِهِ
بَرْقٌ[6] تَأَلَّقَ فِي سَنَا وَجَنَاتِهَا
سُقْيَا لِأَرْبُعِهَا ـ وَإِنْ هِيَ أَخْلَفَتْ ـ
دِيَمٌ سَقَتْهَا ٱلْعَيْنُ مِنْ عَبَرَاتِهَا
دَعْ عَنْكَ هِنْداً وَالدِّيَارَ وَمَنْ بِهَا
وَدَعِ ٱلْغَرَامَ يَكُونُ بَعْضَ عُفَاتِهَا
وَانْهَضْ بِمِدْحَتِكَ ٱلَّتِي حَلَّيْتَهَا
بِثَنَا أَمِيرِ ٱلْمُسْلِمِينَ وَهَاتِهَا
مَلِكٌ أَعَدَّتْهُ ٱلْخِلَافَةُ نَاشِياً
وَالذُّعْرُ يُبْرِقُ تَحْتَ حَدِّ ظُبَاتِهَا
فَغَدَا أَحَقَّ بِهَا وَقَامَ بِعِبْئِهَا
وَسَمَا بِأَقْرَبِهَا إِلَى غَايَاتِهَا

تعجيب ←

(4) في «ق» راقت .
(5) في «ق» فالصبح .
(6) ف : بدر

وَأَتَـاحَ أَنْـدَلُسـاً بِـحَـدِّ حُسَـامِـهِ
فَسْـاً فَـأَحْيَـا ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَمَاتِهَا

وَأَفَاضَ مَاءَ ٱلْعَدْلِ فِي أَقْطَارِهَا[7]
فَـنَـمَـا بِـذَاكَ ٱلْـمَـاءِ غَضُّ نَبَـاتِـهَـا

وَغَـدَا بِـهَـا ٱلْـمَـعْـرُوفُ عُـرْفاً جَارِياً
فَـارْتَـاحَتِ ٱلْأَيَّـامُ مِـنْ أَزْمَـاتِـهَـا

حَتَّى ٱلسُّيُوفُ غَدَتْ كَبَعْضِ عُفَاتِهِ
سَـأَلَتْ فَـأَقْـطَـعَـهَـا رِقَـابَ عِـدَاتِـهَـا

كَـيْـفَ اهْتَدَى، قَبَضَ ٱلْعِنَانَ بِأَنْمُلٍ
نَشَأَتْ وَلَيْسَ ٱلْقَبْضُ مِنْ عَادَاتِهَا (ف 71 أ)

يَـا خَـيْـرَ مَـنْ وَطِـئَ ٱلْعِتَاقَ رِكَابُهُ
وَأَعَـزَّ مَـنْ حَـمَـلَـتْ عَـلَـى صَـهَـوَاتِـهَـا

بَـلَـغَـتْ مُـلُـوكَ «الرُّومِ» عَنْكَ مَهَابَةٌ
فَـغَـدَتْ تَـمُـجُّ الرِّيـقَ فِـي لَـهَـوَاتِـهَـا

لَا غَـرْوَ أَنَّ الرُّعْبَ خَامَرَ قَلْبَهَا[8]
فَـالأُسْـدُ تُـخْـشَـى، وَهْـيَ فِـي أَجَـمَـاتِـهَـا

«لِـمُـحَـمَّـدِ بْـنِ أَبِـي ٱلْـوَلِـيـدِ» شَـمَـائِـلٌ
غُـرٌّ بَـدَتْ، وَالْـحُـسْـنُ بَـعْـضُ صِـفَـاتِـهَـا

وَمَـكَـارِمٌ قَـدْ أَعْـجَـزَتْ مَـنْ رَامَـهَـا
تَـسْـتَـغْـرِقُ ٱلـدُّنْـيَـا أَقَـلُّ هِـبَـاتِـهَـا

«أَمُـحَـمَّـدٌ» أَبْـلَـيْـتَ دِينَ «مُـحَـمَّـدٍ»
حُـسْـنَـى بَـقَـاءِ ٱلـذِّكْـرِ مِـنْ حَـسَـنَـاتِـهَـا

هَـذِي ٱلْـجَـزِيـرَةُ لَا تَـزَالُ عَـزِيـزَةً
مَـحْـفُـوظَـةً[9] بِـكَ، يَـا إِمَامَ وُلَاتِـهَـا

(7) في «م» : باقطارها .
(8) في «ق» جأشها .
(9) في «ق» ملحوظة .

إنْ طَافَ شَيْطَانُ الْعِدَى بِسَمَائِهَا
رَجَمَتْهُ شُهْبُ صَلَاتِهَا وَزَكَاتِهَا
لَمَّا دَعَتْكَ لِنَصْرِهَا لَبَّيْتَهَا
وَرَضِيتَ بَذْلَ النَّفْسِ فِي مَرْضَاتِهَا
وَهَزَزْتَ دَوْحَ الْعَزْمِ فِي رَوْضِ الرَّجَا
فَجَنَيْتَ غَضَّ النَّفْسِ فِي مَرْضَاتِهَا
وَحَسِبْتَ بَحْرَ الْمَاءِ كَفَّكَ بِالنَّدَى
فَصَدَمْتَهَا مُسْتَأْنِساً بِهِبَاتِهَا
وَأَتَيْتَ فَعْلَةَ جَدِّكَ[10] الأَرْضَى الَّتِي
لاَ يَرْتَضِي الْعَلْيَاءَ مَنْ لَمْ يَأْتِهَا
فَلْيَهْنِ أَنْدَلُساً قُدُومُكَ إِنَّهُ
حِرْزٌ لَهَا مِنْ طَاغِيَاتِ عُتَاتِهَا
(تُنْسِي فَعَالَ أَبِيكَ فِي آبَائِهِمْ
وَالشِّبْلُ نِدّ الأُسْدِ فِي فَعَلَاتِهَا)[11]
فَاللَّهُ يُخْدِمُكَ الْكَوَاكِبَ عِزَّةً
لَكَ سَعْدُهَا، وَالْيُمْنُ مِنْ تَبِعَاتِهَا (ف 72 ب)
وَيُقِرُّ عَيْنَ الْمُلْكِ بِالقَمَرِ الَّذِي
خَضَعَتْ لَهُ الأَقْمَارُ فِي هَالَاتِهَا
هَذِي عَرُوسُ قَصَائِدِي حَلَّيْتُهَا
وَزَفَفْتُهَا بِالسَّعْدِ مِنْ سَاعَاتِهَا
لَكَ يَا أَمِيرَ الْمُسْلِمِينَ فَعِمْ بِهَا
وَلِيَ الْهَنَاءُ عَلَى بِنَا أَبْيَاتِهَا
كَرُمَتْ بِنِسْبَتِهَا إِلَيْكَ فَحَقُّهَا
أَنْ يُعْتَنَى بِرَوِيِّهَا وَرُوَاتِهَا

(10) يقصد حربه للاذفنش الحادي عشر.
(11) هذا البيت انفردت به «ق»

وَعَـلَى مَـقَـامِـكُـمُ سَلَامٌ عَـاطِـرٌ
تُـهْـدِيـه «دَارِيـنٌ»[13] لَـدَى نَـفَحَاتِهَا

وَانْحِطَاطُ هَذِهِ ٱلْأَبْيَاتِ عَنِ الإِجَادَةِ لِمَا قَدَّمْنَا مِنَ الْعُذْرِ بَيِّنٌ وَلَا يُحْتَاجُ إِلَى عُذْرٍ مَعَ تَسْمِيَةِ ٱلْكِتَابِ بِحَوْلِ ٱللَّهِ.

92

وَقُلْتُ مِنَ الْمَقْطُوعَاتِ وَغَرَضُهَا غَرِيبٌ، وَصَدَّرْتُ بِهَا كِتَاباً[14] :

(الكامـل)

مَنْ لِي بِذِكْرَى كُلَّمَا أَوْجَسْتُهَا تَـمْـحُـو سُـلُـوِّي، وَاشْـتِـيَـاقِي تُثْبِتُ
وَسَـحَـابِ دَمْـعٍ كُـلَّـمَـا أَمْـطَـرْتُـهُ غَـيْـرَ ٱلْـقَـتَـادِ بِمَضْجَعِي لَا تُنْبِتُ

93

وَقُلْتُ فِي خَاتِمِ ٱلْكُتُبِ[15] :

(البسـيـط)

ٱلْـخَـتْـمُ يَحْفَظُ مَضْنُونَ ٱلْكِتَابِ بِهِ
وَهْوَ ٱلـدَّلِـيـلُ عَـلَـى مَضْـمُـونِ عِزَّتِهِ
قُفْلٌ مِنَ ٱلشَّمْعِ يَثْنِي ٱلْعَيْنَ هَيْبَتُـهُ
فَضْلاً عَـنِ ٱلْـيَـدِ أَنْ تَدْنُـو لِحَوْزَتِـهِ

---

(12) انفردت «ق» بما بين المعقوفين.
(13) دارين : فرضة بالبحرين يجلب إليها المسك من الهند فينسب إليها.
انظر : مراصد الاطلاع (جـ : 2 ص 509).
(14) ورد هذا في الأصول ماعدا «ق»، وفي النفح (جـ : 9 ص 177)، زهرة الأكم لوحة 76
(15) خاتم الكتب : ما يختم به على الكتاب أي يطبع به عليه، ويطلق أيضا على الشمع الذي يغطي فوهة الوعاء أو الدكان حتّى لا يدخله شيء ولا يخرج منه شيء.
انظر : دوزي (جـ : 1 ص 315).
(16) في الأصول ماعدا «ق».

وَقُلْتُ[17] :

94

(المتقارب)

وَقَالُوا عَجِبْنَا لِضِحْكِ ٱلْمَشِيبِ بِوَجْهِكَ فِي هَذِهِ ٱلْمُدَّةِ
تَكَاثَرَ[18] شَيْبُكَ مِنْ بَعْدِنَا فَهَا هُوَ يَضْحَكُ فِي ٱلشِّدَّةِ

95

وَقُلْتُ فِي قُبَّةٍ مَبْنِيَّةٍ عَلَى ٱلْمَاءِ فِي قَصْرِي «بِعَيْنِ ٱلدَّمْعِ»[19] مِنْ خَارِجِ حَضْرَةِ «غَرْناطة»[20] :

(البسيط)

مَارِيءَ مِثْلِيَ فِي ٱلْمَاضِي وَلَا ٱلْآتِي
فَرِيدَةً جَمَعَتْ مَا بَيْنَ أَشْتَاتِ
أَنَا ٱلْعَرُوسُ مِنَ ٱلرَّيْحَانِ لِي حُلَلٌ
وَٱلْبَهْوُ تَاجِيَ وَالصَّهْرِيجُ مِرْآتِي (ف 73 أ)
قَدْ قُمْتُ مِنْ خَلْفِ دَارِ ٱلسَّعْدِ خَادِمَةً
فَكُنْهُ حَالِيَ أَنِّي يَا أُخَيَّاتِي
خَدِيمَةٌ مِنْ بَنَاتِ ٱلرُّومِ وَاقِفَةٌ
رَفَعْتُ مِنْ فَوْقِ رَأْسِي بِنْتَ مَوْلَاتِي

(17) في الأصول ماعدا «ق» .
(18) في الأصول تصاقر .
(19) عين الدمع هذه بقعة من ضواحي غرناطة ، كانت أيام المسلمين متنزها بديعا ، انظر : الاحاطة (جـ : 1 ص 127) حاشية رقم 1 .
(20) في الأصول ماعدا «ق» .

96

وَكَتَبْتُ صُحْبَةَ كُمَّثْرَى أَهْدِيتُهَا مِنْ مَدِينَةِ «مَالقَةَ»[21] :

(البسيط)

يَا وَاحِدَ ٱلدَّهْرِ فِي خَلْقٍ وَفِي خُلُقِ
يَا مَنْ لَهُ ٱلْفَضْلُ فِي ٱلْمَاضِي وَفِي ٱلآتِي

يَا مُسْنِدَ ٱلسَّعْدِ وَالنَّصْرِ ٱلْعَزِيزِ إِلَى
سَعْدٍ لِنَصْرٍ إِلَى خَيْرِ ٱلْبَرِيَّاتِ

رِوَايَةٌ، فِي عَوَالِي ٱلْمَجْدِ، ثَابِتَةٌ
وَفِي صَحَائِفِ بِيضِ ٱلْمَشْرِفِيَّاتِ

زَارَتْكَ مَزْرِيَّةٌ[22] تَرْجُو عَوَائِدَهَا
مِنْ لَثْمِ أَنْمُلِكَ السُّبْطِ[23] السَّنِيَّاتِ

صُفْرُ ٱلْمَلَابِسِ فِي شَكْلٍ وَفِي أَرَجٍ
كَأَنَّهَا مُذْهَبَاتُ ٱلْعَنْبَرِيَّاتِ

فَانْعَمْ بِعَادَتِكَ ٱلْحُسْنَى فَمِثْلُكَ مَنْ
أَجْرَى ٱلْعَوَائِدَ حَتَّى فِي ٱلْهَدِيَّاتِ

بَقِيتَ يَا قَمَرَ ٱلْعَلْيَاءِ مُنْفَرِداً
بِالْعِزِّ تُسْعِدُ بَيْتَ ٱلْمُلْكِ بِالذَّاتِ

97

وَقُلْتُ فِي ثَمَرَةِ تُوتٍ أَبْيَضَ[24] :

(21) في الأصول ماعدا «ق» .
(22) أصل المزر : نبيذ الشعير ، والحنطة ، والحبوب ، كذا في الأصل . ولعلها أَرَزَّةٌ التي هيَ الإِنْجَاصُ (ج) أَرَزَّات .
(23) في الأصول : البسط .
(24) في الأصول ماعدا «ق» .

(الطويـــل)

وَبِيضٍ كَـدُودِ ٱلْقَزِّ زَادَ اشْتِبَاهُهَا وَأَفْرَطَ حَتَّى بِالتَّكْوِنِ فِي التُّوتِ[25]
تَعَجَّبْتُ مِنْهَا فِي بَنَادِقِ جَوْهَرٍ يُزَيِّنُهَا مَا أَحْمَرَّ مِنْهَا بِيَاقُوتِ

98

وَقُلْتُ أُخَاطِبُ «عَامِرَ بْنَ مُحَمَّدٍ»[26] شَيْخَ جَبَلِ «هِنْتَاتَةَ» أُعَزِّيهِ بِأَخِيهِ ، رَحِمَهُ ٱللَّهُ ، أَثْنَاءَ رِسَالَةٍ[27] :

(ف 74 ب)

(الطـويـــل)

«أَبَا ثَابِتٍ»، كُنْ فِي ٱلشَّدَائِدِ ثَابِتاً
أُعِيذُكَ أَنْ يُلْفَى عَدُوُّكَ شَامِتَا
عَزَاؤُكَ عَنْ «عَبْدِ ٱلْعَزِيزِ» هُوَ ٱلَّذِي
يَلِيقُ بِعِزٍّ مِنْكَ أَعْجَزَ نَاعِتَا
فَدَوْحَتُكَ ٱلْغَنَّاءُ طَالَتْ ذَوَائِبَا
وَسَرْحَتُكَ ٱلشَّمَّاءُ طَابَتْ مَنَابِتَا[28]
لَقَدْ هَدَّ أَرْكَانَ ٱلْوُجُودِ مُصَابُهُ
وَأَنْطَقَ مِنْهُ ٱلشَّجْوُ مَنْ كَانَ صَامِتَا
فَمِنْ نَفْسٍ حُرٍّ أَوْنَقَ ٱلْحُزْنُ كَظْمَهَا
وَمِنْ نَفَسٍ بِالْوَجْدِ أَصْبَحَ خَافِتَا

(25) الفوت : شجر يأكل ورقه دود القزّ وله ثمر أبيض حلو.
(26) لعب دورا كبيرا في الدولة المرينية حتّى قتله عبد العزيز سنة 771هـ.
العبر (جـ : 7 ــ ص : 300 ــ 318) ، النفح (جـ : 9 ــ ص : 117 ــ 120) ، الاستقصا (جـ : 4 ــ ص : 17 ــ 56) ، مختصر الإحاطة لوحة : 346 .
(27) في الأصول ماعدا «ق» وفي النفح (جـ : 9 ص 117 ــ 120) ، النفاضة (جـ : 2 ص 206) ، والاستقصا (جـ : 4 ص 18) والريحانة لوحة : 368 .
(28) في النفاضة : نوابتا .

هُوَ ٱلْمَوْتُ فِي[29] ٱلإِنْسَانِ فَصْلٌ لِحَدِّهِ
فَكَيْفَ نُرَجِّي أَنْ نُصَاحِبَ مَائِتَا
وَلِلصَّبْرِ أَوْلَى أَنْ يَكُونَ رُجُوعُنَا
إِذَا لَمْ نَكُنْ بِالْحُزْنِ نُرْجِعُ فَائِتَا

99

وَتَبَرَّمْتُ يَوْماً مِنْ إِرْسَالِ السَّجِيَّةِ مَعَ الشَّيْبِ وَعَدَمِ ٱلْمُبَاسَطَةِ فَقَالَ بَعْضُ ٱلأَصْحَابِ : شَيْبُكَ جَنَى عَلَى نَفْسِهِ إِذْ جَاءَ عَاجِلاً[30] :

(الخفيف)

قُلْتُ لِلشَّيْبِ: لَا يَرِبْكَ جَفَائِي فِي ٱخْتِصَارِي لَكَ ٱلْبُرُورَ وَمَقْتِكْ
أَنْتَ بِالْعَتْبِ يَا مَشِيبِي أَوْلَى جِئْتَنِي غَفْلَةً، وَفِي غَيْرِ وَقْتِكْ

100

وَنُقِشَ عَلَى قَبْرِ سَكَنٍ عَزِيزٍ عَلَيَّ قَوْلِي[31] (٥) :

(السريع)

يَا قَلْبِ كَمْ هَذَا ٱلْجَوَى وَٱلْخُفُوتْ
ذَمَاءَكَ ٱسْتَبْقِ لِئَلَّا يَفُوتْ
فَقَالَ لَا حَوْلَ وَلَا قَوْلَ لِي
قَدْ كَانَ مَا كَانَ فَحَسْبِي ٱلسُّكُوتْ (ف 75 أ)

---

(29) في النفح : للانسان .
(30) في الأصول ماعدا «ق» ، في النفاضة (جـ : 2 ص 361 والنفح (جـ : 9 ص 179) .
(31) في الأصول ماعدا «ق» ، في النفح (جـ : 9 ص 397) ، النفاضة (جـ : 2 ص 206) ، روضة التعريف ص 66 ، أعمال الاعلام ص 28 .
(٥) ديباجة النفح «وقال في موت سكن عزيز بسلا» ، وديباجة النفاضة «وقلت في هذا الغرض وهو معنى صوفي» .

فَـارَقَـنِي الـرُّشْـدُ وَفَـارَقْـتُـهُ
لَـمَّا تَـعَشَّقْتُ[32] بِشَيْءٍ يَمُوتْ[33]

101

وَقُلْتُ فِي التَّصَوُّفِ[34] :

(الطـويـل)

إِذَا لَمْ أُشَاهِدْ مِنْكَ . قَبْلَ مَنِيَّتِي نِـهَـايَـةَ آمَـالِي، وَغَـايَـةَ غَـايَـاتِي
فَـحُـسْـنُ عَـزَائِي حِيلَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ وَقُـرَّةُ عَيْنِي لَمْ تُجَلَّ[35] بِمِرآتِي
شُهُودُكَ أَمْنٌ[36] مِنْ عِدَاةِ خَوَاطِرِي وَقُـرْبُكَ حِـرْزٌ مِـنْ تَـوَقُّعِ آفَاتِ
فَإِنْ لَمْ يَكُنْ وَصْلٌ فَهَبْهَا إِشَارَةً فَيَا حُسْنَ شَارَاتِي بِهَا مِنْ إِشَارَاتِ

102

وَقُلْتُ بَيْنَ يَدَيِ ٱلْقُدُومِ عَلَى شَيْخِنَا «أَبِي ٱلْبَرَكَاتِ بْنِ ٱلْحَاجِّ» رَحْمَةُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ[37] :

الخفيـف)

قُـلْتُ يَـا نَاقُ، كُلُّ مَالٍ وَجَاهٍ وَعَـقَـارٍ فَـهُـنَّ مُـتَـرَكَـاتِي
فَـاقْصِدِي طِيَّةً تَلِيقُ بِقَصْدِي وَسُـكُـوتـاً تَـهْوِي لَـهُ حَرَكَاتِي
فَـانْبَرَتْ تَـقْـطَعُ ٱلْـمَـفَـاوِزَ حَـتَّى بَرَكَتْ فِي حِمَى «أَبِي ٱلْبَرَكَاتِ»[38]

---

(32) روضة التعريف : تعلقت .
(33) الأبيات قالها في زوجه حين ماتت بسلا .
(34) في الأصول ماعدا «ق» ، روضة التعريف ص 361 ، النفح (جـ : 9 ص 192) .
(35) في النفح وروضة التعريف : تحلّ .
(36) في النفح وروضة التعريف : أمني .
(37) في الأصول ماعدا «ق» .
(38) هو محمد بن الحاج (680 ـ 771هـ) البلفيقي الأصل ، المري المشهور بابن الحاج (أبو البركات) ، محدث ، فقيه ، مؤرخ ، مقرئ ، شاعر ، صوفي ، خطيب ، من أهل الأندلس . انظر : معجم المؤلفين العرب (جـ : 12 ص 178) .

103

وَقُلْتُ فِي ٱلْأَقْلَامِ وَالدَّوَاةِ[39] :

(مجزوء الرمل)

مَا رَأَتْ عَيْنِي عَجِيباً كَـيَـرَاعِي فِي الـدَّوَاةِ
غَـائِصاً يَسْتَخْرِجُ الدُّرّ بِبَحْرِ ٱلظُّلُمَاتِ

104

وَقُلْتُ فِي التَّضْمِينِ عَلَى طَرِيقَةِ ٱلْمَشَارِقَة[40] (*) :

(ف 76 ب)

(الكامل)

أَنَا كَافِرٌ وَسِوَايَ فِيهِ بِعَاذِلٍ لَا يَسْتَبِينُ الصِّدْقُ فِي آيَاتِهِ
وَمُصَدِّقٌ بِصَحِيفَةِ ٱلْخَدِّ الَّذِي قَدْ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ حُسْنُ نَبَاتِهِ[41]

105

وَقُلْتُ فِي بَحْرِيٍّ يَتَلَاعَبُ عَلَى شَرِيطٍ صَاعِداً وَنَازِلاً فِي ٱلْفَضَاءِ مِمَّا قُضِيَ مِنْهُ ٱلْعَجَبُ[42] :

(الوافر)

وَبَحْرِيٍّ[43] تَلَاعَبَ فِي شَرِيطٍ وَجِيءَ ٱلْفِعْلُ مُتَّصِلَ ٱلصُّمُوتِ

---

(39) في الأصول ماعدا «ق» . والإحاطة لوحة : 454 .
(40) في الأصول ماعدا «ق» ، والاحاطة لوحة 448 .
(*) ديباجة الاحاطة «وقلت في ذلك والله ولي التجاوز» .
(41) تضمين إلى الآية رقم 29 سورة الحجرات .
(42) في الأصول ما عدا «ق». وفي الإحاطة لوحة : 454.
(43) البحري : يقصد به البحري الذي يكون في السفن لخفته وحركته إذ كل ما ينسب إلى البحر فهو بحري.

تَـدَلَّى وَارْتَـقَى وَسَـمَـا وَأَهْوَى فَأَعْجَبَ فِي ٱلتَّمَاسُكِ وَالثُّبُوتِ
فَـقُـلْنَا إِنْ يَكُنْ بَشَراً سَوِيّاً فَـفِـيـهِ غَـرِيزَةٌ مِنْ عَنْكَبُوتِ

106

وَقُلْتُ أُدَاعِبُ مَنْ لَهُ عَلَاقَةٌ بِغُلَامٍ أَسْمَرِ ٱللَّوْنِ[44] :

(الطويـل)

وَقَالُوا حكَى الزُّرْزُورَ لَوْناً وَخفَّةً وَصَوْتاً وَنَفْعاً مِنْ شكَايَا خَفِيَّةِ
فَقُلْتُ لِهَذَا أَوْ لِمَا قَدْ جَهِلْتُمُ نَصَبْتُ لِذَا ٱلزُّرزُورِ «سُبَّيطَ» لِحْيَتِي

107

وَقُلْتُ أُخَاطِبُ «عَمَرَ بْنَ عَبْدِ ٱللَّهِ[45] بْنِ عَلِيٍّ» ٱلْمُتَغَلِّبَ عَلَى دُوَلِ ٱلْمُلُوكِ «بِالْمَغْرِبِ»[46] :

(المتقـارب)

أَحَـدِّثُـكُـمْ وَهْوَ عَنْ طُرْفَـةٍ حَـدِيـثـاً يَـجُـرُّ إِلَى ٱلْـحِـرْفَـةِ
تَـمَـنَّـيْتُ مِنْ فَضْـلِكُمْ غَرْفَةً فَـعَـادَ فُضُولِي عَـلَى غُـرْفَـتِي

108

وَقُلْتُ فِي التَّوْرِيَةِ[47] :

---

(44) في الأصول ماعدا «ق» ، في البيتين إشارة إلى المثل : «أطْيب ما في الزُّرْزُور سَوْأَتُهُ» الحدائق لوحة : 83 .

(45) عمر بن عبد الله هذا كان زوجا لأخت أبي سالم ، ومع ذلك خان الثقة التي وضعها فيه سلطانه فتحالف على قتله مع قائد الفرقة الاسبانية التي كانت في خدمة بني مرين ، فصفا له الجو فبقي يولي ويعزل حتّى قتله السلطان عبد العزيز .
انظر : ابن خلدون ــ تاريخ البربر ص 462 وما بعدها ــ الناصري ــ الاستقصا (جـ : 4 ص 41 وما بعدها) .

(46) في الأصول ماعدا «ق» .

(47) في الأصول ماعدا «ق» .

(ف 77 أ)

(الوافر)

قَحَطْنَا ثُمَّ صَابَ ٱلْغَيْثُ رُحْمَى فَشُكْراً يَا حَمَامُ إِذَا لَغَطْتَا
وَيَا غَيْثَ الرِّضَى عَنَّا ٱنْسِكَاباً فَأَنْتَ «عَلَى ٱلْخَبِيرِ بِهِ سَقَطْتَا»[48]

109

وَقُلْتُ وَقَدْ تَخَلَّفَنِي مَوْلَايَ ٱلسُّلْطَانُ «أَبُو ٱلْحَجَّاجِ» بِدَارِ مُلْكِهِ نَائِباً عَنْهُ[49] :

(الخفيف)

لَمْ أُعَدَّ ٱلْحُسَامَ مِنْ أَدَوَاتِي حَسْبُ نَفْسِي يَرَاعَتِي وَدَوَاتِي
فَأَنَا ٱلْيَوْمَ تَجْمَعُ ٱلسَّيْفَ كَفِّي وَيَرَاعَ ٱلْكُتَّابِ، بَعْدَ شَتَاتِي
شَكَرَ ٱللَّهُ أَنْعُماً أَلْبَسَتْنِي حُلَلَ ٱلْبِرِّ وَالرِّضَى مُعْلَمَاتِ
أَنَا عَبْدٌ أَقَامَ مَوْلَايَ شَكْلِي لَمْ أَكُنْ أَسْتَحِقُّ شَيْئاً بِذَاتِي
وَكَذَا ٱلْخَلْقُ مِنْ تُرَابٍ وَلَكِنْ نَفَخَ ٱللَّهُ فِيهِ رُوحَ ٱلْحَيَاةِ

110

وَقُلْتُ وَقَدْ زُرْتُ قَبْرَ «ٱلْمُعْتَمِدِ[50] عَلَى ٱللَّهِ أَبِي ٱلْقَاسِمِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبَّادٍ» أَمِيرَ «ٱلْأَنْدَلُسِ» ، رَحْمَةُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ بِخَارِجِ «بَابِ أَغْمَاتٍ»[51] فِي عَامِ أَحَدٍ وَسِتِّينَ وَسَبْعِمِئَةٍ[52] :

---

(48) أصله من المثل «على الخبير سقطت» ، انظر مجمع الأمثال (جـ : 1 ص 430) .

(49) في الأصول ماعدا «ق» .

(50) هو محمد المعتمد على الله بن عباد بن محمد بن إسماعيل بن محمد بن قريش بن عباد (أبو القاسم) كان شاعرا مجيدا ولد بمدينة باجة سنة 431هـ وولي سنة 461 وخلع سنة 484 وكانت وفاته بأغمات في ربيع الأول سنة 488 .
أنظر : الاعلام (جـ : 2 ص 312 وما بعدها) .

(51) أغمات : تقع مدينة أغمات في جنوب مدينة مراكش في سفوح جبال مدينة أطلس ، وكانت في ذلك الوقت عبارة عن مدينتين متقابلتين (أغمات ايلان ، وأغمات وريكة)، وكان بينهما عداء .
انظر : ليون الافريقي ص 73 ، — مراصد الاطلاع (جـ : 1 ص 98) — البكري : ص 339 — 340 — الاعلام (جـ : 1 ص 110 وما بعدها) .

(52) في الأصول ماعدا «ق»، ازهار الرياض (جـ : 1 ص 297) نفح الطيب (جـ : 5 ص=

(البسيط)

قَدْ زُرْتُ قَبْرَكَ عَنْ طَوْعٍ «بِأَغْمَاتِ»
رَأَيْتُ ذَلِكَ مِنْ أَوْلَى ٱلْمُهِمَّاتِ
لِمْ لَا أَزُورُكَ يَا أَنْدَى ٱلْمُلُوكِ يَداً،
وَيَا سِرَاجَ ٱللَّيَالِي ٱلْمُدْلَهِمَّاتِ
وَأَنْتَ مَنْ لَوْ[53] تَخَطَّى ٱلدَّهْرُ مَصْرَعَهُ
إِلَى حَيَاتِي أَجَادَتْ فِيهِ أَبْيَاتِي (ف 78 ب)
(أَنَافَ قَبْرُكَ فِي هَضْبٍ يَمِيزُهُ
فَتَنْتَمِيهِ حَفِيَّاتُ ٱلتَّحِيَّاتِ)[54]
كَرُمْتَ حَيّاً وَمَيْتاً واشْتَهَرْتَ عُلاً
فَأَنْتَ سُلْطَانُ أَحْيَاءٍ وَأَمْوَاتِ
مَارِيءٍ مِثْلُكَ فِي مَاضٍ، وَمُعْتَقَدِي
(مِنَ ٱلْكَرَائِمِ) أَنْ لَا يُرَى ٱلدَّهْرُ، فِي حَالٍ وَفِي آتِي

111

وَقُلْتُ من الْحِكَمِ[55] :

(مجزوء الرمل)

عَدِّ عَنْ كَيْتٍ وَكَيْتِ مَا عَلَيْهَا غَيْرُ مَيْتِ
كَيْفَ تُرْجَى حَالَةُ ٱلْبُقْيَا لِمِصْبَاحٍ وَزَيْتِ؟

= 237) ، و(جـ : 9 ص 198 ، 199) ، النفاضة (جـ : ص 75) الاعلام (جـ : 1 ص 119) وغيرها .

(53) في النفاضة : مولى

(54) لا يوجد هذا البيت في الأصول ولكنه في المصادر الأخرى .

(55) في الأصول ماعدا «ق» في النفح (جـ : 9 ص 180 وجـ : 7 ص 94) والازهار (جـ : 1 ص 313) .

112

وَكَتَبْتُ بِظَهْرِ مَوْضُوعٍ لِأَحَدِ ٱلْأَصْحَابِ[56] :

(الطـويـــل)

أَقُولُ لِخِلٍّ سَامَنِي فَهْمَ مَا حَوَى
وَلَا عِوَجاً قَدْ ظَنَّ فِيَّ وَلَا أَمْتَا:
نَظَرْتُ فَلَمْ أَفْهَمْ، وَحُقَّ لِنَاظِرٍ
إِذَا لَمْ يَجِدْ فَهْماً بِأَنْ يَلْزَمَ ٱلصَّمْتَا
وَعِنْدِيَ أَنَّ الْعُذْرَ أَوْضَحُ وَاضِحٍ
إِذَا كُنْتَ فِي بَحْرِ ٱلْمَعَارِفِ قَدْ عُمْتَا

113

وقُلْتُ أَيْضاً[57] :

(الكامـــل)

قَبَّلْتُهُ حُلْوَ ٱلْمَرَاشِفِ[58] أَسْمَرَا وَأَجَبْتُهُمْ إِذْ عَاتَبُونِي لَيْلَتَهْ
هُوَ مُشْبِهٌ لِلنَّحْلِ فِي أَوْصَافِهِ أَفَمُنْكَرٌ أَنِّي «أَذُوقُ عُسَيْلَتَهْ»[59]

114

وَقُلْتُ أَيْضاً مِنَ ٱلنَّظْمِ فِي زَمَنِ ٱلشَّبِيبَةِ[60] :

---

(56) في الأصول ماعدا «ق» .
(57) في الأصول ماعدا «ق» .
(58) في «ق» الشمائل .
(59) إشارة إلى حديث الرسول «لا» ، حتّى يذوق الآخر من عُسيلتها ما ذاق الأول . انظر : سبل السلام (جـ : 3 ص 143) .
(60) في الأصول كلها . وقد وردت في باب التاء ولوحظ بجانبها تنقل إلى حرف الياء فثم موضعها . وهذا خطأ من الناسخ .

28

27 (الكامل)

لَمَّا دَعَا دَاعِي ٱلْهَوَى لَبَّيْتُهُ ... وَحَثَثْتُ رَحْلِيَ مُسْرِعاً وَأَتَيْتُهُ (ف 79)

وَحَجَجْتُ كَعْبَتَهُ فَمَا مِنْ مَنْسَكٍ ... إِلَّا أَقَمْتُ شِعَارَهُ وَقَضَيْتُهُ

وَلَو انَّني أَنْصَفْتُ حَجَّ بِيَ ٱلْهَوَى ... عَيْنَايَ «زَمْزَمُهُ» وَقَلْبِي «بَيْتُهُ»

مَنْ مُنْصِفِي مِنْ جِيرَةٍ لَمْ يَرْحَمُوا ... دَمْعاً عَلَى عَرَصَاتِهِمْ أَجْرَيْتُهُ

رَاعُوا فُؤَادِي بِالصُّدُودِ وَمَا رَعَوْا ... عَهْداً لَهُمْ حَافَظْتُهُ وَرَعَيْتُهُ

طَاوَعْتُ قَلْبِيَ حِينَ لَجَّ لَجَاجُهُ ... فِي حُبِّهِمْ وَلَوِ انْتَهَى لَنَهَيْتُهُ

مَنْ ذَا يُوَاسِي فِي أَسىً حَالَفْتُهُ ... أَمْ مَنْ يُعَانِي مِنْ جَوَى عَانَيْتُهُ ؟

مَهْمَا زَجَرْتُ صَبَابَتِي حَرَّضْتُهَا ... وَإِذَا كَفَفْتُ تَشَوُّقِي أَغْرَيْتُهُ

يَا مَنْ سُكُونِي فِي هَوَاهُ تَفَكُّرٌ ... فِي شَأْنِهِ وَإِذَا نَطَقْتُ عَنَيْتُهُ

يَا مَن أُمَوِّهُ بِالصِّفَاتِ وَبِالحُلَى ... مِنْ أَجْلِهِ وَأُغَارُهُ إِنْ سَمَّيْتُهُ

يَا رَوْضَةً غَرَسَتْ لِحَاظِي وِرْدَهَا ... وَسَكَبْتُ دَمْعِيَ دِيمَةً وَسَقَيْتُهُ

فَإِذَا جَنَيْتُ بِنَاظِرِي مِنْ زَهْرِهَا ... كَتَبَ ٱلْهَوَى ذَنْباً عَلَيَّ جَنَيْتُهُ

أَدَّى إِلَيَّ ٱلطَّيْفُ عَنْكِ رِسَالَةً ... فَقَرَأْتُهَا وَلَوِ ٱسْتَطَعْتُ قَرَيْتُهُ

مَا كَانَ ضَرَّكِ لَوْ أَبَحْتِ مُقَامَهُ ... فَبَتَتْهُ شَكْوَايَ أَوْ نَاجَيْتُهُ

قَالَتْ فِدَاكَ أَبِي فُؤَادُكَ فِي يَدِي ... عَانٍ وَلَوْ أَنِّي أَشَاءُ فَدَيْتُهُ

طِبُّ ٱلْمَسِيحِ لَدَيَّ مِنْهُ مَسْحَةٌ ... أُبْقِيمُ دَاءٌ كُلَّمَا دَاوَيْتُهُ

أَهْدِي لِمَنْ (أَبْغِي)(61) الشِّفَاءَ مِنَ ... الْجَوَى فَيُفِيقُ مُضْنَاهُ وَيَحْيَى مَيْتُهُ

بِيَدِي حَيَاةُ مُتَيَّمِي وَحِمَامُهُ ... فَلَكُمْ تَلَافَيْتُ الَّذِي أَفْنَيْتُهُ (ق 80)

أَسَأَلْتَ يَوْماً «يُوسُفاً» مَوْلَى الْوَرَى ... شِيَمَ ٱلنَّدَى وَالْبَأْسَ وَاسْتَجْدَيْتُهُ

مَلِكٌ إِذَا بَذَلَ ٱلْحُبَا قَالَ ٱلْحَيَا ... أَخْشَى ٱلْفَضِيحَةَ إِنْ أَنَا جَارَيْتُهُ

أَمَرَ ٱلْعُلَى وَنَهَى فَقَالَتْ : طَاعَةً ... مَا شَاءَ شِئْتُ وَمَا أَبَاهُ أَبَيْتُهُ

وَسَمَا ٱنْتِمَاءً فِي ذُؤَابَةِ «خَزْرَجٍ» ... فَزَكَتْ أُرُومَتُهُ وَقُدِّسَ بَيْتُهُ

بَيْتٌ عِمَادُ عُلَاهُ «سَعْدُ عُبَادَةٍ» ... وَطِنَابُهُ ٱلْأَنْصَارُ نِعْمَ ٱلْبَيْتُ بَيْتُهُ

(61) في الأصل بياض وملاناه بما ثبت في النص.

مَوْلَايَ قَابِلْ بِالقَبُولِ وَبِالرِّضَى نَظْماً بِدُرِّ ثَنَاكَ قَدْ حَلَّيْتُهُ
رَقَّتْ مَعَانِيهِ لَدَيَّ فَلَوْ جَرَى سَحَراً نَسِيمُ الرَّوْضِ لَاسْتَجْفَيْتُهُ
وَعَلَى احْتِكَامِي فِي الْقَرِيضِ وَإِنِّي يَرْوِيهِ عَنِّي الدَّهْرُ إِنْ رَوَيْتُهُ
فَلَقَدْ هَمَمْتُ بِأَنْ أَقُومَ بِوَاجِبِي مِنْ حَقِّ مَدْحِكَ ثُمَّ مَا وَفَّيْتُهُ

ملحق

115

وَقَالَ ـ حِينَ شَعَرَ بِاقْتِرَابِ أَجَلِهِ ـ[62] :

(المتقارب)

بَعُدْنَا وَإِنْ جَاوَرَتْنَا الْبُيُوتْ وَجِئْنَا بِوَعْظٍ وَنَحْنُ صُمُوتْ
وَأَنْفَاسُنَا سَكَتَتْ دَفْعَةً كَجَهْرِ الصَّلَاةِ تَلَاهُ الْقُنُوتْ[63]
وَكُنَّا عِظَاماً فَصِرْنَا عِظَاماً وَكُنَّا نَقُوتُ فَهَا نَحْنُ قُوتْ
وَكُنَّا شُمُوسَ سَمَاءِ الْعُلَى غَرَبْنَ فَنَاحَتْ عَلَيْهَا الْبُيُوتْ[64]
فَكَمْ جَدَّلَتْ ذَا الْحُسَامِ الظُّبَى وَذَا الْبَحْتِ، كَمْ خَذَلَتْهُ الْبُخُوتْ[65]
وَكَمْ سِيقَ لِلْقَبْرِ فِي خِرْقَةٍ فَتىً مُلِئَتْ مِنْ كُسَاهُ التَّخُوتْ
فَقُلْ لِلْعِدَا ذَهَبَ ابْنُ الْخَطِيبِ وَفَاتَ وَمَنْ ذَا الَّذِي لَا يَفُوتْ
فَمَنْ كَانَ يَفْرَحُ مِنْكُمْ لَهُ فَقُلْ يَفْرَحُ الْيَوْمَ مَنْ لَا يَمُوتْ[66]

(62) وردت هذه الأبيات في كثير من المصادر كالنفح (جـ : 9 ص 39) والازهار (جـ : 1 ص 231) والعبر (جـ : 7 ص 342) كما وردت في كل المصادر التي ترجمت لابن الخطيب .

(63) بعد هذا البيت نجد في ورقة عند الأستاذ الحريشي أبياتا أخرى تتخلل هذه الأبيات المروية في المصادر الأساسية :

ومدت ـ وقد انكرتنا ـ الثياب ـ علينا نسائجها العنكبوت

(64) بعد هذا يأتي :

ومن كان منتظر للزوال فكيف يؤمل منه الثبوت

(65) بعد هذا يأتي :

سيبلي الجديدان إذا ما المدى تتابع آحاده والسبوت

(66) بعد هذا يأتي :

=

116

وَقَالَ فِي حُبِّ غَرْنَاطَةَ[67] :

(الطـويـل)

أُحِبُّكِ[68] يَا مَغْنَى ٱلْجَلَالِ[69] بِوَاجِبٍ
وَأَقْطَعُ فِي أَوْصَافِكَ ٱلْغُرِّ أَوْقَاتِي
تَقَسَّمَ مِنْكِ التُّرْبَ قَوْمِي وَجِيرَتِي
فَفِي الظَّهْرِ أَحْيَائِي وَفِي ٱلْبَطْنِ أَمْوَاتِي

117

وَقَالَ فِي ٱلْمَوَاعِظِ[70] :

(الطـويـل)

أَلَا أُذُنٌ تُصْغِي إِلَيَّ سَمِيعَةٌ أُحَدِّثُهَا بِالصِّدْقِ مَا صَنَعَ ٱلْمَوْتُ
مَدَدْتُ لَكُمْ صَوْتِي[71] بِأَوَّاهُ حَسْرَةً عَلَى مَا بَدَا مِنْكُمْ فَلَمْ يُسْمَعِ الصَّوْتُ
هُوَ ٱلْقَدَرُ ٱلْآتِي عَلَى كُلِّ أُمَّةٍ فَتُوبُوا سِرَاعاً قَبْلَ أَنْ يَقَعَ الْفَوْتُ

= ولا تـــغترر بسراب الحيـــاة فـــانك عـــمَّـــا قـــريب تموت

وقد علّق المقري على هذه الأبيات بقوله : «قلت ورأيت بحضرة فاس ـ حاطها الله تعالى ـ تخميسا لهذه الأبيات بديعا منسوبا إلى بعض بني الصباغ ، وزاد في الأصل بعض أبيات على ما ذكره ابن خلدون من هذه القطعة ، والمزيد يشبه نفس لسان الدين بن الخطيب فلعل ابن خلدون اختصر منها أو لم يقف على الزائد ، ولنثبت جملته تتميما للمقصود .

ـ النفح : (جـ : 7 ص 310) .

(67) وردت هذه الأبيات في السحر والشعر لوحة : 68 ، وفي النفح (جـ : 9 ص 205) والازهار (جـ : 1 ص 307) ونثير الجمان لوحة : 6 ، والإحاطة : ص 99 ونثير فرائد الجمان ص 80 .

(68) في النفح : أحييك .

(69) في الأزهار : الكمال .

(70) في النفح (جـ : 9 ص 22) وروضة التعريف ص 110 ، والريحانة لوحة : 594 .

(71) في النفح : فأواه .

118

وَمِمَّا صَدَرَ أَيْضاً عَنِ ٱلْمُؤَلِّفِ فِي هَذَا ٱلْغَرَضِ[72] :

(الكامل)

خُذْ مِنْ حَيَاتِكَ لِلْمَمَاتِ ٱلْآتِي ... وَبَدَارِ[73] مَادَامَ ٱلزَّمَانُ مُوَاتِي[74]

لَا تَغْتَرِرْ فَهُوَ ٱلسَّرَابُ بِقِيعَةٍ ... قَدْ خُودِعَ ٱلْمَاضِي بِهِ وَٱلْآتِي

يَا مَنْ يُؤَمِّلُ وَاعِظاً وَمُذَكِّراً ... يَوْماً لِيُوقِظَهُ مِنَ ٱلْغَفَلَاتِ

هَلَّا ٱعْتَبَرْتَ وَيَا لَهَا مِنْ عِبْرَةٍ! ... بِمَدَافِنِ ٱلْآبَاءِ وَٱلْأُمَّهَاتِ

قِفْ «بِٱلْبَقِيعِ»، وَنَادِ فِي عَرَصَاتِهِ ... فَلَكَمْ بِهَا مِنْ جِيرَةٍ وَلِدَاتِ!

دَرَجُوا، وَلَسْتَ بِخَالِدٍ مِنْ بَعْدِهِمْ ... مُتَمَيِّزٍ عَنْهُمْ بِوَصْفِ حَيَاةِ

وَٱللَّهِ مَا ٱسْتَهْلَلْتَ حَيّاً صَارِخاً ... إِلَّا، وَأَنْتَ تُعَدّ فِي ٱلْأَمْوَاتِ

لَا فَوْتَ عَنْ دَرْكِ ٱلْحِمَامِ لِهَارِبٍ ... وَٱلنَّاسُ صَرْعَى مَعْرَكِ ٱلْآفَاتِ

كَيْفَ ٱلْحَيَاةُ لِدَارِجٍ مُتَكَلِّفٍ ... سِنَةَ ٱلْكَرَى بِمَدَارِجِ ٱلْحَيَّاتِ

أَسَفاً عَلَيْنَا مَعْشَرَ ٱلْأَمْوَاتِ لَا ... نَنْفَكُّ عَنْ شُغْلٍ بِهَاكَ وَهَاتِ

وَيَغُرُّنَا لَمْعُ ٱلسَّرَابِ فَنَغْتَدِي ... فِي غَفْلَةٍ عَنْ هَادِمِ ٱللَّذَّاتِ

وَٱللَّهِ مَا نَصَحَ ٱمْرَأً مَنْ غَشَّهُ ... وَٱلْحَقُّ لَيْسَ بِخَافِتِ ٱلْمِشْكَاتِ

119

وَقُلْتُ مُعَارِضاً أَبْيَاتاً مِثْلِها لِبَعْضِ ٱلْمُعَاصِرِينَ[75] :

(الوافر)

بَعَثْتُ لَهُ إِذَا ٱبْتَعْنَا عَصِيرا ... هَجَرْنَا فِي تَفَقُّدِهِ ٱلْبُيُوتَا

لَعَلَّكَ يَا حَبِيبَ ٱلْقَلْبِ تَأْتِي ... فَتَأْكُلَ عِنْدَنَا عِنَباً وَتُوتَا

---

(72) روضة التعريف ص : 113 ، والنفح (جـ : 9 ص 25) والريحانة لوحة 597 .

(73) بدار : اسم فعل أمر بمعنى بادر أي أسرع .

(74) لعل ما هنا مصدرية غير ظرفية ولذلك لم تعمل .

(75) الاحاطة لوحة 457 وحلبة الكميت ص 105 .

120

وَقَالَ فِي ٱلْفُكَاهَاتِ[76] :

(المتقارب)

وَلَمَّـا دَعَانِـي دَاعِـي ٱلْهَـوَى وَأَخْلَـفَ مَـا كُـنْتُ أُمَّلْتُـهْ
وَلَـمْ يَبْـقَ غَيْـرُ ٱلْبُكَـا حِيلَـةٌ بَكَـيْتُ بِمِقْـدَارِ مَـا نِلْتُـهْ

(76) النفح (جـ : 9 ص : 172).

حرف الثاء

121

قُلْتُ مِنْ قَصِيدَةٍ أُخَاطِبُ بِهَا ٱلسُّلْطَانَ «أَبَا ٱلْحَجَّاجِ» رَحْمَةُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ[1] : (ف 81 أ)

(الطويل)

هَلُمَّ فَمَا بَيْنِي وَبَيْنَكَ ثَالِثُ
وَقَدْ غَفَلَتْ فِي ٱلْحُبِّ عَنَّا ٱلْحَوَادِثُ
وَمَا ثَمَّ غَيْرُ ٱلْكَأْسِ وَٱلآسِ وَٱلْهَوَى
وَغَيْرُ ٱلْمَثَانِي سَاعَدَتْهَا ٱلْمَثَالِثُ[2]
أَفِي ٱلْحَقِّ يَا أُخْتَ ٱلْغَزَالَةِ أَنَّنِي
أَجِدُّ بِأَشْوَاقِي، وَلَحْظُكِ عَابِثُ
أَعُوذُ بِصَبْرِي مِنْ جُفُونٍ مَرِيضَةٍ
لَهَا مَرَضٌ فِي ٱلْقَلْبِ مِنِّيَ لَابِثُ
وَاللَّهِ مَا تُغْنِي وَلَا تَنْفَعُ ٱلرُّقَى
وَ«هَارُوتُهَا» فِي عُقْدَةِ ٱلسِّحْرِ نَافِثُ
إِذَا هَزَّ غُصْنَ ٱلْبَانِ عَاطِرُ نَسْمَةٍ
مَعَ ٱلْفَجْرِ هَزَّتْنِي إِلَيْكِ ٱلْبَوَاعِثُ

(1) وردت القصيدة في الأصول ماعدا «ق» كما ورد الأبيات الثلاثة الأولى منها في الكوكب الثاقب ص : 303 .

(2) المثاني والمثالث : من الأوتار : الذي بعد الأول والمثلث الذي بعد الثاني .

وَمَا كَانَ عَهْدٌ فِي هَوَاكِ عَقَدْتُهُ
لِيَنْكُثَهُ — حَتَّى ٱلْقِيَامَةِ — نَاكِثُ
هَلِ ٱلْعَيْشُ إِلَّا ٱلْوَصْلُ فِي عَقِبِ ٱلنَّوَى(3)
وَلِلشَّوْقِ دَاعٍ فِي ٱلْقُلُوبِ، وَبَاعِثُ
وَكَأْسُ عِتَابٍ فِي ٱلْهَوَى نَقْلُهَا ٱلرِّضَى
يُدِيرُ حُمَيَّاهَا النَّدِيمُ ٱلْمُحَادِثُ
جَزَى ٱللَّهُ عَنَّا ٱلدَّهْرَ خَيْرَ جَزَائِهِ
وَإِنْ سَبَقَتْ مِنْهُ خُطُوبٌ كَوَارِثُ
غَنِينَا فَلَمْ نَحْتَجْ إِلَى ٱلْبَدْرِ وَٱلْحَيَا
إِذَا ضَنَّ غَيْثٌ، أَوْ إِذَا جَنَّ جَادِثُ (ف 82 ب)
لَئِنْ غَرَّ بَدْرَ ٱلْأُفْقِ فَضْلُ ٱنْفِرَادِهِ
فَبَيْنَ ٱلْقُصُورِ ٱلْبِيضِ ثَانٍ وَثَالِثُ
وَإِنْ حَلَفَ ٱلْغَيْثُ ٱلسَّكُوبُ بِأَنَّهُ
أَعَمُّ نَدىً مِنْ «يُوسُفٍ»، فَهْوَ حَانِثُ
سَجَايَاهُ تَرْوِي مِنْ حَدِيثٍ كَمَالِهِ
صَحَائِفَ فِيهَا لِلْعَلَاءِ مَبَاحِثُ
مَشَابَةُ مَجْدٍ بَيْنَ «سَعْدِ عُبَادَةٍ»
وَنَصْرٌ زَكَا مِنْهُمْ قَدِيمٌ وَحَادِثُ
فَلَا يَنْقُضُ ٱلرَّأْيَ ٱلَّذِي هُوَ مُبْرِمٌ
وَلَا يَحْذَرُ ٱلْجَيْشَ ٱلَّذِي هُوَ بَاعِثُ
غَنِيٌّ بِحِفْظِ ٱللَّهِ عَنْ حِفْظِ نَفْسِهِ
إِذَا خِيفَ أَمْرٌ أَوْ تُوُقِّعَ حَادِثُ
أَمَوْلَايَ، إِنْ حُدِّثْتَ عَنْ سِحْرِ «بَابِلٍ»
فَإِنِّيَ، بِالسِّحْرِ ٱلْحَدِيثِ، لَنَافِثُ

(3) «ف» الكرى.

أَتَتْكَ تَرُوقُ ٱلْعَيْنَ خُبْراً وَمَخْبَراً
كَمَا جَلَبَ ٱلنُّورَ ٱلرِّيَاضُ الدَّمَائِثُ[4]
فَدُمْ لِلْعُلَى زَيْناً، وَلِلدِّينِ عُدَّةً
وَلِلْمُلْكِ سَيْفاً تَتَّقِيهِ ٱلْحَوَادِثُ
فَمُلْكُكَ لِلْأَمْلَاكِ ـ لَا شَكَّ ـ غَالِبٌ
وَعُمْرُكَ لِلْأَعْمَارِ ـ لَا شَكَّ ـ وَارِثُ

122

وَقُلْتُ فِي طَرِيقِ «سَلَا»، وَقَدْ بِتْنَا بِمَرْحَلَةٍ كَثِيرَةِ ٱلْبَرَاغِيثِ[5] :

(البسيط)

بِتْنَا نُكَابِدُ هَمَّ ٱلْقَحْطِ لَيْلَتَنَا
وَأَنْجَدَ[6] السُّهْدُ[7] وَالْكَرْبُ الْبَرَاغِيثَا
وَكَانَ يُحْمَلُ[8] مَا كُنَّا نُكَابِدُهُ
مِنَ ٱلْمَشَقَّةِ لَوْ أَنَّ ٱلْبَرَى[9] غِيثَا

123

وَقُلْتُ مِمَّا كُتِبَ عَلَى سِكِّينٍ اتُّخِذَ لِلسُّلْطَانِ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ[10] :

---

(4) الأرض الدميثة كالدمثاء : الأرض السهلة اللينة .
(5) في الأصول ماعدا «ق»، وفي النفح (جـ : 9 ص 178) ، مركز الاحاطة (جـ : 3 لوحة 162) ، نفاضة الجراب فح لوحة : 56 .
(6) في النفح : وأيد .
(7) في النفح : اللهم والسهد .
(8) في النفح : بجمد .
(9) البري ، التراب ، غيث : أصابه الغيث ، تلاعب بالألفاظ قصد الجناس .
(10) في الأصول ماعدا «ق» ، وفي الاحاطة لوحة : 454 .

(السريع)

إِنْ شَهَرَتْ نَصْلِي يَدَا «يُوسُفٍ» رِيعَتْ لِفَتْكِي مُهْجَةُ ٱللَّيْثِ
وَلُحْتُ مِثْلَ ٱلْبَرْقِ فِي كَفِّهِ لَا يُنْكِرُ ٱلْبَرْقُ عَلَى ٱلْغَيْثِ

124

وَمِنْ أَبْيَاتِ ٱلْمِنْكَانَةِ قَوْلِي[11] :

(الخفيف)

يَا إِمَاماً غَداً لِدِينٍ وَدُنْيَا
خَيْرَ مُسْتَصْرَخٍ وَخَيْرَ غِيَاثِ
حَلَفَ ٱللَّيْلُ، وَهْوَ بَرٌّ كَرِيمٌ،
عِنْدَ ذِكْرَاكَ مُقْسِماً بِٱلثَّلاَثِ
أَنَّكَ «ٱلْمُسْتَعِينُ[12] بِاللَّهِ» حَقّاً
فِي ٱبْتِدَارٍ إِلَى ٱلْهُدَى وَٱنْبِعَاثِ
حَفِظَ ٱللَّهُ أُمَّةً أَنْتَ فِيهَا
مَلِكاً مِنْ طَوَارِقِ ٱلْأَحْدَاثِ[13] (ف 83 أ)

(11) في الأصول ماعدا «ق»
(12) يقصد المستعين بالله أبا سالم المريني.
(13) إلى هنا ينتهي ما في الأصول من حرف الثاء

ملحق

125

مِنْ نَظْمِهِ وَقَدِ انْتَابَهُ ٱلْبُرْغُوثُ[14] :

(الكامل)

زَحَفَتْ إِلَيَّ رَكَائِبُ ٱلْبُرْغُوثِ
نَمَّ ٱلظَّلَامُ بِرَكْبِهَا ٱلْمَحْثُوثِ
«بِالحَبَّةِ ٱلسَّوْدَاءِ»[15] قَابَلَ مَقْدَمِي
لِلَّهِ أَيَّ قِرىً، أَعَدَّ، خَبِيثِ
كَسَحَتْ بِهِنَّ ذُبَابَ سَرْحِ تَجَلُّدِي
لَيْلاً، فَحَبْلُ ٱلصَّبْرِ جِدُّ رَثِيثِ
إِنْ صَابَرَتْ نَفْسِي أَذَاهُ تَعَبَّدَتْ
أَوْ صِحْتُ مِنْهُ أَنِفْتُ مِنْ تَحْنِيثِي
جَيْشَانِ مِنْ لَيْلٍ وَبُرْغُوثٍ فَهَلْ
جَيْشُ الصَّبَاحِ لِصَرْخَتِي بِمُغِيثِ ؟!

---

(14) وردت المقطوعة في النفح (جـ : 9 ، ص 188) والاستقصاء (جـ : 4 ص 16) والازهار (جـ : 1 ص 289) .

(15) في هذا تورية «بالحبّة السوداء» نوع من التوابل .

حرف الجيم

126

قُلْتُ فِي غَرَضِ ٱلنَّسِيبِ لِمَنْ كَلَّفَنِي ذَلِكَ فِي زَمَنِ ٱلصِّبَا وَٱللَّهُ يَتَجَاوَزُ بِفَضْلِهِ[1] :

(الخفيف)

يَا سِرَاجَ ٱلْجَمَالِ، يَا ٱبْنَ سِرَاجِ
يَا هِلَالاً فِي أَسْعَدِ ٱلأَبْرَاجِ
كُلَّمَا رُمْتُ فِيكَ بَعْضَ سُلُوٍّ
رَجَعَ ٱلشَّوْقُ بِي عَلَى ٱلأَدْرَاجِ
أَنْتَ شَمْسِي فَكُلَّمَا غَابَ عَنِّي
فَنَهَارِي مِثْلُ ٱلظَّلَامِ ٱلدَّاجِي
يَا مَرِيضَ ٱلْجُفُونِ، أَمْرَضْتَ قَلْبِي
فَأَدِرْكْنِي، فَفِي يَدَيْكَ عِلَاجِي
أَجُفُونٌ تُجِيلُهَا أَمْ كُؤُوسٌ
أُتْرِعَتْ لِلْهَوَى بِغَيْرِ مِزَاجِ ؟!
تَخْدَعُ ٱلنَّاسَ بِالْفُتُورِ[2] فَفِيهَا
نُسْكُ بِشْرٍ[3] وَسَطْوَةُ ٱلْحَجَّاجِ[4]

(1) في الأصول كلها وهي القصيدة الثانية من الأصل «ق» .

(2) في «م» الفتون

(3) يقصد بشر الحافي (150 ـ 227 هـ ـ 767 ـ 841م) بن الحارث بن علي بن عبد الرحمن المروزي أبو نصر، من كبار الصالحين. الأعلام (جـ : 2 ، ص 26) .

(4) يقصد الحجاج بن يوسف بن الحكم الثقفي أبو محمد ، قائد داهية سفاك خطيب . الأعلام (جـ : 2 ص 175) .

يَـا غَـزَالاً غَـزَا دِيَـارَ ٱلأَعَـادِي
وَأَجَـالَ ٱلْـجِـيَـادَ تَـحْتَ ٱلْعَجَاجِ
لَكَ يَـا فَـارِسَ ٱلْـخُـبُولِ أُنَادِي
لَكَ يَا «عَنْتَرَ» الصُّفُوفِ أُنَاجِي
هُـزَّ مِنْ مِـعْـطَـفَـيْكَ ذَابِلَ خَطٍّ
ذَا قَوَامٍ مُـهَـفْـهَـفٍ وَانْـدِمَـاجِ
وَشِـمِ ٱلسَّـيْـفَ مِنْ لِحَاظِكَ تَفْرِي
كُـلَّ دِرْعٍ مُضَاعَفٍ فِي ٱلْـهِـيَاجِ
يَـا عَـذُولِي إِلَـيْكَ عَـنِّي فَـإِنِّي
لَسْتُ بِالنُّصْحِ مِنْكَ بِالْـمُـحْتَاجِ
شَـفَّـنِي حُبُّ جَوْهَـرِيِّ الـثَّـنَـايَـا
كَوَتَرِيٍّ ٱللَّمَا لَطِيفُ ٱلْمِزَاجِ (ف 84 ب)
أَضْرَمَ ٱلنَّارَ فِي فُؤَادِي وَهَلْ(5) تُنْـ
ـكَرُ نَارٌ تَوَلَّدَتْ عَنْ سِرَاجِ ؟!
وَحَـمَـانِي عَـذْبَ ٱلرُّضَابِ فَجَادَتْ
مُقْلَتِي فَوْقَ وَجْنَتِي بِالْأُجَاجِ(6)
غَـفَرَ ٱللَّـهُ لِي لَقَدْ جِئْتُ زُوراً
بِـجِـدَالٍ مُـلَـفَّقٍ وَحِـجَـاجِ
كَيْفَ أَشْكُو بِعَادِ مَنْ هُوَ دَانٍ
قَـاتَـلَ ٱللَّـهُ شِـرَّتِي وَلَـجَـاجِي
سَاعَدَتْنِي بَعْدَ ٱلْمِطَالِ ٱللَّيَالِي
واسْـتَـقَـامَ الـزَّمَانُ بَعْدَ اعْوِجَاجِ
لَـوْ تَرَانِـي، وَٱللَّيْـلُ فِـي عُنْفُـوَانٍ،
قُلْتُ : سِرَّيْـنِ فِـي فُـؤَادِ الدَّيَاجِـي

(5) في «ق» ولا
(6) إلى هنا تنتهي المجموعة الأولى من الأوراق التي بالقرويين.

نَقْطَعُ ٱللَّيْلَ فِي ٱلْتِئَامٍ وَضَمٍّ
وَسُرُورٍ وَغِبْطَةٍ وَٱبْتِهَاجِ
هَاكَهَا، وَٱلْحَبَابُ يَعْلُو عَلَيْهَا
غَادَةٌ تُوِّجَتْ بِأَبْدَعِ تَاجِ
قَارَبَتْ أَنْ تَسِيلَ بِٱلْكَأْسِ مِمَّا
شَفَّ عَنْ جِسْمِهَا أَدِيمُ ٱلزُّجَاجِ
قَسَماً بِالدُّعَاءِ فِي «عَرَفَاتٍ»
و«مِنىً»، حَيْثُ مَجْمَعُ ٱلْحُجَّاجِ
مَا فُؤَادِي بِغَيْرِ حُبِّكَ عَانٍ
وَلِغَيْرِ ٱغْتِنَامِ وَصْلِكَ رَاجِي

127

وَقُلْتُ أَيْضاً مِمَّا يُكْتَبُ عَلَى طِيقَانِ ٱلْمَاءِ[7] بِٱلْقُبَّةِ السُّلْطَانِيَّةِ ٱلْيُوسُفِيَّةِ[8] :
(الكامل)

رَقَمَتْ أَنَامِلُ صَانِعِي دِيبَاجِي
مِنْ بَعْدِ مَا نَظَمَتْ جَوَاهِرَ تَاجِي
وَحَكَيْتُ كُرْسِيَّ ٱلْعَرُوسِ وَزِدْتُهُ
أَنِّي ضَمِنْتُ سَعَادَةَ الأَزْوَاجِ (ف 85 أ)
مَنْ جَاءَنِي يَشْكُو ٱلظَّمَاءَ، فَمَوْرِدِي
صِرْفُ الزُّلَالِ ٱلْعَذْبِ دُونَ مِزَاجِ
فَكَأَنَّنِي قَوْسُ ٱلسَّمَاءِ إِذَا بَدَتْ
وَالشَّمْسُ مَوْلَانَا «أَبُو ٱلْحَجَّاجِ»

(7) طيقان الماء (ج) طاق : ما عطف من الأبنية أي جعل كالقوس من قنطرة ونافذة وما أشبه، فارسي معرب.
(8) في الأصول ماعدا «ق».

لَازَالَ مَحْرُوسَ ٱلْمَثَابَةِ، مَا غَدَا
بَيْتُ ٱلْإِلَاهِ مَثَابَةَ ٱلْحُجَّاجِ

128

وَقُلْتُ فِي ٱلْأُخْرَى[9] :

(الكامل)

فُقْتُ ٱلْحِسَانَ بِحُلَّتِي وَبِتَاجِي فَهَوَتْ إِلَيَّ الشُّهْبُ فِي ٱلْأَبْرَاجِ
يَبْدُو إِنَاءُ ٱلْمَاءِ فِيَّ كَعَابِدٍ فِي قِبْلَةِ ٱلْمِحْرَابِ قَامَ يُنَاجِي
ضَمِنَتْ عَلَى مَرِّ ٱلزَّمَانِ مَكَارِمِي رِيَّ ٱلْأَوَامِ[10]، وَحَاجَةَ ٱلْمُحْتَاجِ
فَكَأَنَّنِي ٱسْتَقْرَيْتُ آثَارَ ٱلنَّدَى مِنْ كَفِّ مَوْلَانَا أَبِي ٱلْحَجَّاجِ
لَازَالَ بَدْراً فِي سَمَاءِ خِلَافَةٍ مَا لَاحَ بَدْرٌ فِي ٱلظَّلَامِ ٱلدَّاجِي

129

وَكَتَبْتُ فِي عُنْوَانٍ[11] :

(الخفيف)

يَا كِتَابِي إِذَا بَلَغْتَ مَحَلاً
فِيهِ غَيْثُ ٱلنَّدَى، وَغَوْثُ الرَّاجِي
فَلْتُقَبِّلْ عَنِّي، بِغَيْرِ تَوَانٍ،
كَفَّ مَوْلَى ٱلْوَرَى «أَبِي ٱلْحَجَّاجِ»

130

وَقُلْتُ وَقَدْ تَشَيَّعَ ٱلسُّلْطَانُ، رَحْمَةُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ، لِلصُّوفِيَّةِ وَالْفُقَرَاءِ وَأَحْضَرَهُمْ مَجَالِسَهُ، وَأَظْهَرَ ٱلْمَيْلَ إِلَيْهِمْ وَأَمَرَ بِالنَّظْمِ فِي طَرِيقِهِمْ[12] : (ف 86 ب)

(9) في الأصول ماعدا «ق».
(10) الأوام : العطش.
(11) في الأصل ماعدا «ق»
(12) في الأصول ماعدا «ق»

(الكامل)

هَبَّ ٱلنَّسِيمُ مُعَطِّرَ ٱلأَرَاجِ
فَشَفَى لَوَاعِجَ قَلْبِيَ ٱلْمُهْتَاجِ
وَافَى يُحَدِّثُ عَن أَحِبَّتِيَ ٱلأُلَى
أَصْبَحْتُ أَكْنِي عَنْهُمُ وَأُحَاجِي
فَاشْرَبْ عَلَى ذِكْرِ ٱلْحَبِيبِ وَسَقِّنِي
صَهْبَاء تُشْرِقُ فِي ٱلظَّلَامِ ٱلدَّاجِي
مِنْ خَمْرَةِ ٱلسِّرِّ ٱلْمُقَدَّسَةِ ٱلَّتِي
كَلِفَتْ بِطَاسَتِهَا يَدُ (ٱلْحَلاَّجِ)[13]
وَأَرَتْ لَهُ ٱلأَشْيَاء شَيْئاً وَاحِداً
فَغَدَا يُخَاطِبُ نَفْسَهُ، وَيُنَاجِي
وَرَأَى «ٱبْنُ أَدْهَمَ»[14] لَمْحَةً مِنْ نُورِهَا
تَلْتَاحُ بَيْنَ مَخَارِمٍ وَفِجَاجِ
فَغَدَا، وَمِنْ صُوفِ الصَّفَاءِ شِعَارُهُ
وَاعْتَاضَهُ مِنْ لِبْسَةِ ٱلدِّيبَاجِ
رَفَعُوا لَهَا قَبَساً بِجَانِبِ طُورِهِمْ
فَعَشَوْتُ نَحْوَ سِرَاجِهِ ٱلْوَهَّاجِ
وَبَحَثْتُ عَنْهَا خَمْرَةً لَمَّا تَزَلْ
سَبَبَ ٱلنَّجَاةِ لِطَالِبِ أَوْرَاجِي
لَمَّا عَلِمْتُ مَكَانَهَا وَزَمَانَهَا
أَعْمَلْتُ فِي لَيْلِ ٱلسُّرَى إِدْلاَجِي[15]
وَأَتَيْتُ رَبَّ الدَّيْرِ فِي مِحْرَابِهِ
فَبَثَثْتُ إِفْلاَسِي إِلَيْهِ وَحَاجِي

(13) يقصد الحسين بن منصور الحلاج المقتول سنة 309هـ.
(14) ابن أدهم : 161هـ ـ 776م ، هو ابراهيم ابن أدهم بن منصور التيمي البلخي أبو اسحاق زاهد مشهور. الأعلام (جـ : 1 ص 24).
(15) الإدلاج : المشي ليلا.

نَـادَيْـتُـهُ مُـتَـرَحِّـماً، وَاللَّيْـلُ قَـدْ
رَجَـعَتْ كَـتَـائِـبُـهُ عَـلَى ٱلأَدْرَاجِ
مَا لِي سِوَاكَ فَلَا تُخَيِّبْ مَقْصَدِي
مَـا خَـابَ فِيكَ رَجَاءُ عَبْدٍ رَاجِي
وَافَيْتُ مِنْ أَرْضٍ بَعِيدٍ خَطْوُهَا
مِنْ بَعْدِ طُولِ تَـخَبُّطٍ وَلَجَاجِ
مَهْمَا ضَحَيْتُ فَظِلُّ حُبِّكَ مَلْجَإِي
وَمَتَى مَرِضْتُ فَفِي يَدَيْكَ عِلَاجِي (87 أ)
وَمَـدَدْتُ كَـفَّ ٱلْـفَـقْـرِ أَسْأَلُهُ فَيَا
عِـزَّ الْـغَـنِـيِّ وَذِلَّـةَ ٱلْـمُـحْـتَـاجِ
فَرَأَى افْتِقَارِي فِي يَدَيْهِ فَجَادَ لِي
مِنْ جُودِهِ بِـالْوَابِـلِ الـثَّـجَّـاجِ
وَأَحَـلَّنِي مِنْ دَيْـرِهِ فِي هَضْبَـةٍ
تَـنْـحَطُّ عَـنْهَا الشُّهْبُ فِي الأَبْرَاجِ
وَجَلَا عَـلَيَّ الرَّاحَ فِي أَكْوَاسِهَا
فَشَـرِبْـتُـهَـا صِـرْفاً بِـغَـيْرِ مِزَاجِ
تَـخْـفَى عَنِ الإِدْرَاكِ إِلاَّ أَنَّـهَـا
يَـهْـدِي سَـنَـاهَـا رَاحَـةَ ٱلْـمُزَّاجِ
فَـتَـرَى زُجَاجَتَهَـا بِغَيْـرِ مُدَامَـةٍ
وَتَـرَى مُدَامَتَهَـا، بِغَيْـرِ زُجَـاجِ
وَإِلَى عَلَيَّ بِهَا وَقَالَ هِيَ الَّتِي
فِيهَا سَمَحْتَ «بِخَيْرِهَا النَّسَّاجِ»[16]
فَاشْرَبْ وَبُحْ بِاسْمِي جِهَاراً لاَ تَخَفْ
فِي ٱلدَّيْرِ مِنْ نَصَبٍ وَلاَ إِحْـرَاجِ

(16) مما ينسب لابن البناء المراكشي : «بَايِنْ البونيّ وأشكاله وتابعْ خير النّساج وأمثاله».

(البسيط)

مَاذَا أُحَدِّثُ عَنْ بَحْرٍ سَبَحتُ بِهِ
حَدِّثْ عَنِ ٱلْبَحْرِ[25] لَا إِثْمٌ، وَلَا حَرَجُ
دَحَاهُ مُبْتَدِعُ الْأَشْيَاءِ مُسْتَوِياً
مَا إِنْ بِهِ دَرَكٌ، كَلَّا، وَلَا دَرَجُ (ف 89 أ)
حَتَّى إِذَا مَا ٱلْمَنَارُ الْفَرْدُ[26] لَاحَ لَنَا
صِحْتُ : أَبْشِرِي يَا مَطَايَا، جَاءَكِ ٱلْفَرَجُ
قَرُبْتِ مِنْ «عَامِرٍ» دَاراً وَمَنْزِلَةً
وَالشَّاهِدُ ٱلْعَدْلُ، هَذَا الطِّيبُ والأَرَجُ

132

وَقُلْتُ مِنْ سَاعَاتِ ٱلْمَنْكَانَةِ فِي هَذَا ٱلْحَرْفِ[27] :

(السريع)

هَذِي ثَمَانٌ قَدْ قَطَعْنَ ٱلدُّجَى[28]
فِي سَيْرِهَا مُعْتَبَرٌ لِلْحِجَا
مَرَّتْ وَقَدْ نَالَ بِهَا آمِلٌ
مَا شَاءَ مِنْ أَوْطَارِهِ وَارْتَجَى
فَجَرَّدَ ٱلْعَزْمَ الَّذِي مَا نَبَا
وَٱلْتَحَفَ ٱللَّيْلَ ٱلَّذِي قَدْ سَجَا
يَرُدُّهُ ٱلْخَوْفُ وَيَدْعُو بِهِ
إِذَا أَطَاعَ ٱلْخَوْفَ دَاعِي الرَّجَا

= 265) ، وفي الاستقصاء (جـ : 4 ص 16) والاعلام بمن حل مراكش وأغمات من الاعلام (جـ : 1 ص 75) وفي النفاضة (جـ : 2 ص 380) ، و(جـ : 3 ص 56) .

(25) في الأزهار من البحار وفي النفح

(26) المنار الفرد : صومعة جامع الكتبيين (انظر

(27) في الأصول ماعدا «ق» وفي نفاضة الجراب (جـ : 3 ص 224) .

(28) في الأصول الحجي . واثبتنا ما ورد في النفاضة .

قَدْ قَطَعَ الْبَرَّ فَقَالَ الْوَجَى
وَاقْتَحَمَ الْبَحْرَ فَقَالَ[29] النَّجَا

وَالْتَذَّ بِالْبَاقِي فَحَثَّ الْخُطَى
وَمَرَّ بِالْفَانِي فَمَا عَرَّجَا
مَوْلاَيَ، هَذَا نَهْجُ أَهْلِ الْهَوَى
فَاسْمَحْ لِمَنْ قَارَبَ أَوْ لَجَّجَا
وَاسْلُكْ مِنَ السَّيْرِ بِهِ مَنْهَجاً
عَنْ مَادِحٍ جلَّ، وَعَمَّنْ هَجَا
وَلْتَقْرَأ النُّسْخَةَ وَاتْرُكْ إِلَى
سِرِّ الْمَعَانِي خَطَّهَا الْمُدْمَجَا[30]
وَكَيْفَ لاَ يُحْرِزُ إِرثَ الْعُلَى
مَنْ وَرِثَ «الأَنْصَارَ» و«الْخَزْرَجَا»

133

وَقُلْتُ ، وَهُوَ مِنْ أَوَّلِياتِ مَا نَظَمْتُ فِي مَدْحِ السُّلْطَانِ «أَبِي عَبْد اللَّهِ» ابْنِ السُّلْطَانِ «ابْنِ الْوَلِيدِ ابْنِ نَصْرٍ» رَحِمَهُ اللَّهُ[31] (*) :

(الكامل)

أَهْلاً بِطَيْفٍ زَارَنِي[32] غَسَقَ الدُّجَى
فَأَعَادَ لَيْلَتَنَا صَبَاحاً أَبْلَجَا
فَتَحَتْ زِيَارَتُهُ لِصَبٍّ هَائِمٍ
بَابَ الْقَبُولِ، وَكَانَ قِدْماً مُرْتَجَا (ف 90 ب)

(29) النفاضة : فصاح
(30) البيتان لا يوجدان في الأصول ، وهما زيادة من النفاضة .
(31) وردت المقطوعة في الأصول كلها ، غير أنها تأتي في «ق» بعد انتهاء حرف الثاء مباشرة .
(*) ديباجة «ق» قلت من نسيب قصيدة في مدح السلطان أبي عبد الله رحمه الله وهي من النظم الصادر في زمن الحداثة .
(32) في «ق» في

لِلَّهِ دَرُّكَ مِنْ خَيَالٍ مُطْمِعٍ
عَلِقَتْ لَنَا بِحِبَالِهِ أَيْدِي ٱلرَّجَا!
كَيْفَ ٱهْتَدَيْتَ، وَهَلْ بَدَا لَكَ مَضْجَعٌ
خَطَّ النحُولُ عَلَيْهِ سَطْراً مُدْمَجَا ؟[33]
يَا سَالِكاً بِمُحِبِّهِ طُرُقَ ٱلنَّوَى
هَلا سَلَكْتَ إِلَى التَّوَاصُلِ مَنْهَجَا[34]
أَفْدِيكَ مِنْ حَكَمٍ تَأَوَّلَ حكْمَهُ
فَقَضَى بِقَتْلِ ٱلْعَاشِقِينَ تَحَرُّجَا !
أَو مَا تَرَى طُوفَانَ فَيْضِ مَدَامِعِي
يُذْكِي جَحِيماً، بِالضُّلُوعِ، تَأَجَّجَا ؟!
أَسْتَنْبِئُ ٱلْبَرْقَ ٱلْخَفُوقَ إِذَا هَفَا
وَأُسَاهِرُ ٱللَّيْلَ الطَّوِيلَ إِذَا دَجَا
هَبْ لِي رِضَاكَ فَإِنَّنِي مُسْتَشْفِعٌ
بِحُلَى أَمِيرِ ٱلْمُسْلِمِينَ ٱلْمُرْتَجَى

134

وَثَبَتَ فِي خَاتِمَةِ جُزْءٍ سَمَّيْتُهُ «خَطْرَةَ ٱلطَّيْفِ وَرِحْلَةَ ٱلشِّتَاءِ وَٱلصَّيْفِ»[35] تَضَمَّنَ وَصْفَ حَرَكَةِ ٱلسُّلْطَانِ لِتَفَقُّدِ ٱلْبِلادِ ٱلْأَنْدَلُسِيَّةِ وَهُوَ كَثِيرٌ بِأَيْدِي ٱلنَّاسِ مُقْطَعٌ جَانِبَ ٱلْإِيثَارِ وَٱلْإِسْتِحْسَانِ[36] :

(الطويل)

إِذَا سِرْتَ سَارَ ٱلنُّورُ حَيْثُ تَعُوجُ
كَأَنَّكَ بَدْرٌ، وَٱلْبِلَادُ بُرُوجُ

(33) دمج الشيء في الشيء : دخل واستحكم فيه. والخط المدمج : المتداخل.
(34) يأتي هذا البيت في «ق» ما قبل الأخير.
(35) نشر هذا الجزء ضمن مشاهدات لسان الدين بن الخطيب بتحقيق العبادي.
(36) وردت المقطوعة في الأصول ماعدا «ق»، وفي مشاهدات لسان الدين (ص 50/ 51) وريحانة الكتاب لوحة : 473.

لَكَ ٱللَّهُ مِنْ بَدْرٍ عَلَى أُفُقِ ٱلْعُلَى
يَـلُوحُ، وَبَـحْـرٌ بِـالـنَّـوَالِ يَـمُوجُ
تَـفَـقَّـدْتَ أَحْوَالَ ٱلثُّغُورِ بِـنِـيَّةٍ
لَـهَـا نَـحْوَ أَبْوَابِ ٱلْقَبُولِ عُرُوجُ
وَسَكَّنْتَـهَـا بِٱلْقُرْبِ مِنْكَ وَلَمْ تَزَلْ
تَهِيمُ هَوىً مِنْ قَبْلِهِ وَتَهِيجُ (ف 91 أ)
مَرَرْتَ عَلَى وَعْدٍ مَعَ ٱلْغَيْثِ بَعْدَهَا
فَـمَـنْـظَرُهَـا بَـعْـدَ ٱلْـعُـبُوسِ بَـهِـيجُ
فَكَمْ تَلْعَةٍ قَد كَلَّلَ النَّوْرُ تَاجَهَا
وَرَفَّ عَـلَـيْـهَـا لِـلـنَّـبَـاتِ نَسِيجُ
وَلَا نَـجْـدَ إِلَّا رَوْضَـةٌ وَحَـدِيقَةٌ
وَلَا غَـوْرَ إِلَّا جَـدْوَلٌ وَخَـلِـيـجُ
أَ «يُوسُفُ» دُمْ لِلدِّينِ تَحْمِي ذِمَارَهُ
إِذَا كَـانَ لِـلْـخَـطْـبِ الأَبِـيِّ وُلُوجُ
بِفِتْيَةِ صِدْقٍ إِنْ دَجَا لَيْلُ حَادِثٍ
فَـهُـمْ سُـرُجٌ آفَـاقُـهُـنَّ سُـرُوجُ[37]
بَقِيتَ قَرِيرَ ٱلْعَيْنِ مَا ذَرَّ[38] شَارِقٌ
وَمَا طَافَ بِٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ حَجِيجُ[39]

135

وَقُلْتُ وَقَدْ حَلَلْتُ فِي بَعْضِ التَّوَجُّهَاتِ بِمَدِينَةِ «سَبْتَةَ»[40] ، وَكَتَبْتُهَا فِي حَائِطٍ

(37) سُرُج الأولى جمع سراج : المصباح ، وسروج الثانية جمع سرج مقتعد الفارس .
(38) ذر : شرق .
(39) يدعو له بالخلود .
(40) سبتة : Ceuta (بفتح السين وسكون الباء) ، مدينة على ساحل البحر الأبيض المتوسط شمال المغرب الأقصى .

ٱلْقَصْرِ حَيْثُ نَزَلْتُ مِنْهَا[41] :

(البسيط)

يَا «سِتَّةَ ٱلْعَزَفِيِّين»[42] ٱلْأُلَى دَرَجُوا
وَقَدْ تَضَوَّعَ مِنْ أَخْبَارِهِمْ أَرَجُ
مَا بَالُ رَبْعِكِ قَدْ حَطَّ ٱلْعَفَاءُ بِهِ
رَحْلَ ٱلْمُقِيمِ ، وَأَوْدَى حُسْنُكِ ٱلْبَهِجُ ؟!
أَيْنَ ٱلْمَجَالِسُ، أَمْ أَيْنَ ٱلْفَهَارِسُ، أَمْ
أَيْنَ ٱلْمَدَارِسُ لَا تَنْبُو بِهَا ٱلْحُجَجُ ؟!
أَيْنَ ٱلْأَسَاطِيلُ تُزْجَى مِنْ سَوَابِحِهَا
دُهْماً مُعتَّقَةً بَيْدَاؤُهَا ٱللُّجَجُ ؟!
أَيْنَ الصُّدُورُ إِذَا مَا ٱلْمُعْضِلَاتُ دَجَتْ
هَدَتْ إِلَى ٱلْقَصْدِ مِنْ آرَائِهِمْ حُجَجُ ؟!
يُصَرِّفُونَ مِنَ ٱلْخَطِّيِّ عَاسِلَةً[43]
سُمْراً تَسِيلُ عَلَى أَعْطَافِهَا ٱلْمُهَجُ
تَخَرَّمُواْ لَمْ يَكُنْ فِي ٱلْأَرْضِ مُنْحَدَرٌ
يَقِي ٱلْمَنُونَ وَلَا فِي ٱلْجَوِّ مُنْعَرَجُ (ف 92 ب)
قَالَت : تَخَوَّنَنِي صَرْفُ الزَّمَانِ فَلَمْ
يَدْخُلْ لِيَ الأُنسُ قَلْباً مِنْ لَدُنْ خَرَجُوا

= انظر : مشاهدات لسان الدين بن الخطيب في بلاد المغرب والأندلس ص 101 ــ 102 .
ــ اختصار الاخبار عما كان بثغر سبتة من سني الآثار ــ مجلة تطوان سنة 1959 ، تحقيق محمد بن تاويت التطواني .
ــ الازهار (جـ : 1 ص 29) .

(41) وردت في الأصول ماعدا «ق» .

(42) أسرة العزفيين : بيت العزفيين بسبتة مشهور ، وكانت لهم الرياسة بها مدة . الأزهار (جـ : 2 ص 374 ــ 378)

(43) عاسلة : متثنية .

وَكُلُّ ذِي جِدَّةٍ يَبْلَى إِذَا لَعِبَتْ
بِهِ اللَّيَالِي وَسَارَتْ دُونَهُ الْحُجَجُ
لَعَلَّ «فَارِسَ»(44) تُحْيِينِي مَكَارِمُهُ
إِنَّ الشَّدَائِدَ يَأْتِي إِثْرَهَا الْفَرَجُ

136

وَقُلْتُ أَيْضاً فِي سَاعَاتِ الْمِنْكَانَةِ(45) : (46)

(المنسرح)

مَوْلَايَ سِتٌّ مِنَ الظَّلَامِ مَضَتْ كَالْمِسْكِ فِي صِبْغَةٍ وَفِي أَرَجِ
أَجْزَاءُ لَيْلٍ مَرَّتْ كَمَا انْطَلَقَتْ كَفٌّ عَلَى سُبْحَةٍ مِنَ السَّبَجِ(47)
إِلَى مَحَلِّ الْقَبُولِ قَدْ عَرَجَتْ(48) بِفِعْلِكَ الْبِرِّ خَيْرَ مُنْعَرَجِ
فَاسْلَمْ «أَبَا سَالِمٍ» لِنَهْجِ هُدًى جَدَّدَهُ مِنْكَ أَيُّ مُبْتَهِجِ
فَلَيْلَةُ الْمَوْلِدِ الْكَرِيمِ، عَلَى تَقْوَاكَ لِلَّهِ، أَصْدَقُ الْحُجَجِ

137

وَكَتَبَ إِلَيَّ أَحَدُ الطَّلَبَةِ «بِسَبْتَةَ» كِتَاباً فِي غَايَةِ الْبَرْدِ فَأَجَبْتُهُ مَعَ نَثْرٍ ثَبَتَ فِي «رَيْحَانَةِ الْكُتَّابِ»(49) مِنْ تَأْلِيفِي بِقَوْلِي(50) :

(السريع)

قُلْ لِلْأَشُونِّي(51) وَلَا تَحْتَشِمْ
قَوْلَ امْرِئٍ بِالْحَقِّ مُحْتَجِّ

---

(44) يقصد أبا عنان فارس المريني .
(45) المنكانة : آلة لضبط الوقت . انظر دوزي (جـ : 2 ص 617) .
(46) في الأصول ماعدا «ق»
(47) السَّبَجُ : خرز أسود .
(48) عرجت : صعدت ، وفي التنزيل تعرج الملائكة والروح إليه .
(49) لا وجود للنثر المشار إليه في ريحانة الكتاب المخطوطة بالخزانة العامة .
(50) في الأصول ماعدا «ق» .
(51) الأشوني : نسبة إلى أشونة بلدة بالأندلس . من كور استجة بينهما نصف يوم . انظر : =

يَـا مَنْ بَـرَاهُ ٱللَّـهُ لَـمَّـا بَـرَا
مِنْ بَـرَدٍ صِـرْفٍ، وَمِن ثَـلْجِ
وَقِشْـــرِ رُمَّـــانٍ، وَشَبٍّ، وَمِنْ
سُكٍّ، وَعَـــفْصٍ قَـــابِضٍ فَجِّ[52]
عَـــقْـــدُكَ كَـــافُورٌ بِلَا مِـــرْبَـــةٍ
وَعَقْلُكَ ٱلْهَلْهَلُ مِنْ بَنْجِ (ف 93 أ)
وَلَـفْـظُكَ ٱلْـبَـارِدُ، يَـا سَـيِّـدِي
مِنْ زَمْـــهَـــرِيـــرٍ هَبَّ فِي فَجِّ
لُفَّ عَلَى ٱلْمَعْنَى الضَّعِيفِ ٱلْقُوَى
كَـخِرْوِ قِطٍّ، لُفَّ فِي خَمْجِ[53]
عَـجِـبْتُ مِنْ زَوْجِكَ مَـا بَـالُـهَا
لَمْ تَسْتَغِثْ مِنْكَ بِقُولَنْجِ[54] ؟!
مَـا بَـالُـهَا لَـمْ يَنْصَرِفْ خَصْمُـهَا
بِـفَـالَجٍ مِـنْكَ بِلَا فُـلْجِ[55] ؟!
مَـا بَـالُـهَا لَـمْ يَعْتَرِضْ خِدْرَهَا
خَدْرٌ عَلَى ٱلسَّكْنَى مَعَ الثَّلْجِ
أَظُـنُّـهَـا قَـدْ سَـحَـقَتْ فُـلْـفُلاً
فَـذَلِكَ ٱلسَّـحْقُ هُوَ ٱلْـمُـنْـجِي

= ــ صلة الصلة (ص 84)
ــ معجم الجغرافية (جـ : 1 ص 12)
ــ الروض المعطار ص : 68 .

(52) السك : قابض مانع للشيء الحادث من الرطوبات ويعقل البطن ــ والعفص داء قابض مجفف ، وربما اتخذوا منه حبرا أو صبغا ــ ابن البيطار (جـ : 2 ص 24) .

(53) الخمج : النتن : يقال خمج دينه وخلقه ، فهو خمج .

(54) القولنج : مرض معوي مؤلم يصعب معه خروج البراز والريح وسببه التهاب القولون .

(55) الفلج : الانتصار .

سَـافَـتْـهُ فِي وَجٍّ وَفِي خـرْدَلٍ
وَمَنْ لِـذَاكَ ٱلْوَجْـهِ بِـالوَجِّ[55]

مَا حَالُ مَنْ جَاوَرَ مِنْكَ ٱلصَّبَا
وَالـقُـرُّ مُضْنٍ، شَـرُّهُ مُشْـجِي ؟
فَلاَ فَـمٌ يُـعْـمِـلُ فِي لَـفْـظَـةٍ
وَلَا يَـدٌ تَـدْنُو إِلَى فَـرْجِ
وَإِنْ تَشَوَّفْتَ إِلَى زَوْجَـةٍ
ثَـانِـيَـةٍ حَسْـبُكَ مِنْ زَوْجِ
عَـجُوزِ يَـنَّـيْـرٍ[57] بِـهَـا تَـجْتَـزِي
تَـأْتِـيكَ لِلْأَرْيَـاحِ فِي فَوْجِ
تُضْـحِكُ لِـحَـيْـبِكَ لَـهَـا رِعْـدَةٌ
ضِحْكَ ٱلْحَصَا فِي مَطْرَحِ ٱلْمَوْجِ
فَسُقْ لَـهَا خَالَكَ مِنْ بَعْدِ مَا
تَـجْـعَـلُـهُ لِـلْـخَـبْـثِ فِي دُرْجِ
واحْمِلْ لَـهَا ٱلْبَيْنَ وَبَرْدَ ٱلْكُلَا
نَوْعَيْنِ فِي تَحْتٍ وَفِي خُرْجِ[58](ف94ب)

---

(56) الوج : نبات عشبي من فصيلة القلقاسيات، نافع من وجع الكبد الباردة ـــ حديقة الأزهار لوحة : 19.

(57) سمي العرب أيام ثمانية بأيام العجوز وهي الصن والصنبر والوبر وآمر ومؤتمر ومعلل ومطفىء الجمر ومكفىء الظعن ويقصد الجاجوز رأس العام الفلاحي. انظر : أمثال العوام في الأندلس (جـ : 2. ص 1)، ثمار القلوب ص 251، المزهر (جـ : 1 ص 304).

(58) الخرج : وعاء من شعر أو جلد ذو عدلين يوضع على ظهر الدابة لوضع الأمتعة فيه، والتخت : وعاء تصان فيه الثياب.

وَبِتْ بِهَا فِي مَسْقِطٍ لِلنَّدَى
فِي بُرْدَةٍ أَوْ مَقْطَعٍ بَرْجِي[59]
وَإِنْ أَرَدْتَ ٱلْغَسْلَ فَاعْمِدْ لَهُ
خَلاًّ، وبِالْقِثَّاءِ[60] فَاسْتَنْجِ
وَامْزُجْ بِمَامِيثَا[61] وَحَبِّ ٱلْفَنَا[62]
لَخْلَخَةً[63] مُتْقَنَةَ ٱلْمَزْجِ
وابْنِ بِفَجِّ ٱلرِّيحِ عِلِّيَّةً
تَقْصِدُهَا فِي حَذَرِ الْهَزْجِ
وَاغْنَ بِقُطْنِ ٱلثَّلْجِ عَنْ مَتْجَرٍ
يُغْنِيكَ عَنْ جَمْعٍ وَعَنْ حَلْجِ
وَاغْزِلْهُ بِالرِّيحِ وَهَيِّءْ لَهُ
مَرَمَّةَ[64] الْمَصْقُولِ[65]، وَالْكَنْجِ[66]
والصِّنَّ وَالصِّنَّبْرَ فَاجْعَلْهُمَا
عِيداً كَعِيدِ العَجِّ وَالثَّجِّ[67]
واهْجُرْ مَخِيطَ الثَّوْبِ وَاحْلِقْ بِهِ
وَطُفْ طَوَافَ ٱلنَّاسِ فِي ٱلْحَجِّ

---

(59) نوع من الثياب ينسب إلى برجة — انظر دوزي (جـ : 2 ص 375)
(60) القثاء : ضرب من الخيار أو الخيار نفسه .
(61) ماميثا : تدعى أيضا بعشبة الخطاطيف لها لونٌ أحمر كشقائق النّعمان . انظر : حديقة الأزهار للغساني لوحة : 30 مخ الخزانة العامة : الرباط
(62) حب الفنا : عنب الثعلب .
(63) اللخلخة : ضرب من الطيوب .
(64) المرمة : الة النساجة انظر : (دوزي ، جـ : 1 ص 575) .
(65) المصقول : نوع من الثياب التي تلبس في الصيف انظر (دوزي جـ : 1 ص 839)
(66) الكنج : اسم لثوب من الصوف والقطن انظر (دوزي جـ : 2 ص 429) .
(67) عج : يعج عجا رفع صوته وصاح ، يقال عج إلى الله بالدعاء ، وعج بالتلبية في الحج والثج سيلان دم الهدي .

مَـــا أَنْتَ إِلَّا بَـــارِدٌ شَـــارِدٌ
مِنْ فَـلَكِ ٱلْـبُـرَّادِ[68] فِي أَوْجِ
جِـفَـاؤُكَ الـفَـظُّ ٱلَّـذِي نَـالَـنِي
صَـيَّـرَنِي لِـلْـفِـكْـرِ فِي هَـرْجِ
عُـمْـرِيَ، مَـا إِنْ نَـالَـنِي مِثْلُهُ
مِنْ ضَيْمِ «سَبْتِيٍّ» ولاَ «طَنْجِي»
فَـاسْـتَـغْـفِرِ ٱللَّـهَ وَلَا تَـهْـفُ فِي
كَـتْـبٍ مَـدَى ٱلـدَّهْـرِ وَلَا دَرْجِ
وَلَا تُـطِـعْ بَـرْدَكَ فِي مِـثْـلِـهَـا
إِلَّا لِـعَـبْـدٍ لَكَ أَوْ عِـلْـجِ
لَازِلْتَ، وَالشَّـارِبُ مِنْ خَسَّـةٍ[69]
وَالـرِّيقُ - مِنْ حَـامِضِ نَـارَنْـجِ[70]
يَـنَـيْـسُ وَالْـجَـدْيُ إِذَا عُـدَّلَا
حَظُّكَ مِنْ شَهْرٍ وَمِنْ بُرْجِ (ف 95 أ)
وَجِـئْتَ مِـنْ صُلْبِكَ فِـي مَـعْشَرٍ
مِـنْ وَلَـدٍ عُـورٍ وَمِـنْ عُـرْجِ
بِـيضٍ وَسُودٍ فَوْقَ نِطْعِ الأَذَى
كَـأَنَّـهُـمْ قِـطْـعَـاتُ شِـطْـرَنْـجِ
تَـخَـالُـهُـمْ يَـاجُوجَ دَارَتْ بِذِي الـ
ـقَـرْنَـيْـنِ يَـدْعُـونَ إِلَى خَـرْجِ[71]
وَزَيَّـنَـتْ عُـنُـقَكَ نُـغْـنُـوغَـةٌ[72]
كَـأَنَّـهَـا عُـقْـدَةُ أُتْـرُنْـجِ

(68) البراد : ارتخاء أو مرض يصيب الأعضاء.
(69) الخس بقل معروف.
(70) النارنج معرب نارنك.
(71) إشارة إلى قوله تعالى : «ياجوج وماجوج مفسدون في الأرض فهل نجعل لك خرجا على أن تجعل بيننا وبينهم سدا».
(72) النغنغ : والنغنغة : لحمة تكون في الحلق عند اللهازم.

مَا هَبَّ رِبحُ الصِّرِّ فِي بُقْعَةٍ
وَارْتَفَعَ الثَّلْجُ عَلَى مَرْجِ

138

وَقُلْتُ فِي مَعْنَى[73] التَّوْرِيَةِ الطِّبِّيَّةِ بِالدَّوَاءِ الْمُسَمَّى بِدَمِ الْأَخَوَيْنِ فِي شَأْنِ السُّلْطَانِ الْحَائِنِ «إِسْمَاعِيلَ» وَأَخِيهِ «قَيْسٍ» وَهَذَا الدَّوَاءُ أَنْفَعُ الْأَشْيَاءِ لِلْجِرَاحِ الطَّرِيَّةِ[74] :

(الوافر)

«بِاسْمَاعِيلَ» ثُمَّ أَخِيهِ «قَيْسٍ»
صَبِرْ التَّصَبُّرِ مِنْ أَجَلِّ عِلَاجِهَا
دَمُ الْأَخَوَيْنِ[75] دَوَى جُرْحَ قَلْبِي
وَعَالَجَنِي، وَحَسْبُكِ مِنْ عِلَاجِ

139

وَقُلْتُ مِنَ الْمَقْطُوعَاتِ[77] :

٨ ـ (الكامل)

إِنَّ الْهَوَى لَشِكَايَةٌ مَعْرُوفَةٌ صَبِرُ التَّصَبُّرِ مِنْ أَجَلِّ عِلَاجِهَا
وَالنَّفْسُ إِنْ أَلِفَتْ مَرَارَةَ طَعْمِهَا يَوْماً، ضَمِنْتُ لَهَا صَلَاحَ مِزَاجِهَا

---

(73) لا وجود لمعنىً في «ح»
(74) في الأصول ماعدا «ق» ، وفي النفح (جـ : 7 ص 69) ، وأزهار الرياض (جـ : 1 ص 174) والنفاضة (جـ : 2 ص 129) .
(75) في النفح هم ليلى
(76) دم الاخوين صالح لقطع السيف وشبهه وتدميل الجراحات الحادثة الدامية . انظر : كتاب الجامع لمفردات الأدوية والاغذية لابن البيطار ص 96 ـ 97 .
(77) في الأصول ماعدا «ق» ، وفي النفح (جـ : 9 ص 176 ، 208 ، 209) ، والسحر والشعر لوحة 118 ، والازهار (جـ : 1 ص 274) . وزهر الأكم لوحة : 330 .

140

وَقُلْتُ صَدْرَ مُرَاسَلَةٍ فِي تَهْنِئَةٍ بِمَوْلُودٍ لِأَحَدِ ٱلْفُضَلَاءِ[78] : [79]

(البسيط)

لِم لاَ تُنَالُ ٱلْعُلَى أَوْ يُعْقَدُ ٱلتَّاجُ
وَالْمُشْتَرِي طَالِعٌ، وَالشَّمْسُ هِلَاجُ (ف96ب)

وَالسَّعْدُ يَرْكُضُ فِي مَيْدَانِهَا فَرِحاً
جَذْلَانَ، وَٱلْفَلَكُ الدَّوَّارُ هِمْلَاجُ[81]

141

وَقُلْتُ مِمَّا كُتِبَ فِي ثَوْبٍ غَيْرِ حَرِيرِيٍّ[82] :

(الكامل)

قَدْ صَحَّ فِي سُنَنِ ٱلنَّبِي «مُحَمَّدٍ»
فَضْلِي عَلَى ٱلْمَوْشِيِّ وَٱلدِّيبَاجِ
وَلِأَجْلِ هَذَا ٱخْتَصَّنِي بِلِبَاسِهِ
مَلِكُ ٱلْعُلَى الأَرْضَى «أَبُو ٱلْحَجَّاجِ»

142

وَقُلْتُ عِنْدَ تَرَدُّدِ ٱلسُّلْطَانِ إِلَى «ٱلْمُنكَبِ» حَرَسَهَا ٱللَّهُ : [83]

(78) يقصد أبا زيد عبد الرحمان بن خلدون .
(79) وردا في الأصول ماعدا «ق» ، وفي النفاضة (جـ : 2 ، ص 134) ، والريحانة لوحة 408 .
(80) الهيلاج : دليل العمر ، والهيالج خمسة : الشمس ، والقمر ، والطالع ، وسهم السعادة وجزء الاجتماع والاستقبال ، وتعرف بادلة العمر لأنها تسير إلى السعادة والنحس .
(81) الهملاج : المركب السريع ، الحسن السير .
(82) في الأصول ماعدا «ق» .
(83) في الأصول ماعدا «ق»

(الطـويـل)

إِذَا سَافَرَ ٱلسُّلْطَانُ نَحْوَ «مُنكَّبٍ»
وَلَمْ أَتَّبِعْهُ جَاهِداً سَقَطَ ٱلْحَرَجْ
فَمِنْ عِقَبٍ مَنْ ضَلَّ فِي شِعْبِهَا هَوَى
وَمِنْ دَرَجٍ مَنْ زَلَّ فِي ضَنْكِهَا دَرَجْ
عَسَى مَنْ أَضَاقَ الصَّدْرَ مِنْ حُبِّهِ لَهَا
يُتِيحُ بِبُغْضٍ مِنْهُ فِيهَا لَنَا ٱلْفَرَجْ

143

وَقُلْتُ عِنْدَمَا طُفْنَا ٱلْبِلَادَ فِي ٱلرِّحْلَةِ وَرَجَعْنَا إِلَى ٱلْحَضْرَةِ ٱلْعَلِيَّةِ : (84)

(الطـويـل)

أَبْصَرْتَنَا، كَالشُّهْبِ وَالشَّمْسِ فِتْيَةً
تَهَلَّلَ مِنَّا ٱلْبَرُّ وَٱلْبَحْرُ ذُو ٱلْمَوْجِ
رَحَلْنَا عَنِ ٱلْأَوْجِ ٱلرَّفِيعِ مَحَلُّهُ
مَرَاحِلَ شَتَّى ثُمَّ عُدْنَا إِلَى ٱلْأَوْجِ (85)

144

وَقُلْتُ فِي ٱلْعِذَارِ : (86)

(الطـويـل)

وَلَمَّا تَنَاهَى وَرْدُ خَدِّكَ نَظْرَةً
وَأَنْشَأَ فِي طَيِّ ٱلْقُلُوبِ هِيَاجَا
تَشَوَّفَ سُرَّاقُ ٱلْعُيُونِ لِقَطْفِهِ
فَكَانَ لَهُ شَوْكُ ٱلْعِذَارِ سِيَاجَا (ف 97 أ)

(84) في الأصول ماعدا «ق» .
(85) الأوج : الارتفاع والسمو . وعند أهل الهيئة يطلق على معنيين أحدهما نقطة مشتركة بين ملتقى السطحين المحدبين من الفلكين ... وثانيهما تقويم تلك النقطة المذكورة ...
(86) في الأصول ماعدا «ق» .

145

وَقُلْتُ فِي غُلَامٍ حَالِكِ اللَّوْنِ : [87]

(الكامل)

قَالُوا كَلِفْتَ بِهِ غُلَاماً حَالِكاً
فَأَجَبْتُمْ لِي فِيهِ مَا يَشْفِي ٱلْمُهَجْ
مَهْمَا جُنِنْتُ بِهِ هَوىً وَصَبَابَةً
عَلَّقْتُ فَوْقِي مِنْهُ حِرْزاً مِنْ سَبَجْ[88]

(87) في الأصول ما عدا «ق»
(88) نفح (جـ : 7 ص 287) إلى هنا ينتهي ما في الأصول من حرف الجيم.

ملحق

146

وَكَتَبْتُ أُدَاعِبُ صَاحِبَ ٱلْقَلَمِ ٱلْأَعْلَى جُمْلَةَ ٱلْفَضْلِ ، وَٱلتَّخَلُّقِ «أَبَا عَبْدِ ٱللَّهِ بْنَ زَمْرَكٍ» وَلَهَا حِكَايَةٌ : (89)

(الكامل)

يَا طَالِباً مِنْ جَارِهِ إِسْكَرْفَجَا(90)
هَذَا يُخَبِّرُ أَنْ جُوعَكَ فَاجَا
وَيَدُلُّ أَنَّكَ قَدْ نَبَذْتَ تَدَاوِياً
وَيَدُلُّ أَنَّكَ قَدْ تَرَكْتَ عِلَاجَا
وَكَلِفْتَ بِٱلْمَمْلُوكِ(91) تُؤْثِرُ أَكْلَهُ
أَبَداً، وَتَرْفُضُ صِحَّةً وَمِزَاجَا
خَفْ مِنْ غِذَاءٍ غَيْرِ مُعْتَدِلِ ٱلْقُوَى
وَاحْذَرْ طَعَاماً يُفْسِدُ ٱلْأَمْشَاجَا(92)
هَيْهَاتَ تَعْتَبِرُ ٱلْهِجَاءَ طَبِيعَةٌ
فِي خِيسِهَا، أَسَدُ ٱلْخَسَاسَةِ(93) هَاجَا

(89) ودت في نفاضة الجراب مخ (جـ : 3 لوحة 184).
(90) الاسكرفاج : أو الاسكلفاج نوع من المدى ــ انظر دوزي (جـ : I ص 23).
(91) ولعلَّ هو ما يسمَّى بالزَّغْلُوكِ، والأصَحُّ هو المملوك : الخبز الذي يُنْضَجُ تحت الملة.
(92) الأمشاج : من البدن طبيعته التي يتركب منها مزاجه.
(93) في الأصل : الحساسة.

وَٱلْمَرْءُ مِنْ فَمِهِ يُصَابُ وَفَرْجِهِ
فَيَعُودُ مَوْرِدُهُ ٱلشُّرُوبُ أُجَاجَا
فَكَأَنَّنِي بِكَ قَدْ نَبَذْتَ مُهَرْقِماً(94)
وَقَصَدْتَ فِي أَعْقَابِهِ سَفَّاجَا(95)
وَصَحِبْتَ جَزَّاراً لِلَحْمِ(96) طَيِّبٍ
وَخَدَمْتَ غَيْرَ مُقَصِّرٍ دَجَّاجَا
وَفَتَحْتَ بَابَ ٱلزَّرْدِ تُدْخِلُهُ ٱللَّهَا
فِي دِينِ كُلِّ نَهَامَةٍ(97) أَفْوَاجَا
وَبَلَعْتَ كَالكَبُّونِ(98) فَضْلَ عَصِيدَةٍ(99)
وَشَرِبْتَ مِنْ مَاءِ ٱلْعَصِيرِ مُجَاجَا
وَغَدَوْتَ، كَٱلْحُبْلَى، جَنِينُكَ خَرِيَةٌ
تَأْتِي بِهَا عِنْدَ ٱلصَّبَاحِ خِدَاجَا

147

وَقَالَ فِي الشَّيْخِ «أَبِي ٱلْعَبَّاسِ صَرْدُوكٍ» : (100)

(الطويل)

إِذَا لَمْ تُهَذِّبْكَ ٱلْأُبُوَّةُ وَٱلْحِجَا
فَأَنْتَ عَلَى فَوْتِ ٱلْجَنِيِّ لَمَرٌّ فَجُّ

---

(94) المهرقم : بائع بقايا الحيوانات المذبوحة كالأمعاء والكبد والأرجل — انظر : دوزي (جـ : 2 ص 755)

(95) السفاج : بائع الاسفنج — انظر دوزي (جـ : 1 ص 656) .

(96) في الأصل : اللحم .

(97) النهامة : افراط الشهوة .

(98) الكبون : الديك الخصي — انظر دوزي .(جـ : 2 ص 440) .

(99) العصيدة : دقيق يلف بالسمن ويطبخ وتلوى بالمسواط فتمرها به فتنقلب لًا يبقى شيء في الاناء إلا انقلب .

(100) ورد البيت في مشاهدات لسان الدين ابن الخطيب (ص 148) .

حرف الحاء

148

أَنْشَدْتُ ٱلسُّلْطَانَ ــ رَحِمَهُ ٱللَّهُ ــ عَلَى إِثْرِ وَقيعَةٍ كَبِيرَةٍ أَوْقَعَهَا جَيْشُهُ بِالرُّومِ بِأَحْوَازِ شَوْذَرِ[1] مِنْ بِلَادِهِمْ دَمَّرَهَا ٱللَّهُ : [2] (*)

(الطـويــل)

هُوَ ٱلنَّصْرُ بَادٍ، لِلْعُيُونِ، صَبَاحُهُ
فَمَا عُذْرُ صَدْرٍ لَيْسَ يَبْدُو ٱنْشِرَاحُهُ

حَدِيثٌ تَهَادَاهُ الرَّكَائِبُ فِي ٱلسُّرَى
وَتُجْلَى عَلَى رَاحِ ٱلْمَسَرَّةِ رَاحُهُ

وَآيَةُ بُشْرَى هَزَّ مِعْطَفَهُ ٱلْهُدَى
لَهَا، وَتَبَدَّى لِلزَّمَانِ ٱرْتِيَاحُهُ

وَأَصْبَحَ دِينُ ٱللَّهِ قَدْ عَزَّ جَارُهُ
بِمَوْقِعِهِ[3]، وَالْكُفْرُ هِيضَ جَنَاحُهُ

وَآثَارُ مَلْكٍ ظَاهِرِ ٱلْفَضْلِ لَمْ يَزَلْ
يُشَفَّعُ فِينَا هَدْيُهُ، وَصَلَاحُهُ

---

(1) حصن شوذر Godar كانت قلعة حصينة في شرق جيان وجنوبي آبده بينهما 25 كلم، انظر : البينة العدد الثالث ص : 27.

(2) وردت القصيدة في الأصول كلها. وهي القصيدة الأولى في جميعها.

(*) ديباجة : «ق» أنشدت مولانا اثر الوقعة بالروح التي أوقعها جيشه المغير على أحواز شوظر (كذا) بوادي بابه.

(3) في «ق» بموقعها.

إِذَا دَهَمَ ٱلرَّوعُ اسْتَقَلَّ دِفَاعُهُ
وَإِنْ أَخْلَفَ ٱلْغَيْثُ اسْتَهَلَّ سَمَاحُهُ
«بِيُوسُفَ» لَاحَ ٱلْحَقُّ أَبْلَجَ وَاضِحاً
وَأَصْبَحَ دِينُ ٱللَّهِ فَازَتْ قِدَاحُهُ
يُقَصِّرُ نَفْحُ ٱلطِّيبِ عَنْ طِيبِ ذِكْرِهِ
وَيُزْرِي بِأَزْهَارِ ٱلرِّيَاضِ ٱمْتِدَاحُهُ(4)
تَلَافَيْتَ بِٱلْعَزْمِ ٱلْبِلَادَ وَأَهْلَهَا
وَقَدْ عَصَفَتْ لِلْكُفْرِ فِيهَا رِيَاحُهُ (ف 98 ب)
وَحَفَّتْ بِهِ(5) ٱلْأَعْدَاءُ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ
كَمَا حَفَّ بِٱلْخَصْرِ ٱلْهَضِيمِ وِشَاحُهُ
وَقُدْتَ إِلَيْهَا ٱلْجَيْشَ وَٱلْعَسْكَرَ ٱلَّذِي
تُرَوَّى عَوَالِيهِ وَتُرْوَى صِحَاحُهُ
فَدَوَّخْتَ مَا ضُمَّتْ عَلَيْهِ بِلَادُهُ
وَنَفَّلْتَ مَا زُرَّتْ عَلَيْهِ بِطَاحُهُ
وَصَبَّحْتَ جَمْعَ ٱلْكُفْرِ فِي مُسْتَقَرِّهِ
فَخَابَتْ مَسَاعِيهِ وَسَاءَ صَبَاحُهُ
فَبَيْنَ صَرِيعٍ، بِالْفَلَاةِ، مُجَدَّلٍ
طَرِيحٍ، وَعَانٍ لَا يُرَجَّى سَرَاحُهُ
وَمِنْ بَيْنِ مَكْلُومٍ بِحَدِّ سُيُوفِهَا
تَسِيلُ عَلَى ٱلْأَعْقَابِ مِنْهُ جِرَاحُهُ
وَأَقْبَلَ مَنْصُورَ ٱللِّوَاءِ مُؤَيَّداً
ذَوَابِلُهُ قَدْ ضُرِّجَتْ، وَصِفَاحُهُ
إِذَا ٱلْخَطْبُ لَمْ يَسْمَحْ بِفَضْلِ قِيَادِهِ
وَلَا يَنْتَهِ بِالصَّبْرِ لَانَ جِمَاحُهُ

(4) لعل المقري من هنا استوحى اسمَي كتابيه : نفح الطيب وأزهار الرياض .
(5) في «ق» بها .

وَانْ أَنْتَ فِي رَوْضِ ٱلْجِهَادِ غَرَسْتَهُ
تَبَسَّمَ عَنْ زَهْرِ ٱلْفُتُوحِ افْتِتَاحُهُ
وَمَهْمَا اسْتَعَنْتَ ٱللَّهَ، فِي ٱلْأَمْرِ، وَحْدَهُ
أَتَاكَ بِهِ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ نَجَاحُهُ
فَمَا ضَلَّ مَنْ كَانَ ٱلْإِلَهُ دَلِيلَهُ
وَمَا ذَلَّ مَنْ حُسْنُ ٱلْيَقِينِ سِلَاحُهُ
فَهُنِّيتَهُ صُنْعاً جَمِيلاً وَمَوْرِداً
مِنَ ٱلنَّصْرِ يَنْدَى فِي ٱلْقُلُوبِ قَرَاحُهُ(6)
وَدُمْتَ عَزِيزَ ٱلْجَارِ، سَيْفُكَ فَاصِلٌ
وَسَيْبُكَ مَمْنُوحُ ٱلنَّوَالِ مُبَاحُهُ
وَدُونَكَهَا مِنِّي إِلَيْكَ بَدِيهَةً
نَتِيجَةَ حُبٍّ طَابَ فِيكَ صُرَاحُهُ

149

وَأَمَرَنِي ـ رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ بِنَظْمِ أَبْيَاتٍ صَبُوحِيَّةٍ عَلَى عَادَتِهِ مِنَ (ف 99 أ) الإِنْحِطَاطِ عَنِ ٱلْجَزَالَةِ وَلِينِ عَرِيكَةِ ٱلْكَلَامِ فَقُلْتُ: (7)

(الكامل)

خُذْهَا فَقَدْ وَضَحَ ٱلصَّبَاحُ وَلَاحَا
وَالرَّوْضُ يُهْدِي عَرْفَهُ ٱلنَّفَّاحَا
مَازَالَ يَكْتُمُ مِنْ حَدِيثِ نَسِيمِهِ
وَالآنَ، أَمْكَنَهُ ٱلْحَدِيثُ فَبَاحَا
لَمَّا رَأَى جَيْشَ الصَّبَاحِ مُشَمِّراً
عَمَّتْ مَضَارِبُهُ رُبَىً وَبِطَاحَا

(6) القراح: الماء البارد.
(7) وردت في الأصول كلها غير أن نسخة «ق» مبتورة منها الأبيات الأولى. وهي القصيدة الثانية في الأصول كلها.

وَالأُفْقُ يَـرْفَعُ مِنْهُ بَنْـداً مُذْهَبـاً
وَيَسُلُّ، مِنْ بِيْضِ ٱلْبُرُوقِ، صِفَاحَا
سَـلَّ ٱلْـجَـدَاوِلَ أَنْصُلاً مَصْـقُولَـةً
تَبْدُو، وَهَزَّ مِنَ الغُصُونِ رِمَاحَا
وَالزُّهْرُ تَسْقُطُ لِلْغُرُوبِ كَمَا ذَوَى
زَهْـرُ ٱلـرِّيَـاضِ وَفَـارَقَ الأَدْوَاحَـا
وَالـطَّـيْـرُ يَدْعُو لِلصَّبُوحِ مُكَرِّراً
فَتَرَاهُ قَدْ نَفَضَ ٱلْجَنَاحَ وَصَاحَا
فَـكَـأَنَّـمَـا ٱلـظَّـلْـمَاءُ طِرْفٌ أَدْهَـمٌ
أَخَذَ ٱلْعِنَانَ فَمَا يُفِيقُ جِمَاحَا
لَا تُوقِدِ ٱلْمِصْبَاحَ وَاعْلَمْ أَنَّ لِي
مِنْ وَجْهِ مَنْ أَحْبَبْتُهُ مِصْبَاحَا
حُثَّ ٱلْـكُؤُوسَ وَهَـاتِـنِـيـهَا قَهْوَةً
تَنْفِي ٱلْهُمُومَ وَتَجْلِبُ الأَفْرَاحَا[8]
مِنْ كَفِّ فَاتِنَةِ ٱللِّحَاظِ غَرِيرَةٍ
سَكْرَى ٱلْجُفُونِ، وَمَا سُقِينَ ٱلرَّاحَا
هِيَ رَوْضَةٌ تَجْنِيكَ، بَيْنَ لِثَاتِهَا،
خَـمْـراً، وَمِنْ وَجَـنَـاتِـهَا تُفَّاحَا
فَإِذَا ٱعْتَنَقْتَ أَوِ ٱرْتَشَفْتَ فَإِنَّمَا
عَـانَـقْتَ غُصْـنـاً وَٱرْتَشَفْتَ أَقَاحَا
وَامْزِجْ بِصِرْفِ ٱلرَّاحِ عَذْبَ رُضَابِهَا
مَا ضَرَّ أَنْ خَلَفَ[9] الحَرَامُ مُبَاحَا (ف100ب)

(8) من هنا إلى آخر القصيدة في «ق»
(9) في «ق» لقي.

قَامَتْ تَقُولُ، وَفِي فُتُورِ جُفُونِهَا
سِنَةُ ٱلْكَرَى : مَوْلَايَ، عِمْتَ صَبَاحَا

وَاسْتَنْطَقَتْ عُوداً بِمِدْحَةِ «يُوسُفٍ»
مَوْلَى ٱلْوَرَى شَمَلَ ٱلْوُجُودَ سَمَاحَا(10)

فَسَرَى ٱلسُّرُورُ بِنَا إِلَى أَنْ لَمْ نُطِقْ
صَبْراً، وَكِدْنَا نَبْذُلُ الأَرْوَاحَا

رَبُّ الأَيَادِي ٱلْبِيضِ مَنْ بِثَنَائِهِ
زَانَ ٱلْقَرِيضَ، وَعَطَّرَ الأَمْدَاحَا

ذُو هِمَّةٍ عَلْيَاءَ مَدَّ ٱلْمُشْتَرِي
طَرْفاً، إِلَى غَايَاتِهَا، طَمَّاحَا

يُزْجِي، مِنَ ٱلنَّقْعِ ٱلْمُثَارِ، سَحَائِباً
رَكِبَتْ مِنَ ٱلْعَزْمِ ٱلشَّدِيدِ رِيَاحَا

وَيُزِيرُهَا أَرْضَ ٱلْعَدُوِّ صَوَافِناً
تَخْتَالُ زَهْواً فِي ٱلْوَغَى وَمَرَاحَا

تَنْمِيهِ مِنْ أَبْنَاءِ نَصْرٍ سَادَةٌ
سَنُّوا ٱلْهُدَى وَٱلْعَدْلَ وَالإِصْلَاحَا

إِنْ أَغْلَقَتْ أَبْوَابَهَا أَيْدِي ٱلْعِدَى
جَعَلَ ٱلْإِلَهُ سُيُوفَهُمْ مِفْتَاحَا

يَا وَاحِدَ ٱلْمَجْدِ ٱلَّذِي آثَارُهُ
تَرْوِي حِسَاناً، فِي ٱلزَّمَانِ، صِحَاحَا

أَنْسَيْتَنَا بِحُسَامِكَ ٱلْمَاضِي ٱلظُّبَى
وَلِوَائِكَ، «ٱلْمَنْصُورَ» وَ«ٱلسَّفَّاحَا»(11)

---

(10) في «ق»

واستنطقت عود الغناء فلم تجد إذ ذاك في خلع العذار جناحا
واستفتحت شعرا بمدحة يوسف مولاي قد شمل الوجود سماحا

(11) السفاح والمنصور أول وثاني خليفة عباسي.

لاَزَالَ مُـلْكُكَ سَامِياً، فِي عِزَّةٍ
تَسْتَصْحِبُ ٱلإِمْسَاءَ وَٱلإِصْبَاحَا
مَا غَرَّدَتْ وَرْقَاءُ فَوْقَ أَرَاكَةٍ
تَبْكِي ٱلْهَدِيلَ، وَمَا صَبَاحُ لاَحَا

150

وَقُلْتُ قَصِيدَةً مِيلاَدِيَّةً ، وَهِيَ مِنَ ٱلشِّعْرِ ٱلْمَنْظُومِ فِي ٱلزَّمَنِ ٱلْقَدِيمِ : (12)
(ف 101 أ)

(الطويل)

أَثَارَ سُرَاهَا، وَالدِّيَارُ نَوَازِحُ،
سَنَا بَارِقٍ مِنْ مَطْلَعِ ٱلْوَحْيِ لاَئِحُ(13)
سَفَائِنُ تَسْتَفُّ ٱلْفَلاَ فَكَأَنَّهَا
سَفَائِنُ فِي بَحْرِ ٱلسَّرَابِ سَوَابِحُ
إِلَيْكَ رَسُولَ ٱللَّهِ شُدَّتْ نُسُوعُهَا
وَغَادَرَهَا ٱلإِدْلاَجُ وَهْيَ طَلاَئِحُ(14)
تَحَمَّلْنَ مِنْ زُوَّارِ قَبْرِكَ فِتْيَةً
تُوَاصِلُ، فِي ذَاتِ ٱلْهُدَى، وَتُنَازِحُ
هُمُ ٱلْقُضْبُ، إِنْ مَالُوا مَعَ الذِّكْرِ خَشْيَةً
وَإِنْ رَجَّعُوهُ، فَٱلْحَمَامُ ٱلصَّوَادِحُ
حَنَانَيْكُمَا، يَا صَاحِبَيَّ، بِمُغْرَمٍ
جَوَانِحُهُ، نَحْوَ ٱلْحَجِيجِ، جَوَانِحُ
أَقَامَ يُعَانِي الشَّوْقَ عَنْ قَدَرٍ وَمَنْ
أَقَامَ عَلَى عُذْرٍ كَمَنْ هُوَ رَائِحُ !

(12) في الأصول ماعدا «ق»
(13) هذا البيت غير موجود في «م»
(14) الطلائح : الطليح : البعير الهزيلُ ، والنُّسوع (ج) نسع : حبال تضفر وتشد بها الرحال .

تَـدَانَى هَوىً لَمَّا تَبَاعَدَ مَنْزِلاً
فَهَا هُوَ دَانٍ فِي الزِّيَارَةِ نَازِحُ
وَهَا أَنْتَ، يَا إِنْسَانَ عَيْنٍ بِقِينِهِ،
بِرَوْضَةِ مَنْ حَازَ الْمَحَاسِنَ سَارِحُ
كَدَحْتَ إِلَى رَبِّ الْجَمَالِ مُلاَقِياً
«فَيَا أَيُّهَا الإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحُ»(15)
هَنِيئاً لَكُمْ، يَا زَائِرِي تُرْبَةَ الْهُدَى
بُلُوغَ الْمُنَى، والسَّعْيُ فِي اللَّهِ نَاجِحُ
حَلَلْتُمْ بِمَثْوَى خَيْرِ مَنْ وَطِئَ الثَّرَى
وَأَكْرَمِ مَنْ ضَمَّتْ صَفاً وَصَفَائِحُ
مَعَاهِدُ، فِيهِنَّ الْمَلاَئِكَةُ الْعُلَى
غَوَادٍ، بِتَنْزِيلِ الْكِتَابِ، رَوَائِحُ
أَفَاءَ عَلَيْهَا اللَّهُ أَفْيَاءَ نُورِهِ
فَفِيهِنَّ، مِنْ دَارِ السَّلاَمِ مَلاَمِحُ
تَبَوَّأَهَا مِنْ خِيرَةِ الرُّسْلِ مَنْ سَمَتْ
بِهِ لَيْلَةَ الْمِعْرَاجِ فِيهَا الْمَطَامِحُ(ف102ب)
وَبِالأُفُقِ الأَعْلَى مِنَ الْعَرْشِ قَدْ سَمَتْ
سَجَايَاهُ، يَاللَّهِ تِلْكَ السَّجَائِحُ(16) !
رَسُولُ الْبَرَايَا جَاءَ بِالصِّدْقِ فَامَّحَتْ
بِنُورِ هُدَاهُ التُّرَّهَاتُ الصَّحَاصِحُ(17)
مُبَلِّغُهُمْ أَهْدَى رِسَالاَتِ رَبِّهِ
أَمِينٌ، عَلَى الإِسْلاَمِ فِي اللَّهِ، نَاصِحُ

(15) من سورة الانشقاق آية 9 .
(16) السجائح : من أسجح : سهل ورفق يقال : «ملكت فاسجح» : أحسن العفو وتكرم .
(17) الترهات الصحاصح : الخرافات الباطلة .

مُغِيثٌ وَدَعْوَى ٱلْمُذْنِبِينَ خَطِيئَتِي
وَنَفْسِيَ نَفْسِي، وَالشُّهُودُ ٱلْجَوَارِحُ
لَـهُ ٱلْـمُـعْـجِـزَاتُ كَـأَنَّـهَـا
بُـرُوقٌ، بِـآفَـاقِ ٱلْـيَـقِـينِ، لَـوَائِـحُ
كَـإِخْـبَـارِهِ بِـالْـغَـائِـبَـاتِ، فَـعِـنْـدَهُ
،لِأَبْوَابِ أَسْرَارِ ٱلْغُيُوبِ، مَـفَـاتِـحُ
وَفِي يَوْمِ «بَدْرٍ» إِذْ رَمَى قَبْضَةَ الثَّرَى
فَوَلَّتْ جُمُوعُ ٱلشِّرْكِ، وَهْيَ جَوَامِحُ
وَأَعْطِي عَسِيبَ[18] النَّخْلِ فِي حَوْمَةِ ٱلْوَغَى
فَـهُـزَّ حُـسَـامٌ مِـنْـهُ لِـلدَّمِ سَـافِـحُ
دَعَـا ٱللَّهَ يَسْتَسْقِي فَلَبَّتْ سَمَاؤُهُ[19]
،بِوَاكِفَةِ ٱلْقَطْرِ ٱلسَّحَابُ الدَّوَالِحُ[20]
وَأَلْقَى بِأَخْلَافِ[21] الشِّيَاهِ يَمِينَهُ
فَجَادَتْ بِهِ، وَهْيَ الضُّرُوعُ الشَّحَائِحُ
وَرَوَّى ظِمَاءَ ٱلْجَيْشِ مَاءُ بَنَانِهِ
فَـلِـلَّـهِ أَمْـوَاهٌ، هُـنَـاكَ، سَـوَائِـحُ!
وَفِي لَيْلَةِ ٱلْمِيلَادِ لَاحَتْ شَوَاهِدٌ
تَوَالَتْ بِهَا لِلَّهِ، فِينَا، ٱلْمَنَائِحُ
أَضَاءَتْ قُصُورُ «الشَّامِ» مِنْهُنَّ وَانْجَلَتْ
مَعَالِمُ مَا ضُمَّتْ عَلَيْهِ الأَبَاطِحُ
وَهُدَّ لَهَا «إِيوَانُ كِسْرَى» مَهَابَةً
وَأَخْمِدَ مِنْ نِيرَانِ «فَارِسَ» لَافِحُ

(18) العسيب : جريد النخل .
(19) كذا في الأصل .
(20) الدوالح : جمع الدَّالح من السحاب الكثير الماء .
(21) الاخلاف : (ج) الخلف : الضرع .

وَغَاصَ بِهَا «وَادِي السَّاوَةِ»[22] فَانْثَنَتْ
تُقَلِّصُ ذَيْلَ ٱلْخِصْبِ فِيهِ ٱلْمَسَارِحُ(ف103أ)

وَأَبْصَرَ «سَيْفُ ٱلْمُلْكِ» رُؤْيَا فَأَصْبَحَتْ
لِتَذْكَارِهَا تَرْتَاعُ مِنْهُ ٱلْجَوَارِحُ

وَأَعْلَمَهُ كَهَّانُهُ أَنَّ أَرْضَهُ
أُتِيحَ لَهَا مِنْ سَيِّدِ ٱلْعُرْبِ فَاتِحُ

فَمَنْ، كَرَسُولِ ٱللَّهِ لِلْخَلْقِ، مَلْجَأً
إِذَا طَوَّحَتْهُمْ، لِلزَّمَانِ، الطَوَائِحُ[23] ؟

عِنَايَتُهُ، بِالْمُذْنِبِينَ عَظِيمَةٌ
إِذَا عَظُمَتْ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ ٱلْفَضَائِحُ

وَإِنَّا اقْتَدَيْنَا فَاهْتَدَيْنَا بِصَحْبِهِ
وَمَا صَحْبُهُ إِلَّا ٱلنُّجُوم اللَّوَائِحُ[24]

أَبَادُوا شَيَاطِينَ الضَّلَالِ وَزَيَّنَتْ
سَمَاءَ رُسُومِ ٱلْحَقِّ مِنْهُمْ مَصَابِحُ

وَأَذْهَبَ لَيْلَ ٱلشَّكِّ صُبْحُ يَقِينِهِمْ
فَأَسْفَرَ مِنْ وَجْهِ[25] ٱلْحَقَائِقِ وَاضِحُ[26]

وَقَامَتْ عَلَى ٱلدِّينِ ٱلْحَنِيفِ أَدِلَّةٌ
تَبَيَّنَ مَرْجُوحٌ بِهِنَّ وَرَاجِحُ[27]

أُولَاكَ ٱلأُلَى بِٱلأَنْفُسِ ٱشْتَرَوا ٱلْهُدَى
فَتَجْرُهُمْ فِي جَنَّةِ ٱلْخُلْدِ رَابِحُ[28]

---

(22) وادي السماوة : يوجد بين الكوفة والشام .
(23) طوحه ، أطاحه : أفناه وأذهبه
(24) فيه إشارة إلى حديث : أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم .
(25) في «ح» فجر
(26) فيه اضطراب نحوي
(27) يوري هنا بالمصطلحات الاصولية .
(28) إشارة إلى الآية القرآنية رقم 15 سورة البقرة .

رَعَوْا لِرَسُولِ ٱللَّهِ حَقَّ وَصَاتِهِ
فَذَاعَتْ، بِهِمْ فِي ٱلْمُسْلِمِينَ، ٱلنَّصَائِحُ
وَمَازَالَ فِي ٱلْإِسْلَامِ مِنْهُمْ أَئِمَّةٌ
تُنَاضِلُ عَنْ دِينِ ٱلْهُدَى وَتُكَافِحُ
وَتُنْجِبُ مِنْ أَبْنَائِهَا كُلَّ نَاصِرٍ
يَفُلُّ شَبَاةَ ٱلْخَطْبِ، وَٱلْخَطْبُ فَادِحُ
فَمَنْ مِثْلُ مَوْلَانَا ٱلْخَلِيفَةِ «يُوسُفٍ»
إِذَا عَدَّدَ ٱلْفَخْرَ ٱلْمُلُوكُ ٱلْجَحَاجِحُ
أَيَادِيهِ سَحَّتْ فِي ٱلْوَرَى بَرَكَاتُهَا
فَأَيَّامُهُمْ بِيضُ ٱللَّيَالِي صَوَالِحُ
إِمَامَ ٱلْهُدَى. يَا خَيْرَ مَنْ بَذَلَ ٱللُّهَى
وَشَادَتْ عُلَاهُ ٱلْمَعْلُوَاتِ ٱلصَّرَائِحُ(ف104ب)
إِذَا ٱشْتَبَهَتْ آيُ ٱلْخَلَائِفِ فِي ٱلنَّدَى
فَآيُ نَدَاكَ ٱلْمُحْكَمَاتُ ٱلْفَوَاتِحُ
وَإِنْ رُوِيَتْ عَنْهُمْ عَوَالِي عَلَائِهِمْ
فَآثَارُ عَلْيَاكَ ٱلْحِسَانُ ٱلصَّحَائِحُ
وَإِنْ مِدَحٌ فِي ٱلْمَكْرُمَاتِ تَعَارَضَتْ
فَأَنْتَ، إِلَى ٱلْأَدْنَى مِنَ ٱللَّهِ، جَانِحُ
أَقَمْتَ لِمِيلَادِ ٱلرَّسُولِ شَعَائِراً
بِهَا ٱللَّهُ عَنْ ذَنْبِ ٱلْمُسِيئِينَ صَافِحُ
تَبَاهَتْ بِأَمْدَاحِ ٱلرَّسُولِ «مُحَمَّدٍ»
فَطَابَتْ بِذِكْرَاهَا ٱلرِّيَاحُ ٱلنَّوَافِحُ
إِذَا نُشِرَتْ فِيهَا صَحَائِفُ مَدْحِهِ
وَذَاعَتْ بِنَشْرِ ٱلْحَمْدِ مِنْهَا ٱلْمَمَادِحُ

تَلَقَّتْكَ مِنْ أَرْضِ «ٱلْهُنُودِ» لَطَائِمٌ[29]
يَنِمُّ بِهَا مِنْ مِسْكِ «دَارِينَ»[30] فَائِحُ
هِيَ ٱللَّيْلَةُ ٱلْغَرَّاءُ حَسْبُكَ لَيْلَةً
بِهَا نَجْمُ دِينِ ٱللَّهِ أَزْهَرُ لَائِحُ
إِذَا مَا أَضَاءَتْ لِي مَطَالِعَ نُورِهَا
فَقَلْبِي لَهَا، زَنْدَ ٱلْفَصَاحَةِ، قَادِحُ
فَيَا لَيْلَةَ ٱلْمِيلَادِ، دُونَكِ مِدْحَةً
وَأَيْسَرُ مَا تُهْدَى إِلَيْكِ ٱلْمَدَائِحُ
وَإِنْ أَنْتَ بِالإِقْبَالِ قَابَلْتَ وَفْدَهَا
فَتَسْمَحُ بِالْأَمْدَاحِ فِيكَ ٱلْقَرَائِحُ
وَأَنْتَ لَهَا أَحْيَيْتَ يَا مُحْيِيَ ٱلْهُدَى
فُرُوضاً، بِهِنَّ ٱللَّهُ صَدْرَكَ شَارِحُ
يَمِيناً، لَقَدْ قَرَّتْ، بِدَوْلَتِكَ، ٱلرِّضَى
عُيُونٌ، بِرَوْضِ ٱلْعَدْلِ مِنْكَ، سَوَارِحُ
فَمَا ٱلنَّاسُ طُرّاً غَيْرُ صِنْفَيْنِ: حَامِدٌ
عَلَى فَضْلِ مَا تُولِي، وَآخَرُ مَادِحُ

فَدُمْ نَاصِراً لِلدِّينِ، مَا حَنَّ نَازِحٌ،
وَمَا اقْتَنَّ فِي غُصْنِ الأَرَاكَةِ صَادِحُ(ف105أ)

151

وَقُلْتُ أَيْضاً لَمَّا وَرَدَ عَلَى ٱلْأَنْدَلُسِ ٱلشَّرِيفُ «أَبُو عَبْدِ ٱللَّهِ بْنُ رَاجِحٍ»[31] أُخَاطِبُهُ

(29) اللطائم : ج اللطيمة : وعاء المسك . يقال : فاحت اللطيمة ، وكأن فاها لطيمة تاجر .
(30) دارين : فرضة بالبحرين يجلب إليها المسك من الهند ، والنسبة اليها داري . قال الفرزدق :
كأن تريكة من ماء مزن وداري الـــــذكى من المدام
انظر : معجم البلدان (المجلد الثاني ص : 432) .
(31) هو محمد بن علي بن الحسن بن راجح ولد سنة 703هـ وتوفي يوم الخميس 3 شعبان سنة =

وَأَحْذُو حَذْوَ ٱلرَّئِيسِ «أَبِي مُحَمَّدٍ ٱلْحَضْرَمِيِّ»[32] فِي أَبْيَاتٍ ذَكَرَ أَنَّهُ بَعَثَ بِهَا إِلَيْهِ :[33]

(الطويل)

أَمِنْ جَانِبِ ٱلْغَرْبِيِّ نَفْحَةُ بَارِحِ
سَرَتْ[34] بِتَبَارِيحِ ٱلْجَوَى فِي ٱلْجَوَارِحِ[35]
قَدَحْتُ بِهَا زَنْدَ ٱلْغَرَامِ وَإِنَّمَا
تَجَافَيْتُ فِي دِينِ السُّلُوِّ لِقَادِحِ
وَمَا هِيَ إِلَّا نَسْمَةٌ «حَاجِرِيَّةٌ»
رَمَى ٱلشَّوْقُ مِنْهَا كُلَّ قَلْبٍ بِجَارِحِ
رَجَحْنَا لَهَا مِنْ غَيْرِ سُكْرٍ[36] كَأَنَّهَا
شَمَائِلُ أَخْلَاقِ ٱلشَّرِيفِ «ٱبْنِ رَاجِحِ»
فَتَى «هَاشِمٍ» سَبْقاً إِلَى كُلِّ غَايَةٍ
وَصَبْراً، مُعَارَ ٱلْحَبْلِ فِي كُلِّ فَادِحِ
أَصِيلُ ٱلْعُلَى، جَمُّ السَّيَادَةِ ذِكْرُهُ
طِرَازُ نُضَارٍ فِي بُرُودِ ٱلْمَدَائِحِ

= 765هـ . انظر : نفح الطيب (جـ : 8، ص : 194 ، 197) ، الاحاطة المخ : (لوحة : 82 ، 83) .

(32) هو عبد المهيمن بن محمد بن عبد المهيمن بن محمد بن عبد الله بن محمد الحضرمي يكنى أبا محمد ، كان صاحب العلامة بالمغرب ، مولده بسبتة عام 676هـ وتوفي بتونس 12 شوال عام 749هـ بالطاعون . انظر :
— النفح (جـ : 7 ص 384)
— مستودع العلامة ص 50
— التعريف ص 20 وما بعدها .
— الاحاطة المخطوط لوحة (274 ، 275)
— جذوة الاقتباس ص 279 — 280

(33) وردت المقطوعة في الأصول ماعدا «ق» ، وفي النفح جزء 8 ص 194 — 195 ، والاحاطة لوحة : 82 ، ومركز الاحاطة لوحة : 58 و59 .

(34) في الاحاطة : فيه ارواح

(35) في الاحاطة في الجوانح

(36) في النفح شك

وَفُرْقَانُ مَجْدٍ يَصْدَعُ ٱلشَّكَّ نُورُهُ
حَبَا ٱللَّهُ مِنْهُ كُلَّ صَدْرٍ بِشَارِحِ

وَفَارِسُ مَيْدَانِ ٱلْبَيَانِ إِذَا ٱنْتَضَى
صَحَائِفَهُ أَنْتَ مَضَاءُ الصَّفَائِحِ

رَقِيقٌ، كَمَا رَاقَتْكَ نَغْمَةُ سَاجِعٍ
وَجَزْلٌ، كَمَا رَاعَتْكَ صَوْلَةُ جَارِحِ

إِذَا مَا ٱحْتَبَى مُسْتَفْرِداً[37] فِي بَلَاغَةٍ
وَخِيضَ خِضَمٌّ[38] ٱلْقَوْلِ مِنْهُ بِسَابِحِ

وَقَدْ شُرِعَتْ فِي مَجْمَعِ ٱلْحَفْلِ نَحْوَهُ
أَسِنَّةُ حَرْبٍ لِلْعُيُونِ ٱللَّوَامِحِ

فَمَا ضَعْضَعَتْ مِنْهُ لِصَوْلَةِ صَادِحٍ
وَلَا ذَهَبَتْ مِنْهُ بِحِكْمَةِ نَاصِحِ (ف 106 ب)

تَذَكَّرْتَ «قُسّاً» قَائِماً فِي «عُكَاظِهِ»
وَقَدْ غَصَّ بِالشُّمِّ الأُنُوفِ ٱلْجَحَاجِحِ

لِيَهْنِكَ «شَمْسَ ٱلدِّينِ» مَا حُزْتَ مِنْ عُلَى
خَوَاتِمُهَا مَوْصُولَةٌ بِالْفَوَاتِحِ

رَعَى ٱللَّهُ رَكْباً أَطْلَعَ الصُّبْحَ مُسْفِراً
بِمَرْآكَ مِنْ فَوْقِ ٱلرُّبَى وَالأَبَاطِحِ

وَلِلَّهِ مَا أَهْدَتْهُ كَوْمَاءُ أَوْضَعَتْ
بِرَحْلِكَ فِي قَفْرٍ عَنِ ٱلأُنْسِ نَازِحِ[39]

أَقُولُ لِقَوْمِي عِنْدَمَا حُطَّ كُورُهَا
وَسَاعَدَهَا السَّعْدَانُ وَسْطَ ٱلْمَسَارِحِ[40]

---

(37) استفر في الكلام : جرى فيه
(38) في النفح وخوض
(39) هذا البيت غير موجود في الإحاطة .
(40) في النفح : الاباطح

ذَرُوهَا، وَأَرْضَ ٱللَّهِ لَا تَعْرِضُوا لَهَا
بِمَعْرِضِ سُوءٍ، فَهْيَ «نَاقَةُ صَالِحِ»[41]
إِذَا مَا أَرَدْنَا ٱلْقَوْلَ فِيهَا فَمَنْ لَنَا
بِطَوْعِ ٱلْقَوَافِي وَٱنْبِعَاثِ ٱلْقَرَائِحِ
بَقِيتَ مُنَى نَفْسٍ، وَ«تُحْفَةَ قَادِمٍ»[42]
وَمَوْرِدَ ظَمْآنٍ، وَكَعْبَةَ مَادِحِ
وَلَازِلْتَ تَلْقَى السَّهْلَ[43] وَالرَّحْبَ حَيْثُمَا
أَرَحْتَ ٱلسُّرَى مِنْ كُلِّ غَادٍ وَرَائِحِ

152

وَأَجَبْتُ ٱلْفَقِيهَ ٱلْخَطِيبَ «أَبَا عَبْدِ ٱللَّهِ بْنَ مَرْزُوقٍ» عَنْ أَبْيَاتٍ بَعَثَ بِهَا إِلَيَّ لَيْلَةَ ٱلْقُدُومِ عَلَى مَدِينَةِ «فَاسَ» فِي غَرَضِ ٱلرِّسَالَةِ بِآخِرِ مَرَاحِلِ ٱلطَّرِيقِ مِنْ جُمْلَةِ رِسَالَةٍ تَشْتَمِلُ عَلَى نَظْمٍ وَنَثْرٍ وَهَدِيَّةٍ، وَأَوَّلُ أَبْيَاتِهِ[44] :

(الكامل)
يَا قَادِماً وَافَى بِكُلِّ نَجَاحِ أَبْشِرْ بِمَا تَلْقَاهُ مِنْ أَفْرَاحِ

بِقَوْلِي فِي رَوِيَّهِ : (ف 107 أ)

رَاحَتْ تُذَكِّرُنِي كُؤُوسَ ٱلرَّاحِ
وَالقُرْبُ يَخْفِضُ لِلْجُنُوحِ جَنَاحِي

(41) انظر تفصيل ذلك في ثمار القلوب ص 281 ، الاعلام (جـ : 3 ص 273)
(42) في «م» زائد.
(43) في النفح والاحاطة : البر والرحب .
(44) وردت القصيدة في الاصلين «ف» و«ح»، وفي الاحاطة لوحة 122 والاستقصاء (جـ : 4 ص 193) ، والاعلام (جـ : 4 ص 3 و4) ، والنفح (جـ : 8 ص 174 و175) ، ومركز الاحاطة لوحة 151 .

وَسَرَتْ تَدُلُّ عَلَى ٱلْقَبُولِ كَمِثْلِ مَا[45]
دَلَّ ٱلنَّسِيمُ عَلَى ٱنْبِلَاجِ صَبَاحِ
حَسْنَاءُ قَدْ غَنِيَتْ بِحُسْنِ صِفَاتِهَا
عَنْ دُمْلُجٍ، وَقِلَادَةٍ، وَوِشَاحِ
أَمْسَتْ تَحُضُّ عَلَى ٱللِّيَاذِ بِمَنْ جَرَتْ
بِسُعُودِهِ الْأَقْلَامُ فِي الأَلْوَاحِ
بِخَلِيفَةِ ٱللَّهِ ٱلْمُؤَيَّدِ «فَارِسٍ»[46]
قَمَرِ[47] ٱلْمَعَالِي، ٱلْأَزْهَرِ ٱلْوَضَّاحِ
مَا شِئْتَ مِنْ هِمَمٍ وَمِنْ شِيَمٍ غَدَتْ
كَالرَّوْضِ[48]، أَوْ كَالزَّهْرِ فِي ٱلْأَدْوَاحِ
فَضَلَ ٱلْمُلُوكَ فَلَيْسَ يُدْرَكُ شَأْوُهُ
أَنَّى يُقَاسُ ٱلْغَمْرُ بِالضَّحْضَاحِ ؟![49]
أَنْسَى بَنِي عَبَّاسِهِمْ بِلِوَائِهِ «ٱلْـ
ـمَنْصُورِ»، أَوْ بِحُسَامِهِ «ٱلسَّفَّاحِ»[50]
وَغَدَتْ مَغَانِي ٱلْمُلْكِ لَمَّا حَلَّهَا
تُزْهَى بِبَدْرِ هُدىً وَبَحْرِ سَمَاحِ
وَحَيَاةِ مَنْ أَهْدَاكَ «تُحْفَةَ قَادِمٍ»
فِي ٱلْعَرْفِ مِنْهَا رَاحَةُ الأَرْوَاحِ
مَازِلْتُ أَجْعَلُ ذِكْرَهُ وَثَنَاءَهُ
رَوْحِي وَرَيْحَانِي ٱلأَرِيجَ وَرَاحِي

(45) في الاحاطة : كأنما وكذا النفح .
(46) يقصد أبا عنان المريني .
(47) في الاحاطة : شمس
(48) في الاحاطة : كالزهر
(49) الضحضاح : ماء الضحضح : قريب القعر ، وهو القليل .
(50) يقصد المنصور والسفاح من بني العباس .

وَلَقَدْ تَمَازَجَ حُبُّهُ بِجَوَارِحِي
كَتَمَازُجِ ٱلْأَجْسَامِ فِي ٱلْأَرْوَاحِ
وَلَوَ انَّنِي أَبْصَرْتُ يَوْماً فِي يَدِي
أَمْرِي لَطِرْتُ إِلَيْهِ دُونَ جَنَاحِي
فَالآنَ سَاعَدَنِي ٱلزَّمَانُ وَأَيْقَنَتْ
مِنْ قُرْبِهِ نَفْسِي بِفَوْزِ قِدَاحِي
إِيهٍ، «أَبَا عَبْدِ ٱلإِلَهِ»، وَإِنَّهُ
لَنِدَاءُ وُدٍّ، فِي عُلَاكَ، صُرَاحِ (ف 108 ب)
أَمَّا إِذَا ٱسْتَنْجَدْتَنِي مِنْ بَعْدِ مَا
رَكَدَتْ — لِمَا جَنَتِ[51] ٱلْخُطُوبُ — رِيَاحِي
فَإِلَيْكَهَا مَهْزُولَةً، وَأَنَا ٱلَّذِي[52]
قَرَّرْتُ عَجْزِي، وَاطَّرَحْتُ سِلَاحِي

153

وَخَاطَبْتُ ٱلسُّلْطَانَ — رَحِمَهُ ٱللَّهُ — فِي بَعْضِ ٱلْحَرَكَاتِ طَيَّ رِسَالَةٍ بَعَثْتُهَا لَهُ مِنْ مَدِينَةِ «سَبْتَةَ»:[53]

(الكامل)

مَوْلَايَ مُذْ بَعُدَتْ دِيَارِي لَا تَسَلْ
عَنْ طُولِ لَيْلِي وَٱرْتِقَابِ صَبَاحِي
جَرَحَ ٱلْبِعَادُ فُؤَادَ عَبْدِكَ فَهْوَ مِنْ
أَجْلِ ٱلتَّرَحُّلِ عَنْكَ، رَهْنُ جِرَاحِ
لَمْ يَلْقَ بَعْدَكَ مَا يَلَذُّ لِنَاظِرِي
مِنْ حُسْنِ أَرْجَاءٍ وَزُهْرِ بِطَاحِ

(51) في النفح : خبت وكذا الإحاطة .
(52) في النفح : امرؤ وكذا الإحاطة .
(53) وردت المقطوعة في الأصلين «ح» و«ف» ليس غير.

وَبَقِيتُ جِسْماً دُونَ رُوحٍ لَا تَسَلْ
عَنْ حَالِ أَجْسَامٍ بِلَا أَرْوَاحِ
وَكَأَنَّنِي، مُذْ غَابَ وَجْهُكَ، ذَاهِبٌ
فِي ٱللَّيْلَةِ ٱلظَّلْمَا، بِلَا مِصْبَاحِ
وَالْآنَ حِينَ قَرُبْتُ مِنْكَ فَآنَسَتْ
نَفْسِي، وَعَادَتْ، غَضَّةً، أَفْرَاحِي
لَوْ كَانَ يَا مَوْلَايَ، أَمْرِي فِي يَدِي
يَوْماً لَطِرْتُ إِلَيْكَ دُونَ جَنَاحِ (54)

154

وَقُلْتُ مِمَّا كُتِبَ فِي بَعْضِ ٱلْمَبَانِي ٱلسُّلْطَانِيَّةِ : (55)

(الكامل)

ٱلسَّعْدُ هَذَا بَابُهُ ٱلْمَفْتُوحُ وَالْعِزُّ هَذَا سِرُّهُ ٱلْمَشْرُوحُ
آثَارُ مَوْلَانَا ٱلْإِمَامِ «مُحَمَّدٍ» (56) مِثْلُ ٱلْكَوَاكِبِ، فِي ٱلسَّمَاءِ تَلُوحُ
إِنْ كَانَ دِينُ ٱللَّهِ ــ جَلَّ جَلَالُهُ ــ جِسْماً، فَدَوْلَتُهُ ٱلْعَلِيَّةُ رُوحُ (ف 109 أ)

155

وَقُلْتُ لَمَّا دَخَلْتُ مَدِينَةَ «مُرَّاكُشَ» (57) واعْتَبَرْتُ فِيمَا صَارَ إِلَيْهِ أَمْرُهَا : (58)

(الخفيف)

بَلَدٌ قَدْ غَزَاهُ صَرْفُ ٱللَّيَالِي
وَأَبَاحَ ٱلْحَرِيمَ، مِنْهُ، مُبِيحُ

---

(54) يشبه هذا البيت كثيرا البيت 13 في القصيدة قبله .
(55) وردت المقطوعة في الاصلين «ح» و«ف» ليس غير.
(56) يقصد السلطان محمد (الغني بالله)
(57) تقدم التعريف بها ص 78
(58) وردت المقطوعة في الأصلين «ح» و«ف»، وفي النفاضة (جـ : 2 ، ص 380) ، والنفح (جـ : 9 ص 189) ، والأزهار (جـ : 1 ص 290) ، والاعلام (جـ : 1 ص 75)

فَالَّذِي خَرَّ مِنْ بِنَاهُ قَتِيلُ
وَالَّذِي قَرَّ[59] مِنْهُ بَعْضٌ جَرِيحُ
وَكَأَنَّ الَّذِي يَزُورُ طَبِيبٌ
قَدْ تَأَتَّى لَهُ بِهِ[60] التَّشْرِيحُ
أَعْجَمَتْ مِنْهُ أَرْبُعٌ وَطُلُولٌ[61]
صَالَ قِدْماً بِهَا اللِّسَانُ الْفَصِيحُ
كَمْ مَعَانٍ غَابَتْ بِتِلْكَ الْمَغَانِي
وَجَمَالٍ أَخْفَاهُ ذَاكَ الضَّرِيحُ!
وَمُلُوكٍ تَعَبَّدُوا الدَّهْرَ حَتَّى[62]
أَصْبَحَ الدَّهْرُ، وَهْوَ عَبْدٌ صَرِيحُ
دَوَّخُوا نَازِحَ الْبَسِيطَةِ حَتَّى
نَالَ مَا شَاءَ ذَابِلٌ وَصَفِيحُ
حِينَ شَبَّتْ لَهُمْ مِنَ الْبَأْسِ نَارٌ
ثُمَّ هَبَّتْ لَهُمْ مِنَ النَّصْرِ رِيحُ
(أَثَرٌ يَنْدُبُ الْمُؤَثِّرَ لَمَّا
طَالَ بَعْدَ الدُّنُوِّ مِنْهُ النُّزُوحُ[63])
فَقُلُوبُ النُّجُومِ تَخْفِقُ وَجْداً
وَعُيُونُ السَّحَابِ حُزْناً تَفُوحُ
سَاكِنُ الدَّارِ رُوحُهَا، كَيْفَ يَبْقَى
جَسَدٌ بَعْدَمَا تَوَلَّى الرُّوحُ؟!

(59) في الأصول : خرّ ، ولعل السياق يقتضي ما أثبتنا .
(60) في النفح : بها .
(61) في النفح : رسوم .
(62) في النفح : لما .
(63) هذا البيت انفرد به الأصلان .

156

وَمِمَّا ثَبَتَ أَثْنَاءَ رِسَالَةٍ : [64]

(الطويل)

وَلِمْ لَا ؟ وَلِي قَلْبٌ لِبُعْدِكَ خَافِقُ
وَجَفْنٌ عَلَى حُكْمِ الدُّمُوعِ جَرِيحُ
تَنَازَعَنِي الضِّدَّانِ فِيكَ عَلَى النَّوَى
فَجِسْمِي سَقِيمٌ، وَالْوِدَادُ صَحِيحُ (ف 110 ب)
فَلَوْ أَنَّ «لَيْلَى» أَبْصَرَتْنِي أَقْسَمَتْ
لَمَا غَالَ «قَيْسَ بْنَ الذَّرِيحِ» ضَرِيحُ[65]

157

وَلَمَّا شَرَحَ الشِّفَاءَ الْعِيَاضِيَّ الْخَطِيبُ «أَبُو عَبْدِ اللَّهِ بْنُ مَرْزُوق»[66] وَطَلَبَ أَهْلَ الْعُدْوَتَيْنِ[67] بِالنَّظْمِ فِي ذَلِكَ ، طَمَا الْبَحْرُ مِنَ الشِّعْرِ بَيْنَ مُجِيدٍ وَمُقَصِّرٍ، فَقُلْتُ إِسْعَافاً لِغَرَضِهِ حَسَبَمَا ثَبَتَ فِي غَيْرِ هَذَا مِنَ الْحُرُوفِ[68] : [69]

(السريع)

"حُيِّيتِ يَا مُخْتَطَّ «سَبْتِ[70] ابْنِ نُوحْ»
بِكُلِّ مُزْنٍ يَغْتَدِي أَوْ يَرُوحْ

---

(64) في الأصلين «ح» و«ف» ، وفي مجموع رسائل تحت رقم 2588ل 40 بالقرويين . وفي «ت» لوحة : 3 ب

(65) قيس بن ذريح 68هـ بن سنة بن جذامة الكناني : شاعر من العشاق المتيمين اشتهر بحب لبنى بنت الحباب الكعبية . انظر : الاعلام (جـ : 6 ص 55)

(66) تقدمت ترجمته ص 99.

(67) يقصد المغرب والأندلس .

(68) انظر حرف الضاد ، والهمزة .

(69) في الأصلين «ح» و«ف» وفي النفح (جـ : 7 ص 331) والنفاضة (جـ : 2 ص 190) ، والاحاطة لوحة 130 والسحر والشعر لوحة 59 البيتان الأولان ومركز الاحاطة لوحة 161 و162 والبيتان الأولان في الأزهار (جـ : 1 ص 29) .

(70) إشارة إلى ما يقال : ان سبتة اختطها سبت بن بسام بن نوح ، انظر : الازهار (جـ : 1 ص 29)

وَحَمَّلَ الرَّيْحَانَ رِيحُ الصَّبَا
أَمَانَةً فِيكِ إِلَى كُلِّ رُوحْ
دَارُ «أَبِي الْفَضْلِ عِيَاضٍ»[71] الَّتِي
أَضْحَتْ بِرُبَاهُ رِيَاضاً تَفُوحْ
يَا نَاقِلَ الْآثَارِ يُعْنَى بِهَا
وَوَاصِلاً فِي الْعِلْمِ سَيْرَ[72] الجَمُوحْ
طِرْفُكَ فِي الْفَخْرِ[73] بَعِيدُ الْمَدَى
طَرْفُكَ لِلْمَجْدِ شَدِيدُ الطُّمُوحْ
كَفَاكَ إِعْجَازاً «كِتَابُ الشِّفَا»
وَالصُّبْحُ لَا يُنْكَرُ عِنْدَ الْوُضُوحْ
لِلَّهِ مَا أَجْزَلْتَ فِينَا بِهِ
مِنْ مِنْحَةٍ تَقْصُرُ عَنْهَا الْمُنُوحْ
رَوْضٌ مِنَ الْعِلْمِ هَمَى فَوْقَهُ
مِنْ صَيِّبِ الْفِكْرِ الْغَمَامُ السَّفُوحْ
فَمِنْ بَيَانِ الْحَقِّ زَهْرٌ نَدٍ[74]
وَمِنْ لِسَانِ الصِّدْقِ طَيْرٌ صَدُوحْ
تَأَرَّجَ الْعَرْفُ، وَطَابَ الْجَنَى
وَكَيْفَ لَا يُطْعِمُ[75]، أَوْ لَا يَفُوحْ (ف 111 أ)
وَحُلَّةٌ مِنْ طِيبِ خَيْرِ الْوَرَى
فِي الْجَيْبِ وَالْأَعْطَافِ مِنْهَا نُفُوحْ
وَمَعْلَمٌ لِلدِّينِ شَيَّدْتَهُ
فَهَذِهِ الْأَعْلَامُ مِنْهُ[76] تَلُوحْ

(71) تقدمت ترجمته في ص 99.
(72) النفح : جرى.
(73) النفح : في الفضل.
(74) في النفح بدا.
(75) في النفح والاحاطة : لا يثمر.
(76) في النفح : منها.

فَقُلْ «لِهَامَانَ» كَذَا أَوْ فَلَا
يَا مَنْ أَضَلَّ الرُّشْدَ، تُبْنَى الصُّرُوحْ!
فِي أَحْسَنِ التَّقْوِيمِ أَنْشَأْتُهُ
خَلْقاً جَدِيداً بَيْنَ جِسْمٍ وَرُوحْ
فَعُمْرُهُ الْمَكْتُوبُ لَا يَنْقَضِي
وَإِنْ تَقَضَّى عُمْرُ «سَامٍ» وَ«نُوحْ»
كَأَنَّهُ فِي الْحَفْلِ رِيحُ الصَّبَا
وَكُلُّ عِطْفٍ فَهْوَ غُصْنٌ مَرُوحْ(77)
مَا عُذْرُ مَشْغُوفٍ بِخَيْرِ الْوَرَى
إِنْ هَاجَ مِنْهُ الذِّكْرُ أَنْ لَا يَبُوحْ
عَجِبْتُ مِنْ أَكْبَادِ أَهْلِ الْهَوَى
وَقَدْ سَطَا الْبُعْدُ وَطَالَ النُّزُوحْ
إِنْ ذُكِرَ الْمَحْبُوبُ سَالَتْ دَماً
مَا هُنَّ أَكْبَادٌ، وَلَكِنْ جُرُوحْ!
يَا سَيِّدَ الأَوْضَاعِ يَا مَنْ لَهُ
بِسَيِّدِ الأَرْسَالِ، فَضْلُ الرُّجُوحْ
يَا مَنْ لَهُ الْفَخْرُ(78) عَلَى غَيْرِهِ
وَالشُّهْبُ(79) تَخْفَى عِنْدَ إِشْرَاقِ يُوحْ(80)
يَا خَيْرَ مَشْرُوحٍ وَفَى وَاكْتَفَى
مِنْهُ «ابْنُ مَرْزُوقٍ» بِخَيْرِ الشُّرُوحْ
فَتْحٌ مِنَ اللَّهِ حَبَاهُ بِهِ
وَمِنْ جَنَابِ اللَّهِ تَأْتِي الْفُتُوحْ

---

(77) الغصن المروح : المهتز
(78) في النفح : الفضل
(79) في النفح : والشمس
(80) يوح : اسم من أسماء الشمس وأصل هذا المعنى عند النابغة في قوله :
كأنك شمس والملوك كواكب إذا طلعت لم يبد منهن كوكب

158

وَقُلْتُ فِي ٱلْجَنَابِ ٱلنَّبَوِيِّ ٱلْكَرِيمِ : (81)

(الطـويـل)

مَلَكْتَ رَسُولَ ٱللَّهِ، رِقِّي فَمَنْ يَبْرَحْ
وَأَوْلَيْتَنِي ٱلْحَظَّ ٱلرَّغِيبَ وَمَنْ يَشْرَحْ (ف 112 ب)
فَلَا كَانَ لِي جَفْنٌ لِبُعْدِكَ لَمْ يَصُبْ
وَلَا كَانَ لِي قَلْبٌ بِقُرْبِكَ لَمْ يَفْرَحْ
فَسَعْيُكَ مَدْعىً لَا يُخَيِّبُ مَنْ نَأَى
وَرَعْيُكَ مَرْعىً لَا يَضِيقُ بِمَنْ يَسْرَحْ
فِـدَاكَ فُؤَادٌ ضَـمَّ حُـبَّكَ حَـبَّـةً
كَمَا يُودَعُ ٱلْمَبْذُورُ فِي ٱلْأَرْضِ أَوْ يُطْرَحْ
فَأَصْبَحَ غُصْنـاً ذَا مُـرُوحٍ وَنَـعْـمَةٍ
وَمَا عُذْرُهُ — مَهْمَا ذُكِرْتَ — فَلَمْ يَمْرَحْ
رَجَـاؤُكَ سُؤْلِي كُـلَّـمَـا جَـرَحَ ٱلْأَسَى
وَلَا يَسْتَوِي آسِي ٱلْكُلُومِ وَمَنْ يَجْرَحْ
وَقَدْ كَانَ فِي قَلْبِـي، لِبُعْدِكَ، قُرْحَةٌ
وَفُؤْدِيَ لَمْ يَشْهَبْ وَسِنِّيَ لَمْ يَقْرَحْ
فَـكَـيْـفَ وَقَـدْ رَانَتْ عَـلَـيْـهِ ذُنُوبُـهُ
وَإِنْ أَنَّنِي لَمْ أُضْرَحْ فَوَيْلِي مَتَى أُضْرَحْ (82) ؟!
فَضَـلْتَ الـنَّـبِـيِّـيـنَ ٱلْـكِـرَامَ مَـزِيَّـةً
وَكَمْ بَيْنَ «رَبِّ ٱشْرَحْ» وَبَيْنَ «أَلَمْ نَشْرَحْ» ؟! (83)

(81) في الأصلين «ح» و «ف»
(82) ضرح الشيء : دفعه وأبعده ناحية ، والضريح : القبر والشق في وسطه .
(83) الآية رقم 1 من سورة الم نشرح ، وفيه إشارة إلى أن النبي محمدا يفضل موسى الذي قال : «ربِّ اشرحْ» بينما محمد خاطبه ربه : «ألمْ نَشْرَحْ»

159

وَقُلْتُ، وَهُوَ مِمَّا كَلِفَ ٱلنَّاسَ بِحِفْظِهِ، وَٱللَّهُ يَنْفَعُ بِالقَصْدِ فِي ذَلِكَ : [84]

(الكامل)

هَلْ كُنْتَ تَعْلَمُ فِي هُبُوبِ ٱلرِّيحِ
نَفَساً يُؤَجِّجُ لَاعِجَ ٱلتَّبْرِيحِ
أَهْدَتْكَ مِنْ شِيحِ «ٱلحِجَازِ» تَحِيَّةً
غَاضَتْ[85] لَهَا عُرُضُ ٱلفِجَاجِ ٱلفِيحِ[86]
بِاللَّهِ، قُلْ لِي: كَيْفَ نِيرَانُ ٱلهَوَى
مَا بَيْنَ رِيحٍ بِالفَلَاةِ وَشِيحِ ؟
وَخَفِيبَةِ ٱلمِنْقَارِ تَحْسِبُ أَنَّهَا
نَهَلَتْ بِمَوْرِدِ دَمْعِيَ ٱلمَسْفُوحِ
بَاحَتْ بِمَا تُخْفِي، وَنَاحَتْ فِي ٱلدُّجَى
فَرَأَيْتُ فِي ٱلآفَاقِ دَعْوَةَ نُوحِ[87] (ف 113 أ)
نَطَقَتْ، بِمَا يُخْفِيهِ قَلْبِي، أَدْمُعِي
وَلَطَالَمَا صَمَتَتْ عَنِ ٱلتَّصْرِيحِ
عَجَباً لِأَجْفَانِي حَمَلْنَ شَهَادَةً
عَنْ خَافِقٍ[88] بَيْنَ ٱلضُّلُوعِ جَرِيحِ
وَلَقَبْلُمَا كَتَبَتْ رُوَاةُ مَدَامِعِي
فِي طُرَّتَيْهَا[89] حِلْيَةَ ٱلتَّجْرِيحِ[90]

---

(84) وردت القصيدة في الأصلين «ح» و«ف»، وفي الإحاطة لوحة 434 والنفح (جـ : 9 ص 153 و154) ومركز الاحاطة (جـ : 3 لوحة 509)

(85) الاحاطة والمركز : فاحت

(86) الفيح الواسعة واحدها أفيح ، أو فيحاء ، وغرض (ج) غريض : ماء المطر .

(87) انظر هذا في ثمار القلوب ص : 366 وما بعدها. انظر «سورة نوح» آية 25

(88) في الاصلين : خافيت ولعل السياق يؤكد ما أثبتنا .

(89) في النفح في صفحتيها .

(90) إشارة إلى مصطلحات علم الحديث .

جَادَ ٱلْحِمَى بَعْدِي، وَأَجْرَاعَ ٱلْحِمَى
جَوْدٌ تَكِلُّ بِهِ مُتُونُ ٱلرِّيحِ
هُنَّ ٱلْمَنَازِلُ، مَا فُؤَادِي بَعْدَهَا
سَالٍ، وَلاَ وَجْدِي بِهَا بِمُرِيحِ
حَسْبِي وَلُوعاً أَنْ أَزُورَ بِفِكْرَتِي
زُوَّارَهَا، وَٱلْجِسْمُ رَهْنُ نُزُوحِ[91]
فَأَبُثُّ فِيهَا مِنْ حَدِيثِ صَبَابَتِي
وَأَحُثُّ فِيهَا مِنْ جَنَاحِ جُنُوحِي
وَدُجُنَّةٍ كَادَتْ تُضِلُّ بِيَ[92] ٱلسُّرَى
لَوْلَا وَمِيضَا بَارِقٍ وَصَفِيحِ
رَعَشَتْ كَوَاكِبُ جَوِّهَا فَكَأَنَّهَا
وَرَقٌ تُقَلِّبُهَا بَنَانُ شَحِيحِ
صَابَرْتُ مِنْهَا لُجَّةً مَهْمَا ٱرْتَمَتْ
وَطَمَتْ رَمَيْتُ عُبَابَهَا بِسَبُوحِ
حَتَّى إِذَا «ٱلْكَفُّ ٱلْخَضِيبُ» بِأُفْقِهَا
مَسَحَتْ بِوَجْهِ لِلصَّبَاحِ صَبِيحِ
شِمْتُ ٱلْمُنَى وَحَمِدْتُ إِدْلَاجَ ٱلسُّرَى
وَزَجَرْتُ لِلْآمَالِ كُلَّ سَنِيحِ[93]
فَكَأَنَّمَا لَيْلِي نَسِيبُ قَصِيدَتِي
وَالصُّبْحُ فِيهِ تَخَلُّصٌ لِمَدِيحِي
لَمَّا حَطَطْتُ لِخَيْرِ مَنْ وَطِئَ ٱلثَّرَى
بِعِنَانِ كُلِّ مُوَلَّدٍ وَصَرِيحِ

(91) في الاحاطة : تروح
(92) في النفح : بها .
(93) السنيح : النسانح : الطائر أو الظبي أو غيرهما : مر من مياسرك إلى ميامنك فولاه ميامنه ، والعرب يتيمنون به ، فهو سانح (ج) سوانح .

رُحْمَى إِلَهِ ٱلْعَرْشِ بَيْنَ عِبَادِهِ
وَأَمِينِهِ ٱلْأَرْضَى عَلَى مَا يُوحِي (ف 114 ب)
وَٱلْآيَةُ ٱلْكُبْرَى ٱلَّتِي أَنْوَارُهَا
ضَاءتْ أَشِعَّتُهَا بِصَفْحَةِ بُوحِ
رَبُّ ٱلْمَقَامِ الصِّدْقِ وَالآيِ ٱلَّتِي
رَاقَتْ بِهَا أَوْرَاقُ(94) كُلِّ صَحِيحِ
كَهْفُ الأَنَامِ إِذَا تَفَاقَمَ مُعْضِلٌ
مَثَلُوا بِسَاحَةِ بَابِهِ ٱلْمَفْتُوحِ
يَرِدُونَ مِنْهُ عَلَى مَثَابَةِ رَاحِمٍ
جَمِّ ٱلْهِبَاتِ عَنِ الذُّنُوبِ صَفُوحِ
لَهْفِي عَلَى عُمْرٍ مَضَى أَنْضَيْتُهُ
فِي مَلْعَبٍ لِلتُّرَّهَاتِ فَسِيحِ
يَا زَاجِرَ ٱلْوَجْنَاءِ يَعْتَسِفُ ٱلْفَلَا
وَاللَّيْلُ يَعْثُرُ فِي فُضُولِ مُسُوحِ
يَصِلُ ٱلسُّرَى سَبْقاً إِلَى خَيْرِ ٱلْوَرَى
وَالرَّكْبُ بَيْنَ مُوَسَّدٍ وَطَرِيحِ
لِي فِي حِمَى ذَاكَ الضَّرِيحِ لُبَانَةٌ
إِنْ أَصْبَحَتْ «لُبْنَى» أَنَا «ابْنُ ذَرِيحِ»(95)
وَبِمَهْبِطِ ٱلرُّوحِ الأَمِينِ أَمَانَةٌ
وَالْيُمْنُ فِيهَا، وَٱلْأَمَانُ لِرُوحِي
يَا صَفْوَةَ ٱللَّهِ الْمَكِينِ مَكَانُهُ
يَا خَيْرَ مُؤْتَمَنٍ، وَخَيْرَ نَصِيحِ
أَقْرَضْتُ فِيكَ ٱللَّهَ صِدْقَ مَحَبَّتِي
أَيَكُونُ تَجْرِي فِيكَ غَيْرَ رَبِيحِ ؟!

(94) في «م» ورقات .
(95) يقصد لبنى بنت الحباب الكلبية ، صاحبة قيس بن ذريح — انظر : الاعلام (جـ : 5 ، 6 ص 55 ، 103)

حَـاشَـا وَكَلَّا أَنْ تَـخِيبَ وَسَـائِلِي
أَوْ أَنْ أَرَى مَسْـعَايَ غَيْرَ نَجِيحِ
إِنْ عَاقَ عَنْكَ قَبِيحُ مَا كَسَبَتْ يَدِي
يَوْمـاً، فَوَجْـهُ ٱلـعَفْوِ غَيْرُ قَبِيحِ
وَاخَجْلَتِي مِنْ حَلْبَةِ ٱلفِكْرِ ٱلَّتِي
أَغْـرَيْـتُـهَـا بِـغَـرَامِيَ ٱلـمَشْـرُوحِ (٩٥)
قَصُـرَتْ خُـطَـاهَـا بَـعْدَمَا ضَـمَّرْتُهَا
مِنْ كُلِّ مَوْفُورِ ٱلجِمَامِ جَمُوحِ (ف 115 أ)
مَدَحَتْكَ آيَاتُ ٱلكِتَابِ فَمَا عَسَى
يُثْنِي عَلَى عُلْيَاكَ نَظْمُ مَدِيحِي
وَإِذَا كِـتَـابُ ٱلـلَّـهِ أَثْـنَى مُفْصِحاً
كَانَ ٱلْقُصُورُ فَصَارَ كُلُّ فَصِيحِ (٩٦)
صَلَّى عَلَيْكَ ٱللَّهُ مَا هَبَّتْ صَبَا
فَـهَـفَتْ بِـغُصْنٍ لِلرِّيَاضِ (٩٨) مَرُوحِ
وَاسْـتَـأْثَـرَ الـرَّحْـمَانُ ـ جَلَّ جَلَالُهُ ـ
عَنْ خَلْقِهِ بِخَفِيِّ سِرِّ ٱلرُّوحِ (٩٩)

160

وَقُلْتُ أُخَاطِبُ ٱلسُّلْطَانَ «أَبَا سَالِمٍ» (١٠٠) رَحْمَةُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ، أَيَّامَ ٱلتَّحَرُّمِ بِتُرْبَةِ أَبِيهِ

(96) هذا البيت والثلاثة التي تليه في روضة التعريف ص : 441 ، والخلبة : الخيل التي تأتي من كل أوب .

(97) هذا البيت والذي سبقه في النفح (جـ : 7 ص 93) .

(98) في النفح : في الرياض .

(99) إشارة إلى قوله تعالى : «يسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم إلا قليلا» .

(100) تقدم التعريف به ، ص 135 .

بِمَدِينَةِ «سَلاَ»[101] حَرَسَهَا ٱللَّهُ :[102]

(الكامل)

عَنْ بَابِ وَالِدِكَ ٱلرِّضَى لاَ أُبْرَحُ
يَأْسُو الزَّمَانُ لأَجْلِهَا[103] أَوْ يَجْرَحُ
ضُرِبَتْ خِيَامِي فِي حِمَاهُ فَصِبْيَتِي
تَرْعَى[104] الْجَمِيمَ بِهِ وَبَهْمِي تَسْرَحُ
حَتَّى يُرَاعَى وَجْهُهُ فِي وِجْهَتِي
بِعِنَايَةٍ تَشْفِي ٱلصُّدُورَ وَتَشْرَحُ
أَيَسُوغُ عَنْ مَثْوَاهُ سَيْرِيَ خَائِباً
وَمَنَابِرُ الدُّنْيَا بِذِكْرِكَ تَصْدَحُ
أَنَا فِي حِمَاهُ، وَأَنْتَ أَبْصَرُ بِالَّذِي
يُرْضِيهِ مِنْكَ، فَوَزْنُ عَقْلِكَ أَرْجَحُ
فِي مِثْلِهَا سَيْفُ ٱلْحَمِيَّةِ يُنْتَضَى
فِي مِثْلِهَا زَنْدُ ٱلْحَفِيظَةِ يُقْدَحُ
وَعَسَى ٱلَّذِي بَدَأَ ٱلْجَمِيلَ يُعِيدُهُ
وَعَسَى ٱلَّذِي سَدَّ ٱلْمَذَاهِبَ يَفْتَحُ

161

وَقُلْتُ ، وَٱلْمَرْجُو عَفْوُ ٱللَّهِ : [105]

(101) تقدم التعريف بها ص : 96 .
(102) وردت المقطوعة في الأصلين «ف» و«ح» وفي أزهار الرياض (جـ : 1 ص 276) ، والنفاضة (جـ : 2 ص 162) ، والنفح (جـ : 8 ص 133) .
(103) ماعدا الأصول : لاجل ذا
(104) في النفح والازهار : تجني
(105) في الأصلين «ح» و«ف» والنفاضة المخ (جـ : 3 ص 16) والمطبوع (جـ : 2 ص 362) .

(الكامل)

مَرَّ ٱلذُّبَابُ عَلَى فَمِ «ابْنِ كُمَاشَةٍ»[106]
فَانْفَضَّ عَسْكَرُهُ، وَهِيضَ جَنَاحُهُ (ف 116 ب)
فَكَأَنَّهُمْ صَرْعَى، وَقَدْ عَصَفَتْ بِهِمْ
مَسْمُومَةً، عِنْدَ ٱلصَّبَاحِ، رِيَاحُهُ
سُرْعَانُ حَرْبٍ مِنْ «بَنِي حَرْبٍ» وَقَدْ
حَمَلَ ٱلسِّلَاحَ عَلَيْهِمِ «سَفَّاحُهُ»[107]
أَ «عَلِيٌّ» ــ جَلَّ ٱللَّهُ ــ كَمْ مِنْ حَائِنٍ
نَاجَيْتَهُ صُبْحاً، فَسَاءَ صَبَاحُهُ

162

وَقُلْتُ فِي مِثْلِهِ:[108]

(الطويل)

وَذِي حِيَلٍ يُعْيِي ٱلتَّقِيَّةَ أَمْرُهُ مَكَايِدُهُ فِي لُجَّةِ ٱللَّيْلِ تَسْبَحُ
يُدِبُّ شُبُولَ ٱللَّيْثِ، وَاللَّيْثُ سَاهِرٌ وَيَسْرِقُ نَابَ ٱلْكَلْبِ، وَالْكَلْبُ يَنْبَحُ

163

وَقُلْتُ أَيْضاً، وَلَهَا حِكَايَةٌ:[109]

(السريع)

قُلْتُ، وَلِلنَّاقُوسِ فِي مَرْتُشٍ[110] وَٱللَّيْلُ قَدْ مَدَّ عَلَيْنَا ٱلْجَنَاحْ
أَغْرَبْتَ طُولاً، يَا غُرَابَ ٱلدُّجَى فَلَمْ تَرَ ٱللَّيْلَةَ عَنَّا بَرَاحْ

(106) ستأتي ترجمته. ص 447.
(107) إشارة إلى الأمويين والسفّاح، ويمكن أن تُقْرأ «سُرْعان» فُرْسان.
(108) في الأصلين «ح» و«ف» وفي النفح (جـ : 9، ص 171).
(109) في الأصلين «ح» و«ف».
(110) مارتش من عمل جيان. انظر : صلة الصلة ص : 42، والإحاطة (جـ : 1 ص 399).

فَخُذْ عَلَى نَفْسِكَ لَا تَغْتَرِرْ قَدْ حَرَّكَ ٱلْجُلْجُلَ[111] بَازِي ٱلصَّبَاحْ

164

وَقُلْتُ فِي «حَبِّ ٱلْمُلُوكِ» :[112]

(البسيط)

أُنْظُرْ إِلَيْهَا تَجِدْ «حَبَّ ٱلْمُلُوكِ»[113] بِهَا،
وَقَدْ حَكَى نَوْرُهَا ٱلْمُبْيَضُّ حِينَ فُتِحْ،
قُطْناً تَرَاكَمَ فِي ٱلْأَغْصَانِ إِذْ قَذَفَتْ
،لَفَائِفَ ٱلثَّلْجِ فِي أَعْلَاهُ، «قَوْسُ قُزَحْ»[114]

165

وَقُلْتُ مِنَ ٱلْمُلَحِ عَلَى طَرِيقَةِ ٱلْمَشَارِقَةِ :[115]

(الكامل)

لَكَ عَاذِلٌ بِثَقِيلِهِ وَخَفِيفِهِ
بَيْنَ ٱلنَّدَامِ غَبُوقُهُ وَصَبُوحُهُ[116] (ف 117 أ)
أَمَّا ٱلْخَفِيفُ، فَكَفُّهُ وَدِمَاغُهُ
أَمَّا ٱلثَّقِيلُ، فَقَوْلُهُ أَوْ رُوحُهُ

(111) الجلجل : الجرس الصغير .
(112) في الأصلين «ح» و«ف»
(113) حب الملوك : نوع من الفواكه تشتهر به مدينة صفرو قرب فاس بالمغرب إذ تخصص له يوما في السنة يسمى عيد حب الملوك له شعائر خاصة به ، وقد أورد اللفظة دوزي (جـ : 1 ص 241) .
(114) قوس قزح : قوس ينشأ في السماء أو على مقربة من مسقط الماء في الشلال ، ونحوه ، ويكون في ناحية الأفق المقابلة للشمس ، وترى فيه ألوان الطيف متتابعة ، وسببه انعكاس أشعة الشمس من رذاذ الماء المتطاير من ماء المطر أو من مياه الشلالات وغيرها من مساقط الماء المرتفعة .
(115) في الأصلين «ف» و«ح» .
(116) الغبوق : ما يشرب بالعشي ، والصّبوح ما يشرب أو يؤكل في الصباح .

166

وَقُلْتُ أَيْضاً مِمَّا يُكْتَبُ عَلَى سِكِّينِ ٱلْأَضَاحِي : (117)

(الخفيف)

أَنَا مِنْ خَالِصِ ٱلْحَدِيدِ غَدِيرٌ
فَتَرَى وَسْطَيَّ ٱلرَّدَى وَهْوَ سَابِحْ
أَنَا، «سَعْدُ ٱلسُّعُودِ» فِي كَفِّ مَوْلَا
يَ، وَإِنْ قِيلَ فِيَّ: «سَعْدُ ٱلذَّابِحْ» (118)

167

وَقُلْتُ ، وَقَدْ خَفَّ عَنِّي شَغَبُ ٱلنَّاسِ بِسَبَبِ أَخْذِ ٱلدَّوَاءِ : (119)

(المتقارب)

وَقَانِي أَذَى ٱلنَّاسِ أَخْذُ ٱلدَّوَاءِ وَجَاءَ بِعُذْرٍ لِرَفْعِ ٱلْجُنَاحْ
كَذَاكَ ٱلْحُبَارَى إِذَا ضُوِيقَتْ يُدَافِعُ عَنْهَا سِلَاحُ ٱلسُّلَاحْ (120)

168

وَقُلْتُ : (121)

(المتقارب)

أَخِي لَا تَقُلْ كَذِباً إِنْ نَطَقْتَ
فَلِلنَّاسِ، فِي ٱلصِّدْقِ، فَضْلٌ وَضَحْ

(117) في الاصلين «ف» و«ح»

(118) السعود : سعود النجوم : عدة كواكب ، يقال لكل واحد منها سعد كذا ، ومنها سعد السعود وهو أحدها . وسعد الذابح كذلك .

(119) في الأصلين «ف» و«ح»

(120) أصله من «سلاح الحبارى» — يضرب مثلا للضعيف يستعين بالالة اللئيمة على مقاومة من هو أقوى منه فربما يغلبه بها — انظر ثمار القلوب ص 382 — 383 . وفي البيت الأول إشارة إلى قوله تعالى : «ولا على المريض حرج» .

(121) في الأصلين «ف» و«ح» .

وَخَفْ إِنْ كَذَبْتَ طُرُوَّ ٱنْتِضَاحِ
فَمَا كَذَبَ ٱلْفَجْرُ إِلَّا ٱنْتَضَحْ[122]

169

وَقُلْتُ ضَجِراً مِنَ ٱلْمُصْبِحِينَ بِبَابِ ٱلسُّلْطَانِ أَيَّامَ ٱلنِّيَابَةِ عَنْهُ: [123]

(مجزوء المديد)

قَالَ مَنْ يُعْنَى بِأَمْرِي :لَيْتَ رَبِّي قَدْ أَرَاحَكْ
وَطَناً تَسْمَعُ فِيهِ أَنْعَمَ ٱللَّهُ صَبَاحَكْ

170

وَقُلْتُ أَذْكُرُ هَدِيَّةً ، وَجَّهَهَا صَاحِبُ ٱلْمَغْرِبِ (ف 118 ب) وَأَنْشَدْتُهَا لَهُ بَدِيهَةً : [124]

(الكامل)

«عَبْدُ ٱلْعَزِيزِ»[125] خَلِيفَةُ ٱللَّهِ ٱلَّذِي
ظَفِرَ ٱلْهُدَى مِنْهُ بِفَوْزِ قِدَاحِهِ
وَلِذَاكَ مَا أَهْدَتْ عُلَاهُ هَدِيَّةً
قَدْ أَغْرَبَتْ عَنْ بَأْسِهِ وَسَمَاحِهِ

(122) في البيت اشارة إلى الفجرين : الكاذب والصادق .
(123) في الاصلين «ف» و«خ»
(124) في الأصلين «ف» و«ح»
(125) عبد العزيز هو أبو فارس المريني (750 ــ 774هـ) من ملوك الدولة المرينية ، وهو الذي ذكره ابن خلدون في أول تاريخه الكبير ، وألفه برسمه وحلى ديباجته باسمه . بايعه عمر بن عبد الله ثم بايعه بنو مرين وأعيان الدولة (آخر سنة 767هـ) ثم قتل عمر بن عبد الله وأمد ابن الأحمر بالمال والأساطيل ، وأوعز إليه بمهاجمة الجزيرة الخضراء . انظر :
ــ الاستقصا (جـ : 2 ، ص 129 ــ 132)
ــ جذوة الاقتباس (ص 268) .
ــ الحلل الموشية ص : 135
ــ التعريف بابن خلدون : 133 ــ 155 و216 .

حَيَّ بِهَا «وَطَنَ ٱلْجِهَادِ» تَحِيَّةً
أَبْدَتْ عُهُودَ نَشَاطِهِ وَمَرَاحِهِ
فَٱلْخَيْلُ عَنْ أَعْرَاقِهِ وَالثَّمْرُ عَنْ
أَخْلَاقِهِ، وَٱلطِّيبُ عَنْ أَمْدَاحِهِ
وَرَقِيقُهَا مِنْ لَيْلِهِ أَنْجُمُ التُّقَى
وَكِتَابُهَا مِنْ فَجْرِهِ وَصَبَاحِهِ
وَسِلَاحُهَا مَاضٍ مَضَاءَ عَزِيمَةٍ
أَوْ سَابِغٌ وَاقٍ سُبُوغَ صَلَاحِهِ
جَدَّدْتَ عَهْدَ أَبِيكَ فِي إِمْدَادِهَا
لَمَّا قَبَسْتَ ٱلنُّورَ مِنْ مِصْبَاحِهِ
لَازَالَ سَعْيُكَ فِي ٱلْخِلَافَةِ نَاجِحاً
تَسْتَمْطِرُ ٱلدُّنْيَا مَهَبَّ رِيَاحِهِ
وَلِوَاءُ نَصْرِكَ يَسْتَهِلُّ غَمَامَةً
تَذَرُ ٱلْفُتُوحَ جُثِيَّ بِقُضْبِ رِمَاحِهِ

171

لِنَخْتِمْ هَذَا ٱلْحَرْفَ بِالقَصِيدَةِ ٱلَّتِي نَظَمْتُ فِي مِيلَادِ عَامِ أَرْبَعَةٍ وَسِتِّينَ وَسَبْعَمِئَةٍ، وَعَسَى أَنْ تَكُونَ مَحَّاءَةً لِمَا تَقَدَّمَهَا بِحَوْلِ ٱللَّهِ: (126)

(الخفيف)

مَا عَلَى ٱلْقَلْبِ بَعْدَكُمْ مِنْ جُنَاحِ
أَنْ يُرَى طَائِراً بِغَيْرِ جَنَاحِ
وَعَلَى ٱلشَّوْقِ أَنْ يَشُبَّ إِذَا هَبَ
بَ بِأَنْفَاسِكُمْ نَسِيمُ ٱلصَّبَاحِ (ف 119 أ)

(126) في الأصلين «ف» و«ح» وورد بعضها في الأزهار (جـ : 1 ص 237 و238) وبعضها في النفح (جـ : 9 ص 211) والنفاضة المخ (جـ : 3 لوحة 228) والاحاطة المخ (لوحة 438 و439).

196

وَقُلْتُ فِي أَثْنَاءِ ٱلْجُزْءِ ٱلْمُسَمَّى بِـ«خَطْرَةِ ٱلطَّيْفِ» ٱلْمُشَارِ إِلَيْهَا فِي «حَرْفِ ٱلْجِيمِ» : [184] (ح 156 ب)

(الطـويـل)

وَقَـائِـلَةٍ، صِـفْ لِي فَدَيْتُكَ رِحْلَةً
عُنِيتَ بِهَا، يَاشِقَّةَ ٱلْقَلْبِ مِنْ بَعْدِي
فَـقُـلْتُ: خُذِيهَا مِنْ لِسَانٍ بَلَاغَةٍ
كَمَا نُظِمَ ٱلْيَاقُوتُ وَالدُّرُّ فِي عِقْدِ

197

وَلَمَّا بَنَى ٱلسُّلْطَانُ بِدَارِ مُلْكِهِ ٱلْبُرْجَ ٱلضَّخْمَ ، وَاحْتَفَلَ فِيهِ ، وَصَرَفَ إِلَيْهِ وَجْهَ عِنَايَتِهِ أَصْبَحَ وَقَدْ أُثْبِتَ بِهِ سَهْمٌ ، وَأَهَمَّهُ ذَلِكَ ــ رَحِمَهُ ٱللَّهُ ــ فَقُلْتُ فِي ذَلِكَ : [185]

(الـرمـل)

لَا يَسُوءُ ظَـنُّكَ مِنْ أَجْـلِ سَـهْمٍ
عَادَ مَعْنَى ٱلسَّعْدِ مِنْ غَيْرِ عَادَهْ
أَوَ لَسْتَ ٱلشَّـمْسَ دُونَ ٱمْـتِـرَاءٍ
حَلَّ فِي بُرْجِكَ «سَهْمُ»[186] ٱلسَّعَادَهْ

198

وَصَدَّرْتُ كِتَاباً بِقَوْلِي : [187]

(184) في الأصلين «م» و«ح» ومشاهدات لسان الدين بن الخطيب ص 27 .
(185) في الأصلين «م» و«ح» .
(186) السهم : كوكب ، وسهم البيت : جائزه .
(187) في الأصلين «م» و«ح» وفي النفح (الجزء 9 ص 187 ــ 188) وازهار الرياض (جـ : 1 ص 275) والنفاضة (جـ : 2 ص 130) وجنّة الرضا مخ لوحة 195 ، وروضة التعريف ص 273 ومشاهدات لسان الدين ص : 25 ، ومذكرات ابن الحاج النميري ص 28 .

(الخفيف)

يَوْمَ أَزْمَعْتُ عَنْكَ طَوْعَ[188] الْبِعَادِ
وَعَدَتْنِي عَنِ اللِّقَاءِ[189] الْعَوَادِي
قَالَ صَحْبِي : وَقَدْ أَطَلْتُ الْتِفَاتِي
أَيَّ شَيْءٍ تَرَكْتَ : قُلْتُ : فُؤَادِي

199

وَأَنْشَدْتُ السُّلْطَانَ أَبَا سَالِمٍ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي غَرَضِ التَّوَسُّلِ :[190]

(الطويل)

سَمِيَّ خَلِيلَ[191] اللَّهِ أَحْيَيْتَ مُهْجَتِي
وَعَاجَلَنِي مِنْكَ الصَّرِيخُ عَلَى بُعْدِي
فَإِنْ عِشْتُ أُبْلِغْ فِيكَ نَفْسِيَ عُذْرَهَا
وَإِنْ لَمْ أَعِشْ: فَاللَّهُ يَجْزِيكَ مِنْ بَعْدِي[192]

200

وَقُلْتُ لِيُنْقَشَ عَلَى بَرَّادَةٍ :[193]

(الكامل)

إِنْ كَانَ يَسْقِي الْأَرْضَ جَوْدُ غَمَامَةٍ
فَأَنَا الَّذِي أَسْقِي غَمَامَ الْجُودِ
قَابَلْتُ مِنْ وَجْهِ «ابْنِ نَصْرٍ» قِبْلَةً
فَلَهَا رُكُوعِي دَائِماً وَسُجُودِي

(188) المشاهدات : طي .
(189) المشاهدات : الوَدَاع .
(190) في الأصلين «ح» و«م» الأزهار (جـ : 1 ص 275) .
(191) في «م» والأزهار : رسول .
(192) هذا الشكر كان بسبب شفاعة السلطان أبي سالم ابراهيم المريني لدَى سلطان غرناطة لاطلاقه
(193) في الأصلين «م» و«ح» .

غُصِبَتْ حُقُوقُ ٱللَّهِ، جَلَّ جَلَالُهُ
فَقَضَى «أَبُو ٱلْحَسَنِ الصَّغِير»[197] بِرِدِّهَا

204

وَقُلْتُ فِي وَلِيمَةٍ مِنْ وَلَائِمِ ٱلسُّلْطَانِ : [198]

(البسيط)

قَالُوا : وَلَائِمُ مَوْلَانَا مَجَالِسُهَا عِشْرُونَ مِنْ ضَحْوَةٍ لِلَّيْلِ مَعْدُودَةْ
فَقُلْتُ: أَلْوَانُهَا فِي النَّفْعِ أَدْوِيَةٌ وَالْبَعْضُ مِنْهَا، بَلِ ٱلْمَجْمُوعُ مَحْمُودَةْ

205

وَقُلْتُ ، وَقَدْ أَجْزَنَا «ٱلْوَادِيَ ٱلْبَارِدَ»[199] فِي رِحْلَةٍ : [200]

(السريع)

لَوْ لَمْ يَكُنْ وَادِيكُمُ بَارِداً لَقُلْتُ: مِنْ دَمْعِي أَتَى ٱلْوَادِي
أَوْ لَمْ يَكُ الشَّادِي بِهِ أَعْجَماً طَارَحْتُ شَجْوِي طَيْرَهُ ٱلشَّادِي

206

وَقُلْتُ فِي ٱلرِّحْلَةِ ، بِٱلْمَوْضِعِ ٱلْمَعْرُوفِ «بِرَأْسِ ٱلْمَزَادِ»[201] : [202]

---

(197) هو علي بن محمد بن عبد الحق الزرويلي الصغير ، بضم الصّاد وفتح العين وكسر الياء المشددة ، توفي عام 719هـ انظر : الاستقصا (جـ : 3 ص 178) ــ مختصر الإحاطة لوحة : 336 ــ الديباج (ص : 212) .

(198) في الأصلين «م» و«ح» .

(199) لم نعثر عليه .

(200) في الأصلين «م» و«ح»

(201) لم نعثر عليه .

(202) في الأصلين «م» و«ح» .

201

وَقُلْتُ فِي بَنَفْسَجٍ عَرَضَهُ عَلَيَّ ٱلسُّلْطَانُ فِي غَزْوَتِهِ : (194)

(الكامل)

قَدِمَ ٱلْبَنَفْسَجُ وَهْوَ نِعْمَ ٱلْوَارِدُ
قَدْ نَمَّ مِنْهُ إِلَيَّ طِيبٌ زَائِدُ (ح 157 أ)
فَسَأَلْتُهُ : مَا بَالُهُ ؟ فَأَجَابَنِي :
ـ وَٱلْحَقُّ لَا يُبْغَى عَلَيْهِ شَاهِدُ ـ
أَقْبَلْتُ أَطْلُبُ مِنْ بَنَانِ «مُحَمَّدٍ»
صِلَةً، فَعَادَ إِلَيَّ مِنْهُ عَائِدُ

202

وَقُلْتُ ، وَقَدْ جَرَى ذِكْرُ مَا يُمْدَحُ بِهِ ٱلْمُلُوكُ مِنْ «بَنِي ٱلْعَبَّاسِ» ، وَهُوَ مِنَ ٱلتَّخَلُّصِ ٱلْبَدِيعِ : (195)

(البسيط)

أَقُولُ وَٱللَّيْلُ أَعْيَانِي تَطَاوُلُهُ وَأُوسِعُ ٱلذَّمَّ، وَٱلتَّعْنِيتَ أَسْوَدَهْ
مَا كَانَ يَجْرُؤُ لَيْلِي أَنْ يُطَاوِلَنِي شِعَارُكُمْ يَا «بَنِي ٱلْعَبَّاسِ» أَيَّدَهْ

203

وَقُلْتُ ، وَلَهَا حِكَايَةٌ : (196)

(الكامل)

قُلْ لِلَّذِي ذَكَرَ ٱلْهُدَى وَعُهُودَهُ
فَبَكَى وَأَصْبَحَ مُشْفِقاً مِنْ فَقْدِهَا

(194) في الأصلين «م» و«ح» ، والنفح : (جـ : 9 ص 172) .
(195) في الأصلين «م» و«ح» .
(196) في الأصلين «م» و«ح» والاحاطة مخ لوحة : 450 .

(الخفيف)

عِنْدَ «رَأْسِ ٱلْمَزَادِ» عَادَنِيَ ٱلسُّهْدُ وَلَمْ تُغْنِ حِيلَتِي وَٱجْتِهَادِي
حَسْبِيَ ٱللَّهُ كَيْفَ يَبْرَا سَرِيعاً
سَهَرٌ عَنْ صُدَاعِ رَأْسِ ٱلْمَزَادِ (ح 158 ب)

207

وَقُلْتُ فِي «ٱلْوَادِي[203] ٱلْكَبِيرِ» : [204]

(المتقارب)

وَمُنْتَقِشِ ٱلْمَتْنِ كَٱلْمِبْرَدِ إِذَا هَبَّ عَرْفُ ٱلنَّسِيمِ ٱلنَّدِي
تَدَافَعَ مُسْتَرْسِلاً مَائِجاً كَمَا ٱنْدَفَعَ ٱلدِّرْعُ مِنْ مِزْوَدِ

208

وَقُلْتُ أَيْضاً فِي طُولِ ٱللَّيْلِ : [205]

(الرمل)

عَبَسَ ٱللَّيْلُ فَلَا صُبْحٌ يُرَى وَهَوَى ٱلنَّجْمُ وَغَابَ ٱلْفَرْقَدُ
وَضَحِكْنَا وَجَلَبْنَا طُرَفاً أَفَلَا يَضْحَكُ هَذَا ٱلْأَسْوَدُ ؟

209

وَقُلْتُ فِي خَتْمِ ٱلْكِتَابِ : [206]

(203) الوادي الكبير Guadalkivir من أكبر أنهار اسبانيا ، وهو في الجنوب يمر على قرطبة واشبيلية ويصب في المحيط الأطلسي .
انظر : الادريسي ص 196 .
(204) في الأصلين «م» و«ح» ، والاحاطة مخ لوحة : 455 .
(205) في الأصلين «م» و«ح» .
(206) في الأصلين «م» و«ح» .

212

وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلِي : [211]

(الوافر)

أَضَافَ إِلَى ٱلْجُفُونِ السُّودِ شَعْراً
كَجُنْحِ ٱللَّيْلِ أَوْ صِبْغِ ٱلْمِدَادِ (ح 159 أ)
فَقُلْتُ أَمِيرُ هَذَا ٱلْجَيْشِ تَزْكُو ٱلْأُجُورُ لَهُ بِتَكْثِيرِ ٱلسَّوَادِ

213

وَقُلْتُ عَلَى طَرِيقَةِ ٱلْمَشَارِقَةِ ، وَهُوَ مَعْنىً غَرِيبٌ : [212]

(الكامل)

لَمَّا رَضِيتَ بِفُرْقَتِي وَبِعَادِي وَصَرَمْتَ آمَالِي وَخُنْتَ وِدَادِي
لَا عَنْتُ أَمَّ الصَّبْرِ[213] فِيكَ وَبَعْدَهُ وَرَّثْتُ لِلْأَشْجَانِ كَنْزَ فُؤَادِي
فَالصَّبْرُ مِنِّي أَجْنَبِيٌّ بَعْدَهَا وَلَوَاعِجُ ٱلْأَشْجَانِ مِنْ أَوْلَادِي

214

وَقُلْتُ عِنْدَمَا مَرَّ[214] ٱلسُّلْطَانُ «عَبْدُ ٱلْعَزِيزِ»[215] عَلَى جَبَلِ «عَامِرِ بْنِ مُحَمَّدٍ[216] ٱلْهَنْتَاتِيِّ» بَدِيهَةً : [217]

---

(211) في الأصلين «م» و«ح» ومركز الاحاطة (الجزء 3 ص 361) والنفح (جـ : 9 ص 175) .
(212) في الأصلين «م» و«ح» والنفح (جـ : 9 ص 178) ، مركز الإحاطة (جـ : 3 لوحة : 262) .
(213) إشارة إلى اللعان في الفقه . انظر الآيات 6 ، 7 ، 8 ، 9 من سورة النور .
(214) في «ح» استولى .
(215) تقدمت ترجمته في ص : 249 .
(216) تقدمت ترجمته في ص : 176.
(217) في الأصلين «م» و«ح».

(الوافر)

أَمَوْلَايَ ٱسْتَزِدْ بِالشُّكْرِ صُنْعا
فَقَدْ وَعَدَ ٱلْمَزِيدَ ٱللَّهُ بَعْدَهْ[218]
أَبَحْتَ ذِمَارَ مَنْ نَاوَاكَ لَمَّا
نَوَيْتَ جِهَادَهُ وَقَصَدْتَ قَصْدَهْ
وَمَا كَانَ ٱلذِّمَارُ بِمُسْتَبَاحٍ
وَلَكِنَّ ٱلْعَزِيزَ أَعَزَّ عَبْدَهْ[219]

215

وَقُلْتُ أُشِيرُ إِلَى زُهْدِي فِي خِدْمَةِ ٱلسُّلْطَانِ : [220]

(الخفيف)

قَالَ لِي صَاحِبِي وَقَدْ بَانَ زُهْدِي عِنْدَمَا أَمَّلَ ٱلْهُمَامُ ٱلْعَمِيدُ
لِمَ أَعْرَضْتَ وَاسْتَهَنْتَ بِهَذَا ؟ قُلْتُ : أَغْنَانِي ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ

216

وَقُلْتُ فِي قَرِيبٍ مِنْهُ : [221]

(الوافر)

أَرِدْ مَا كَانَ وَارْضَ بِمَا قَضَاهُ إِلَاهُكَ، هَذِهِ خُلُقُ ٱلْمُرِيدِ
وَمَنْ أَعْطَاكَ بِالشُّكْرِ ٱسْتَزِدْهُ[222] فَإِنَّ ٱلشُّكْرَ مِفْتَاحُ ٱلْمَزِيدِ

217

وَقُلْتُ : [223]

(218) إشارة إلى قوله تعالى : «لئن شكرتم لأزيدنّكم» .
(219) إشارة إلى قضاء السلطان عبد العزيز على عامر بن محمد الهنتاني .
(220) في الأصلين «م» و«ح» .
(221) في الأصلين «م» و«ح» .
(222) في «ح» وَرُمْ بالشُّكر من أعطاك سِتْرَه
(223) في الأصلين «م» و«ح» .

(الوافر)

رَحَلْتَ فَكُنْتَ فِي ٱلتَّحْقِيقِ بَدْرا ... مَنَازِلُكَ ٱلْمَنَازِلُ وَٱلْبِلَادُ (ح 160 ب)
وَمِنْ أَفْلَاكِ رِحْلَتِكَ ٱلْمَعَالِي ... وَمِنْ آثَارِ نَيِّرِكَ ٱلْجِهَادُ

218

وَقُلْتُ فِي طُولِ ٱللَّيْلِ : (224)

(الطويل)

أَرِقْتُ فَجُنْحُ ٱللَّيْلِ قَيْدَ خَطْوُهُ ... فَلَهْفِي عَلَى ٱلْجَفْنِ ٱلْقَرِيحِ ٱلْمُسَهَّدِ
وَمَا بُلِيَتْ نَفْسُ امْرِئٍ مُتَطَرِّفٍ ... بِأَوْحَشَ مِنْ عَبْدٍ عَبُوسٍ مُقَيَّدِ

219

وَقُلْتُ : (225)

(الكامل)

قُمْ سَقِّنِي وَٱلْأُفْقُ يَقْرَعُ بَابَهُ ... مِنْ أَوَّلِ ٱلْفَجْرَيْنِ(226)، ضَيْفٌ وَارِدُ
وَكَأَنَّنِي بِالصُّبْحِ فِيهِ عَاطِساً ... مِنْ بَعْدِ، مَا هَبَّ ٱلْهَوَاءُ ٱلْبَارِدُ

220

وَقُلْتُ فِيمَنْ رَكِبَ ٱلسَّفِينَةَ(227) وَمَادَ وَفِيهَا ٱلتَّوْرِيَةُ : (228)

(الكامل)

رَكِبَ ٱلسَّفِينَةَ وَاسْتَقَلَّ بِأُفْقِهَا ... فَكَأَنَّمَا رَكِبَ ٱلْهِلَالَ ٱلْفَرْقَدُ
وَشَكَوا إِلَيَّ بِمَيْدِهِ، فَأَجَبْتُهُمْ ... لَا غَرْوَ، أَنْ «مَادَ ٱلْقَضِيبُ ٱلْأَمْلَدُ»

---

(224) في الأصلين «م» و«ح».
(225) في الأصلين «م» و«ح».
(226) أول الفجرين : الفجر الكاذب.
(227) في «ح» البحر.
(228) في الأصلين : م ، ح ، والنفح (جـ : 9 ص 205) والأزهار (جـ : 1 ص 306) وجذوة الاقتباس ص 184.

221

وَقُلْتُ أَيْضاً عِنْدَمَا عُرِضَ رَأْسُ ٱلرَّئِيسِ[229] ٱلْغَادِرِ : [230]

(السريع)

فِي غَيْرِ حِفْظِ ٱللَّهِ مِنْ هَامَةٍ هَامَ بِهَا الشَّيْطَانُ فِي كُلِّ وَادْ
مَا خَلَّفَتْ ذِكْراً، وَلَا رَحْمَةً فِي فَمِ إِنْسَانٍ، وَلَا فِي فُؤَادْ

222

وَقُلْتُ ، فِيمَنْ وَلِعَ بِغُلَامٍ لَهُ حَالِكِ ٱللَّوْنِ حَسَبَمَا تَقَدَّمَ فِي غَيْرِ هَذَا مِنَ ٱلْحُرُوفِ[231] : [232]

(الوافر)

بِنَفْسِي حَالِكٌ شِبْهُ السُّوَيْدَا لِذَلِكَ مَا يَحِنُّ لَهُ ٱلْفُؤَادُ
أُطِيلُ لَهُ ٱلتِفَاتِي والْتِمَاحِي لِأَنَّ ٱلْعَيْنَ يَنْفَعُهَا ٱلسَّوَادُ

223

وَكَتَبْتُ صَدْرَ رِسَالَةٍ أُحَرِّضُ فِيهَا بَعْضَ ٱلْفُضَلَاءِ[233] عَلَى شَفَاعَةٍ : [234] (ح 161 أ)

(الكامل)

قَدْ كُنْتُ أَجْهَدُ فِي الْتِمَاسِ صَنِيعَةٍ
نَفْساً، شِهَابُ ذَكَائِهَا وَقَّادُ

(229) يقصد السلطان أبا سعيد البرمخو.
(230) في الأصلين : «م» و«ح» والاحاطة مخ لوحة : 540 والنفح (جـ : 7 ص 70) ، والأزهار (جـ : 1 ص 300) .
(231) انظر آخر حرف الجيم ص 165 .
(232) في الأصلين «م» و«ح» .
(233) يقصد به أبا القاسم بن رضوان، تقدمت ترجمته 97.
(234) في الأصلين «م» و«ح».

وَأَقُولُ لَوْ كَانَ ٱلْمُخَاطَبُ غَيْرَكُمْ
«عِنْدَ ٱلشَّدَائِدِ تَذْهَبُ ٱلْأَحْقَادُ»[235]

224

وَقُلْتُ أَيْضاً أُخَاطِبُ ٱلشَّرِيفَ «أَبَا ٱلْعَبَّاسِ»[236] ، وَقَدْ دَخَلْتُ جَنَّتَهُ «بِسَبْتَة»[237] حَرَسَهَا ٱللَّهُ :[238]

(الطويل)

دَعَانَا إِلَى «بُنْيُونُشٍ»[239] ، وَهْيَ جَنَّةٌ
شَرِيفٌ تَوَلَّى ٱللَّهُ تَطْهِيرَ مَجْدِهِ[240]
فَأَذْكَرَنَا مَثْوَاهُ بِالْجَنَّةِ ٱلَّتِي
وُعِدْنَا بِهَا، وَٱللَّهُ مُنْجِزُ وَعْدِهِ
نَعِيماً وَرَيْحَاناً، وَرَوْحاً، وَكُلَّ مَا
يُعَدُّ لِمَنْ حَابَاهُ سَابِقُ سَعْدِهِ
فَقُلْنَا ظَفِرْنَا ٱلْيَوْمَ مِنْ أَجْلِ «أَحْمَدٍ»
بِهَذِي، وَنَرْجُو تِلْكَ مِنْ أَجْلِ جَدِّهِ

225

وَقُلْتُ أُخَاطِبُ بَعْضَ ٱلْأُدَبَاءِ مُسْتَزِيداً مِنْ أَدَبِهِ :[241] (*)

(235) شطر بيت صار يجري مجرى الامثال ، انظر فصل المقال في شرح كتاب الامثال ص : 215 .
(236) هو أحمد بن محمد ينتهي نسبه إلى العلويين ، كان يوسع ابن الخطيب اكراما ، توفي سنة 776هـ .
انظر : الأزهار (جـ : 2 ص 32 وما بعدها) .
(237) تقدمت ترجمتها . ص 206 .
(238) في الأصلين «م» و«ح» .
(239) تقدمت ترجمتها ص 102 .
(240) إشارة إلى قوله تعالى «ليذهب عنكم الرجز أهل البيت ويطهركم تطهيرا» .
(241) في الأصلين «م» و«ح» والسحر والشعر مخ لوحة 30 . ومكتوبة في الهامش في «ق» وهي رقم 12 فيه .
(*) ديباجة «ق» وخاطبت بعض الأدباء مستزيدا من أدبه وقد وجه إلى يسير منه .

(الخفيف)

شَوْقُ نَفْسِي إِلَى كَلَامِكَ يَحْكِي
نَارَهُ لِلْجَحِيمِ ذَاتِ ٱلْوَقُودِ
فَإِذَا قِيلَ هَلْ تَمَالَأْتِ؟ قَالَتْ :
فِي جَوَابِ ٱلسُّؤَالِ : «هَلْ مِنْ مَزِيدِ»[242]

226

وَقُلْتُ : مِمَّا يُكْتَبُ عَلَى حِمَالَةِ سَيْفٍ ، لِأَحَدِ أَوْلَادِ ٱلسُّلْطَانِ :[243]

(الكامل)

إِنَّا «بَنِي نَصْرٍ» إِذَا مَا أَطْلَعَتْ ،يَوْماً، سَمَاءُ سُعُودِنَا مَوْلُوداً
كَانَتْ حَمَائِلُنَا لَهُ وَسُرُوجُنَا بَيْنَ ٱلْمُلُوكِ، تَمَائِماً، وَمُهُوداً

227

وَقُلْتُ صَدْرَ رِسَالَةٍ سُلْطَانِيَّةٍ ، وَهِيَ مِنَ الشِّعْرِ ٱلْقَدِيمِ :[244] (**)

(الخفيف)

يَا رَسُولَ الصَّبَا فَدَيْتُكَ بَلِّغْ
فَرْطَ شَوْقِي إِنِ اسْتَطَعْتَ وَوَجْدِي
وَتَحَمَّلْ نَحْوَ ٱلْقِبَابِ سَلَاماً
يَزْدَرِي عَرْفُهُ بِأَزْهَارِ نَجْدِ (ح 162 ب)
ثُمَّ قَبِّلْ بِكَفِّ مَوْلَايَ عَنِّي
وَتَحَدَّثْ بِمَا أُعِيدُ وَأُبْدِي

(242) تضمين لجزء من آية : 29 من سورة «ق» .
(243) في الأصلين «م» و«ح» وفي «ق» مكتوبة على الهامش ، وتكون القطعة 14 فيه .
(244) في الأصلين «م» و«ح» ، ووردت في أوراق بالقرويين تحت رقم 2588 ل 40 كما وردت في «ت» لوحة : أ .
(**) ديباجة الأوراق : وخاطبت مولانا أيد الله أمره من مالقة وقد أصابني بها مرض وبلغني أنه سأل عن حالي واستشرف لابلالي بقولي» .

وَلْتُشَاهِدْ ذَاكَ ٱلْجَمَالَ بِطَرْفِي[245]
وَلْتَطَأْ ذَالِكَ ٱلتُّرَابَ بِخَدِّي
وَتَلَطَّفْ فَإِنَّمَا هِيَ نَجْوَى
بَثَّهَا ٱلشَّوْقُ بَيْنَ مَوْلًى وَعَبْدِ

228

وَكَتَبْتُ فِي بَعْضِ ٱلْأَثْوَابِ :[246]

(البسيط)

بُشْرَاكَ، لِلْمُلْكِ فِي عُلْيَاكَ تَمْهِيدُ وَفِي زَمَانِكَ لِلْأَفْرَاحِ تَجْدِيدُ
قَدْ سَاعَدَ السَّعْدُ رَبْعاً أَنْتَ تَعْمُرُهُ وَأَنْجِزَتْ فِيهِ لِلْفَتْحِ ٱلْمَوَاعِيدُ
وَصَاحَبَتْكَ عَلَى ٱلْأَيَّامِ أَرْبَعَةٌ عِزٌّ، وَنَصْرٌ، وَتَمْكِينٌ، وَتَمْهِيدُ
يَا «يُوسُفَ» ٱلْمُلْكِ، وَالْحُسْنِ ارْتَقِبْ زَمَناً رَايَاتُكَ ٱلْحُمْرُ فِي خَدَّيْهِ تَوْرِيدُ

229

وَقُلْتُ أَيْضاً فِي غَرَضِ ٱلتَّوْرِيَةِ :[247]

(الطويل)

تَعَجَّلْتُ وَخْطَ ٱلشَّيْبِ فِي زَمَنِ الصِّبَا
لِخَوْضِي غِمَارَ ٱلْهَمِّ فِي طَلَبِ ٱلْمَجْدِ
فَمَهْمَا رَأَيْتُمْ شَيْبَةً فَوْقَ مَفْرِقِي
فَلَا تُنْكِرُوهَا، إِنَّهَا «شَيْبَةُ ٱلْحَمْدِ»[248]

---

(245) في «ت» الجلال بعيني .
(246) في الأصلين «م» و«ح» .
(247) في الأصلين «م» و«ح» ، والنفح (جـ : 9 ص 169) ، والأزهار (جـ : 1 ص 306) ، جذوة الاقتباس ص 184 ، السحر والشعر لوحة 28 ب رقم 1295 ، ومركز الاحاطة (جـ : 3 ، لوحة : 260) .
(248) إشارة إلى ما كان يقال لعبد المطلب بن هاشم «شيبة الحمد» لنور وجهه ، وذلك انه كانت في ذؤابته شعرة بيضاء حين ولد فسمي شيبة الحمد .
انظر : ثمار القلوب ص 75 .

230

وَكَتَبْتُ إِلَى بَعْضِ ٱلْأَصْحَابِ ، وَقَدْ أَصَابَهُ رَمَدٌ ، هَذَيْنِ ٱلْبَيْتَيْنِ عَلَى طَرِيقَةِ ٱلْمَشَارِقَةِ : (249)

(الـرمـل)

قُلْ لِشَمْسِ الدِّينِ وُقِّيتَ الرَّدَى لَمْ يَدَعْ سُقْمُكَ عِنْدِي جَلَدَا
رَمِدَتْ عَيْنُكَ : هَذَا عَجَبٌ! أَوَ عَيْنُ ٱلشَّمْسِ تَشْكُو الرَّمَدَا ؟

231

وَكَتَبْتُ إِلَى الشَّرِيفِ ٱلْقَاضِي (250) ــ رَحْمَةُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ ــ وَقَدْ اسْتَدْعَى ٱلْأَوْلَادَ إِلَى حَذْقَةِ (251) أَحَدِ أَوْلَادِهِ : (252)

(البسيـط)

غِشْيَانُ مَثْوَاكَ مَثْوَى ٱلْجُودِ يَوْمَ نَدىً
مِمَّا يُنَافِسُ فِيهِ ٱلْوَالِدُ ٱلْوَلَدَا
وَحُبُّكَ ٱلْيَوْمَ ذُخْرُ مَنْ تَأَثَّلَهُ
جَنَى بِهِ ٱلْفَوْزَ فِي دَارِ ٱلنَّعِيمِ غَدَا (ح 163 أ)
وَقَدْ مَدَدْتُ لِإِذْنٍ مِنْ عُلَاكَ يَدِي
فَاسْمَحْ بِهَا دُمْتَ أَعْلَى ٱلْعَالَمِينَ يَدَا

232

وَكَتَبْتُ «لِلشَّرِيفِ(253) ٱبْنِ رَاجِحٍ» :(254)

(249) في الأصلين «م» و«ح» ، الدرر الكامنة (جـ : 3 ص 472) ، السحر والشعر ص 147 .
(250) يقصد أبا القاسم الشريف الحسني ، تقدمت ترجمته ص 123 .
(251) الحذقة : الاحتفال بختم القرآن ، كله أو جزء منه .
(252) في الأصلين «م» و«ح» .
(253) تقدمت ترجمته في ص 174 .
(254) في الأصلين «م» و«ح» . وفي الاحاطة مخ لوحة : 83 ، والنفح (جـ : 8 ص 194) ، ومركز الاحاطة لوحة (116 ــ 117) .

(الطـويـل)

أُجِـلُّكَ عَنْ عَـتْبٍ يَـغُضُّ مِنَ ٱلْوُدِّ
وَأُكْـرِمُ وَجْـهَ ٱلـعُذْرِ فِيكَ عَنِ الرَّدِّ
وَلَـكِـنَّـنِي أُهْـدِي إِلَـيْكَ نَصِـيـحَـتِي
وَإِنْ كُـنْتُ قَـدْ أَهْـدَيْتُهَا ثُمَّ لَمْ تُجْدِ
إِذَا مِـقْـوَلُ ٱلإِنْسَـانِ جَـاوَزَ حَـدَّهُ
تَـحَوَّلَتِ ٱلأَغْـرَاضُ مِـنْـهُ إِلَى الضِّـدِّ
فَـأَصْـبَـحَ مِـنْـهُ ٱلـجِـدُّ هَـزْلاً مُـذَمَّـماً
وَأَصْبَحَ مِنْهُ ٱلْهَزْلُ فِي صُورَةِ ٱلْجِدِّ
فَـمَـا اسْـتَـطَـعْتُ قَـبْـضاً لِـلْـعِـنَانِ فَإِنَّهُ
أَحَقُّ ٱلسَّـجَـايَـا بِـالْـعَلَاءِ، وَبِـالْـمَـجْدِ

233

وَقُلْتُ لِيُكْتَب فِي سِكِّينِ ٱلْكُمِّ: (256)

(الطـويـل)

رَفَلْتُ بِـ«ابْرَاهِيم» (257) فِي حُلَلِ السَّعْدِ
وَأَفْـرِدْتُ بِـالْـفَـخْـرِ ٱلْـمُؤَثَّـلِ وَٱلْـمَـجْـدِ
تَـبَـنَّى حُـسَـامَ ٱلـنَّـصْـرِ مِـنِّـيَ مُـرْضَـعاً
وَعُوِّضْتُ حِجْرَ «ٱلْمُسْتَعِينِ» (258) مِنَ ٱلْمَهْدِ
فَـجِـئْـتُ «مَـرِينِـيَّ» ٱلْـمَضَـا لِـمَـنِ ٱنْتَضَى
وَإِنْ كُـنْتُ مَـنْسُوبَ النِّجَارِ إِلَى «ٱلْهِنْدِ»

---

(255) سكين الكُمِّ: ما نسميه الان بالكيّة، وهي تربط في حمالة يتقلدها الرجال من البرابرة خاصة.

(256) في الأصلين «م» و«ح».

(257) يقصد أبا سالم المريني.

(258) يقصد أبا زيان المريني.

وَكَمْ رِبِيٌّ مِنْ نَجْلٍ أَبَرَّ بِفَضْلِهِ
عَلَى ٱلْوَالِدِ ٱلْمَشْهُورِ بِٱلْفَضْلِ وَٱلْجَدِّ

234

وَقُلْتُ لِيُكْتَب عَلَى سُفْرَةِ طَعَامٍ :[259]

(الطويل)

نَشَدْتُكَ هَلْ أَبْصَرْتَ قَبْلِيَ أَوْ بَعْدِي
مُقَوَّرَةً قَوْرَاءَ كَٱلْقَمَرِ ٱلسَّعْدِ
رَحِيبَةَ أَكْنَافٍ، ضَمِينَةَ أَنْعُمٍ
تَدُلُّ عَلَى ٱلْفَخْرِ ٱلْمُؤَثَّلِ وَٱلْمَجْدِ
يُبَشِّرُ بِٱلشَّمْلِ ٱلْجَمِيعِ قُدُومُهَا
وَتَأْتِي مَعَ ٱلْعَيْشِ ٱلْخَصِيبِ عَلَى وَعْدِ
تُمَدُّ بِٱسْمِ ٱللَّهِ فِي كُلِّ مَشْهَدٍ
وَتُرْفَعُ بَعْدَ الشُّكْرِ لِلَّهِ وَٱلْحَمْدِ (ح 164 ب)
وَتَخْلُفُ جَوْدَ ٱلْغَيْثِ إِنْ أَخْلَفَ ٱلْحَيَا
وَتَكْفُلُ لِلْعَافِينَ بِٱلرِّفْقِ وَالرِّفْدِ
تَرَى فَوْقَهَا الطَّيْفُورَ[260] أُسْتَاذَ حَلْقَةٍ
مَعَانِيَ حُرُوفِ ٱلْحَلْقِ[261] مِنْ بَعْضِ مَا يُبْدِي
إِذَا مَا ٱبْنُ مُسْدٍ[262] أُسْنِدَتْ عَنْهُ نِعْمَةٌ
رَأَيْتَ أَكُفَّ ٱلْقَوْمِ تُلْحِمُ أَوْ تُسْدِي

(259) في الأصلين «م» و«ح».
(260) الطيفور : هو إناء مجوف عميق (دوزي جـ : 2 ص : 48).
(261) حروف الحلق : معروفة وهي : أ ، هـ ، ع ، غ ، ح ، والقاف. ولعل المقصود ما يحدثه الأكل من صوت وحركة في حلوق الناس.
(262) ابن مسدي (599 ــ 663هـ) محمد بن يوسف الازدي المهلبي أبو بكر جمال الدين. انظر : الاعلام (جـ : 8 ص 24).

تَوَارَثَهَا الْمَوْلَى «أَبُو سَالِمٍ» الرِّضَى
عَنِ الْوَالِدِ الْمَوْلَى الْمُقَدَّسِ وَالْجَدِّ
«عَلِيِّ بْنِ عُثْمَانَ بْنِ يَعْقُوبَ» يَا لَهَا
مَفَاخِرَ قَدْ أَرْبَتْ عَلَى الْحَصْرِ وَالْعَدِّ
أَدَامَ لَكَ اللَّهُ الْبَقَاءَ، وَأَصْبَحَتْ
مَكَارِمُهُ نُوراً، عَلَى عَلَمٍ فَرْدِ

235

وَخَاطَبْتُ الْفَقِيهَ الْخَطِيبَ «أَبَا عَبْدِ اللَّهِ بْنَ مَرْزُوقٍ»(263) ، وَقَدْ وَصَلَ وَلَدُهُ إِلَى «سَلَا»، وَنَزَلَ «بِزَاوِيَةِ(264) الْفُقَرَاءِ» وَلَمْ أَلْقَهُ : (265) :

(الخفيف)

صَدَّنِي عَنْ لِقَاءِ نَجْلِكَ عُذْرٌ
يَمْنَعُ الْجِسْمَ عَنْ تَمَامِ الْعِبَادَةْ(266)
وَاخْتَصَرْتُ الْقِرَى لِأَنْ حَطَّ رَحْلاً
فِي مَحَلِّ الْغِنَى، وَدَارِ الزَّهَادَةْ
وَلَوِ انِّي احْتَفَلْتُ لَمْ يُعِنِ الدَّهْرُ، وَلَا نِلْتُ بَعْضَ بَعْضٍ أَرَادَهْ
وَعَلَى كُلِّ حَالَةٍ، فَقُصُورِي
عَادَةٌ إِذْ قَبُولُكَ الْعُذْرَ عَادَهْ
لاَ عَدِمْتَ الرِّضَى مِنَ اللَّهِ، وَالْحُسْنَى، كَمَا نَصَّ وَحْيُهُ، وَالزِّيَادَهْ(267)

---

(263) تقدمت ترجمته في ص : 99.

(264) زاوية الفقراء أو زاوية النساك مازالت أطلالها قائمة خارج سلا بناها أبو عنان لتكون بمثابة دوز للضيافة ، وقد تم بناء هذه الزاوية في سنة 757هـ 27 شعبان .
انظر : الانحاف الوجيز مخ لوحة : 39 .

(265) وردت الأبيات في الأصلين «م» و«ح» والنفح «جـ : 9 ص 200) والازهار (جـ : 1 ص 301 ـ 302) والنفاضة (جـ : 2 ص 170) .

(266) يشير إلى أن المريض يقصر الصلاة ، ويعني أنه كان مريضا .

(267) إشارة إلى الآية «للذين أحسنوا الحسنى وزيادة» سورة يونس 25 .

وَحَقِّ مَنْ جَمَّعَ فِي ٱلْخَلْقِ بَيْنَ ٱلنَّفْسِ وَالرُّوحِ، وَبَيْنَ ٱلْجَسَدْ
لَأَنْتَ يَا مَوْلَايَ شَمْسُ ٱلْعُلَا حَقّاً، وَهَذا ٱلْبُرْجُ «بُرْجُ ٱلْأَسَدْ»

238

وَقُلْتُ أُخَاطِبُ وَلَدَهُ «السَّعِيدَ»[273]

(الكامل)

قَسَماً بِمَنْ يُبْدِي ٱلْوَرَى وَيُعِيدُ
وَيُقَرِّبُ ٱلْمَأْمُولَ وَهْوَ بَعِيدُ
وَبِخَيْرِ مَنْ أَدَّى أَمَانَةَ وَحْيِهِ
إِنَّ «ٱلسَّعِيدَ»[274] عَلَى ٱلْوَرَى لَسَعِيدُ

239

وَقُلْتُ مُلْغِزاً فِي شَنِيلٍ[275] وَالنِّيلِ:[276]

(البسيط)

مَا اسْمٌ إِذَا زِدْتَهُ أَلِفاً مِنَ ٱلْعَدَدِ
أَفَادَ مَعْنَاهُ لَمْ يَنْقُصْ وَلَمْ يَزِدِ
وَإِنَّمَا ٱخْتَلَفَا مِنْ بَعْدِ مَا ٱئْتَلَفَا
مَعْنىً بِشَيْئَيْنِ مِنْ قَدْرٍ وَمِنْ بَلَدِ

(273) في الأصلين «م» و«ح».

(274) السعيد: هو أبو بكر السعيد بن أمير المؤمنين أبي عنان بن أبي الحسن يكنى أبا يحيى لقبه السعيد أمه أم ولد اسمها الياسمين. بويع بعد أخيه محمد وأبوه مريض يوم الأربعاء الخامس والعشرين لذي حجة عام 759هـ وخلع يوم الثلاثاء 12 شعبان 760هـ وقتل غرقا وله عشر سنين.
انظر: جذوة الاقتباس ص 130 الاستقصا (جـ: 4، ص 3 — 7).

(275) شنيل Genil هو النهر الذي تقع عليه غرناطة، هو أحد فروع نهر الوادي الكبير: انظر الاحاطة (جـ: 1 ص 124 حاشية رقم 1)، ومعنى اللغز أن النيل إذا أضفنا إليه الشين التي قيمتها ألف يصير شنيل، وكلاهما واد.

(276) في الأصلين «م» و«ح» والاحاطة (جـ: 1 ص 124).

240

وَقُلْتُ فِي غَرَضٍ مَعْرُوفٍ : (277)

(البسيط)

يَا ذَا الذُّؤَابَةِ إِلَّا أَنَّهُ سَعْدُ
هَلْ يَقْرُبُ الْوَصْلُ أَوْ هَلْ يُنْجِزُ الْوَعْدُ ؟
بِي مِنْكَ مَا لَوْ غَدَا بِالشَّمْسِ مَا طَلَعَتْ
أَوْ بِالْغَمَامَةِ لَمْ يُسْمَعْ لَهَا رَعْدُ (278)

241

وَقُلْتُ أُخَاطِبُ السُّلْطَانَ فِي شَأْنِ «ابْنِ كُمَاشَةَ» (279) ، وَقَدْ تَعَذَّرَتْ عَلَيْهِ أَوْجُهُ السَّعَادَةِ مَعَ اسْتِيطَائِهِ وَفُتِحَ عَلَيْهِ مَعَ بُعْدِهِ : (280)

(الطويل)

كُمَاشِيُّكُمْ مِنْ أَجْلِهِ انْكَمَشَ السَّعْدُ
إِذَا مَا اطَّرَحْتُمْ شُؤْمَهُ أَنْجِزَ الْوَعْدُ (ح 166 ب)
وَمَنْ لَمْ تَكُنْ مِنْ قَبْلُ لِلسَّعْدِ عِنْدَهُ
مَخِيلَةُ نُجْحٍ ، كَيْفَ تُرْجَى لَهُ بَعْدُ ؟!
وَتَصْرِيفُهُ الْمَشْؤُومُ فَلْتَتَذَكَّرُوا
«وَمَا قُلْتُ إِلَّا بِالَّذِي عَلِمَتْ سَعْدُ» (281)

---

(277) في الأصلين «م» و«ح» .

(278) يقصد غرض الغزل .

(279) هو علي بن يوسف بن كماشة الحضرمي القائد والوزير الغرناطي ، قام برسم الوزارة للسلطان المخلوع محمد الخامس (الغني بالله) عندما أقام بمدينة رندة قبل عودته إلى عرشه في غرناطة . (انظر : الاحاطة مخ لوحة : 298) .

(280) في الأصلين «م» و«ح» والنفاضة (جـ : 2 ص 362) والنفاضة مخ لوحة (30 جـ 3) والاحاطة مخ لوحة : 298 .

(281) صدره : وتعذلني أبناء سعد عليهم ، وهو للحطيئة — انظر ديوانه ص 48 .

242

وَصَدَّرْتُ كِتَاباً «لِعُمَرَ بْنِ عَبْدِ ٱللَّهِ» بِقَوْلِي : (282)

(السريع)

لَا تَرْجُ إِلَّا ٱللَّهَ فِي شِدَّةٍ
وَثِقْ بِهِ فَهْوَ ٱلَّذِي أَيَّدَكْ
حَاشَاكَ أَنْ تَرْجُوَ إِلَّا ٱلَّذِي
فِي ظُلْمَةِ ٱلْأَحْشَاءِ قَدْ أَوْجَدَكْ
وَاشْكُرْهُ بِالرَّحْمَةِ فِي خَلْقِهِ
وَوَجْهَكَ ٱبْسُطْ بِالرِّضَا أَوْ يَدَكْ
وَٱللَّهُ لَا تُهْمِلُ ٱلطَّافُهُ
قِلَادَةَ ٱلْحَقِّ ٱلَّذِي قَلَّدَكْ
(مَا أَسْعَدَ ٱلْمُلْكَ ٱلَّذِي سُنَّتُهُ
يَا «عُمَرَ»(283) ٱلعَدْلِ، وَمَا أَسْعَدَكْ)(284)

243

وَقُلْتُ أُخَاطِبُ أَحَدَ ٱلْفُضَلَاءِ ، وَقَدْ ظَهَرَ عَلَيْهِ ٱلْجُذَامُ ، وَيُسَمَّى «دَاءَ(285) ٱلْأَسَدِ» : (286)

(المتقارب)

أَصَابَتْكَ يَا عَيْنُ ـ عَيْنُ ٱلْحَسَدْ
فَتَجْرُ ٱلنَّدَى وَٱلنَّدَامَى كَسَدْ

(282) في الأصلين «م» و«ح» والنفح (جـ : 9 ص 113 / 115) والنفاضة مخ جـ 3 لوحة 3 ، والنفاضة (جـ : 2 ص 345) والريحانة لوحة : 365 .
(283) عمر بن عبد الله من الشخصيات المرينيّة .
(284) أختصت النفاضتان بهذا البيت .
(285) داء الأسد : صنف من الجذام سمي بذلك لمشابهة وجه صاحبه وجه الأسد .
(286) في الأصلين «م» و«ح» والنفاضة (جـ : 2 ص 194) .

وُكِلتَ[287] لِكُلِّ شَهِيرٍ خَطِيرٍ
فَقُمْتَ بِهِ وَسَدَدْتَ ٱلْمَسَدْ
وَلَمَّا عَلَوْتَ وَقُدْتَ ٱلزَّمَانَ
بِحَبْلٍ فَأَوْهَقْتَهُ[288] مِنْ مَسَدْ[289]
رَأَى أَسَداً مِنْ أُسُودِ ٱلرِّجَالِ
لِذَاكَ رَمَاكَ «بِدَاءِ ٱلْأَسَدْ»
تَعَزَّ فَمَا ثَمَّ مِنْ كَائِنٍ
يُصَاحِبُهُ ٱلْكَوْنُ إِلَّا فَسَدْ
وَقَدْ يَتَأَتَّى صَلَاحُ ٱلنُّفُوسِ
وَتَطْهِيرُهَا بِفَسَادِ ٱلْجَسَدْ

244

وَقُلْتُ ، وَقَدْ فَسَدَ ٱلطَّرِيقُ بَيْنَ «سَلَا» وَ«مَكْنَاسَ»[290] «بِالْبَرْبَرِ» وَصَارَ مَنْ يَقْتَحِمُهَا يَرْجِعُ مُجَرَّدَ ٱلثِّيَابِ[291] :

(الكامل)

«مِكْنَاسَةٌ» جُمِعَتْ بِهَا زُمَرُ ٱلْعِدَى
فَمَدَى بَرِيدٍ فِيهِ أَلْفٌ[292] مَرِيدِ (حـ 167 أ)
مِنْ وَاصِلٍ لِلْجُوعِ لَا لِرِيَاضَةٍ أَوْ لَابِسٍ لِلصُّوفِ غَيْرِ مُرِيدٍ[293]
فَإِذَا سَلَكْتَ طَرِيقَهَا مُتَصَوِّفاً فَابْنِ[294] ٱلسُّلُوكَ بِهَا عَلَى ٱلتَّجْرِيدِ

(288) فاوهقته : وهق الدابة : جعل الوهق في عنقها . أي الحبل .
(289) المسد : حبل من اللفيف .
(290) ستأتي ترجمتها في ص : 592 .
(291) في الأصلين «م» و«ح» والنفح (جـ : 8 ص 319) والنفاضة (جـ : 2 ص : 328) . والإحاطة مخ لوحة : 448 .
(292) في النفح : أنف .
(293) المريد : يقرب من معنى التلميذ ، وهو لفظ من اصطلاح الصوفية .
(294) في النفح : فانو .

245

وَقُلْتُ ، وَقَدْ ظَهَرَتْ بِجَفْنِ عَيْنِي بَرَدَةٌ[295] نَغَّصَنِي ٱلسَّهَرَ بِسَبَبِهَا : [296] .

(الرمل)

عِنْدَمَا لاَحَتْ بِعَيْنِي بَرَدَهْ قَصَدَ ٱلْوَقْتُ بِهَا مَا قَصَدَهْ
قُلْتُ يَا قَوْمُ، حَصَاةٌ قُذِفَتْ شَرَدَ ٱلنَّوْمُ بِهَا مَنْ شَرَدَهْ
حَامَ سِرْبُ ٱلنَّوْمِ لِلْوِرْدِ بِهِ ثُمَّ لَمَّا طُرِحَتْ مَا وَرَدَهْ

246

وَقُلْتُ مُعْتَذِراً ، لِأَحَدِ ٱلشُّرَفَاءِ ٱلْجِلَّةِ ، وَصَدَّرْتُ بِهَا كِتَاباً : [297]

(الطويل)

شُغِلْتُ بِيَوْمِ ٱلْعَرْضِ[298] عَمَّنْ وَسِيلَتِي إِلَى ٱللَّهِ يَوْمَ ٱلْعَرْضِ رَحْمَةُ جَدِّهِ
وَإِنْ كُنْتُ قَدْ قَصَّرْتُ فِي فَرْضِ بِرِّهِ فَوَٱللَّهِ مَا قَصَّرْتُ فِي رَعْيِ عَهْدِهِ
وَلاَ جَهِلَتْ نَفْسِي أَيَادِيَ ٱلَّتِي جَعَلْتُ لِسَانِي بَعْدَهَا رَهْنَ حَمْدِهِ
وَإِنْ ضَاقَ وُسْعِي عَنْ قِيَامِي بِبَعْضِهَا فَمَا ضَاقَ عَنْ عُذْرٍ لَهَا وُسْعُ مَجْدِهِ

247

وَقُلْتُ ، وَقَدْ رَحِمَ ٱللَّهُ بِٱلْغَيْثِ ، بَعْدَ ٱلْقَحْطِ ٱلشَّدِيدِ : [299] .

(الطويل)

لَقَدْ زَالَتْ ٱللَّأْوَاءُ وَارْتَفَعَ ٱلْجَهْدُ وَأَطْنَبَ فِي شُكْرِ ٱلْحَيَا ٱلْغَوْرُ[300] وَٱلنَّجْدُ

---

(295) ٱلْبَرَدَةُ : بفتحتين رطوبة تغلظ وتتحجر في باطن الجفن حتّى يكون مائلا إلى البياض . انظر : كشاف اصطلاحات الفنون ص : 164 .

(296) في الأصلين «م» و«ح» .

(297) في الأصلين «م» و«ح» .

(298) العرض : اليوم الذي يعرض فيه الجند .

(299) في الأصلين «م» و«ح» ، ونفاضة الجراب مخ (جـ : 3 ص : 22) .

(300) في النفاضة : الوهد .

غَدَاتَ سَرَتْ رِيحُ ٱلتَّعَامَى[301] لَوَاقِحا وَجَاءَ عَلَى آثَارِها، ٱلْغَيْثُ مِنْ بَعْدُ
سَحَائِبُ أَمْثَالِ ٱلْقِطَارِ[302] إِذَا وَنَتْ بِمُثْقَلَةِ ٱلْأَوْقَارِ، صَاحَ بِهَا ٱلرَّعْدُ
وَهَشَّ عَلَيْهَا ٱلْبَرْقُ بِالسَّوْطِ فَانْبَرَتْ تُدَافِعُ فِي عَرْضِ ٱلْفَلَاةِ، وَتَشْتَدُّ[303]
فَمَا كَانَ إِلَّا أَنْ أَنَاخَتْ وَعَرَّسَتْ
فَعَرَّسَتِ ٱلنَّعْمَاءُ، وَاقْتَضِيَ ٱلْوَعْدُ(ح 168 ب)
وَجَلَّتْ تِجَارُ ٱلرَّبْعِ، كُلَّ بِضَاعَةٍ تُقِرُّ لَهَا «صَنْعَاءُ»، بِٱلْفَضْلِ، و«الْهِنْدُ»
فَمَا شِئْتَ فِيهَا مِنْ نَمَارِقِ[304] سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ، مِنْ فَوْقِ غُبْرِ ٱلرَّبَى، يَبْدُو
وَلَابِسُ فَضْلِ ٱللَّهِ، فِيهَا مُوَائِدٌ تَقُومُ قِيَانُ ٱلْوَرْقِ، مِنْ فَوْقِهَا، تَشْدُو
لَكَ ٱلشُّكْرُ، يَارَحْمَانُ، فِيمَا بَذَلْتَهُ مِنَ ٱلرِّفْقِ فِينَا دَائِماً، وَلَكَ ٱلْحَمْدُ

248

وَقُلْتُ لِيُكْتَبَ عَلَى سَرِيرٍ بَدِيعٍ مِنَ ٱلْخَشَبِ ٱتَّخِذَ لِلسُّلْطَانِ، رَحْمَةُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ: [305]

(الطويل)

إِذَا نِمْتَ نَمْ لِلْأَمْنِ فَوْقَ مِهَادِ وَإِنْ قُمْتَ قُمْ لِلْعِزِّ تَحْتَ عِمَادِ
وَجُلْ فَوْقَ سَرْجِي وَاجْعَلِ ٱلْوَصْلَ غَايَتِي فَإِنِّي، لِلَّذَّاتِ، خَيْرُ جَوَادِ
حُجِبْتُ بِحُجْبِ ٱلصَّوْنِ عَنْ كُلِّ نَاظِرٍ وَأُسْكِنْتُ لِلتَّرْحِيبِ، أَرْفَعَ نَادِي
وَحَفَّ بِيَ ٱلْغِيدُ ٱلْحِسَانُ لِخِدْمَتِي فَسِرِّيَ مَكْتُومٌ، وَحُسْنِيَ بَادِي
وَيُسِّرَ لِلتَّوْفِيقِ وَالسَّعْدِ، مَرْكَبِي وَذُلِّلَ لِلْوَصْلِ ٱلْهَنِيِّ، قِيَادِي
أُوَصِّلُ، فِي حَالِ ٱلْإِقَامَةِ لِلْمُنَى وَأَضْمَنُ، لِلرُّكَّابِ، كُلَّ مُرَادِ
إِذَا قُلْتُ: رَوْضاً، فَٱلْوُجُوهُ أَزَاهِرٌ سَقَاهَا ٱلصَّبَا وَالدَّلُّ، صَوْبُ غَوَادِي
وَإِنْ قُلْتُ لِلْأَقْمَارِ، أَسْعَدُ مَطْلَعٍ صَدَعْتُ بِمَحْضِ ٱلْحَقِّ دُونَ عِنَادِ
تُقِرُّ مُلُوكُ «ٱلصِّينِ» بِٱلْفَخْرِ كُلَّمَا فَخَرْتُ بِفَضْلٍ حُزْتُهُ لِتِلَادِ

(301) النعامى : ريح الجنوب لأنها في جزيرة العرب أندى الرياح وأرطبها .
(302) القطار (ج) قطر : المطر .
(303) اشتد في عدوه : أسرع .
(304) في الأصول : ثمار وسندس .
(305) في الأصلين «م» و«ح» والنفاضة (جـ : 3 لوحة : 22) .

وَثَامِنٌ[306] أَمْلاَكِ ٱلْجِهَادِ أَقَامَنِي مَطِيَّةَ سِلْمٍ فِي مَحَلِّ جِهَادِ
وَأَبْرَزَنِي كُرْسِيَّ سَعْدٍ وَمُلْتَقَى بُدُورٍ، وَمَيْدَاناً لِكُلِّ وِدَادِ
وَكَمْ حِكْمَةٍ أَبْدَى، وَكَمْ ظُلْمَةٍ جَلاَ بِنُورِ هُدىً مِنْ رَأْيِهِ وَرَشَادِ (ح 169 ب)
فَدَامَ عَزِيزَ ٱلأَمْرِ مُنْفَسِحَ ٱلْمَدَى يُسَالِمُ فِي ذَاتِ ٱلْهُدَى وَيُعَادِي
وَيَبْلُغُ غَايَاتِ ٱلْمُنَى، وَهْوَ وَادِعٌ وَيَعْقِدُ فِي ٱلأَعْنَاقِ، بِيضَ أَيَادِي
مَحَاسِنُهُ كُحْلٌ إِلَى كُلِّ نَاظِرٍ وَطَاعَتُهُ نُورٌ بِكُلِّ فُؤَادِ

249

وَقُلْتُ فِي ٱلرِّحْلَةِ إِلَى مَدِينَةِ مَرَّاكُشَ :[307]

(الكامل)

لِلَّهِ دَرُّكَ يَا «ابْنَ بَطَّانٍ»[308] فَمَا لِشَهِيرِ جُودِكَ فِي ٱلْبَسِيطَةِ جَاحِدُ
إِنْ كَانَ فِي ٱلدُّنْيَا كَرِيمٌ وَاحِدٌ يَزِنُ ٱلْجَمِيعَ، فَأَنْتَ ذَاكَ ٱلْوَاحِدُ
أَجْرَيْتَ فَضْلَكَ «جَعْفَراً» يَحْيَا بِهِ مَا كَانَ مِنْ مَجْدٍ، فَذِكْرُكَ «خَالِدُ»[309]
فَٱلْقَوْمُ مِنْكَ تَجَمَّعُوا فِي وَاحِدٍ وَلَدٌ كَمَا شَاءَ ٱلْعَلاَءُ، وَوَالِدُ
وَهِيَ ٱللَّيَالِي، لاَتَزَالُ صُرُوفُهَا يَشْقَى، بِمَوْقِعِهَا، ٱلْكَرِيمُ ٱلْمَاجِدُ
وَ«بِمُسْتَعِينِ ٱللَّهِ» يَصْلُحُ مِنْكَ مَا قَدْ كَانَ غَيَّرَهُ[310] ٱلزَّمَانُ ٱلْفَاسِدُ

250

وَقُلْتُ ، وَقَدْ حَلَلْتُ «بِجَبَلِ ٱلْفَتْحِ» فِي بَعْضِ ٱلتَّوَجُّهَاتِ ، وَبِهِ «سُلَيْمَانُ بْنُ دَاوُدَ»[311] ٱلْمُبَرَّ بِٱلْخِلاَلِ ٱلْحَمِيدَةِ :[312]

(306) يقصد محمد الخامس (الغني بالله) .
(307) في الأصلين «م» و«ح» والأزهار (جـ : 1 ص 288) والنفح (جـ : 9 ص 189) والاعلام (جـ : 4 ص 8) .
(308) تقدمت ترجمته في ص : 96 .
(309) في البيت تورية فقد ورى بجعفر ويحيى وخالد البرامكة .
(310) في النفح : أفسده .
(311) عقد له ابن خلدون فصلا في تاريخه «الخبر عن اجازة سليمان بن داوود إلى الأندلس ومقامه=

(البسيط)

ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ كَمْ لِلَّهِ مِنْ جُودٍ وَحِكْمَةٍ ظَهَرَتْ فِي كُلِّ مَوْجُودِ
بِٱللَّهِ، «آلَ مَرِينٍ» أَبْشِرُوا وَثِقُوا بِكُلِّ سَعْدٍ، عَلَى ٱلْأَيَّامِ، مَمْدُودِ
فَمُلْكُكُمْ «بِسُلَيْمَانَ بْنِ دَاوُدَ» فِي ٱلْعِزِّ مُلْكُ «سُلَيْمَانَ بْنِ دَاوُودِ»
لاَ يَنْبَغِي لِسِوَاكُمْ بَعْدَكُمْ فَلَكُمْ فَخْرٌ، عَلَى ٱلْخُلَفَاءِ ٱلْجِلَّةِ ٱلصِّيدِ
قَدْ حَلَّ فِي «جَبَلِ لِلْفَتْحِ» مُنْتَسِبٍ بِٱلْفَتْحِ، مُفْتَخِرٍ، بِٱلْفَتْحِ مَوْعُودِ
سَفِينَةُ ٱلْأَمَلِ ٱلْمَمْدُودِ قَدْ سَبَحَتْ
فِي جُودِهِ وَاسْتَوَتْ مِنْهُ عَلَى ٱلْجُودِي[313](ح170ب)
شُدُّوا عَلَيْهِ يَدَ ٱلْمُعْتَدِّ فَهْوَ لَكُمْ ذُخْرٌ مُقَلَّدٌ فِي نَحْرٍ، وَفِي جِيدِ

251

وَمِنْ ذَلِكَ مَا قُلْتُهُ أَيْضاً :[314]

(الخفيف)

يَا «أَبَا ٱلْفَضْلِ»، إِنْ تَغِبْ عَنْ سَوَادِ ٱلْعَيْنِ مَا غِبْتَ عَنْ سَوَادِ ٱلْفُؤَادِ
صَارَ يَوْمُ ٱلسُّرُورِ بَعْدَكَ لَيْلاً وَوُجُودُ ٱلْمِهَادِ شَوْكَ ٱلْقَتَادِ
وَكَأَنَّ ٱلْجُفُونَ إِذْ غِبْتَ[315] عَنْهَا نَحَرَتْ دَمْعَهَا لِضَيْفِ ٱلسُّهَادِ

252

وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلِي فِيمَا يَظْهَرُ مِنْهُ :[316] (*)

= بها إلى أن هلك» وَيُفْهم منه أنه كانت له رغبة في منصب شيخ الغزاة ولكن ابن الخطيب حال دونه ومع ذلك فضل البقاء في الأندلس وأسرها في نفسه حتّى كاد لابن الخطيب مع الكائدين . توفي سنة 781هـ .

(312) في الأصلين «م» و«ح» .

(313) فيه إشارة إلى الآية القرآنية «واستوت على الجودي» .

(314) في الأصلين «م» و«ح» و«ق» وهي القطعة العاشرة في الأصل «ق» وفي «ت» .

(315) في «ت» : بِنْتَ .

(316) في الأصول «م» و«ح» و«ق» وهي القطعة الثالثة عشرة فيه .

(*) ديباجة «ق» : وقلت أيضا ديباجة «ت» وكتب — رحمه الله — في صدر رسالة لوحة : 29ب .

(الطويل)

عِذَارٌ كَمَا دَبَّ ٱلْحَبَابُ عَلَى ٱلْوَرْدِ مَحَاسِنُهُ أُرِبَتْ عَلَى ٱلْحَصْرِ وَٱلْعَدِّ
سَعَى نَحْوَ وَرْدِ ٱلثَّغْرِ وَانْسَابَ نَحْوَهُ فَتَحْسِبُهُ نَمْلاً تَدِبُّ إِلَى شَهْدِ
فَيَا أَلِفاً لِلْقَدِّ هَلْ مِنْ إِمَالَةٍ وَيَاحَرْفَ لِينِ ٱلْعَطْفِ هَلْ لَكَ مِنْ مَدّ

253

وَمِنْ ذَلِكَ وَفِيهِ ٱلتَّوْرِيَةُ بِعُرْفِ ٱلْعَامَّةِ : (317)

(المنسرح)

لَمَّا رَأَوْا أَنَّنِي بِهِ كَلِفٌ وَأَوْشَكُوا يَنْطِقُونَ مِنْ حَسَدِ
قَالُوا: ٱلْفَتَى بَارِدٌ، فَقُلْتُ لَهُمْ: خَلُّوهُ يَا «بَرْدَهُ عَلَى كَبِدِي» (318)

254

وَقُلْتُ فِي مِنْكَانَةِ ٱلرَّمْلِ ، وَهُوَ مَعْنىً غَرِيبٌ ، وَتَخَيُّلٌ مَا سَبَقَ أَحَدٌ إِلَيْهِ : (319)

(البسيط)

مِنْكَانَةُ ٱلرَّمْلِ (320) فِيهَا عِبْرَةٌ وَنُهَى وَشَاهِدٌ أَنَّ كُلاًّ مُنْقَضٍ كَمَدِيّ
لُبَابُ عُمْرِ ٱلْفَتَى يَجْرِي بِجِرْيَتِهَا كَأَنَّمَا ٱلْعُمْرُ لَمَّا أُطْلِقَتْ قَصِدَا

255

وَلْنَخْتِمْ هَذَا ٱلْحَرْفَ بِٱلْقَصِيدَةِ ٱلْمِيلاَدِيَّةِ ٱلَّتِي وَجَّهْتُهَا مِنْ مَدِينَةِ «سَلاَ» إِلَى «فَاسَ» : (321) (ح 171 أ)

(317) في الأصلين «م» و«ح» ونثير فرائد الجمان ص : 250 .
(318) هذا تعبير أندلسي شائع فحواه أنه يقتضي هوى في نفس الرَّاغِب .
(319) في الأصلين «م» و«ح» .
(320) المنكانة : آلة توخذ بها الأوقات (دوزي جـ : 2 ص 617) .
(321) في الأصلين «م» و«ح» والنفح (جـ : 9 ص 155 ــ 160) والإحاطة مخ لوحة 495 وما بعدها ، النفاضة (جـ : 2 ص 172 وما بعدها) .

(الطـويـل)

تَأَلَّقَ «نَجْدِيّاً» فَأَذْكَرَنِي «نَجْدَا» وَهَاجَ لِيَ ٱلشَّوْقَ ٱلْمُبَرِّحَ وَٱلْوَجْدَا
وَمِيضٌ رَأَى بُرْدَ ٱلْغَمَامَةِ مُغْفَلاً فَمَدَّ يَداً بِالتِّبْرِ أَعْلَمَتِ ٱلْبُرْدَا
تَبَسَّمَ فِي بَحْرِيَّةٍ قَدْ تَجَهَّمَتْ فَمَا بَذَلَتْ وَصْلاً وَلاَ ضَرَبَتْ وَعْدَا
وَرَاوَدَ مِنْهَا فَارِكاً[322] قَدْ تَمَنَّعَتْ فَأَهْوَى لَهَا نَصْلاً وَهَدَّدَهَا رَعْدَا
فَأَغْرَى بِهَا كَفَّ ٱلْغِلاَبِ فَأَصْبَحَتْ ذَلُولاً وَلَمْ تَسْتَطِعْ لِإِمْرَتِهِ رَدّا
فَحَلَّتْهَا ٱلْحَمْرَاءُ مِنْ شَفَقِ ٱلضُّحَى نَضَاهَا، وَحَلَّ ٱلْمُزْنُ مِنْ جِيدِهَا عِقْدا
لَكَ ٱللَّهُ! مِنْ بَرْقٍ كَأَنَّ وَمِيضَهُ يَدُ ٱلسَّاهِرِ ٱلْمَقْرُورِ قَدْ قَدَحَتْ زَنْدَا
تَعَلَّمَ مِنْ سُكَّانِهِ شِيَمَ ٱلنَّدَى فَغَادَرَ أَجْزَاءَ ٱلْحِمَى رَوْضَةً تَنْدَى
وَتَوَّجَ مِنْ نُوَّارِهَا قُنَنَ ٱلرُّبَى وَخَتَّمَ مِنْ أَزْهَارِهَا ٱلْقُضْبَ ٱلْمُلْدَا[323]
لَسُرْعَانَ مَا كَانَتْ مَنَاسِفَ لِلصِّبَا فَقَدْ ضَحِكَتْ زَهْراً، وَقَدْ خَجِلَتْ وَرْدَا
بِلاَدٌ عَهِدْنَا فِي قَرَارَاتِهَا ٱلصِّبَا يَقِلُّ لِذَاكَ ٱلْعَهْدِ أَنْ يَأْلَفَ ٱلْعَهْدَا
إِذَا مَا ٱلنَّسِيمُ أُعْتِلَّ فِي عَرَصَاتِهَا تَنَاوَلَ فِيهَا ٱلْبَانَ وَالشِّيحَ وَالرِّنْدَا
فَكَمْ فِي مَجَانِي وِرْدِهَا مِنْ عَلاَقَةٍ إِذَا مَا ٱسْتُثِيرَتْ أَرْضُهَا أَنْبَتَتْ وَجْدَا
إِذَا[324] ٱسْتَشْعَرَتْهَا ٱلنَّفْسُ عَاهَدَتِ ٱلْجَوَى
إِذَا[325] ٱلْتَمَحَتْهَا ٱلْعَيْنُ عَاقَدَتِ ٱلسُّهْدَا
وَمِنْ عَاشِقٍ حُرٍّ إِذَا مَا ٱسْتَمَالَهُ حَدِيثُ ٱلْهَوَى «ٱلْعُذْرِيِّ» صَيَّرَهُ عَبْدَا
وَمِنْ ذَابِلٍ يَحْكِي ٱلْمُحِبِّينَ رِقَّةً فَيُنْبِي إِذَا مَا هَبَّ عَرْفُ ٱلصِّبَا قَدّا
وَأَنَّسَ قَلْبِي فَهْوَ لِلْعَهْدِ حَافِظٌ
وَقَلَّ عَلَى ٱلْأَيَّامِ مَنْ يَحْفَظُ ٱلْعَهْدَا (ح 172 ب)
صَبُورٌ وَإِنْ لَمْ تَبْقَ إِلاَّ ذُبَالَةٌ
إِذَا ٱسْتَشْعَلَتْ مَسْرَى ٱلصِّبَا اشْتَعَلَتْ وَقْدَا

(322) الفارك : فرك يفرك فركا : كره وأبغض وأكثر ما يستعمل في بغضة الزوجين فهو وهي فارك .
(323) الملد : جمع أملد وهو الناعم الغض من الغصون .
(324) في النفاضة : أو
(325) في النفاضة : أو

خَفُوقٌ[326] إِذَا ٱلشَّوْقُ ٱسْتَجَاشَ كَثِيبَةَ
تَجُوسُ دِيَارَ[327] ٱلصَّبْرِ كَانَ لَهَا بَنْدَا

وَقَدْ كُنْتُ جَلْداً قَبْلَ أَنْ تُذْهِبَ ٱلنَّوَى ذِمَايَ وَأَنْ تَسْتَأْصِلَ ٱلْعَظْمَ وَٱلْجِلْدَا
أَأَجْحَدُ حَقَّ ٱلْحِبِّ، وَالدَّمْعُ شَاهِدٌ وَقَدْ وَقَعَ ٱلتَّسْجِيلُ مِنْ بَعْدِ مَا أَدَّى[328]
تَنَائَرَ فِي إِثْرِ ٱلْحُمُولِ فَرِيدُهُ فَلِلَّهِ عَيْناً مَنْ رَأَى ٱلْجَوْهَرَ ٱلْفَرْدَا
جَرَى يَقَقاً[329] فِي مَلْعَبِ ٱلْخَدِّ أَشْهَبَا وَأَجْهَدَهُ رَكْضُ ٱلْأَسَى فَجَرَى وَرْدَا
وَمُرْتَحِلٍ أَجْرَيْتُ دَمْعِيَ خَلْفَهُ لِيُرْجِعَهُ، فَاسْتَنَّ فِي إِثْرِهِ قَصْدَا
وَقُلْتُ لِقَلْبِي طِرْ إِلَيْهِ بِرُقْعَتِي فَكَانَ حَمَاماً فِي ٱلْمَسِيرِ بِهَا هَدَا
سَرَقْتُ صُوَاعَ ٱلْعَزْمِ يَوْمَ فِرَاقِهِ فَلَجَّ وَلَمْ يَرْقُبْ سَوَاعاً وَلَا وُدّا[330]
وَكَحَّلْتُ جَفْنِي[331] مِنْ غُبَارِ طَرِيقِهِ فَأَعْقَبَهَا دَمْعاً، وَأَوْرَثَهَا سُهْدَا
لِيَ ٱللَّهُ كَمْ أَهْدِي «بِنَجْدٍ» وَ«حَاجِرٍ» وَأَكْنِي «بِدَعْدٍ» فِي غَرَامِيَ أَوْ «سُعْدَى»
وَمَا هُوَ إِلاَّ ٱلشَّوْقُ ثَارَ كَمِينُهُ فَأَذْهَلَ نَفْساً لَمْ تُبِنْ عِنْدَهُ قَصْدَا
وَمَا بِيَ إِلاَّ أَنْ سَرَى ٱلرَّكْبُ مَوْهِنا
وَأَعْمَلَ فِي رَمْلِ ٱلْحِمَى ٱلنَّصَّ وَٱلْوَخْدَا[332]
وَجَاشَتْ جُيُوشُ[333] ٱلصَّبْرِ وَٱلْبَيْنِ وَٱلْأَسَى
لَدَيَّ، فَكَانَ ٱلصَّبْرُ أَضْعَفَهَا جُنْدَا

وَرُمْتُ نُهُوضاً، وَاعْتَرَمْتُ مُوَدِّعَا فَصَدَّنِي ٱلْمِقْدَارُ[334] عَنْ وِجْهَتِي صَدّا
رَقِيقٌ بَدَتْ لِلْمُشْتَرِينَ عُيُوبُهُ وَلَمْ تَلْتَفِتْ دَعْوَاهُ فَاسْتَوْجَبَ ٱلرَّدّا[335]

(326) في النفح : حبور .
(327) في النفح : خلال .
(328) في البيت تورية بالشهادة والتسجيل والأداء ، وهي من ألفاظ الموثقين في الأندلس والمغرب وماتزال مسموعة ومستعملة .
(329) اليقق : الأبيض شديد البياض .
(330) من أسماء الأصنام في الجاهلية .
(331) في النفح : عيني .
(332) نوعان من سير الابل .
(333) في النفح : جنود .
(334) في النفح : المقدور .
(335) يورى هنا بالمصطلحات الفقهية (بيع الرقيق) .

تَخَلَّفَ مِنِّي[336] رَكْبُ «طَيْبَةَ» عَانِيا
أَمَا آنَ لِلْعَانِي ٱلْمُعَنَّى بِأَنْ يُفْدَى (ح 173 أ)
مُخَلَّفُ سِرْبٍ[337] قَدْ أُصِيبَ جَنَاحُهُ وَطِرْنَ فَلَمْ يَسْطِعْ مَرَاحاً وَلاَ مَغْدَى
نَشَدْتُكَ يَارَكْبَ «ٱلْحِجَازِ» تَضَاءَلَتْ
لَكَ ٱلْأَرْضُ مَهْمَا اسْتَعْرَضَ ٱلسَّهْبُ وَامْتَدَّا
وَجَمَّ لَكَ ٱلْمَرْعَى، وَأَذْعَنَتِ ٱلصَّوَى[338] وَلَمْ تَفْتَقِدْ ظِلاًّ ظَلِيلاً وَلاَ وِرْدَا
إِذَا أَنْتَ شَافَهْتَ ٱلدِّيَارَ بِطَيْبَةٍ وَجِئْتَ بِهَا ٱلْقَبْرَ ٱلْمُقَدَّسَ وَٱللَّحْدَا
وَآنَسْتَ نُوراً مِنْ جَنَابِ «مُحَمَّدٍ»
يُدَاوِي ٱلْقُلُوبَ ٱلْغُلْبَ[339] وَٱلْأَعْيُنَ ٱلرُّمْدَا
فَنِبْ عَنْ بَعِيدِ ٱلدَّارِ فِي ذَلِكَ ٱلْحِمَى وَأَذْرِ بِهِ دَمْعاً، وَعَفِّرْ بِهِ خَدَّا
وَقُلْ، يَارَسُولَ ٱللَّهِ، عَبْدٌ تَقَاصَرَتْ خُطَاهُ وَأَضْحَى مِنْ أُحِبَّتِهِ فَرْدَا
وَلَمْ يَسْتَطِعْ مِنْ بَعْدِ مَا بَعُدَ ٱلْمَدَى سِوَى لَوْعَةٍ تَعْتَادُ أَوْ مِدْحَةٍ تُهْدَى
تَدَارَكْهُ، يَاغَوْثَ ٱلْعِبَادِ بِرَحْمَةٍ فَجُودُكَ مَا أَجْدَى وَكَفُّكَ مَا أَنْدَى !
أَجَارَ بِكَ ٱللَّهُ ٱلْعِبَادَ مِنَ ٱلرَّدَى وَبَوَّأَهُمْ ظِلاًّ مِنَ[340] ٱلْأَمْنِ مُمْتَدَّا
حَمَى دِينَكَ ٱلدُّنْيَا، وَأَقْطَعَكَ ٱلرِّضَا وَتَوَّجَكَ ٱلْعُلْيَا، وَأَلْبَسَكَ ٱلْحَمْدَا
وَطَهَّرَ مِنْكَ ٱلْقَلْبَ لَمَّا ٱسْتَخَصَّهُ فَجَلَّلَهُ نُوراً وَأَوْسَعَهُ رُشْدَا
دَعَاهُ فَمَا وَلَّى، هَدَاهُ فَمَا غَوَى سَقَاهُ فَمَا يَظْمَا، جَلاَهُ فَمَا يَصْدَا[341]
تَقَدَّمْتَ مُخْتَاراً تَأَخَّرْتَ مَبْعَثاً فَقَدْ شَمَلَتْ عَلْيَاؤُكَ ٱلْقَبْلَ وَٱلْبَعْدَا
وَعِلَّةُ هَذَا ٱلْكَوْنِ أَنْتَ وَكُلَّمَا أَعَادَ فَأَنْتَ ٱلْقَصْدُ فِيهِ وَمَا أَبْدَى
وَهَلْ هُوَ إِلاَّ مَظْهَرٌ، أَنْتَ سِرُّهُ.
لِيَمْتَازَ فِي ٱلْخَلْقِ ٱلْمُكِبُّ مِنَ ٱلْأَهْدَى[342]

(336) في النفح : عن .
(337) في النفح : سربي .
(338) الصوى : الاعلام المنصوبة في المفاوز المجهولة يستدل بها على الطريق .
(339) الغلف : يقال غلف قلبه : لم يع الرشد . كأن على قلبه غلافا ، فهو أغلف وهي غلفاء ج غلف وفي التنزيل العزيز : «وقالوا قلوبنا غلف» .
(340) في النفح : في .
(341) من هنا يبدأ ما في الإحاطة لوحة : 495 .
(342) فيه إشارة إلى الآية القرآنية المعروفة .

فَمِنْ عَالَمِ ٱلْأَسْرَارِ ذَاتُكَ تَجْتَلِي
مَلَامِحَ نُورٍ لَاحَ «لِلطُّورِ» فَٱنْهَدَّا[343] (ح 174 ب)

وَفِي عَالَمِ ٱلْحِسِّ اغْتَدَيْتَ مُبَوَّأ
لِتَشْفِيَ مَنِ ٱسْتَشْفَى وَتَهْدِيَ مَنِ ٱسْتَهْدَى

فَمَا كُنْتَ، لَوْلَا أَنْ تَبُثَّ هِدَايَةً
مِنَ ٱللَّهِ، مِثْلَ ٱلْخَلْقِ رَسْماً وَلَا حَدَّا[344]

بِمَاذَا عَسَى يُثْنِي عَلَيْكَ مُقَصِّرٌ ... وَلَمْ يَأْلُ فِيكَ ٱللَّهُ مَدْحاً وَلَا حَمْداً
بِمَاذَا عَسَى يَجْزِيكَ هَاوٍ عَلَى شَفَى ... مِنَ ٱلنَّارِ قَدْ أَسْكَنْتَهُ[345] بَعْدَهَا ٱلْخُلْدَا
عَلَيْكَ صَلَاةُ ٱللَّهِ، يَاخَيْرَ مُرْسَلٍ ... وَأَكْرَمَ هَادٍ، أَوْضَحَ ٱلْحَقَّ وَالرُّشْدَا
عَلَيْكَ صَلَاةُ ٱللَّهِ، يَاخَيْرَ رَاحِمٍ ... وَأَشْفَقَ مَنْ يُثْنِي عَلَى رَأْفَةٍ كَبْدَا[346]
عَلَيْكَ صَلَاةُ ٱللَّهِ، يَاكَاشِفَ ٱلْعَمَى ... وَقَدْ هَبَّ لَيْلُ ٱلشَّكِّ[347] وَهْوَ قَدِ ٱرْبَدَّا
إِلَى كَمْ أَرَانِي فِي ٱلْبِطَالَةِ كَانِعاً[348] ... وَعُمْرِيَ قَدْ وَلَّى وَوِزْرِيَ قَدْ عَدَّا
تَقَضَّى زَمَانِي فِي لَعَلَّ وَفِي عَسَى ... فَلَا عَزْمَةٌ تُمْضَى وَلَا لَوْعَةٌ تَهْدَا
حُسَامُ جَبَانٍ كُلَّمَا شِيمَ نَصْلُهُ ... تَرَاجَعَ بَعْدَ ٱلْعَزْمِ وَٱلْتَزَمَ ٱلْغِمْدَا
أَلَا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ أَرَانِيَ نَاهِداً ... أَقُودُ ٱلْقِلَاصَ ٱلْبُدْنَ وَٱلضَّامِرَ ٱلنَّهْدَا
رَضِيعُ لِبَانِ ٱلصَّدْقِ فَوْقَ شِمِلَّةٍ[349] ... مُضَمَّرَةٍ وُسِّدْتُ مِنْ كُورِهَا مَهْدَا
فَتَهْدَى بِأَشْوَاقِي ٱلسُّرَاةُ إِذَا سَرَتْ ... وَتُحْدَى بِأَشْعَارِي ٱلرِّكَابُ إِذَا تُحْدَى
إِلَى أَنْ أَحُطَّ ٱلرَّحْلَ فِي تُرْبَكَ ٱلَّذِي ... تَضَوَّعَ نِداً مَا رَأَيْنَا[350] لَهُ نِدَّا

(343) هذا البيت واللذان يليانه في روضة التعريف ص : 247 والنفح (جـ : 9 ص : 193) .
(344) الرسم : (في المنطق) : تعريف الشيء بخصائصه . والحد في إصطلاح المناطقة : القول الدال على ماهية الشيء .
(345) في النفح : أوردته .
(346) لا يوجد في النفح هذا البيت .
(347) في النفح : الروع .
(348) الكانع الذي تداني وتصاغر .
(349) الشملة : الناقة السريعة والكور الرحل : أي أنه جعل كورها مهدا ، ينام عليه ، يعني انه دائم السفر .
(350) في النفاضة : ما رأيت .

وَأُطْفِئَ فِي تِلْكَ ٱلْمَوَارِدِ غُلَّتِي وَأُحْسِبَ[351] قُرْباً مُهْجَةً شَكَتِ ٱلْبُعْدَا
بِمَوْلِدِكَ اهْتَزَّ ٱلْوُجُودُ وَأَشْرَقَتْ
قُصُورٌ بِبُصْرَى[352] ضَاءَتِ ٱلْهَضْبَ وَٱلْوَهْدَا
وَمِنْ رُعْبِهِ ٱلْأَوْثَانُ خَرَّتْ مَهَابَةً وَمِنْ هَوْلِهِ «إِيوَانُ فَارِسَ» قَدْ هُدَّا[353]
وَغَاضَ لَهُ ٱلْوَادِي وَصَبَّحَ عِزَّهُ
بُيُوتاً لِنَارِ ٱلْفُرْسِ أَعْدَمَهَا ٱلْوَقْدَا[354] (ح 175 أ)
رَعَى ٱللَّهُ مِنْهَا لَيْلَةً أَطْلَعَ ٱلْهُدَى عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنْ آفَاقِهَا ٱلْقَمَرَ السَّعْدَا
وَأَقْرَضَ مُلْكاً قَامَ فِينَا بِحَقِّهَا لَقَدْ أَحْرَزَ ٱلْفَخْرَ ٱلْمُؤَثَّلَ وَٱلْمَجْدَا
وَحَيَّ عَلَى «شَطِّ ٱلْخَلِيجِ» مَحَلَّةً يُحَالِفُ مَنْ يُلْفَى[355] بِهَا ٱلْعِيشَةَ ٱلرَّغْدَا
وَجَادَ ٱلْغَمَامُ ٱلْعِدُّ فِيهَا خَلَائِفَا مَآثِرُهُمْ لَا تَعْرِفُ ٱلْحَصْرَ وَٱلْعَدَّا
«عَلِيّاً» وَ«عُثْمَانَ» وَ«يَعْقُوبَ»، لَا عَدَا رِضَا ٱللَّهِ ذَاكَ ٱلنَّجْلَ، وَٱلْأَبَ وَٱلْجَدَّا
حَمَوْا وَهَمَوْا فِي حَوْمَةِ ٱلْبَأْسِ وَٱلنَّدَى فَكَانُوا ٱلْغُيُوثَ ٱلْمُسْتَهِلَّةَ وَٱلْأُسْدَا
وَلِلَّهِ مَاذَا[356] خَلَّفُوا مِنْ خَلِيفَةٍ حَوَى ٱلْإِرْثَ عَنْهُمْ وَٱلْوَصِيَّةَ وَٱلْعَهْدَا
إِذَا مَا أَرَادَ ٱلصَّعْبَ أَغْرَى بِنَيْلِهِ صُدُورَ ٱلْعَوَالِي، وَٱلْمُطَهَّمَةَ ٱلْجُرْدَا[357]
فَكَمْ مُعْتَدٍ أَرْدَى، وَكَمْ تَائِهٍ هَدَى وَكَمْ حِكْمَةٍ أَخْفَى، وَكَمْ نِعْمَةٍ أَبْدَى
«أَبَا سَالِمٍ»، دِينِ ٱلْإِلَاهِ بِكَ اعْتَلَى «أَبَا سَالِمٍ»، ظِلُّ ٱلْأَمَانِ بِكَ امْتَدَّا
فَدُمْ فِي دِفَاعِ ٱللَّهِ تَحْتَ وِقَايَةٍ كَفَاكَ بِهَا أَنْ تَسْحَبَ ٱلْحَلَقَ ٱلسَّرْدَا
وَدُونَكَهَا مِنِّي نَتِيجَةَ فِكْرَةٍ إِذَا اسْتُرْشِحَتْ لِلنَّظْمِ كَانَتْ صَفاً صَلْدَا
وَلَوْ تَرَكَتْ مِنِّي ٱللَّيَالِي صَبَابَةً لَأَجْهَدْتُهَا رَكْضاً وَأَرْهَقْتُهَا شَدَّا
وَلَكِنَّه «جُهْدُ ٱلْمُقِلِّ» بَذَلْتُهُ وَقَدْ أَوْضَحَ ٱلْأَعْذَارَ مَنْ بَلَغَ ٱلْجُهْدَا[358]

(351) يقال أحسب فلان ماله أي زاده وكثره.
(352) بصرى: قرية بالشام النسبة إليها بصري، انظر المعجم الوسيط مادة «بصر».
(353) في النفح: ايوان كسرى قد انهدا.
(354) فيه إشارة إلى قضاء الدين الإسلامي على الوثنية الفارسية.
(355) في النفح: . يتنابها.
(356) في النفح: ما قد.
(357) لا يوجد هذا البيت في «ح».
(358) إلى هنا ينتهي ما في الأصلين «م» و«ح».

256

وَمِنْ قَصِيدَةٍ نَبَوِيَّةٍ : [359]

(الكامل)

هَاجَتْكَ إِذْ جِئْتَ اللِّوَى «فَزَرُودَا»[360] ، ذِكْرَاكَ أَوْطَاناً بِهَا وَعُهُودا (123أ)

عَاثَتْ بِهِنَّ يَدُ الزَّمَانِ فَلَمْ تَجِدْ أَعْلاَمُهُنَّ عَنِ الْعَفَاءِ مَحِيدَا

إِلاَّ مَوَاقِدَ كَالْحَمَامِ جَوَائِلاً وَتَرَى بِأَضْلاَفِ الظِّبَاءِ كَدِيدَا[361]

دِمَنٌ غُذِيَتْ بِهِنَّ أَخْلاَفَ الْهَوَى وَلَبِسَ رَيْعَانُ الشَّبَابِ جَدِيدَا

وَرَكَضْتُ طِرْفَ اللَّهْوِ فِي شَأْوِ الصِّبَا مَرَحاً فَجُزْتُ مَدَى النَّعِيمِ بَعِيدَا

مَالِي ، وَتَذْكَارَ الصَّبَابَةِ وَالصِّبَا وَمَوَاثِقاً عِنْدَ الْهَوَى وَعُهُودا ؟

وَصَبَاحُ شَيْبِ الْفَوْدِ لاَحَ بِمَفْرِقِي فَغَدَوْتُ مِنْ فَقْدِ الصِّبَا مَفْؤُودَا

إِنَّا إِلَى الرَّحْمَانِ مِنْهَا أَنْفُسا بُؤْنَ مِنْ ظُلْمِ الْجُسُودِ لُحُودَا

نَسِيَتْ عَوَالِمَهَا الْكِرَامُ فَنُورُهَا تَسْتَامُهُ أَيْدِي الْهَوَى تَبْدِيدَا

وَاسْتَوْتَرَتْ شَبَحاً خَلاَءً لَمْ يَزَلْ لِخَفِيِّ مَعْنَاهَا الأَثِيرِ ضَدِيدا

تَرِدُ الأُجَاجَ مُرَنَّقاً ، وَلَطَالَمَا وَرَدَتْ بِأَكْنَافِ «الْعُذَيْبِ»[362] بُرُودَا

هَلاَّ اسْتَظَلَّتْ دَوْحَةَ[363] الْقُدْسِ الَّتِي كَرَعَتْ قَبِيلَ الْكَوْنِ فِيهِ (مَدِيداً)[364]

وَتَذَكَّرَتْ عَهْداً بِمُنْعَرَجِ اللِّوَى لاَ يَسْتَحِيلُ ، وَمَوْقِفاً مَشْهُودا (ق24ب)

وَرَقَتْ مَعَارِيجَ الْعُلاَ (لِتَحُوزَ فِي)[365] سِمْطِ الْجَلاَلِ نِظَامَهَا الْمَعْهُودا

ذَنْبِي عَدَانِي عَنْ لِحَاقِ ذَوِي الْهُدَى فَغَدَوْتُ عَنْ دَرَكِ الرَّشَادِ طَرِيدا

---

(359) انفردت «ق» بهذه القصيدة وهي الرابعة فيه .

(360) زرود : موضع أو اسم رمل مؤنث ــ أقْرَبُ الموارد (جـ 3 ص 26) .

(361) الكديد : الأرض المكدودة بالحوافر .

(362) العذيب : قيل هو واد لبني تميم وهو من منازل حاج الكوفة .
انظر : معجم البلدان (جـ : 4 ص : 92) .
ــ لسان العرب (جـ : 5 ص : 585) .

(363) في الأصل : دوح .

(364) بياض في الأصل .

(365) لا يوجد في الأصل إلا بقايا بعض الحروف من هذين الكلمتين وقد قدرناهما .

وَمِنْهَا :

يَامُصْطَفَى ٱلرَّحْمَانِ، وَٱلنُّورُ ٱلَّذِي ... أَخْفَى ٱلضَّلاَلَ، وَأَظْهَرَ ٱلتَّوْحِيدَا
وَٱلْمُنْتَقَى مِنْ سِرِّ هَاشِمٍ فِي الذَّرَى ... حَيْثُ ٱسْتَقَرَّ مَدَى ٱلْفَخَارِ صُعُودَا
جِيرَانُ بَيْتِ ٱللَّهِ، وَٱلْعَرَبِ ٱلأُلَى ... أَضْحَوْا عَلَى قُنَنِ ٱلنُّجُومِ قُعُودَا
تَخِذُوا ٱلسُّيُوفَ تَمَائِماً لِوَلِيدِهِمْ ... وَٱلْحَرْبَ ظِئْراً، وَٱلسُّرُوجَ مُهُودا
وَحَوَى ٱلْكَبِيرُ فَخَارَهُ عَنْ كَابِرٍ ... وَتَوَارَثَ ٱلْأَبْنَاءُ فِيهِ جُدُودا(366)
أَعْلَقْتُ كَفِّي مِنْكَ حَبْلَ مَوَدَّتِي ... لاَوَاهِناً خَلَقاً وَلاَ مَجْدُودَا
وَجَعَلْتُ مَدْحَكَ لِلإِلاَهِ وَسِيلَتِي ... فَشَرِبْتُ فِي دَارِ ٱلنَّعِيمِ خُلُودَا
فَإِذَا هَفَتْ هَوجُ ٱلْخُطُوبِ عَوَاصِفاً ... وَافَيْتُ رُكْناً مِنْ حِمَاكَ شَدِيدا
وَإِذَا عَدَتْ أَيْدِي ٱلذُّنُوبِ عَوَاسِفاً(367) ... لِتَعِيثَ كُنْتَ ٱلْمَلْجَأَ ٱلْمَقْصُودَا
ٱلْخَلْقُ، يَوْمَ ٱلْعَرْضِ، جَاهَكَ تَعْتَفِي ... تَأْتِي عَلَى قَدَمِ الصَّغَارِ وُفُودَا
مُتَأَهِّبِينَ إِلَى ٱلْحِسَابِ ذَوَاهِلاً ... مُتَهَيِّبِينَ ٱلْمَوْقِفَ ٱلْمَوْعُودَا
رَاجِينَ فِيهِ لَدَيْكَ فَضْلَ شَفَاعَةٍ ... وَمُؤَمِّلِينَ مَقَامَكَ ٱلْمَحْمُودَا
لِلَّهِ دَرُّ رَكَائِبٍ قَطَعَتْ إِلَى ... مَعْنَى ثَرَاكَ تَهَائِماً وَنُجُودَا
قَوْمٌ أَهَابَ بِعَزْمِهِمْ دَاعِي ٱلْهُدَى ... فَاسْتَشْعَرُوا ٱلتَّقْوَى وَجَابُوا ٱلْبِيدَا
فَإِذَا ظَلاَمُ ٱللَّيْلِ مَدَّ جَنَاحَهُ ... كَحَّلُوا جُفُونَ عُيُونِهِمْ تَسْهِيدَا
وَإِذَا ٱلنَّهَارُ جَلاَ ٱلظَّلاَمَ وَأَثْلَعَتْ ... مِنْ نُورِ مِيسَمِهَا، ٱلْغَزَالَةُ(368) جِيدا
لَبِسُوا ٱلْهَجِيرَ وَصَافَحُوا غُبْرَ ٱلْفَلا ... وَصَلُوا لَظَى رَمْضَائِهِنَّ وُقُودَا
وَأَتَوْا خِضَمَّ ٱلْمَاءِ يَزْخَرُ مَوْجُهُ ... فَشَرَوْا بِإِعْدَامِ ٱلْحَيَاةِ وُجُودَا (ق125أ)
لَبِسُوا(369)، عَلَى قَدَرٍ، مُتُونَ سَفِينَةٍ ... وَتَفَيَّأُوا ظِلَّ ٱلرَّجَا ٱلْمَمْدُودَا
بَيْدَاءُ لُجٌّ أَصْبَحَتْ فِيهِ ٱلرُّبَا ... فِيحاً وَأَطْوَادُ ٱلسَّفِينَ قُدُودَا(370)

(366) يظهر في الأصل بعض الحروف فقط وقد قدرنا هذا.
(367) العواسف الظوالم.
(368) الغزالة : يقصد الشمس.
(369) في الأصل : لسوا.
(370) ليس في هذا البيت إلا بقايا بعض الحروف استطعنا أن نجمع بين شتاتها.

عُوجاً تُتِيحُ لَهَا ٱلرِّيَاحُ أَعِنَّةً ... وَالسَّاجَ جِسْماً وَٱلْهِنَاءَ[371] جُلُودَا
تَفْرِي أَدِيمَ ٱلْمَاءِ وَهْيَ نَوَاضِحٌ ... مِنْهُ، وَتَتْرُكُ خَدَّهُ أَخْدُودَا
أَمُّوا ضَرِيحاً طَابَ نَشْراً عَرْفُهُ ... وَزَكَا بِنُورِ ٱلْمُعْجِزَاتِ صَعِيدَا
جَعَلُوا ٱلْكَلَامَ بِهِ دُعَاءً خَافِتاً ... وَاسْتَبْدَلُوا فِيهِ ٱلنِّعَالَ خُدُودَا
شُحْبَ ٱلْجُسُومِ تَخَالُهُمْ إِذَا أَجْهَشُوا ... بَاناً بِأَخْلَافِ ٱلدُّمُوعِ مَجُودَا[372]
أَقْسَمْتُ بِالنُّورِ ٱلَّذِي سَبَحَاتُهُ ... أَضْحَى لَهَا ٱلطُّورُ ٱلْمُنِيفُ هَدِيدَا
«لَمُحَمَّدٌ» خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ كُلِّهَا ... ذَاتاً، وَأَوْسَعُهُمْ «لِعَافٍ»[373] جُودَا

وَمِنْهَا :

أَعْزِزْ بِمَوْلِدِهِ ٱلْكَرِيمِ وَخُصَّهُ ... مِنْ ذِكْرِكَ ٱلتَّقْدِيسَ وَٱلتَّحْمِيدَا
يَا لَيْلَةً، أَهْدَتْ لَنَا نُورَ ٱلْهُدَى ... خَيْرَ ٱلْبَرِيَّةِ كُلِّهَا مَوْلُودَا
يَا لَيْلَةً، تَخِذَ ٱلْمَلَائِكُ يَوْمَهَا ... وَٱلْمُرْسَلُونَ، إِلَى ٱلْقِيَامَةِ عِيدَا
أَضْحَتْ لَهَا أَصْنَامُ «مَكَّةَ» سُجَّداً ... ذُلاً عَلَى صَفْحِ ٱلرَّغَامِ هُمُودَا
وَتَفَأَّلَ ٱلْكُهَّانُ أَنَّ رَئِيَّهَا[374] ... أَضْحَى لَدَيْكَ مُقَرَّناً مَصْفُودَا[375]
وَبُيُوتُ «فَارِسَ» أَرْمَدَتْ نِيرَانُهَا ... وَاعْتَاضَ مِنْ لَفْحِ ٱلضِّرَامِ خُمُودَا
وَأَتَتْ عَلَى «إِيوَانِ كِسْرَى» رَجَّةٌ ... هَدَّتْ قَوَاعِدَهُ وَكَانَ مَشِيدَا
صَلَّى عَلَيْكَ ٱللَّهُ مَا هَفَتِ ٱلصَّبَا ... وَهْناً[376]، فَهَزَّتْ مَائِساً أَمْلُودَا
وَبَكَتْ حَمَامُ ٱلْبَانِ بَيْنَ هَدِيلِهَا ... شَجْواً، يُهِيجُ، وَرَجَّعَتْ تَغْرِيدَا

257

وَأَنْشَدَتْهُ فِي مِيلَادِ رَسُولِ ٱللَّهِ ﷺ وَهِيَ مُذَهَّبَةٌ : [377]

(371) الهناء : القطران ، ومنه المثل «يضع الهناء مواضع النقب» .
(372) المجود : أصابه الجود أي المطر .
(373) قدرنا الكلمة من عندنا إذ لا يظهر في الأصل إلا حرف الفاء .
(374) الرئي : العالم التقي الصابر .
(375) المصفود : المربوط بالصفد أي القيد .
(376) الوهن : منتصف الليل أو الثلث الأخير منه .
(377) في الأصل «ق» وهي القصيدة السادسة فيه .

(الطويل)

دَعَا عَزَمَاتِي، وَٱلْمَطِيَّةَ وَٱلْوَخْدَا وَإِلاَّ فَكُفَّا ٱلشَّوْقَ عَنِّيَ وَٱلْوَجْدَا
وَلاَ تَطْلُبَا دَمْعِي بِتَجْرِيحِ مُقْلَتِي
فَدَمْعِيَ مَقْبُولٌ عَلَى ٱلْقَلْبِ مَا أَدَّى(378) (ق26ب)

أَلَمْ تَرَيَانِي كُلَّمَا هَبَّتِ ٱلصَّبَا أَبُلُّ بِهَا مِنْ نَارِ لَوْعَتِيَ ٱلْوَجْدَا
وَأَصْبُو إِلَى ٱلْبَرْقِ «ٱلْحِجَازِيِّ» كُلَّمَا
أَجَالَتْ أَكُفُّ ٱلْأُفْقِ فِي ٱلسُّحُبِ(379) ٱلزَّنْدَا

وَمَا كَانَ قَبْلَ ٱلْيَوْمِ جَفْنِيَ سَاهِداً نَعَمْ، هَجْرُ «سُعْدَى» عَلَّمَ ٱلْمُقْلَةَ ٱلسَّهْدَا
وَلَمَّا تَفَانَى ٱلصَّبْرُ إِلاَّ صُبَابَةً تُسَهِّلُ مِنْ وَقْعِ ٱلْحَوَادِثِ مَا ٱشْتَدَّا
وَلَمْ يَبْقَ مِنِّي غَيْرُ رَعْيِ مَوَاقِفٍ تَعَلَّمَ مِنْهَا ٱلْآسُ أَنْ يَحْفَظَ ٱلْعَهْدَا
حَنَنْتُ إِلَى ٱلْعَهْدِ ٱلْقَدِيمِ ٱلَّذِي قَضَى حَمِيداً فَمَا أَغْنَى ٱلْحَنِينُ وَلاَ أَجْدَى!
لِيَ ٱللَّهُ كَمْ أَهْذِي بِنَجْدٍ، وَ«حَاجِرٍ»
وَأَكْنِي «بِدَعْدٍ» فِي غَرَامِيَ أَوْ سُعْدَى»(380)

وَمَا هِيَ إِلاَّ زَفْرَةٌ هَاجَهَا ٱلْجَوَى وَأَبْدَى بِهَا تَذْكَارَ «يَثْرِبَ» مَا أَبْدَى
وَكَمْ قَدْ كَتَمْتُ ٱلشَّوْقَ لَوْلاَ مَدَامِعٌ تُرَوِّي (مَجَارِيهَا)(381) ٱلْمَحَاجِرَ وَٱلْخَدَّا
وَتُخْرِجُ مِنْ بَحْرِ ٱلْجُفُونِ جَوَاهِرا
(تُحَاجُّ)(382) بِهَا مَنْ أَنْكَرَ ٱلْجَوْهَرَ ٱلْفَرْدَا(383)

أَبْعَدَ سُرَى ٱلرَّكْبِ «ٱلْحِجَازِيِّ» مَوْهِناً أُمُدُّ لِنَفْسِي فِي تَعَلُّلِهَا مَدَّا
وَأَرْجِعُ عُمْرِي مِنْ زَمَانِي لِقَابِلٍ كَأَنِّي قَدْ أَحْصَيْتُ أَيَّامَهُ عَدَّا
أَلاَ، يَاحُدَاةَ ٱلرَّكْبِ يَبْغُونَ «يَثْرِبَا» وَيَلْقَوْنَ فِي ٱللَّهِ ٱلسَّآمَةَ وَٱلْجُهْدَا
بِمَا بَيْنَنَا مِنْ خُلَّةٍ طَابَ ذِكْرُهَا إِذَا فَرَعَتْ عُوجُ ٱلْمَطِيِّ بِكُمْ «نَجْدَا»
وَأَبْصَرْتُمُ نُورَ ٱلنُّبُوَّةِ سَاطِعاً قَدِ ٱكْتَنَفَ ٱلتُّرْبَ ٱلْمُقَدَّسَ وَٱللَّحْدَا

---

(378) تقدم شرح هذا. 240.
(379) قدرناها من عندنا إذ لا يظهر في الأصل إلا حرف الباء.
(380) تقدم هذا البيت في القصيدة السابقة.
(381) في الأصل يظهر حرف الثاء والهاء والتقدير منا.
(382) في الأصل غير واضحة هذه الكلمة وقد قدرناها بما ظهر لنا.
(383) الجوهر: في علم الفلسفة ما قام بنفسخ ويقابله العرض. وهو ما يقوم بغيره، والجوهر الفرد: الله ـ المعجم الوسيط (جـ: 1 ص 149).

وَنَاجَيْتُمَا مِنْ مَطْلَعِ ٱلْوَحْيِ رَوْضَةً أَعَدَّ لَهَا ٱللَّهُ ٱلسَّعَادَةَ وَٱلْخُلْدَا
وَلاَ قَلْبَ إِلاَّ (خَافِقٌ)(384) فِي شِغَافِهِ بِهَا وَكَسَاهَا مِنْ نَسِيجَتِهِ بُرْدَا
وَهَبَّ ٱلْعَلِيلُ ٱللَّدْنُ مُسْتَشْفِياً بِهَا فَكَانَ ٱلدَّوَاءُ ٱلْبَانَ وَالشِّيحَ وَالرَّنْدَا
وَدَارٍ أَقَامَ ٱلْوَحْيُ فِي عَرَصَاتِهَا فَلَمْ يَبْقَ عَنْهَا بَعْدَ خُلَّتِهَا بُعْدَا
فَقُولاً ـ رَسُولَ ٱللَّهِ ـ يَاخَيْرَ خَلْقِهِ، وَأَكْرَمَ مُخْتَارٍ أَبَانَ بِهِ ٱلرَّشْدَا
غَرِيبٌ بِأَقْصَى ٱلْغَرْبِ طَالَ اشْتِيَاقُهُ فَلَوْلاَ تَعِلاَّتُ ٱلْمُنَى لَقَضَى وَجْدَا
يُؤَمِّلُ نَيْلَ ٱلْقُرْبِ، وَالذَّنْبُ مُبْعِدٌ
وَقَدْ سَدَّ مِنْ طُرُقِ ٱلتَّخَلُّصِ مَا سَدَّا (ق127أ)
وَلَوْ (أَخَذَ)(385) ٱلْمِقْدَارُ مِنْكَ مُرَادَهُ وَشَافَهَ مِنْكَ ٱلْقُرْبَ لاَسْتَوْجَبَ الرَّدَّا
وَلَكِنَّهُ (يَرْجُو)(386) ٱلَّذِي أَنْتَ أَهْلُهُ
وَأَنْتَ ٱلَّذِي أَعْطَى ٱلْجَزِيلَ وَمَا أَكْدَى(387)
وَأَنْتَ مَلاَذُ ٱلْخَلْقِ حَيّاً وَمَيِّتاً
وَأَكْرَمُهُمْ ذَاتاً وَأَعْظَمُهُمْ مَجْدَا
فَلَوْلاَكَ مَا بَانَ الضَّلاَلُ مِنَ ٱلْهُدَى
وَلاَ امْتَازَ فِي ٱلأَرْضِ ٱلْمُكِبُّ مِنَ ٱلأَهْدَى(388)
وَلَمَّا مَحَتْ آيَ ٱلشَّرَائِعِ فَتْرَةٌ وَأَصْبَحَتِ ٱلأَهْوَاءُ لاَ تَعْرِفُ ٱلْقَصْدَا
وَتَعْبُدُ مِنْ دُونِ ٱلإِلاَهِ (حِجَارَةً)(389) طَعَامُ رِجَالٍ يَجْعَلُونَ لَهُ نِدّا
وَقَدْ شَنَّتِ ٱلْغَارَاتُ مِنْ كُلِّ تَلْعَةٍ(390) فَأَصْبَحَ حُرُّ ٱلْقَوْمِ عَنْ كَتَبٍ عَبْدَا
أَرَادَ بِكَ ٱللَّهُ إِنْحِكَامَ(391) شَتَاتِهِمْ وَسَلَّ وَشِيكاً مِنْ صُدُورِهِمُ ٱلْحِقْدَا
وَفَاضَ عَلَى ٱلأَدْيَانِ دِينُكَ وَاحْتَوَتْ
جُنُودُكَ أَقْصَى «ٱلشَّامِ» وَ«ٱلصِّينَ» وَ«ٱلْهِنْدَا»

(384) في الأصل لا يظهر إلا حرف الخاء والتقدير منا .
(385) هذه الكلمة غير واضحة في الأصل وقدرناها من عندنا .
(386) غير واضحة هذه الكلمة في الأصل وقدرناها من عندنا .
(387) أكدى : قتر ، أي وما قتر .
(388) تضمين لأية 21 من سورة الملك .
(389) هذه الكلمة غير واضحة في الأصل وقدرناها من عندنا .
(390) في الأصل غير واضحة هذه الكلمة وقدرناها بما ظهر .
(391) هذه الكلمة غير واضحة في الأصل وقدرناها من عندنا .

وَأَنْحَتْ عَلَى مُلْكِ «ٱلْعِرَاقَيْنِ» وَ(انْتَهَتْ)(392)
(بِثُبَّتَ)(393) حَتَّى وَاجَهَتْ خَيْلُهَا «ٱلسَّدَّا»

وَكَمْ قَدْ تَجَشَّمْتَ ٱلْخُطُوبَ كَوَالِحاً ... وَصَابَرْتَ لَيْلَ (ٱلرَّوْعِ)(394) وَهْوَ قَدِ ٱرْبَدَّا
وَآذَنْتَ فِي ٱللَّهِ ٱلْعَشِيرَةُ جُهْدَهَا ... فَجَادَلْتَهَا بِٱلْحَقِّ ٱلْسِنَةً لُدَّا
وَكَمْ قَدْ جَلَوْتَ ٱلْمُعْجِزَاتِ عَلَيْهِمُ ... شُمُوساً أَقَامُوا دُونَهَا ٱللُّبْسَ وَٱلْجُحْدَا
وَمَا يُثْمِرُ ٱلْبُرْهَانُ إِلاَّ لَجَاجَةً ... إِذَا لَقِيَتْ أَنْوَارُهُ أَعْيُناً رُمْدا
فَصَلَّى عَلَيْكَ ٱللَّهُ يَاخَيْرَ رَاحِمٍ ... وَأَشْفَقَ مَنْ يَثْنِي عَلَى رَأْفَةٍ كَبْدَا(395)
وَيَالَيْتَ أَنِّي فِي جِوَارِكَ ثَاوِياً ... أُوَسَّدُ مِنْهُ ٱلْمِسْكَ وَٱلْعَنْبَرَ ٱلْوَرْدَا
وَإِنْ فَسَحَ ٱلرَّحْمَانُ فِي ٱلْعُمْرِ بُرْهَةً ... فَلاَبُدَّ مِنْ حَثِّ ٱلْمَطِيَّةِ لاَبُدَّا
خَلِيلِيَّ مَاذَا يَحْصُرُ ٱلْقَوْلُ إِنْ غَلاَ ... وَمَاذَا عَسَى يُحْصِي ٱلْكَلاَمُ وَإِنْ نَدّا !
وَمَا (ذَا)(396) يعدُّ ٱلْوَصْفُ مِنْ مُعْجِزَاتِهِ ... وَآيَ رَسُولِ ٱللَّهِ تَسْتَغْرِقُ ٱلْعَدَّا
سَمَا فَوْقَ أَطْبَاقِ ٱلسَّمَاءِ مُنَاجِياً ... وَكَلَّمَ تَكْلِيماً بِهَا ٱلأَحَدَ ٱلْفَرْدَا
وَمَا زَاغَ مِنْهُ ٱلطَّرْفُ كَلاَّ، وَلاَ طَغَى(397) ... فَلِلَّهِ مَا أَجْلَى. وَلِلَّهِ مَا أَهْدَى
وَلَمَّا دَعَا بِالجِذْعِ أَقْبَلَ خَاضِعاً ... إِلَيْهِ، وَشَقَّ ٱلْبَدْرَ وَاسْتَنْطَقَ الصَّلْدَا(398)
وَلَمَّا شَكَا لَهُ ٱللُّهَامُ مِنَ (الظَّمَا)(399) ... أَسَالَ لَهُ مِنْ مَاءِ أَنْمُلِهِ وِرْدَا
وَأَثْبَتَ مِنْهُ الرِّيقُ عَيْنَ «قَتَادَةٍ»(400)
فَأَحْكَمَهَا، مِنْ بَعْدِ مَا ذَهَبَتْ، (رَدَّا)(401)(ق128ب)

(392) هذه الكلمة غير واضحة في الأصل وقدرناها من عندنا .
(393) هذه الكلمة غير واضحة في الأصل وقدرناها من عندنا وهي بلدة بالهند .
(394) هذه الكلمة غير واضحة في الأصل وقدرناها من عندنا .
(395) هذا البيت تكرر عدة مرات .
(396) ذا : أضافة منا ليستقيم الوزن .
(397) تضمين لاية 16 من سورة النجم .
(398) هنا يعدد المعجزات ، كانشقاق القمر ، ونبع الماء بين أصابعه ، وكلام الشجر وشهادتها له بالنبوة ، وحنين الجذع ، وتكليمه سائر الجمادات ، وابراء المرضى وذوي العاهات .
انظر : تفصيل ذلك في الباب الرابع ، في المعجزات والكرامات من الشفاء للقاضي عياض (جـ : 1 ص 246 — 325) .
(399) هذه الكلمة غير واضحة في الأصل وقدرناها من عندنا . .
(400) ستأتي ترجمته في ص : 362 .
(401) بياض في الأصل ، وقدرنا الكلمة من عندنا .

مولد المصطفى ـ صلى الله عليه وسلم ـ

وَفِي لَيْلَةِ ٱلْمِيلَادِ أَكْبَرُ آيَةٍ ... تَخِرُّ ٱلْجِبَالُ ٱلرَّاسِيَاتُ لَهَا هَدَّا
أَشَادَتْ بِهَا ٱلْكُهَّانُ قَبلَ طُلُوعِهَا ... وَمِنْ هَوْلِهَا «إِيوَانُ كِسْرَى» قَدِ انْهَدَّا
فَيَا لَيْلَةً، قَدْ عَظَّمَ ٱللَّهُ قَدْرَهَا ... وَأَنْجَزَ لِلنُّورِ ٱلْمُبِينِ بِهَا وَعْدَا
وَصَيَّرَ أَوْثَانَ ٱلضَّلَالَةِ خُضَّعا ... إِلَيْهَا فَلَمْ يَتْرُكْ سَوَاعاً وَلاَ وُدَّا (402)
وَعَاجَلَ بِٱلْإِخْمَادِ نَاراً «لِفَارِسٍ» ... فَلَمْ تَرَ لِلنِّيرَانِ مِنْ بَعْدِهَا وَقْدا
أَعَدَّكَ مِيلاداً لِخَاتَمِ رُسْلِهِ ... وَأَطْلَعَ فِي آفَاقِكَ الشَّرَفَ ٱلْعِدَّا
فَصُولِي عَلَى مَرِّ الزَّمَانِ وَفَاخِرِي ... بِهَذَا ٱلنَّبِيِّ، ٱلْحَالَ، وَٱلْقَبلَ، وَٱلْبُعْدَا
حَقِيقٌ عَلَيْنَا أَنْ نَحُلَّ لَكِ ٱلْحُبَى ... وَنَقْرِيكِ مِنَّا، ٱلْبِرَّ وَالشُّكْرَ، وَٱلْحَمْدَا
وَنَجْعَلُ مِنْكِ ٱلْيَوْمَ عِيداً وَمَشْهَداً ... (نُشِيعُ) (403) مِنَ ٱلذِّكْرِ ٱلْحَكِيمِ بِهِ شَهْدَا
نَخْلَعُ مِنْ أَمْدَاحِ «أَحْمَدَ» حُلَّةً ... عَلَيْكِ وَمِنْ مَنْظُومِ آيَاتِهِ عِقْدَا
وَفِينَا سَلِيلُ ٱلنَّصْرِ يَحْفَظُ مِنْكِ مَا ... أُضِيعَ، وَيَلْقَى فِيكِ بِٱلْبِدْرِ ٱلْوَفْدَا
إِمَامٌ أَفَاضَ ٱللَّهُ فِي ٱلْأَرْضِ عَدْلَهُ ... فَأَوْشَكَ فِيهَا ٱلضِّدُّ أَنْ يَأْلَفَ ٱلضِّدَّا
أَقَامَ عَلَى حُبِّ ٱلنَّبِيِّ وَآلِهِ ... وَأَشْرَبَ تَقْوَى رَبِّهِ ٱلْحَلَّ وَٱلْعَقْدَا
نَمَا سَيِّدُ ٱلْأَنْصَارِ «سَعْدٌ» وَسَدَّدَتْ ... يَدُ ٱللَّهِ فِي أَغْرَاضِهِ ٱلنَّصْرَ وَالسَّعْدَا
وَأَوْرَثَ حَقَّ ٱلنَّصْرِ لاَ عَنْ كَلاَلَةٍ ... وَلِلسِّبْطِ فِي ٱلْمَشْرُوعِ أَنْ يَرِثَ ٱلْجَدَّا
أَبُوسُفُ، يَاحَامِي ٱلْجَزِيرَةِ حَيْثُ لاَ ... نَصِيرٌ، وَمُصْلِي بَأْسِهَا، الضَّمَّرَ ٱلْجُرْدَا
أَفَاضَ عَلَيْهَا ٱللَّهُ مُلْكَكَ دِيمَةً ... وَرَوَّى ثَرَاهَا مِنْكَ مُنْسَكِباً عِهْدَا
فَمُلْكُكَ فِيهَا مَا أَجَلَّ جَلاَلَهُ ... وَسَيْفُكَ مَا أَسْطَى، وَكَفُّكَ مَا أَنْدَى!
صَدَعْتَ بِأَمْرِ ٱللَّهِ فِي جَنَبَاتِهَا ... فَأَلْبَسَكَ ٱلتَّقْوَى، وَقَلَّدَكَ ٱلْعَهْدَا

258

وَمِنَ ٱلْمَقْطُوعَاتِ قَوْلِي فِي هَذَا ٱلْحَرْفِ أَصِفُ لَيْلَةَ أُنْسٍ مِنَ ٱلشِّعْرِ ٱلْمُتَقَدِّمِ ٱلزَّمَانِ : (404)

(402) سواع وود : اسمان لوثنين في الجاهلية .
انظر : سورة الجن : 22 ، 23 .
ـ كتاب الاصنام لابن الكلبي ص : 9 وما بعدها .
(403) في الأصل بياض والتقدير منا .
(404) في الأصل «ق» فقط وهي القصيدة الثامنة في هذا الأصل .

(الطـويـل)

نَعِمْنَا بِوَصْلٍ مِنْ حَبِيبٍ مُسَاعِدٍ ... وَقَدْ أَقْلَقَ ٱلنَّفْسَ ٱنْتِظَارُ ٱلْمَوَاعِدِ
وَبِتْنَا كَمَا شَاءَ ٱلْهَوَى عَقِبَ ٱلنَّوَى ... عَلَى رَغْمِ أَنْفٍ مِنْ عَدُوٍّ وَحَاسِدِ
(وَحَفَّ بِنَا)(405) جُنْحُ ٱلظَّلَامِ كَأَنَّمَا ... أَحَادِيثُ سِرٍّ ضَمَّهَا قَلْبُ جَاحِدِ (ق29أ)
نُجَاذِبُ أَهْدَابَ ٱلْعِتَابِ لَطِيفَةً ... فَنَسْقِي بِعِهْدٍ(406) ٱلدَّمْعِ ذِكْرَى ٱلْمَعَاهِدِ
وَنَمْزُجُ كَأْسَ ٱلرَّاحِ تَتْرَعُ بَيْنَنَا ... شَمُولاً بِمَعْسُولٍ مِنَ ٱلرِّيقِ بَارِدِ
وَنَلْثِمُ مَابَيْنَ ٱلنُّحُورِ إِلَى ٱلطُّلَا ... وَإِنْ هِيَ غَصَّتْ بِٱلْحُلَى وَٱلْقَلَائِدِ
وَتَنْهَلُ مِنْ وِرْدِ ٱللَّمَى غُلَّةَ الظَّمَا ... فَيَالَكَ مِنْ رَيٍّ لِغُلَّةِ وَارِدِ!
وَنَنْعَمُ مِنْ وَصْلِ ٱلْحَبِيبِ بِجَنَّةٍ ... هِيَ ٱلْخُلْدُ لَكِنَّ ٱلْفَتَى غَيْرُ خَالِدِ
وَلَمَّا ٱسْتَمَالَ ٱلنَّوْمُ، وَٱلْكَأْسُ جَفْنَهُ ... وَأَلْقَى لِسُلْطَانِ ٱلْكَرَى بِٱلْمَقَالِدِ
نَضَحْتُ عَلَى نِيرَانِ قَلْبِي بِقُرْبِهِ ... وَوَسَّدْتُهُ مَا بَيْنَ نَحْرِي وَسَاعِدِي
وَكَانَتْ إِلَى ذِكْرِ ٱلْفِرَاقِ ٱلْتِفَاتَةٌ ... قَدَحْتُ بِهَا زَنْدَ ٱلْأَسَى غَيْرَ خَامِدِ
فَأَيْقَظَهُ قَلْبٌ خَفُوقٌ، وَمُقْلَةٌ ... تَجُودُ بِدُرٍّ ذَائِبٍ غَيْرِ جَامِدِ
وَرِيعَ، وَقَدْ شَدَّ ٱلْعِنَاقُ وَثَاقَهُ ... كَمَا رِيعَ ظَبْيٌ فِي حِبَالَةِ صَائِدِ
فَأَقْبَلَ يَشْكُو ضِعْفَ مَا أَنَا أَشْتَكِي ... وَيَسْأَلُ مِنْ أَشْوَاقِهِ كُلَّ شَاهِدِ
وَيُقْسِمُ لِي أَنْ لَا يَخُونَ مَوَاثِقاً ... تَخِذْتُ عَلَيْهِ مُحْكَمَاتِ ٱلْمَعَاقِدِ
وَقَالَ تَهَنَّ ٱلْوَصْلَ مِنِّي فَإِنَّمَا ... يَهُونُ إِلَى ٱلْمَحْبُوبِ خَوْضُ ٱلشَّدَائِدِ
إِلَى أَنْ دَعَا دَاعِي ٱلصَّبَاحِ وَأَقْبَلَتْ ... طَلَائِعُ فَجْرٍ لِلدُّجُنَّةِ ذَائِدِ
فَعَانَقْتُ مِنْهُ ٱلْغُصْنَ فِي كُثُبِ ٱلنَّقَى(407) ... وَقَبَّلْتُ مِنْهُ ٱلْبَدْرَ، بَيْنَ ٱلْفَرَاقِدِ
وَوَدَّعْتُهُ كَرْهاً وَدَاعَ(408) ضَرُورَةٍ ... وَحُكْمُ ٱلنَّوَى يَجْرِي عَلَى غَيْرِ وَاحِدِ
وَقَامَ كَمَا هَبَّ ٱلنَّسِيمُ بِسَحْرَةٍ ... فَمَالَ بِمَمْطُورٍ مِنَ ٱلْبَانِ مَائِدِ
وَوَلَّى فَرَدَّ ٱلطَّرْفَ نَحْوِي مُسَلِّماً ... بِهِ بَيْنَ أَثْرَابٍ حِسَانِ ٱلنَّوَاهِدِ
فَأَمَّا ٱصْطِبَارِي فَهْوَ أَوَّلُ رَاحِلٍ ... وَأَمَّا ٱشْتِيَاقِي فَهْوَ أَوَّلُ قَاعِدِ
فَيَاقَلْبِ صَبْراً، إِنَّ لِلدَّهْرِ رَجْعَةً ... لَعَلَّ لِعَهْدِ ٱلْوَصْلِ عَوْدَةَ عَائِدِ(409)

(405) بياض في الأصل. وقدرنا ذلك مع عندنا.
(406) لعل الصواب بعين.
(407) كثيب الرمل.
(408) في الأصل: وداعي.
(409) إلى هنا ينتهي الأصل «ق» من هذا الحرف.

ملحق

259

قَالَ يُهَنِّئُ ٱبْنَ خَلْدُونٍ : (410)

(الطويل)

هَنِيئاً «أَبَا ٱلْفَضْلِ» ٱلرِّضَا أَوْ «أَبَا زَيْدِ» وَأَمِّنْتَ مِنْ بَغْيٍ تَخَافُ وَمِنْ كَيْدِ
بِطَالِعِ يُمْنٍ صَالَ فِي ٱلسَّعْدِ شَأْوَهُ فَمَا هُوَ مِنْ عَمْرٍو ٱلرِّجَالِ وَلاَ زَيْدِ
وَقَيِّدْ بِشُكْرِ ٱللَّهِ أَنْعُمَهُ ٱلَّتِي أَوَابِدَهَا تَأْبَى سِوَى ٱلشُّكْرِ مِنْ قَيْدِ

260

وَقُلْتُ أُهَنِّئُ قَائِدَ ٱلأَسْطُول «أَبَا ٱلْقَاسِمِ (411) بْنِ بَنْجٍ» بِطُلُوعِ وَلَدٍ : (412)

(الكامل)

إِرْفَعْ قِسِيَّ ٱلْمُنْشَآتِ بِسَعْدِهِ وَٱسْتَنْجِزِ ٱلنَّصْرَ ٱلْعَزِيزَ لِوَعْدِهِ
وَٱنْظُرْ إِلَيْهِ تَلُحْ إِلَيْكَ بِوَجْهِهِ سِمَةُ ٱلشَّجَاعَةِ مِنْ أَبِيهِ، وَجَدِّهِ
لِلَّهِ مِنْ سَيْفٍ لِنَصْرِكَ صَارِمٍ يَنْسَابُ مَاءُ ٱلْحُسْنِ فَوْقَ فِرِنْدِهِ
صَدَرَتْ إِلَيْكَ بَشَارَتِي وَتَفَاؤُلِي بِٱلأَمْرِ قَبْلَ بُرُوزِهِ مِنْ غِمْدِهِ
يَسْتَبْشِرُ ٱلأَسْطُولُ مِنْهُ بِقَائِدٍ كَٱلْبَدْرِ تَحْتَ شِرَاعِهِ أَوْ بَنْدِهِ
وَٱلْبَحْرُ يَفْخَرُ مِنْهُ يَوْمَ وِلاَدَةٍ بِمَلَنْدِهِ ٱبْنِ مَلَنْدِهِ (413)

(410) وردت الأبيات في النفاضة (جـ : 2 ص : 132) والتعريف ص : 209 ، 211 ، الريحانة لوحة 407 .

(411) أبو القاسم بن أبي بكر بن بنج قائد أسطول جبل الفتح أيام أبي عنان ويظهر أنه صار بعد هذا قائدا أعلى ـ فيض العباب ص : 127 النفاضة جـ : 2 ص 132 .

(412) النفاضة : (جـ : 2 ص 193) والريحانة لوحة : 442 .

(413) الملند : القائد البحري انظر (دوزي جـ : 2 ص 615) .

261

وقـــال : [414]

(الطـويـــل)

أمِطْ عَنْكَ مَهْمَا اسْطَعْتَ[415] كلَّ إرَادَةٍ وَإلاَّ فَمَعْنَى[416] ٱلْقَوْمِ عَنْكَ بَعِيدُ
تَكُونَ مُرِيداً، ثُمَّ فِيكَ إرَادَةٌ إذَا لَمْ تُرِدْ شَيْئاً، فَأَنْتَ مُرِيدُ

262

وَقَالَ يُخَاطِبُ ٱلْقَاضِي «أَبَا مُحَمَّدٍ[417] عَبدَ ٱللَّهِ بْنَ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ ٱللَّهِ ٱلْهَرْغِي الزَّقْنْدَرِيَّ» : [418]

(الطـويـــل)

سَأَلْتُكَ، عَبْدَ ٱللَّهِ إيضَاحَ مُشْكِلٍ وَأَنْتَ لِكَشْفِ ٱلْمُعْضِلاَتِ بِمَرْصَدِ
زَقَنْدَرُ قَالُوا عَنْهُ مَعْدِنُ فِضَّةٍ فَمَا بَالُهُ أَبْدَاكَ نُدْرَةَ عَسْجَدِ ؟!

263

وَقُلْتُ : [419]

---

(414) روضة التعريف ص : 233 ، والنفح (جـ : 9 ص 194) .
(415) في الروضة : ما استطعت .
(416) في الروضة : فمعنى .
(417) أبا محمد أورد له ابن الخطيب في النفاضة ، ترجمة ذكر فيها شيوخه الذين تلقى عنهم العلم . ولي قضاء مراكش في منتصف رمضان عام ستين بعد ولايته قضاء أغمات وسبتة ومولده بمراكش في سابع عشر ربيع الأول عام 705هـ . وتوفي سنة 768هـ .
انظر : النفاضة (جـ : 2 ص 62 وما بعدها) .
وفيات ابن قنفذ .
(418) النفاضة (جـ : 2 ص 62) .
(419) روضة التعريف ص 450 .

(الخفيف)

إِنْ أَكُنْ غَيْرَكُمْ نَظَرْتُ بِعَيْنِي بَعْدَكُمْ يَاسَوَادَ ذَاكَ ٱلسَّوَادِ
أَنَا، وَٱللَّهِ، أَجْعَلُ ٱلْجَفْنَ مِنْهَا حَبْساً دَائِماً لِسُكْنَى ٱلسُّهَادِ

264

وَمِنَ النَّزَعَاتِ ٱلْمَشْرِقِيَّةِ فِي ٱلتَّوْرِيَةِ : (420)

(الكامل)

يَاقَائِدِي نَحْوَ ٱلْغَرَامِ بِمُقْلَةٍ نَفَقَتْ حَلَاوَتُهَا بِكُلِّ فُؤَادِ
مَاذَا جَنَيْتَ عَلَيَّ مِنْ مَضَضِ ٱلْهَوَى ٱللَّهُ يُنْصِفُ مِنْكَ يَاقَوَّادِي

265

وَقَالَ فِي مَدْحِ «خَالِدِ(421) بْنِ عِيسَى بْنِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ أَبِي خَالِدٍ البَلَوِيّ» : (422)

٨ ـ (الكامل)

قَالُوا وَقَدْ عَظُمَتْ مَبَرَّةُ «خَالِدٍ» قَارِي ٱلضَّيُوفِ بِطَارِفٍ وَبِتَالِدِ
مَاذَا تَمَتْ بِهِ فَجِئْتُ بِحُجَّةٍ قَطَعَتْ بِكُلِّ مُجَادِلٍ وَمُجَالِدِ
إِنْ يَفْتَرِقْ نَسَبٌ يُؤَلِّفُ بَيْنَنَا أَدَبٌ أَقَمْنَاهُ مُقَامَ ٱلْوَالِدِ

266

وَقَالَ .. عَفَا ٱللَّهُ عَنْهُ ـ : (423)

---

(420) النفح (جـ : 9 ص 175) .

(421) هو خالد بن عيسى بن ابراهيم بن أبي خالد البلوي من أهل قنتورية حج وسجل رحلة ثم قفل إلى الأندلس وكان قاضيا في زمن تدوين الإحاطة .
انظر مركز الإحاطة (جـ 3 ص 508) وريحانة الكتاب لوحة 467 .
ـ النفح (جـ : 3 ص 275 278) .

(422) مشاهدات لسان الدين بن الخطيب ص : 37 والإحاطة (جـ : 1 ص 509) . والإحاطة جـ : 2 ص : 325 .

(423) الازهار (جـ : 1 ص 305) .

(الخفيف)

مَضْجَعِي فِيكَ عَنْ «قَتَادَةَ»[424] يَرْوِي ... وَرَوَى عَنْ «أَبِي ٱلزِّنَادِ»[425] فُؤَادِي
وَكَذَا ٱلنَّوْمُ شَاعِرٌ فِيكَ أَمْسَى ... مِنْ دُمُوعِي يَهِيمُ فِي كُلِّ وَادِي[426]

267

وَقُلْتَ مُعْتَذِراً عَنِ ٱلتَّهْوِيمِ فِي بَعْضِ أَحْيَانِهِ :[427]

(الكامل)

أَهْلاً بِطَيْفِكَ زَائِراً أَوْ عَائِداً ... تَفْدِيكَ نَفْسِي غَائِباً أَوْ شَاهِداً
يَا مَنْ عَلَى طَيْفِ ٱلْخَيَالِ أَحَالَنِي ... أَتَظُنُّ جَفْنِي مِثْلَ جَفْنِكَ رَاقِدا
مَا نِمْتَ لَكِنَّ ٱلْخَيَالَ يُلِمُّ بِي ... فَيُجِلُّهُ طَرْفِي فَيَطْرُقُ سَاجِدَا

268

وَقَالَ :[428]

(الطويل)

نَزَلْنَا عَلَى يَعْقُوبَ نَجْلِ «أَبِي حَدْوٍ» ... فَعَرَّفَنَا ٱلْفَضْلَ ٱلَّذِي مَا لَهُ حَدّ
وَقَابَلَنَا بِٱلْبِشْرِ وَاحْتَفَلَ ٱلْقِرَى ... فَلَمْ يَبْقَ لَحْمٌ لَمْ تَنَلْهُ وَلاَ زُبْدْ
يَحِقُّ عَلَيْنَا أَنْ نَقُومَ بِحَقِّهِ ... وَيَلْقَاهُ مِنَّا ٱلْبِرُّ وَالشُّكْرُ وَٱلْحَمْدْ

269

وَقَالَ :[429]

---

(424) قتادة بن عامة أبو الخطاب ، انظر الاعلام (جـ : 6 ص 27) .
(425) أبو الزناد ، عبد الله بن ذكوان توفي سنة 131هـ .
(426) اقتباس من الاية : «والشعراء يتبعهم الغاوون الم ترى أنهم في كل واد يهيمون» .
(427) روضة التعريف ص 57 والنفح جـ 8 ص 39 ودرة الحجال (جـ : 1 ص 286) .
(428) النفح (جـ : 9 ص 190) والأزهار (جـ : 1 ص 298) والنفاضة (جـ : 2 ص 73) .
(429) الإحاطة لوحة : 455 .

(الطويل)

جَفَاكَ ٱلْحَيَا مِنْ رُقْعَةٍ ظَلْتُ عِنْدَهَا بِلاَ جَلَدٍ ـ مِمَّا لَقِيتُ، وَلاَ جِلْدِ
فَلَوْ سَامَتْهَا ٱلشَّمْسُ أَرْعِدَ قُرْصُهَا وَلَثَّتْ فَلَمْ تَسْتَطِعْ حَرَاكاً مِنَ ٱلْبَرْدِ

270

وَمِنَ ٱلْمَكْتُوبَاتِ فِي ٱلْمَبَانِي ٱلسُّلْطَانِيَّةِ : (430)

(الطويل)

لِيَ ٱللَّهُ مِنْ عُنْوَانِ مُلْكٍ مُجَدَّدٍ تَرُوحُ هِبَاتُ ٱللَّهِ نَحْوِي وَتَغْتَدِي
بَنَانِي أَمِيرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ «مُحَمَّدٌ» سَمِيُّ ٱلنَّبِيِّ ٱلْهَاشِمِيِّ «مُحَمَّدِ»
وَقَلَّدَ جِيدَ ٱلْمُلْكِ مِنِّي قِلاَدَةً(431) وَكَمْ زَانَ حُسْنَ ٱلْجِيدِ حُسْنُ ٱلْمُقَلَّدِ
وَنَوَّهَ فِي رَبْعِ ٱلْخِلاَفَةِ سَعْدُهُ فَلاَزَالَ فِي سَعْدٍ، وَعِزٍّ مُؤَيَّدِ

(430) النفاضة مخ (جـ : 3 ص 181) .
(431) هذا الشطر مضطرب في الأصل .

حرف الذال

271

وَقُلْتُ فِي حَرْفِ ٱلذَّالِ وَقَدْ حَلَلْنَا «بُلُذَوذَ» مِنْ غَرْبِيِّ «ٱلْمَرِيَّةِ» ، وَهُوَ مَوْضِعٌ قَلِيلُ ٱلْمَرَافِقِ وَكَثِيرُ ٱلْخُمُولِ ، وَحشُ السَّاكن والمسكُونِ فِيهِ : [1]

(السريع)

لاَ جَادَكَ ٱلْغَيْثُ إِذَا مَا سَقَى غَيْثُ بِلَادَ ٱللَّهِ يَا «بُلُذَوذْ» [2]
مَا أَنْتَ يَا مَعْنَى ٱلْأَذَى وَٱلْقَذَى فِي مَذْهَبِ ٱلْمَعْمُورِ إِلاَّ شُذُوذْ [3]

(1) في الأصل «م» محو تام وقد استطعنا أن نقرأ ما موجود في «ح» .
(2) بلذوذ : من أعمال غرناطة . انظر اللمحة التدريسية ص : 19 .
(3) ليس في هذا الحرف إلا هذان البيتان .

حرف الراء

272

أَنْشَدْتُ ٱلسُّلْطَانَ أَبَا ٱلْحَجَّاجِ بْنَ نَصْرٍ رَحْمَةُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ فِي عَامِ سِتَّةٍ وَثَلَاثِينَ وَسَبْعِمِئَةٍ : [1] (*)

(الكامل)

نَفَحَتْ فَشَبَّتْ لَافِحَ ٱلتَّذْكَارِ ... وَٱلنَّجْمُ نِضْوُ سُرًى وَفَلُّ[2] سِفَارِ
وَأَتَتْ مُحَمَّلَةَ مُتُونِ أَحَادِثٍ ... فَاهَتْ بِهِنَّ مَبَاسِمُ ٱلْأَزْهَارِ
هَفَّافَةً يَقْضِي لَطِيفُ هُبُوبِهَا ... بِتَذَكُّرِ ٱلْأَوْطَانِ وَٱلْأَوْطَارِ
فَضُلُوعُ مُشْتَاقٍ يُشِبُّ وَقُودَهَا ... ذِكْرُ ٱلْعُهُودِ، وَدَمْعُ عَيْنٍ جَارِي
لِلَّهِ مَا قَدْ هِجْتِ يَا رِيحَ ٱلصَّبَا ... وَقَدَحْتِ بَيْنَ جَوَانِحِي مِنْ نَارِ!
أَمْعَلِّلِي بِمَطَامِعٍ مِنْ دُونِهَا ... قَطْعُ ٱلنُّفُوسِ مَرَاحِلَ ٱلْأَعْمَارِ
أَرْتَاحُ فِيكَ لِلَوْمِ لُوَّامِي كَمَا ... يَرْتَاحُ نَجْدِيٌّ لِشَمِّ عَرَارِ[3] (م 81 ب)
إِمَّا[4] نَطَقْتَ فَذِكْرُ عَهْدِكَ مَنْطِقِي ... وَإِذَا صَمَتُّ. فَأَنْتَ فِي إِضْمَارِ
ٱللَّهَ فِي قَلْبٍ تَقَسَّمَ نَارُهُ[5] ... مَا بَيْنَ مَدْمَعِ دِيمَةٍ وَأُوَارِ

---

(1) في الأصول الثلاثة «م» و«ح» و«ق».

(*) ديباجة «ق» انشدته عام ستة وثلاثين وسبعمئة هذه القصيدة حسبما طلبه أيده الله». وهذه هي القصيدة الأولى في جميع النسخ.

(2) الفل : المنهزم.

(3) العرار : بهار طيب الرائحة الواحدة عرارة.

(4) في «ق» إذا ما نطقت.

(5) في «ق» ثاره.

تَتَعَاوَرُ ٱلْأَفْكَارُ فِيهِ[6] ذُبَالَةً ... فَهِيَ ٱلْفَرَاشُ تَجُولُ حَوْلَ ٱلنَّارِ
تَزْدَادُ أَشْوَاقِي إِذَا يَوْمٌ خَلاَ ... كَتَضَاعُفِ ٱلْأَعْدَادِ بِٱلْأَصْفَارِ[7]
مَنْ لِي بِقَلْبٍ كُلَّمَا نَادَى بِهِ ... دَاعِي ٱلصَّبَابَةِ طَارَ كُلَّ مَطَارِ
«مَطْلُ ٱلْغَنِي ظُلْمٌ»[8] فَفِيمَ ظَلَمْتَنِي ؟ ... وَلَوَيْتَ دَيْنِي عَنْ وُجُودِ يَسَارِ
جَاوَزْتَ قَلْبِي وَاطَّرَحْتَ حُقُوقَهُ[9] ... وَٱللَّهُ قَدْ وَصَّى بِحِفْظِ[10] ٱلْجَارِ
يَاسَائِلَيَّ سَلاَ عَلِيماً بِٱلْهَوَى ... عِنْدَ ٱلْعُرُوضِ حَقَائِقَ ٱلْأَشْطَارِ[11]
إِنِّي امرؤٌ أَعْطَيْتُ دَهْرِيَ مِقْوَدِي ... وَجَرَيْتُ فِي طَلَقٍ[12] مَعَ ٱلْأَعْصَارِ
وَخَلَعْتُ نُسْكِي وَاشْتَمَلْتُ تَوَلُّهِي ... مَا بَيْنَ كَأْسِ فَمٍ وَآسِ عِذَارِ
وَأَلِفْتُ فِي شَرَكِ ٱلْجُفُونِ تَخَبُّطِي ... فَحَذَارِ مِنْ فِتَنٍ[13] ٱلْعُيُونِ حَذَارِ

وَمِنْهَا بَعْدَ كَثِيرٍ :

أَوَ لَسْتُ مَنْ لاَكَ ٱلْكَلاَمَ وَصَاغَهُ ... قَيْدَ ٱلرِّكَابِ، وَطُرْفَةَ ٱلْأَسْمَارِ
فَإِذَا مَدَحْتُ، هِيَ ٱلنُّجُومُ قِلاَدَةً، ... وَإِذَا نَسَبْتُ، فَنَسْمَةُ ٱلْأَسْحَارِ
وَظَلِلْتُ أَطْلُبُ فِي ٱلْكِرَامِ نَشِيدَتِي ... حَتَّى أَنَخْتُ بِعَقْوَةِ[14] ٱلْأَنْصَارِ (م82أ)
فَحَطَطْتُ رَحْلِيَ بَيْنَ نِيرَانِ ٱلْقِرَى ... وَرَمَيْتُ بَيْنَهُمُ عَصَا ٱلتَّسْيَارِ
لِلَّهِ مَثْوَى جَنَّةٍ يَمَّمْتُهُ ... حِزْبُ ٱلرَّسُولِ[15] وَأُسْوَةُ ٱلْمُخْتَارِ
يَا وَافِدَيْ بَرٍّ وَبَحْرٍ لُذْتُمَا ... بِمَرِيعِ مُرْتَبَعٍ، وَعِزِّ جِوَارِ
نَصَرُوا ٱلرَّسُولَ وَقَدْ دَجَا لَيْلُ ٱلْهَوَى ... وَٱلرَّوْعُ دَامِي ٱلنَّابِ وَٱلْأَظْفَارِ

(6) في «ق» منه .
(7) هذا البيت في «ق» يأتي بعد الذي سيأتي بعده ، وهو في السحر والشعر لوحة 63 .
(8) تضمين للحديث «مطل الغني ظلم» .
(9)
(10) إشارة إلى ما في القرآن من توصية برعى الجار كقوله تعالى : «والجار الجنب» .
(11) قبل هذا البيت مباشرة نجد «ومنها» مما يدل على أن هناك أبياتا محذوفة .
(12) في «ق» نثق .
(13) في «ح» فتر .
(14) العقوة : تقدم شرحها في ص : 75 .
(15) في «ق» الالاه .

وَرَعَوا لَهُ بَعْدَ ٱلْوَفَاةِ حُقُوقَهُ ... فَمَرَتْ[16] سُيُوفُ ٱللَّهِ كُلَّ مَمَارِ
قَوْمٌ مِنَ ٱلْعَرَبِ ٱلْيَمَانِينَ ٱلْأُلَى ... نَصَرُوا ٱلْهُدَى وَتَبَوَّأُوا بِالدَّارِ
قَامُوا بِأَمْرِ ٱللَّهِ، وَٱلْإِسْلَامُ مَا ... بَيْنَ ٱلْعَدُوِّ، وَمُزْبِدٍ زَخَّارِ
وَاسْتَرْهَفُوا ٱلْبِيضَ ٱلْعِضَابَ كَأَنَّمَا ... تُمْضَى بِكَفَّيْ خَالِدٍ[17] وَضِرَارِ[18]
أَخَلِيفَةَ الرَّحْمَانِ، وَابْنَ عَمِيدِهِمْ ... وَٱلْمُرْتَجَى لِجَلَائِلِ ٱلْأَخْطَارِ
حَيَّاكَ بِالْإِرْشَادِ، وَٱلْإِسْعَادِ مَنْ ... أَحْيَا بِكَ ٱلْإِسْلَامَ بَعْدَ تَبَارِ[19]
وَحَبَاكَ بِالنَّصْرِ ٱلْعَزِيزِ مُهَيْمِنٌ ... نَعَشَ ٱلْوَرَى بِكَ بَعْدَ طُولِ عِثَارِ
أَرْعَاكَ أَمْرَ عِبَادِهِ فَرَعَيْتَهُمْ ... فِي حَالَيِ ٱلْإِعْلَانِ وَٱلْإِسْرَارِ
وَنَهَجْتَ طُرْقَ ٱلْعَدْلِ مُهْتَدِياً بِمَا ... شَهِدَتْ عَلَيْهِ صَحَائِحُ ٱلْأَخْبَارِ
وَافَيْتَ، وَٱلْإِسْلَامُ صَوْحَ نَبْتُهُ ... فَأَتَيْتَهُ بِالدِّيمَةِ ٱلْمِدْرَارِ
وَصَدَمْتَ بَحْرَ ٱلْخَطْبِ دُونَ ذِمَامِهِ ... مَا بَيْنَ غَرْبٍ مُثْقِفٍ وَغِرَارِ (م82ب)
لِلَّهِ، بِاللَّهِ! سِيرَةَ يُوسُفٍ ... مُحْيِي ٱلْعَفَاةِ، وَقَاتِلِ ٱلْإِقْتَارِ[20]
رُحْمَى بِلَا مَنٍّ، وَأَمْنٌ دُونَمَا ... رَهَبٍ، وَحِفْظُ أَذِمَّةٍ وَذِمَارِ[21]
نُورٌ، كَمَا مَتَعَ ٱلصَّبَاحُ لِنَاظِرٍ ... وَخَلَائِقٌ، كَٱلرَّوْضِ غِبَّ قِطَارِ[22]
إِنْ رَاعَ خَطْبٌ أَوْ عَرَا جَدْبٌ تُرَى ... كَفَّاهُ تَدْرَأُ ذَا، وَذَاكَ تُدَارِي[23]
لَوْ كَانَ فِي «جَفْرِ ٱلْهَبَاءَةِ»[24] مَائِلاً ... لَعَدَا عَلَى ٱلنَّقْدِ ٱلْهَزَبْرُ ٱلضَّارِي

(16) مرت : ضربت .
(17) خالد بن الوليد سيف الله — 21هـ — الاعلام (جـ : 2 ص : 341) .
(18) يقصد ضرار بن الخطاب 13هـ ابن مرداس القرشي الفهري : فارس شاعر صحابي من القادة انظر : الأعلام (جـ : 3 ص 310) .
(19) التبار : الهلاك .
(20) الاقتار : أفقر الرجل ضاق عيشه ، قال تعالى : «وعلى المقتر قدره» .
(21) الذمار : ما ينبغي حياطته والذود عنه ، كالأهل والعرض ، ويقال : هو حامي الذمار .
(22) القطار : (ج) قطر وهو المطر .
(23) ص 40 — 46 اختصت بها «ق» .
(24) وقعة في أيام العرب ، قتل فيها عدد كبير ، وقيل فيها شعر كثير ، انظر الكامل لابن الأثير (جـ : 1 ص (352 ، 353) .

أَوْ كَانَ فِي «قَنَصِ بْنِ مَعْدٍ»[25] ثَاوِيَاً ... دَهَمَ ٱلْعَفَا «رَبِيعَةَ بْنَ نِزَارِ»[26]

وَلَمَا تَلَاسَوْا جُمْلَةً وَرَمَتْ بِهِمْ ... أَيْدِي «ٱلنَّبِيطِ» أَقَاصِيَ «ٱلْأَنْبَارِ»

أَوْ كَانَ فِي «يَوْمِ الصَّرِيمِ»[27]، لَمَا غَدَا ... حَكَمُ «ٱبْنُ زِنْبَاعٍ» رَهِينَ إِسَارِ

أَوْ أُمَّهُ عَمْرُو بْنُ ذُهْلٍ مَا طَفَتْ (؟) ... مُهْجَاتُ صِبْيَتِهِ (عَلَى) «ذِي قَارِ»

وَلَوَ أَنَّ «حِمْيَرَ» أَغْفَلَتْ أَيَّامُهَا ... لَشَكَتْ إِلَيْهِ «عِيَاثَ ذِي ٱلْأَذْعَارِ»[29]

يَاٱبْنَ ٱلْخَلَائِفِ، وَٱلَّذِينَ إِذَا ٱحْتَبَوْا ... أَبْصَرْتَ فِي ٱلنَّادِي هِضَابَ وَقَارِ

حَامِينَ يَوْمَهُمُ ٱلذِّمَارَ، وَنَارُهُمْ ... بِٱللَّيْلِ، تَهْدِي فِي ٱلظَّلَامِ ٱلسَّارِي

خُذْهَا، كَمَا شَاءَ ٱلْخَلُوصُ بَدِيعَةً ... تُزْهَى بِشَارَتِهَا عَلَى «بَشَّارِ»[30]

سَكَنَتْ مَعَانِيهَا سَوَادَ مِدَادِهَا ... إِنَّ ٱلْمُدَامَةَ سِرُّهَا فِي ٱلْقَارِ

مَا ضَرَّنِي أَنْ لَمْ أَجِئْ[31] مُتَقَدِّمَا ... ٱلسَّبْقُ يُعْرَفُ آخِرَ ٱلْمِضْمَارِ[32]

وَلَئِنْ غَدَا رَبْعُ ٱلْبَلَاغَةِ بَلْقَعاً ... فَلَرُبَّ كَنْزٍ فِي أَسَاسِ جِدَارِ

وَعَلَى ٱحْتِفَالِ ٱلْمَدْحِ فِيكَ فَإِنَّمَا ... هِيَ نُقْطَةٌ مِنْ بَحْرِكَ ٱلزَّخَّارِ

273

وَأَنْشَدْتُهُ، وَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِٱلْغَيْثِ بَعْدَ ٱلْأَزْمَةِ وَٱلْجَهْدِ وَهُوَ مِنَ ٱلشِّعْرِ ٱلْقَدِيمِ

(25) قنص بن معد، بطن انتشر ولده بالحجاز، فوقعت بينهم وبين بني أبيهم حرب، ومع آخرين ودخل بعضهم في العرب، وانتسبوا إليهم — معجم قبائل العرب (جـ: 3 ص: 967).

(26) ربيعة بن نزار بن معد، جد جاهلي قديم، الاعلام (جـ: 3 ص: 42).

(27) الصريم: موضع بعينه أو واد باليمن — معجم البلدان (جـ: 3 ص: 405).

(28) ويوم ذي قار، يوم لبني شيبان أول يوم انتصرت فيه العرب على العجم، ومرة بن ذهل بن شيبان كان له عشرة أولاد نسلوا عشر قبائل — معجم قبائل العرب (جـ: 2 ص: 222) الطبري (جـ: 2، ص: 156 — 157).

(29) هو عمرو بن أبرهة ذي المنار بن الحارث، كان ظالما، انظر الاعلام (جـ: 5، ص: 236).

(30) بشار بن برد الشاعر المعروف (95 — 168هـ) عقيلي بالولاء، أبو معاذ، أشعر المولدين على الاطلاق. انظر: الاعلام (جـ: 2 ص: 24).

(31) أزهار الرياض: أن لم أكن.

(32) هذا البيت والذي يليه في النفح (جـ: 9 ص: 179) والأزهار (جـ: 1 ص 307)، وشرح مقصورة حازم للشريف الغرناطي دون ترقيم للصفحات، والإحاطة مخ لوحة: 450.

حَسَبَمَا يَظْهَرُ مِنْ غَرَضِهِ : [33] (*)

(الكامل)

يَارَبَّةَ ٱلْبَيْتِ ٱلْمُمَنَّعِ جَارُهُ ... وَرَبِيَّةَ ٱلشَّرَفِ ٱلْعَلِيِّ مَنَارُهُ
مَا بَالُ قَلْبِكِ لاَ يَرِقُّ لِهَائِمٍ ... أَمَّا لِقَلْبِي لاَ يَقَرُّ قَرَارُهُ (م183أ)
بَاعَدْتِ بَيْنَ جُفُونِ صَبِّكِ وَٱلْكَرَى ... حَتَّى تَسَاوَى لَيْلُهُ وَنَهَارُهُ
وَحَمَيْتِ طَيْرَ ٱلنَّوْمِ وِرْدَ شُؤُونِهِ ... فَالنَّوْمُ لاَ يَرِدُ ٱلْجُفُونَ غِرَارُهُ [34]
إِنْ كُنْتِ تُنْكِرُ مَا بِقَلْبِي مِنْ جَوىً ... يَلْتَاحُ فِي طَيِّ ٱلضُّلُوعِ أُوَارُهُ
فَاسْتَشْهِدِي ٱلدَّمْعَ ٱلسَّفُوحَ بِوَجْنَتِي ... وَاسْتَخْبِرِي ٱلطَّيْفَ ٱلنَّزُوحَ قَرَارُهُ
وَحَذَارِ مِنْ شَرَرِ ٱلْحَشَا أَنْ تَسْأَلِي ... فَإِذَا قَدَحْتِ ٱلزَّنْدَ طَارَ شَرَارُهُ [35]
تَعِسَ ٱلْعَذُولُ أَمَا دَرَى أَنَّ ٱلْهَوَى ... خَفِيَتْ عَلَى أَرْبَابِهِ أَسْرَارُهُ ! [36]
إِنْ كَانَ أَبْطَرَهُ ٱلسُّلُوُّ فَإِنَّمَا ... سُلْوَانُ مِثْلِي فِي هَوَاكِ تَبَارُهُ
مَا لِلسُّلُوِّ وَلِلْمَشُوقِ أَيُنْثَنِي ... مَنْ قَلْبُهُ بِغَرَامِهِ زَخَّارُهُ
يَا كَعْبَةَ ٱلْحُسْنِ ٱلَّذِي قَلْبِي لَهُ ... مَرْمَى ٱلْجِمَارِ، وَأَضْلُعِي أَسْتَارُهُ
مُنِّي بِأَيْسَرِ نَائِلٍ [37] تُحْيِي بِهِ ... قَلْباً تَقَسَّمَ فِي ٱلْهَوَى أَعْشَارُهُ [38]
قَالَتْ : وَقَدْ حَذِرَتْ حِبَالَ مَطَامِعِي ... لاَ يُنْكَرَنَّ عَلَى ٱلْغَزَالِ نِفَارُهُ
لاَ تُخْدَعَنَّ فَإِنَّنِي إِنْسِيَّةٌ ... وَٱلْحُسْنُ يَلْعَبُ بِالنُّهَى غَرَّارُهُ
أَوَ مَا تَرَى المَلِكَ ابْنَ «نَصْرٍ» «يُوسُفاً» ... أَسَداً، وَأَنْصَارُ النَّبِيِّ نِجَارُهُ
مَلِكٌ إِذَا دَهَمَ ٱلرَّدَى تَرَكَ ٱلْعِدَى ... جَزَراً تُجَرْجِرُ بِٱلْفَلاَ أَكْسَارُهُ
نَصَرَ ٱلْجَزِيرَةَ حَيْثُ لاَ مُسْتَصْرِخٌ ... وَٱلْبَأْسُ دَامِيَةُ الشَّبَا أَظْفَارُهُ
وَكَفَتْ شَدِيدَ حُرُوبِهَا وَجُدُوبِهَا ... كَفَّا ٱلْجَلاَلِ يَمِينُهُ وَيَسَارُهُ

---

(33) في الأصول كلها .

(*) ديباجة «ق» «وأنشدته وقد منّ الله عزّ وجلّ بالغيث بعد الازمة والجهد حسبما أمر به» وهي القصيدة الثانية في جميع الأصول .

(34) غرار النوم : قليله .

(35) نلاحظ كثيرا من الالتفات في هذه الأبيات .

(36) هذا البيت واللذان يليانه انفردت بها «ق» .

(37) في «ق» نظره .

(38) قلب أعشار وقدر أعشار مكسرة على عشر قطع .

وَمِنْهَا فِي ذِكْرِ شِدَّةِ ٱلْقَحْطِ :

حَتَّى إِذَا لَفِحَتْ حَرُوبُ ٱلْجَدْبِ عَنْ ... أَزْلٍ، وَغَالَ جَنَابَهَا إِضْرَارُهُ (م83ب)
فَبِكُلِّ أُفْقٍ رَائِدٌ لاَ يَلْتَقِي ... لَفَظَتْهُ عَنْ سَاحَاتِهَا أَغْوَارُهُ
وَالضَّرْعُ أَصْبَحَ مِنْهُ بَعْدَ حُفُولِهِ ... جَفَّتْ غَضَارَتُهُ وَغَاضَ سَحَارُهُ[39]
عَادَتْ بِمُصْفَرِّ ٱلْقَتَادِ لِقَاحُهُ ... وَاسْتَرْفَدَتْ عُشْرَ ٱلْفَلاَةِ عِشَارُهُ
وَالْقُوتُ قُلِّصَ لِلنِّفَادِ ظِلاَلُهُ ... وَٱلأَزْلُ قَدْ شَمَلَ ٱلنُّفُوسَ حِصَارُهُ
وَٱلْمُرْجِفُونَ يُلَبِّدُونَ عَجَاجَةً ... رَجْماً بِغَيْثٍ أُخْفِيَتْ أَقْدَارُهُ
حَتَّى إِذَا قَالُوا تَسَعَّرَ ثَاقِبٌ ... عَمَّ السَّمَاءَ بِلَفْحِهِ اسْتِسْعَارُهُ
أَذْكَى شُعَاعَ الشَّمْسِ نَارُ قِرَانِهِ ... وَهُوَ ٱلَّذِي رُصِدَتْ لَهُ أَدْوَارُهُ
وَاحْتَلَّ بَيْتَ[40] ٱللَّيْثِ فِي آثَارِهِ ... زُحَلٌ، وَلَيْثُ ٱلْغَابِ يُرْهَبُ زَارُهُ
وَٱلْعِلْمُ عِلْمُ ٱللَّهِ جَلَّ جَلاَلُهُ ... وَٱلْعَبْدُ إِدْرَاكُ ٱلْقُصُورِ قَصَارُهُ
وَإِذَا ٱلْفَتَى خَفِيَتْ عَلَيْهِ مَسَالِكٌ ... مِنْهُ فَكَيْفَ لِغَيْرِهِ إِبْصَارُهُ؟

وَمِنْهَا فِي وَصْفِ هُجُومِ ٱلْغَيْثِ بِسُرْعَةٍ :

بَيْنَا ٱلنُّجُومُ تَشُبُّهَا رِيحُ ٱلصَّبَا ... وَٱللَّيْلُ يَنْهَبُ بِالنَّسِيمِ صِوَارُهُ[41]
وَالصُّبْحُ قِطَعٌ فِي فِجَاجِ شُرُوقِهِ ... وَٱلأَرْضُ قُطِّرَ أَحْمِيَتْ أَقْطَارُهُ
إِذْ أَقْبَلَتْ سُحُبُ ٱلْغَمَامِ حَوَافِلاً ... فَحَثَا يُجَلْجِلُ، فِي ٱلثَّرَى، مِدْرَارُهُ
وَأَنَارَ شَيْبَ ٱلْبَرْقِ عَارِضُ عَارِضٍ ... تُحْدَى بِأَصْوَاتِ ٱلرَّعُودِ قِطَارُهُ (م84أ)
فَغَزَتْ عَدُوَّ ٱلْمَحْلِ فِي أَحْجَارِهِ ... حَتَّى إِذَا طُفِيَتْ بِهِنَّ جِمَارُهُ
أَخَذَتْ عَلَيْهِ شِعَابَهُ وَنِقَابَهُ[42] ... جَوْنُ ٱلْغَمَامِ فَعُفِّيَتْ آثَارُهُ
فَاهْتَزَّ نَبْتُ ٱلأَرْضِ بَعْدَ سُكُونِهِ ... نَشّاً[43] وَفُكَّ مِنَ ٱلْغَمَامِ إِسَارُهُ
وَاسْتَأْنَفَ ٱلرَّوْضُ اقْتِبَالَ شَبَابِهِ ... فَأَطَلَّ مِنْ بَعْدِ ٱلْمَشِيبِ عِذَارُهُ

(39) السحار : القربة من الماء .
(40) في «ق» غاب .
(41) الصوار : وعاء المسك أو القليل منه .
(42) النقاب : الطريق في الجبل .
(43) نش الشيء : جفّ وذهب ماؤه ، اشتد الحر فنش الحوض .

وَتَسْرْبَلَ ٱلرَّيْحَانُ حُلَّةَ سُنْدُسٍ رقَمتْ جَنُوبَ جُيُوبِهَا أَزْهَارُهْ
وَتَـتَوَّجَتْ زَهْـراً مَـفَارِقَ دَوْحِهِ وَتَـدَرَّجَتْ فِي حُـجْـرِهِ أَبْـكَارُهْ
لَوْلاَ مَـقَـامُ لِـلضَّـرَاعَـةِ قُـمْتَهُ فَـمَحَا خَطِيَّاتِ ٱلْوَرَى ٱسْتِغْفَارُهْ
مَا كَانَ هَذَا ٱلْخَطْبُ مِمَّا يَنْقَضِي وَلَـلَجَّ فِي آفَـاقِـهَـا إِعْصَـارُهْ
يَـأَيُّـهَـا ٱلْـمَـلِكُ ٱلْـمُـرَجَّى وَٱلَّـذِي شَـهِـدَتْ بِـتَـقْوَى رَبِّهِ أَخْبَارُهْ
كَمْ مَوْقِفٍ لَكَ. وَٱلْقُلُوبُ خَوَافِقٌ يَـهْـفُو بِأَجْرَامِ ٱلْجِبَالِ وَقَارُهْ
فِي جَحْفَلٍ لجبٍ تَلاطَمَ مَوْجُهُ وَطَمَا بِأَثْبَاجِ[44] ٱلظُّبَا زَخَّارُهْ
شَعِفَتْ بِهِ بِيضُ الصَّوَارِمِ فِي الطُّلَا وَوَفَتْ بِأَوْكَارِ ٱلرَّدَى أَوْتَارُهْ[45]
أَطْلَعْتَ مِنْ شُهْبِ ٱلرِّمَاحِ ثَوَاقِباً فِي مَأْزِقٍ أَخْفَى ذُكَاءَ[46] غُبَارُهْ
هَيْهَاتَ يَجْحَدُ فَضْلَ مَجْدِكَ جَاحِدٌ إِنَّ ٱلْعُلاَ عَلَمٌ وَفَخْرُكَ نَارُهْ[47]
وَأَدَرْتَ أَفْلاَكَ ٱلسِّيَاسَةِ فَوْقَهُ
فَافْتَرَّ فِي لَيْلِ ٱلْخُطُوبِ نَهَارُهْ(م84ب)
إِنْ أَصْبَحَتْ أَرْضُ ٱلْخِلاَفَةِ مَعْدِناً فَالنَّاسُ تُرْبَتُهُ وَأَنْتَ نُضَارُهْ
لاَ غَرْوَ أَنْ طَلَعَتْ فَعَالُكَ أَنْجُماً إِنَّ ٱلْهُدَى فَلَكٌ عَلَيْكَ مَدَارُهْ
حَلَّيْتَهُ وَحَمَيْتَ مِنْ أَرْجَائِهِ فَلأَنْتَ حَقّاً سُورُهُ وَسِوَارُهْ
أَبَنِي «عُبَادَةَ» إِنَّ فَخْرَ قَدِيمِكُمْ تُلِيَتْ بِفُرْقَانِ ٱلْهُدَى أَسْطَارُهْ
ٱلنَّصْرُ لَفْظٌ أَنْتُمُ مَدْلُولُهُ وَالدِّينُ[48] رَوْضٌ أَنْتُمُ نَوَّارُهْ
وَٱلْحِلْمُ لَحْظٌ أَنْتُمُ أَجْفَانُهُ وَالعِلْمُ قَلْبٌ أَنْتُمُ أَنْوَارُهْ[49]
نَصْرُ النُّبُوَّةِ فِيكُمْ مُسْتَوْدَعٌ فَهُوَ ٱلنَّسِيمُ وَأَنْتُمُ أَسْحَارُهْ
ٱلْقَوْمُ ظِلُّ ٱللَّهِ بَيْنَ عِبَادِهِ حَاطَ ٱلْيَقِينُ بِهِمْ فَعَزَّ ذِمَارُهْ

(44) الاثباج : (ج) الثبج ، وسط الشيء تجمع وبرز .
(45) في «م» هذا العجز نفس العجز للبيت قبله .
(46) ذكاء : الشمس .
(47) هذا البيت في «ق» يأتي بعد الذي سيأتي . وهو مأخوذ من قول الخنساء :
وان صخرا لتأتم الهداة به كأنه علم في رأسه نار
(48) في «ق» : والعِلْمُ .
(49) لا وجود لهذا البيت في «ق» .

آوَى لِظِلِّهِم[50] ٱلْهُدَى وَلَقَبْلَمَا أَرْدَى ٱلضَّلاَلَ بِعِزِّهِمْ مُخْتَارُهْ
مَنْ كَانَ أَنْصَارُ ٱلنَّبِيِّ جُدُودَهُ فَمَلاَئِكُ ٱلسَّبْعِ ٱلْعُلاَ أَنْصَارُهْ
لِلَّهِ فِي إِنْجَازِ نَصْرِكَ مَوْعِدٌ قَدْ آنَ مِنْ إِصْبَاحِهِ إِسْفَارُهْ
دَجَتِ ٱلْخُطُوبُ فَكُنْتَ نُورَ ظَلاَمِهَا خَفِيَ ٱلرَّشَادُ فَكُنْتَ أَنْتَ مَنَارُهْ
فَجَوَارِحُ ٱلإِسْلاَمِ أَنْتَ حَيَاتُهَا حَقّاً، وَصَدْرُ الدِّينِ أَنْتَ صِدَارُهْ[51]
فَاهْزُزْ ظُبَى ٱلنَّصْرِ ٱلْعَزِيزِ فَإِنَّ مَنْ عَادَاكَ مَطْلُولُ ٱلنَّجِيعِ جُبَارُهْ[52]
قَدْ عَادَ ذُو ٱلإِقْدَامِ مِنْكَ بِسِلْمِهِ ذُعْراً[53] وَأَذْعَنَ رَهْبَةً، جَبَّارُهْ (م135أ)
ذَخَرْتَكَ أَحْكَامُ ٱلإِلاَهِ لِنَصْرِهِ وَنَمَتْكَ مِنْ هَذَا ٱلأَنَامِ خِيَارُهْ
فَارْفَعْ شِعَارَ ٱلْحَقِّ فِي عَلَمِ ٱلْهُدَى حَتَّى يَقِرَّ عَلَى ٱلنُّجُومِ قَرَارُهْ
وَانْعَمْ بِمُقْتَبَلِ ٱلسُّعُودِ فَإِنَّمَا يَجْرِي ٱلْقَضَاءُ بِكُلِّ مَا تَخْتَارُهْ
فِي «مِصْرَ» قَلْبِي مِنْ خَزَائِنِ «يُوسُفٍ» حُبٌّ. وَعِيرُ مَدَائِحِي تَمْتَارُهْ[54]
حَلَّيْتُ شِعْرِي بِاسْمِهِ فَكَأَنَّهُ فِي كُلِّ قُطْرٍ حَلَّهُ دِينَارُهْ

274

وَأَنْشَدْتُهُ فِي عِيدِ ٱلْفِطْرِ عَامَ تِسْعَةٍ وَثَلاَثِينَ وَسَبْعِمِئَةٍ أَهَنَّأُهُ وَأَشْكُرُهُ لِنِعْمَةٍ أَعَادَهَا :[55]

(الطويل)

أَدَارَهُمُ بَيْنَ ٱلأَجَارِعِ فَالسِّدْرِ سَقَتْكَ ٱلْغَوَادِي كُلُّ مُنْسَكِبٍ[56] القَطْرِ
(أَجِبِنِي تَجَافَتْ عَنْ رُبَاكِ يَدُ الرَّدَى وَلاَ نَضِبَتْ أَمْوَاهُ مَوْرِدِكِ ٱلْغَمْرِ[57])

(50) في «ح» بظلهم .
(51) الصدار : ثوب يغطي به الصدر .
(52) الجبار : الهدر وهو ما لا قصاص فيه ولا غرم ، يقال : ذهب دمه جبارا .
(53) في «ق» رعبا .
(54) البيتان في النفح (جـ : 9 ص : 176) والأزهار (جـ : 1 ص 307) .
(55) في الأصول كلها .
(*) ديباجة «ق» أنشدته في عيد الفطر من عام تسعة وثلاثين أهنئه به ولأشكره نعمه أعادها علينا .
(56) في «ق» مسجم .
(57) لا وجود لهذا البيت في «م» .

وَلاَزَالَ ظِلُّ ٱلْبَانِ فِيكِ مُنَعَّماً يَمِيسُ مِنَ ٱلْأَوْرَاقِ فِي حُلَلٍ خُضْرِ
مَتَى ظَعَنَ ٱلْحَيُّ ٱلْجَمِيعُ وَأَصْبَحُوا كَمَا افْتَرَقَ ٱلْحُجَّاجُ فِي لَيْلَةِ النَّفْرِ
وَأَيْنَ(58) اسْتَقَلُّوا هَلْ بِهَضْبِ «تِهَامَةٍ» مُحِلِّينَ أَمْ حَلُّوا عَلَى قُنَّةِ «ٱلْحِجْرِ»
وَإِذْ زَجَرُوهَا مُعْرِقِينَ فَهَلْ سَرَوا
بِشَطِّ «دُجَيْلٍ»(59) أَمْ أَجَازُوا عَلَى «ٱلْجِسْرِ»
أَمِ «الشَّامَ» أَمُّوا أَمْ عَلَى رَمْلِ «عَالِجٍ» حَدَوْا عَابِرِينَ «ٱلنِّيلَ» قَصْداً إِلَى «مِصْرِ»
فَقَالَتْ سَرَوا، وَٱللَّيْلُ مُرْخٍ سُدُولَهُ وَجُنْحُ ٱلدَّيَاجِي فِي اقْتِبَالٍ مِنَ ٱلْعُمْرِ
وَشَدُّوا عُقُودَ ٱلْعَزْمِ فَوْقَ رِحَالِهِمْ فَمَا رَاعَنِي إِلاَّ رَكَائِبُهُمْ تَسْرِي (م85ب)
فَهَذَا حَدِيثِي قَدْ بَثَثْتُ شُجُونَهُ إِلَيْكَ، وَمَا قَدْ كَانَ بَعْدُ، فَلاَ أَدْرِي !
وَلَوْلاَ نَسِيمٌ دَلَّ طِيبُ حَدِيثِهِ عَلَيَّ وَآرَاجٌ تَضَوَّعَ لِلسَّفْرِ
لَمَّا عَرَفُوا مِنِّي ٱلْمَكَانَ وَلاَ بَدَتْ مُثُولُ طُلُولٍ فَوْقَ كُثْبَانِيَ ٱلْعُفْرِ
يَمِيناً بِرَبِّ الرَّاقِصَاتِ إِلَى «مِنىً» وَحُرْمَةِ مَا بَيْنَ «ٱلْمَقَامِ» إِلَى «ٱلْحِجْرِ»
لَوَ انَّنِي أَعْطَيْتُ ٱلصَّبَابَةَ مِقْوَدِي وَأَمْكَنْتُ مُغْتَالَ(60) ٱلتَّشَوُّقِ مِنْ صَدْرِي
لَمَا سُغْتُ مِنْ وِرْدِ ٱلْحَيَاةِ صُبَابَةً وَلَوْ سُغْتَهَا مِنْ بَعْدِ ذَاكَ فَمَا عُذْرِي
وَلَكِنْ أَبَتْ إِلاَّ التَّصَبُّرَ هِمَّةٌ(61) لَهَا قَصَبَاتُ السَّبْقِ فِي مَعْرَكِ الدَّهْرِ
تَعَوَّضْتُ أُنْسَ الصَّبْرِ مِنْ وَحْشَةِ ٱلنَّوَى وَفَوَّضْتُ لِلَّهِ ٱلتَّصَرُّفَ فِي أَمْرِي
أَفَقْراً، وَقَدْ أَوْرَدْتُ فِي مَوْرِدِ ٱلْغِنَى وَخَوْفاً، وَقَدْ أَصْبَحْتُ جَارَ «بَنِي نَصْرٍ»؟
حَطَطْتُ بِآلِ ٱللَّهِ عُوجَ رَكَائِبِي فَلُقِّيتُ بِالتَّرْحِيبِ، وَالسَّهْلِ وَالبِرِّ
ولذْتُ بِهِمْ مِنْ صَوْلَةِ ٱلدَّهْرِ عَائِدا كَمَا جَنَحَ ٱلطَّيْرُ ٱلْمَرُوعُ إِلَى وَكْرِ
فَمَدَّ جَنَاحَ ٱلْأَمْنِ فَوْقَ مَخَافَتِي وَقَدْ فَرَّ عَنْهَا الذُّعْرُ مِنْ شِدَّةِ الذُّعْرِ(62)
وَأَصْبَحْتُ لاَ أَخْشَى الزَّمَانَ وَدُونَهُ كَتَائِبُ مِنْ قَوْمٍ كِرَامٍ وَمِنْ وَفْرِ

---

(58) في «ح» وان .
(59) اسم نهر في موضعين أحدهما مخرجه من أعلى بغداد بين تكريت وبيتها مقابل القادسية دون سامرا ، فسقي كورة واسعة وبلاد كثيرة .
انظر : ياقوت (المجلد 5 ص 443) .
(60) في «ح» مغتلّ .
(61) في «ق» شيمة .
(62) في «م» اضطراب في هذا البيت .

مُقِيماً أَرَى[63] ٱلْأَحْدَاثَ مِنْ حَيْثُ لاَ تَرَى
فَمَنْ مُبْلِغٌ عَنْ مَنْزِلِي رَبَّةَ ٱلْخِدْرِ
بِأَقْدَمِ مَنْ يَمْضِي إِذَا ٱلْخَيْلُ أَحْجَمَتْ
وَأَحْلَمِ مَنْ يُعْصِي، وَأَكْرَمِ مَنْ يَقْرِي(م86أ)
إِذَا نَزَلَ ٱلْمَكْرُوهُ أَوْ بَخِلَ ٱلْحَيَا فَغَيْثٌ لِمُعْتَرٍّ، وَغَوْثٌ لِمُضْطَرّ
فَدُونَكِ يَا آلَ الوَجِيهِ فَلاَعِبِي ظِلاَلَكِ، وَالدِّيبَاجُ مِنْ مِدَحِ ٱلشِّعْرِ[64]
وَيَا بِدَرَ ٱلْمَالِ ٱلصَّمُوتِ تَبَرَّجِي وَشَأْنُكِ[65] فَابْيَضِّي إِذَا شِئْتِ وَاصْفَرِّي
وَيَا حِلَلَ ٱلْهَضْبِ ٱلْيَمَانِيَّ فَاخِرِي نُجُومَ ٱلدُّجَى أَوْ حَاسِنِي زَمَنَ ٱلزَّهْرِ
وَيَا طَاعِناً نَحْرَ ٱلدُّجُنَّةِ يَبْتَغِي
طُلُوعَ[66] سَنَى ٱلْخَيْمَاتِ فِي مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ
أَلاَ حَدِّثْنَ عَنِّي ٱلْأَحِبَّةَ أَنَّنِي حَطَطْتُ بِحَيٍّ لاَ يَلِينُ عَلَى قَسْرِ
وَأَنِّي مُذْ يَمَّمْتُ حَضْرَةَ «يُوسُفٍ» ثَقِلَّ مَقَادِيرُ ٱلْخَلاَئِقِ عَنْ قَدْرِي
بِحَيْثُ أَتَيتُ[67] ٱلْأَرْضَ مِسْكاً تُرَابُهَا وَأَوطِيتُ مِنْ حَصْبَائِهَا أَنْفَسَ الدُّرِّ
سُقِيتُ بِهَا ظَمْآنَ مِنْ مَوْرِدِ ٱلْحَيَا وَأُنْشِقْتُ فِي آفَاقِهَا عَنْبَرَ «ٱلشِّحْرِ»[68]
وَحَيَّيْتُ شَمْسَ ٱلْمُلْكِ فِي مَطْلَعِ ٱلْهُدَى وَقَبَّلْتُ كَفَّ ٱللَّيْثِ فِي لُجَّةِ ٱلْبَحْرِ
وَوَقَّفْتُ آمَالِي عَلَى مَلِكِ ٱلْوَرَى فَأَعْدَيْتُ أَرْبَاحَ ٱلرَّجَاءِ عَلَى خُسْرِ
وَنَادَيْتُ بِٱلْآمَالِ مِنْ هَضْبَةِ ٱلْعُلاَ هَلُمُّوا إِلَى وِرْدِ ٱلسَّمَاحَةِ وَٱلْبِشْرِ
أَمِيرَ ٱلطِّوَالِ ٱلسُّمْرِ، وَٱلْقُضُبِ ٱلْبُتْرِ، وَحَافِظَ دِينَ ٱللَّهِ، فِي نَازِحِ ٱلثَّغْرِ
خَبَتْ نَارُ حَرْبٍ لَمْ تَهِجْهَا وَأَقْفَرَتْ
مَنَازِلُ قَوْمٍ لَمْ تَبِتْ مِنْكَ فِي خَفْرِ(م86ب)
وَفُلَّتْ جُمُوعٌ نَاصَبَتْكَ فَإِنَّهَا تُقَارِعُ سَيْفاً فِي يَدِ ٱلصَّمَدِ ٱلْوِتْرِ
تَرَكْتَ أَبِيَّاتِ ٱلْمَفَارِقِ مِنْهُمُ تُرَاباً، وَأَنْهَارُ ٱلسُّيُوفِ بِهَا[69] تَجْرِي
فَلِلَّهِ مَا أَعْزَزْتَ مِنْ مِلَّةِ ٱلْهُدَى وَلِلَّهِ مَا أَذْلَلْتَ مِنْ مِلَّةِ ٱلْكُفْرِ!

(63) في «ح» مقيم تري.
(64) هذه الكلمة غير واضحة في جميع المصادر وقدرناها من عندنا.
(65) في «ق» ودونك.
(66) في «ق» صباح.
(67) في «ح» أتته.
(68) الشحر: مسيل الماء، وبطن الوادي. ويطلق على الساحل الذي ما بين عمان وعدن.
(69) في «ح» على الهجر.

وَلِلَّهِ عِيدٌ فَائِحَتْكَ سُعُودُهُ تُحَيِّيكَ بِالْفَتْحِ الْقَرِيبِ وَبِالنَّصْرِ!
وَلِلَّهِ مِنْ صَوْمٍ قَضَيْتَ حُقُوقَهُ وَزَوَّدْتَهُ الْمَتْلُوَّ مِنْ مُحْكَمِ الذِّكْرِ!
وَصَلْتَ بِهِ لَيْلَ التَّمَامِ بِيَوْمِهِ وَنَاجَيْتَ مِنْهُ «الرُّوحَ» فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ(70)
إِلَى أَنْ تَقَضَّى عَنْكَ، لاَ عَنْ مَلاَلَةٍ فَبُورِكَ مِنْ صَوْمٍ زَكِيٍّ وَمِنْ فِطْرِ
أَمَوْلاَيَ، لَوْ كَانَ النَّهَارُ صَحِيفَتِي وَكَانَ ظَلاَمُ اللَّيْلِ مِنْ دُونِهَا حِبْرِي
وَكَانَتْ حَدِيدَاتُ الْجَوَارِحِ أَلْسُنا تَقَصَّرْتُ فِي حَمْدِي عُلاَكَ وَفِي شُكْرِي
أَعَدْتَ لَنَا مِنْ عَهْدِ أَسْلاَفِكَ الرِّضَا عُهُوداً، فَيَا طِيبَ الْوِصَالِ عَلَى الْهَجْرِ
وَجَدَّدْتَ فِينَا نِعْمَةً طَالَ عَهْدُنَا بِهَا فَاجْتَلَيْنَا غُرَّةَ الزَّمَنِ النَّضْرِ
خَلِيلَيَّ إِنَّ الشِّعْرَ سِحْرٌ، وَإِنَّنِي إِذَا شِئْتُمَا تَحْقِيقَهُ، «بَابِلُ» السِّحْرِ
وَمَا الدُّرُّ إِلاَّ مَا أَرَانِيَ قَائِلاً فَسَاحِلُهُ نَظْمِي وَلُجَّتُهُ فِكْرِي
جَعَلْتُ امْتِدَاحِي فِيكَ أَشْرَفَ حِلْيَةٍ أُبَاهِي بِهَا الأَقْوَامَ فِي مَحْفِلِ الْفَخْرِ
وَأَعْدَدْتُ حُبِّي فِي عُلاَكَ وَسِيلَةً
أَلاَقِي بِهَا الرَّحْمَانَ فِي مَوْقِفِ الْحَشْرِ (م87أ)

(71) ....

....

275

وَقُلْتُ أَيْضاً وَقَدْ رَجَعْتُ مِنْ رِحْلَةٍ بَاشَرْتُ بِهَا ثُغُورَ الأَنْدَلُسِ: (72)

(الطويل)

رَجَعْنَا بِحَوْلِ اللَّهِ بَعْدَ اسْتِدَارَةٍ وَكِلْنَا بِهَا لِلأُنْسِ كَيْلَ اخْتِيَارِهِ
كَمَا رَاجَعَ الْبِرْكَارُ(73) مَفْرُوضَ نُقْطَةٍ مِنَ السَّطْحِ مِنْهَا كَانَ بَدْءُ مَدَارِهِ

(70) اشارة إلى ما ورد في سورة القدر.
(71) بياض في الأصل بمقدار الديباجة وبيتين.
(72) في الأصل «م» والاحاطة لوحة: 456.
(73) البركار: آلة ذات ساقين ترسم بها الدوائر وتعرف بالبيكار.

276

وَقُلْتُ فِي الضَّبَابِ وَفِيهِ اَلتَّخَيُّلُ اَلْمُخْتَرَعُ : [74]

..... [75] (م 87 ب)

.....

.....

.....

277

وَقُلْتُ : [76]

..... [77]

.....

278

وَقُلْتُ أَيْضاً : [78]

(السريع)

أَغْرَى بِيَ اَلشَّامِتُ أَلْحَاظَهُ وَمَا دَرَى أَنِّي مَهْجُورُ
فَإِنْ شَكَتْ أَسْيَافُهَا مِنْ دَمِي يَقُولُ لِلْأَلْحَاظِ مَهْ [79] جُورُوا

279

وَقُلْتُ أَيْضاً فِيمَنْ يَخْضِبُ لِحْيَتَهُ بَعْدَ أَنْ كَانَ يُلْغِيهَا : [80]

(74) في الأصل «م» .
(75) بياض بمقدار أربعة أبيات .
(76) في الأصل «م» .
(77) بياض بمقدار بيتين .
(78) في الأصل «م» .
(79) اسم فعل أمر بمعنى انكفف .
(80) في «م» والإحاطة لوحة : 456 .

جِيرَةَ ٱلْحَيِّ، وٱلْحَدِيثُ شُجُونُ
وَٱللَّيَالِي تَلِينُ بَعْدَ ٱلْجِمَاحِ

أَتَرَوْنَ ٱلسُّلُوَّ خَامَرَ قَلْبِي
بَعْدَكُمْ؟ لا، وَفَالِقِ ٱلإِصْبَاحِ

وَلَو انِّي أُعْطِي ٱقْتِرَاحِي عَلَى ٱلأَيَّا
مِ، مَا كَانَ بُعْدُكُمْ بِاقْتِرَاحِي

ضَايَقَتْنِي فِيكُمْ صُرُوفُ ٱللَّيَالِي
وَاسْتَدَارَتْ عَلَيَّ دَوْرَ ٱلْوِشَاحِ

وَسَقَتْنِي كَأْسَ ٱلْفِرَاقِ دِهَاقا
فِي اغْتِبَاقٍ مُوَاصَلٍ بِاصْطِبَاحِ

وَاسْتَبَاحَتْ مِنْ جِدَّتِي وَفَتَائِي
حُرُماً لَمْ أُخَلْهُ بِالْمُسْتَبَاحِ[127]

قَصَفَتْ صَعْدَةَ[128] ٱنْتِصَارِي وَفَلَّتْ
غَرْبَ عَزْمِي ٱلْمُعَدَّ يَوْمَ كِفَاحِي

لَمْ تَدَعْ لِي مِنَ ٱلسِّلَاحِ سِوَى مِغْـ
ـفَرِ شَيْبٍ أَهُونْ بِهِ مِنْ سِلَاحِ

عَاجَلَتْنِي بِهِ، وَفِي ٱلْوَقْتِ فَضْلٌ
لِاهْتِزَازِي إِلَى ٱلْهَوَى وَارْتِيَاحِي

فَكَأَنَّ ٱلشَّبَابَ طَيْفُ خَيَالٍ
أَوْ وَمِيضٌ خَبَا عُقَيْبَ ٱلْتِمَاحِ

لَيْلُ أُنْسٍ دَجَا، وَأَقْصِرْ بِلَيْلٍ
جَاذَبَتْ، بُرْدَهُ، يَمِينُ صَبَاحِ!

(127) الأبيات الستة التي تأتي بعد هذا البيت ليست في الازهار ولا في النفح ، ولكنها في المصادر الأخرى التي ذكرناها .

(128) الصعدة : القناة تنبت مستوية فلا تحتاج إلى تثقيف .

صَـاحِ، وَٱلْوَجْـدُ مَشْرَبٌ، وَٱلْوَرَى
صِلْفَالِ: مِنْ مُنْتَطٍ، وَآخَرُ صَاحِي (129)
يَـا تُرَى، وَالنُّفُوسُ أَسْرَى ٱلْأَمَانِي
مَا لَهَا عَنْ وَثَاقِهَا مِنْ بَرَاحِ (130) !
هَـلْ يُبَـاحُ ٱلْوُرُودُ بَـعْـدَ ذُيَـادٍ
أَوْ يُـتَـاحُ ٱللِّقَاءُ بَعْدَ ٱنْتِزَاحِ ؟
وَإِذَا أَعْوَزَ، ٱلْـجُسُومَ، ٱلـتَّلَاقِي
نَابَ عَنْهُ تَعَارُفُ ٱلْأَرْوَاحِ (131)(ف120ب)
جَادَ، عَهْدَ ٱلْهَوَى، مِنَ السُّحْبِ هَامٍ
مُسْتَـهِلُّ ٱلْوَمِيضِ ضَـافِي ٱلْـجَنَاحِ
كُـلَّـمَـا أَخْضَـلَ الـرُّبُوعَ بُـكَـاءٌ
ضَـحِـكَتْ فَوْقَـهَا ثُغُورُ الأَقَاحِي
عَادَنِي مِنْ تَذَكُّرِ ٱلْعَهْدِ عِيدٌ
كَانَ مِنِّي لِلْعَيْنِ عِيدَ ٱلْأَضَاحِي
سُـفِـحَتْ فِـيـهِ، لِلدُّمُوعِ، دِمَاءٌ
فَهْيَ، فَوْقَ ٱلْخُدُودِ، ذَاتُ انْسِيَاحِ (132)
وَرِكَـابٍ سَـرَوْا وَقَـدْ شَـمَلَ ٱللَّـ
ـيْلُ، بِمِسْحِ الدُّجَى، جَمِيعَ ٱلنَّوَاحِي
وَكَـأَنَّ ٱلـظَّلَامَ عَسْـكَـرُ «زَنْجٍ»
وَنُـجُومَ ٱلـدُّجَى نُصُولُ ٱلـرِّمَـاحِ
حَـمَـلَتْ مِـنْـهُـمُ ظُـهُورَ ٱلْـمَطَايَا
أَيَّ جِـدٍّ بَـحْتٍ، وَعَـزْمٍ صُـرَاحِ

(129) بعد هذا البيت الأبيات الثلاثة الآتية في النفح والازهار.
(130) في النفاضة : سراح ، وكذا في النفح
(131) إلى هنا ينتهي ما في النفح والازهار.
(132) النفاضة : انسفاح

سَتَرُوا ٱلْوَجْدَ، وَهْوَ نَارٌ، وَكَانَ السَّـ
ـتْرُ[133] يُجْدِي، لَوْلَا هُبُوبُ الرِّيَاحِ
خَلَّفُونِي مِنْ بَعْدِهِمْ نَاكِسَ الطَّرْ
فِ، ثَقِيلَ ٱلْخُطَى، مَهِيضاً جَنَاحِي
وَحَدَوْهَا مِثْلَ ٱلْقِسِيِّ ضُمُوراً
قَدْ بَرَتْ مِنْهُمُ سِهَامَ قِدَاحِ
وَطَوَوْا طَوْعَ لَاعِجِ الشَّوْقِ وَالْوَجْـ
ـدِ إِلَى الْأَبْطَحِيِّ، غُبْرَ ٱلْبِطَاحِ

مُصْطَفَى ٱلْكَوْنِ[134] مِن ظُهُورِ النَّبِيِّينَ هُدَاةِ الأَنَامِ، سُبْلِ ٱلْفَلَاحِ
حُجَّةُ ٱللَّهِ، حِكْمَةُ ٱللَّهِ، نُورُ ٱللَّهِ، فِي كُلِّ غَايَةٍ وَٱفْتِتَاحِ
حَاشِرُ ٱلْخَلْقِ، عَاقِبُ الرُّسْلِ، وَالْمُثْبِتُ بِٱللَّهِ بَعْدَهُمْ، وَٱلْمَاحِي
صَاحِبُ ٱلْمُعْجِزَاتِ لَا يَتَمَادَى ٱلْعَقْلُ فِي آيِهَا الْحِسَانِ[135] الصِّحَاحِ (ف121أ)
مِنْ جَمَادٍ يُقِرُّ أَوْ قَمَرٍ يَنْشَقُّ، وَالْمَاءُ مِنْ بَنَانِ ٱلرَّاحِ[136]
دَعْوَةُ ٱلْأَنْبِيَاءِ، مُنْتَظَرُ ٱلْكُهَّانِ دَعْوَى ٱلْبَشِيرِ بِٱسْتِفْتَاحِ
مَظْهَرُ ٱلْوَحْيِ، مَطْلَعُ ٱلْحَقِّ، مَعْنَى ٱلْخَلْقِ، فَتْحُ ٱلْمُهَيْمِنِ ٱلْفَتَّاحِ
أَيُّ غَيْثٍ، مِنْ رَحْمَةِ ٱللَّهِ، هَامٍ
وَسِرَاجٍ، بِهَدْيِهِ، وَضَّاحِ
مَا ٱلَّذِي يَشْرَحُ ٱمْرُؤٌ فِي رَسُولٍ
عَاجَلَ ٱللَّهُ صَدْرَهُ بِٱنْشِرَاحِ

---

(133) النفاضة : الوجد

(134) النفاضة : الله

(135) الحسان ساقطة من النفاضة .

(136) انظر في هذه المعجزات : الفصل العاشر فيما أظهره الله تعالى في كتابه العزيز في الشفاء لعياض ص 51 ــ 54 ــ فصل في ذكر تفضيله ﷺ في القيامة بخصوص الكرامة ــ الشفاء ص : 206 ــ 210 وانظر الصفحات الاتية من الكتاب المذكور : 285 ــ 287 ، 298 ــ 303 ، 321 ــ 325 .

شَقَّهُ ٱلرُّوحُ، ثُمَّ طَهَّرَ مِنْهُ ٱلْقَلْبَ مِنْ بَعْدُ، بِٱلْبَرُودِ ٱلْقَرَاحِ
مَدَحَتْكَ ٱلآيَاتُ، يَا خَاتِمَ ٱلرُّسْلِ فَمَنْ لِي مِنْ بَعْدِهَا بِامْتِدَاحِ
وَلِعَجْزِ ٱلنُّفُوسِ عَنْ دَرَكِ ٱلْحَقِ
قِ، وَايقَافِهَا وُقُوفَ ٱفْتِضَاحِ
مَثَّلَ ٱللَّهُ نُورَهُ فِي ٱلْمَثَانِي
بِمِثَالِ ٱلْمِشْكَاةِ، وَٱلْمِصْبَاحِ[137]
فَأَزِلْ خَجْلَتِي، بِإِغْضَائِكَ ٱلْمَأْ
مُولِ، وَاسْتُرْ بِهِ عُوَارَ ٱفْتِضَاحِ
صَلَوَاتُ ٱلإِلَاهِ، يَا نُكْتَةَ ٱلْكَوْ
نِ عَلَى مَجْدِكَ ٱلْبَابِ ٱلصُّرَاحِ
عَدَدَ ٱلْقَطْرِ، وَالرِّمَالِ، وَمَا عَا
قَبَ نَهْرٌ غُدُوَّهُ بِرَوَاحِ
وَجَزَاكَ ٱلإِلَاهُ أَفْضَلَ مَا يُجْزِي كِرَامَ[138] ٱلأَئِمَّةِ ٱلنُّصَّاحِ
أَسَفِي كَمْ أَرَى طَرِيدَ ذُنُوبٍ
أَوْ بَقَتْنِي فَلَيْسَ لِي مِنْ سَرَاحِ[139]
قَدْ غَزَتْنِي ٱلْخُطُوبُ غَزْوَ ٱلأَعَادِي
وَبَرَتْنِي ٱلْهُمُومُ بَرْيَ قِدَاحِ (ف 122 ب)
سَبَقَ ٱلْحُكْمُ وَاسْتَقَلَّ وَهَلْ يُمْحَى[140] قَضَاءٌ قَدْ خُطَّ فِي ٱلأَلْوَاحِ ؟!
لَا لِدُنْيَا جَنَحْتُ آلغُ فِيهَا
لَا لِدِينٍ خَلَصْتُ، لَا لِصَلَاحِ
قَاطِعاً فِي ٱلْغُرُورِ بُرْهَةَ عُمْرِي
خَسِرَتْ صَفْقَتِي، وَخَابَتْ قِدَاحِي

(137) إشارة إلى الآية 35 من سورة النور.
(138) النفاضة : هداة
(139) النفاضة : براح
(140) النفاضة : يغي

طَمِعَ الشَّيْبُ بِاللِّجَامِ ٱلْمُحَلَّى
حِينَ أَجْرَيْتُ، أَنْ يَرُدَّ جِمَاحِي
فَأَبَتْ نَفْسِيَ ٱللَّجُوجُ وَجَدَّتْ
فِي سُمُوٍّ إِلَى ٱلْهَوَى وَطِمَاحِ
يَا طَبِيبَ ٱلذُّنُوبِ، تَدْبِيرُكَ النَّا
جِعُ، فِي عِلَّتِي، ضَمِينُ ٱلنَّجَاحِ
يَا مُجَلِّي ٱلْعَمَى، وَكَافِي الدَّوَاهِي
وَمُدَاوِي ٱلْمَرْضَى، وَآسِي ٱلْجِرَاحِ
سُدَّ بَابُ ٱلْقَبُولِ دُونِي، وَمَا لِي
يَا غِيَاثِي، سِوَاكَ، مِنْ مِفْتَاحِ
خَصَّكَ ٱللَّهُ بِٱلْكَمَالِ، وَزَنْدُ ٱلْكَوْنِ لَمْ تَقْتَرِنْ[141] بِكَفٍّ ٱقْتِدَاحِ
قَبْلَ أَنْ يُوجِدَ ٱلْوُجُودَ وَأَنْ يُتْحِفَ بِالنُّورِ، ظُلْمَةَ ٱلْأَشْبَاحِ
وَأَضَاءَتْ مِنْ نُورِ مِيلَادِكَ ٱلْأَرْ
ضُ وَهُزَّتْ لَهُ اهْتِزَازَ ارْتِيَاحِ
فَسَرَى ٱلْخِصْبُ فِي ٱلْجُسُومِ ٱلْهُزَالَى
وَجَرَى الرِّسْلُ[142] فِي الضُّرُوعِ الشِّحَاحِ
وَلَقَدْ رُوعِيَتْ لَدَيْهِ حُقُوقٌ
أَقْطَعَتْهَا ٱلْعِدَى جَنَابَ ٱطِّرَاحِ
بِمَعَالِي «مُحَمَّدِ ابْنِ أَبِي ٱلْحَجَّاجِ»، لَيْثِ ٱلْعِدَى، وَغَيْثِ السَّمَاحِ
نَاصِرِ ٱلْحَقِّ، مُرْسِلِ النَّقْعِ سُحْباً
بَيْنَ سُمْرِ ٱلْقَنَا، وَبِيضِ ٱلصِّفَاحِ (ف 123 أ)
وَمُزِيرِ ٱلْجِيَادِ أَرْضَ ٱلْأَعَادِي
وَهْيَ مُخْتَالَةٌ لِفَرْطِ ٱلْمِرَاحِ
يَتَلَاعَبْنَ بِالظِّلَالِ عِرَاباً
غُذِّيَتْ فِي ٱلْفَلَا لِبَانَ ٱللِّقَاحِ

(141) النفاضة : يقترن
(142) الرسل : اللبن .

يَا سِرَاجَ ٱلنَّادِي، وَحَتْفَ ٱلأَعَادِي
وَعِمَادَ ٱلْمُلْكِ ٱلْكَرِيمِ ٱلْمَنَاحِي
جَمَعَ ٱللَّهُ مِنْ حُلَى «آلِ عَبَّا
سٍ» لِعُلْيَاكَ فِي سَبِيلِ ٱمْتِدَاحِ
بَيْنَ رَأْيٍ مُوَفَّقٍ وَاعْتِزَامٍ
«مُسْتَنِيرٍ»، وَصَارِمٍ «سَفَّاحِ»
وَخَفَضْتَ ٱلْجَنَاحَ فِي ٱلأَرْضِ حَتَّى
لَمْ تَدَعْ فَوْقَ ظَهْرِهَا مِنْ جُنَاحِ
أَنْتَ مِصْبَاحُهَا، وَنُورُ دُجَاهَا
دَافَعَ ٱللَّهُ عَنْكَ مِنْ مِصْبَاحِ
مَحَّصَ ٱللَّهُ فِيكَ يَاقُوتَةَ ٱلْمُلْكِ، وَيَنْبُوعَ ٱلْعَدْلِ، وَالإِصْلَاحِ
بِخُطُوبٍ أَرَتْ حَدِيثَ «سُلَيْمَا
نَ» وجَاءتْ بِٱلْحَادِثِ ٱلْمُجْتَاحِ
بِيَدَيْ هَلْهَلٍ ٱلْحِجَى، فَاقِدِ ٱلدِّينِ، أَخِي جُرْأَةٍ، وَرَبِّ ٱجْتِرَاحِ[143]
نَالَ مِنْهَا عُقْبَى «مُسَيْلِمَةَ ٱلْكَذَّا
بِ»، إِذْ عَانَدَ ٱلْهُدَى، «وَسَجَاحِ»[144]
ثُمَّ رَدَّ ٱلأُمُورَ رَدّاً جَمِيلاً
لَكَ مِنْ بَعْدِ فُرْقَةٍ، وَٱنْتِزَاحِ
فَأَجِرْ فِي ٱلْوَرَى ٱلْجَمِيلَ، وَعَامِلْ
مِنْهُ كَنْزَ ٱلْغِنَى وَمَثْوَى ٱلرَّبَاحِ
وَاشْتَرِ ٱلْحَمْدَ بِٱلْمَوَاهِبِ، واعْقِدْ
عَقْدَهَا، فِي مَظِنَّةِ ٱلأَرْبَاحِ

(143) فيه إشارة إلى الثورة التي اقامها اسماعيل علي محمد الغني بالله.
(144) سجاح 25هـ بنت الحارث بن سويد بن عقفان التميمية، من بني يربوع، متنبئة مشهورة انظر: الاعلام (جـ: 3 ص 122).
وفي مسيلمة الكذاب انظر: ثمار القلوب ص 115، الأعلام (جـ: 8 ص: 125، 126).

بَـرَكَـاتُ ٱلسَّـمَـاءِ تَـبْـتَـدِرُ ٱلْأَرْ
ضَ إِذَا ٱسْتُودِعَتْ بُذُورَ ٱلسَّمَاحِ (ف124ب)

وَتَـهَـنَّـأُ بِـهِ بِـنَـاءً سَـعِـيـداً
جَاءَ لِلْمَعْلُوَاتِ وِفْقَ اقْتِرَاحِ (145)

وَتَـمَـتَّـعْ مِـنْـهُ بِـهَـالَـةِ مُـلْكٍ
أَطْلَعَتْ مِنْكَ أَيَّ بَدْرٍ لَيَاحِ (146)

مَشْوَرُ الرَّأْيِ مَجْمَعُ ٱلْحَفْلِ مَثْوَى
كُـلِّ ذِي ذَمْـرٍ سَـيِّـدٍ جَحْجَاحِ

وَمُقَامُ السَّلَامِ فِي مُدَّةِ السِّلْمِ، وَغَابُ ٱلْأُسُودِ يَوْمَ ٱلْكِفَاحِ

مُـلْـتَـقَى حِـكْـمَـةٍ، وَمَـلْـعَـبُ إِلْـهَـا
مٍ، وَمَـغْـنَـى ٱلسُّـرُورِ، وَٱلْأَفْـرَاحِ

أَيْنَ «كِسْرَى»؟ أَوْ أَيْنَ «إِيوَانُ كِسْرَى»؟
لَا يُـقَـاسُ ٱلْـخِـضَـمُّ بِـالضَّـحْـضَـاحِ

أَيْـنَ نُـورُ ٱلْإِلَاهِ مِـنْ عُـنْـصُـرِ النَّا
رِ إِذَا مَا اعْتَبَرْتَهُ، يَا صَاحِ (147) ؟!

بِـنْـيَـةٌ كَـانَ فَـخْـرُهَـا لَكَ مَـذْخُـو
راً، كَـزَهْـرِ الرِّيَـاضِ فِـي ٱلْأَدْوَاحِ

حِينَ طَابَ ٱلزَّمَانُ، وَاعْتَدَلَ ٱلْفَصْلُ ٱسْتَجَدَّتْ وَبَادَرَتْ بِافْتِتَاحِ

هَـاكَـهَـا قَـدْ تَـتَـوَّجَـتْ بِـالْـمَـعَـانِي
وَاكْـتَـسَـتْ حُـلَّـةَ ٱللُّـغَـاتِ ٱلْـفِـصَـاحِ

حِينَ غَاضَ ٱلشَّبَابُ وَارْتَجَعَ ٱلْفِكْرُ، وَضَاقَ ٱلْخَطْوُ ٱلْعَرِيضُ ٱلسَّاحِ

جُـهْـدُ قَـلْـبٍ لَـقَّـفْـتُ بَـعْـدَ جِـهَـادٍ
نُـقْـطَـةً مِـنْ قَـلِـيـبِـهِ (148) ٱلْـمُـمْـتَـاحِ

(145) يشير إلى القصر الذي بناه محمد الغني بالله بعد عودته من منفاه بالمغرب إلى ملكه. انظر : النفاضة (جـ : 3 لوحة 213 وما بعدها).

(146) بدرٌ لياح : ناصعٌ.

(147) فيه إشارة إلى وثنية الفرس.

(148) القليب : البئر.

وَمَـعَـانِي ٱلْـبَـيَـانِ هُنَّ عَـذَارَى
لَا يُبِحْنَ ٱلشُّيُوخَ عَقْدَ نِكَاحِ
مَا لِشَيْخٍ سِوَى الرُّجُوعِ إِلَى ٱللَّهِ، وَنَجْوَى أَهْلِ التُّقَى وَالصَّلَاحِ
وَلُزُومِ ٱلْبَابِ ٱلَّذِي جَبَرَ ٱلْكَسْرَ، وَوَصْلِ ٱلسُّؤَالِ وَالْإِلْحَاحِ (ف 125 أ)
وَعَلَى ذَاكَ فَهْيَ سَاحِرَةُ الأَحْدَا
قِ تُزْرِي بِكُلِّ خَوْدٍ رَدَاحِ[149]
تَنْفُثُ السِّحْرَ فِي ٱلْجُفُونِ وَتَلْوِي[150]
طُـرَرَ ٱلْـحُسْنِ لِـلْوُجُوهِ ٱلْـمِلَاحِ
دُمْتَ فِي عِـزَّةٍ وَرِفْعَةِ قَـدْرٍ[151]
بَـيْنَ مَـغْـدىً مُوَفَّقٍ وَمَـرَاحِ
مَـا تَوَلَّتْ دُهْـمُ الـدُّجُـنَّةِ عَـدْواً
وَجَـرَتْ خَـلْفَهُنَّ شُهْبُ ٱلصَّبَاحِ

172

وَقُلْتُ فِي مَعْنَى التَّوْرِيَةِ مِنْ قَصِيدَةٍ :[152]

(الطـويـل)

لَكَ ٱللَّهُ مِنْ قَلْبٍ عَلَى ٱلْحُبِّ مَا صَحَا
وَجَفْنٍ وَشَى بِالسِّرِّ مِنِّي وَأَفْصَحَا
رَوَى عَنْهُ خَدِّي مُسْنِداً، وَمُسَلْسِلاً[153]
حَدِيثَ دُمُوعِ ٱلْعَيْنِ حَتَّى تَجَرَّحَا

(149) الرداح : يقال امرأة رداح ، ضخمة الردف سمينة الاوراك .
(150) في النفاضة : وتهدي والاحاطة : وتهدى
(151) في النفاضة : ملك .
(152) انفردت بهما «ق» وهما رقم 3 في هذه النسخة ، وبهما تنتهي وقد أخرناهما محافظة على ترتيب النسخ المتأخرة .
(153) المسلسل من الأحاديث ما تتابع فيه الرواة إلى رسول الله ﷺ على حالة واحدة كأن يقول كل منهم «حدثني فلان وهو يبتسم» والمسند من الحديث ما اتصل اسناده إلى النبي ﷺ .

ملحق

173

وَقَالَ فِي هَجْوِ «سَلَا» : (154)

(السريع)

أَهْلُ «سَلَا» صَاحَتْ بِهِمْ صَائِحَةْ غَادِيَةٌ فِي دُورِهِمْ رَائِحَةْ (155)
يَكْفِيهِمُ مِنْ عَوَزٍ أَنَّهُمْ رَيْحَانُهُمْ لَيْسَتْ لَهُ رَائِحَةْ

174

وَقَالَ : (156)

(الوافر)

فَلَاحَتُنَا لَهَا ٱلْقِدْحُ ٱلْمُعَلَّى وَسَرْحَتُهَا ٱلضَّمِينَةُ لِلنِّجَاحِ
أَلَسْتَ تَرَى مُنَادِي ٱلْخَمْسِ نَادَى بِمُخْتَلِفِ ٱلْجِهَاتِ أَوِ ٱلنَّوَاحِي
يُرَدِّدُ فِي ٱلْآذَانِ لِكُلِّ وَاعٍ، عَلَى ٱلْآذَانِ : حَيَّ عَلَى ٱلْفَلَاحِ

---

(154) في النفاضة : (جـ : 3 لوحة 57) والنفح (جـ : 8 ص 386)

(155) رواية النفح بالخطاب :

أهلا سلا صاحت بكم صائحة غادية ما بينكم رائحة
كفاكم يا عور انكم ريحانكم ليست له رائحة

(156) الأبيات وردت في النفح (جـ : 8 ص 405) نقلا عن روضة التعريف ، ووردت في الروضة ص 485 مع العبارة الآتية «وتختم الكلام في هذه الشجرة ، والاستدلال على شرف هذه الفلاحة بهذه الأبيات» : والأبيات كما هو واضح ليست منسوبة لابن الخطيب ، وقد ظننت أنها له لأنها بأسلوبه أشبه .

(م 88 أ)

(الكامل)

وَكَرِيمَةٍ شَهِدَ ٱلْخِضَابُ شَهَادَةً بِفُتُوِّهَا عِنْدَ ٱلْأَدَاءِ مُزَوَّرَهْ
مَرِضَ ٱلْفُؤَادُ لَهَا وَحُمَّ لِأَجْلِهَا فَجَعَلْتَ مِنْهَا لِلْعِلَاجِ مُزَوَّرَهْ[81]

280

وَخَاطَبْتُ وَالِيَ «مُرَّاكُشَ» عَامِرَ بْنَ مُحَمَّدٍ[82] وَكَانَ يَتَوَقَّعُ أَنَّهُ يَظْهَرُ «بَنُوا عَبْدِ ٱلْمُؤْمِنِ» مِنْ أَجْلِهِ : [83]

(الكامل)

يَاوَارِثَ «ٱلْمَهْدِيِّ» فِي ٱلْجَبَلِ ٱلَّذِي فَضَلَ ٱلْجِبَالَ فَكَانَ مَطْلَعَ بَدْرِهِ
وَبِهِ مُصَلَّاهُ، وَمَدْرَسَهُ ٱلَّذِي أَهْدَى مِنَ ٱلتَّوْحِيدِ، يَانِعَ زَهْرِهِ
أَبْشِرْ، فَإِنَّكَ، بَعْدَ مَا بَعُدَ ٱلْمَدَى وَتَوَلَّتِ ٱلدُّنْيَا، مُجَدِّدُ أَمْرِهِ
وَاعْلَمْ بِأَنَّكَ أَنْتَ عَامِرُ رَبْعِهِ وَاعْلَمْ بِأَنَّكَ أَنْتَ نُكْتَةُ سِرِّهِ
وَإِذَا بَلَغْتَ إِلَى مَحَلِّكَ سَالِماً سَلِّمْ لِسَعْدِكَ فِي أَزِمَّةِ أَمْرِهِ

281

وَقُلْتُ أُخَاطِبُ «مُبَارَكَ بْنَ إِبْرَاهِيمَ» أَعْتَذِرُ[84] عَنْ لِقَاءِ بَعْضِ نُظَرَائِهِ قَبْلَهُ : [85]

(الطويل)

«مُبَارَكُ» مَا قَدَّمْتُ «سُفْيَانَ»[86] رَغْبَةً وَلَا خَوْفَ تَقْصِيرٍ وَلَا سُوءَ سِيرَهْ

(81) مزورة الأولى من الزور ومزورة الثانية اسم لون من الطعام.
انظر : كتاب الطبيخ في المغرب والأندلس ص : 171 مجهول المؤلف ـ تحقيق أمبروزيو اويثي ميراندا.
(82) تقدم التعريف به ص : 176.
(83) في «م» وفيه بياض تام. وقد ملأنا الفراغ من نفاضة الجراب (جـ : 3 ص : 36).
(84) لا يظهر من هذه الكلمة إلا الذال والراء.
(85) في «م» ونفاضة الجراب مخ (جـ : 3 لوحة 50). الريحانة لوحة : 436.
(86) حلة من الحلل التي مر بها اثناء الرحلة المراكشية.

حرف الدال

175

كَتَبْتُ مُعْتَذِراً عَنِ ٱسْتِدْعَاءِي بِشِعْرٍ خَاطَبَنِي بِهِ أَحَدُ[1] ٱلْأَصْحَابِ :[2]

(البسيط)

يَا سَيِّدِي ٱلْأَوْحَدَ ٱلْأَسْمَى وَمُعْتَمَدِي
وَذَا ٱلْوَسِيلَةِ مِن أَهْلٍ وَمِنْ بَلَدِ
ٱلْعُذْرُ أَوْضَحُ مِنْ نُورٍ عَلَى عَلَمٍ
فَعَدِّ إِنْ غِبْتُ عَنْ لَهْوٍ وَعَنْ فَنَدِ
دَعَوْتَ فِي يَوْمِ الِاثْنَيْنِ ٱلصَّحَابَ ضُحىً
وَفِيهِ مَا لَيْسَ فِي سَبْتٍ وَلَا أَحَدِ[3]
يَوْمُ ٱلسَّلَامِ عَلَى ٱلْمَوْلَى وَخِدْمَتِهِ
فَاسْمَحْ وَإِنْ عَثَرَتْ رِجْلِي فَخُذْ بِيَدِي
(بَقِيتَ فِي ظِلِّ عَيْشٍ لَا نَفَادَ لَهُ
مُصَاحَباً غَيْرَ مَحْصُورٍ إِلَى أَمَدِ)[4]

---

(1) يقصد عبد الرحمان بن عبد الملك ، أصله من باغة ، ونشأ بلوشة ، توفي بغرناطة بسبب الطاعون عام 750هـ
انظر : النفح (جـ 6 ص 113) ـ الاحاطة مخ لوحة 315 .
(2) في الأصلين «ف» و«ح» والنفح (جـ 8 ص 229)
(3) فيه إشارة إلى أن الأندلسيين كان يعطلون يوم السبت والأحد .
(4) هذا البيت زيادة من النفح

176

(و)[5] مِنَ ٱلشِّعْرِ ٱلْقَدِيمِ قَوْلِي فِي ضِغْثِ رَيْحَانٍ جُعِلَتْ وَسْطَهُ نَوَّارَةٌ بَيْضَاءُ بَدِيهَةً : [6] .

(الطـويـل)

وَدُرَّةِ نَوْرٍ فِي غِلَافِ زَبَـرْجَـدٍ
كَمَا لَاحَ فِي ٱلْخَضْرَاءِ[7] لِأْلَاءُ فَرْقَدِ
كَـأَنَّ فَـتَـاةً جَـاءَهَـا مِنْ خَلِيلِهَا
كِتَابٌ بِشَكْوَى ٱلْحُبِّ مِنْ غَيْرِ مَوْعِدِ
فَـلَـفَّتْ بِـمُـخْضَـرِّ ٱلْـبُـرُودِ بَـنَـانَهَا
بُرُوراً وَإِجْلَالاً، عَنِ ٱللَّمْسِ بِالْيَدِ (ف 126 ب)

177

وَقُلْتُ وَقَدْ شَرَعَ أَمِيرُ ٱلْمُسْلِمِينَ ٱلسُّلْطَانُ أَبُو ٱلْحَجَّاجِ ، رَحِمَهُ ٱللَّهُ ، فِي بِنَاءِ ٱلْقَصْرِ ٱلْكَبِيرِ وَجَلَبَ إِلَيْهِ ٱلرُّخَامَ ، وَبَرَزَ ٱلنَّاسُ إِلَى مُشَاهَدَتِهَا تُسَاقُ عَلَى ٱلْأَعْجَالِ[8] وَكَانَ بُرُوزاً فَخْماً وَأَمَرَنِي بِوَصْفِ ذَلِكَ ، فَنَظَمْتُ فِيهِ ، وَهِيَ أَوَّلُ قَصِيدَةٍ نَظَمْتُهَا بَعْدَ قَصِيدَةِ ٱلْبَيْعَةِ[9] : [10] .

55/40 (المتقـارب)

يَـمِـيـنـاً بِـيَـانِـعِ وَرْدِ ٱلْـخُـدُودْ
وَعَـذْبِ ٱللَّمَى فِي ٱلشَّـهِـيِّ ٱلْبَرُودْ

(5) «و» زيادة من «ح»
(6) في الأصول «ف» و«ح» وهي الأولى في «ق»
(7) الخضراء : السماء .
(8) الأعجال : جمع عجلة الآلة التي يجرها الثور .
(9) في الأصول ماعدا «م»
(10) ستأتي قصيدة البيعة في ص : 509

وَزَوْرَةِ حِبٍّ عَـلَى غَـفْـلَـةٍ
وَوَصْـلٍ أَلَـمَّ بِـرَبْـعِ ٱلصُّـدُودْ
وَإِلَّا بِـمُـنْـهَـلٍّ صَوْبِ ٱلْـحَـيَـا
وَخَـفْـقِ ٱلْـبُـنُودِ وَقَصْفِ ٱلـرُّعُودْ
لَأَنْتَ صَـبَـاحُ ظَلَامِ ٱلْـخُـطُوبِ
وَكَـفُّكَ مِـفْـتَـاحُ بَـابِ ٱلسُّـعُودْ
جَـمَـالُكَ[11] مَعْنَى جَمَالِ ٱلْوُجُودِ
وَبَـابُكَ مَـعْـنَـى مَضَـاءٍ وَجُودْ
وَرِضْوَانُ أَعْـظَـمُ شَيْءٍ بَـدَلْ
عَـلَى أَنَّ دَارَكَ دَارُ ٱلْـخُـلُودْ
أَعَـدْتَ ٱلْـخِلَافَـةَ، أَنْوَارُهَـا
سَوَاطِعُ مِنْ بُعْدِ طُولِ ٱلْخُمُودْ[12]
وَأَلَّـفْتَ بِـالْـعَـدْلِ بَيْنَ ٱلْـقُـلُوبِ
وَفَـرَّقْتَ بَـيْنَ الـظُّـبَـا وَالْـغُـمُودْ
فَـهَـزَّ بِكَ ٱلـدِّينُ أَعْـطَـافَـهُ
كَمَا اهْتَزَّ غُصْنُ الرِّيَاضِ ٱلْمَجُودْ
إِذَا كَـانَ مَـدْحُ مُـلُوكِ ٱلْوَرَى
نِظَاماً، فَمَدْحُكَ «بَيْتُ ٱلْقَصِيدْ» (ف 127 أ)
أَلَسْتَ مِنَ ٱلْـقَوْمِ حَازُوا ٱلنَّـدَى
وَخَاضُوا إِلَى الرَّوْعِ بَابَ ٱلْحَدِيدْ
وَسَـلُّوا عَـلَـيْـهِ سُـيُوفـاً تَسِـيلُ
عَلَى صَـفْـحَـتَـيْـهَـا دِمَاءُ ٱلْوَرِيدْ

(*) ديباجة «ق» «لما شرع مولانا أيده الله في بناء القصر الكبير حيث سكناه وجلب إليه الرخام والأساطين الكبيرة الاجرام برز الناس إلى مشاهدتها تساق على العجال فكان بروزا فخما وحفلا ضخما ، وأمرني بوصفها ، فنظمت في ذلك ، وهي أول قصيدة نظمتها فيه بعد قصيدة البيعة .

(11) في «ق» جنابك .

(12) في الأصول : الخلود . ولعل السياق يرجح ما أثبتنا .

مِنْهَا فِي ٱلْمَدْحِ : [13]

فَيَـا مَـنْ يُؤَمِّـلُ هَـذَا ٱلْجَنَابَـا
أَنَـخْتَ بِعَقْـوَةِ رَعْـيِ ٱلْعُهُـودَ
بَـلَغْتَ «بِيُوسُفَ» ، مَثْوَى ٱلضُّيُوفِ
وَوِرْدَ ٱلنَّـدَى، وَمُـنَـاخَ ٱلْوُفُودْ
ثِـمَـالُ ٱلْـفَـقِـيـرِ وَيُسْـرُ ٱلْـعَسِيرِ
،وَكَـهْـفُ ٱلْـغَرِيبِ، وَمَأْوَى ٱلطَّرِيدْ
تَـقَـيَّـلَ أَخْلَاقَ كَسْبِ ٱلـثَّـنَـاءِ
فَـأَيَّـدَ طَـارِفَـهَـا[14] بِـالـتِّـلِـيـدْ
وَلَـمَّـا اسْـتَـتَـمَّ بِـنَـاءَ ٱلْـعُـلَى
وَأَحْـرَزَ شَـأْوَ ٱلْـجَلَالِ ٱلْـبَـعِـيـدْ
وَأَيْـقَـنَ أَنْ لَـمْ يَـدَعْ غَـايَـةً
لِـرَاجٍ ، وَلَا مَوْضِـعـا لِـلْـمَـزِيـدْ
وَأَنَّ ٱلْـدِّيَـارَ جُسُومُ ٱلْـجُسُومِ
تَوَلَّى إِقَـامَـةَ قَصْـرٍ مَشِـيـدْ
تَـخَـيَّـرَ أَعْـظَـمَـهُ مَـرْمَـرَا
فَـجَـاءُوا بِـكُـلِّ قَوِيٍّ شَـدِيـدْ
لِـنُـحْـكَـمَ قُوَّةُ تَـرْكِـيـبِـهِ
بِـطَـبْـعٍ صَـحِـيحٍ، وَعُـمْـرٍ مَدِيدْ
وَجَـاءَتْ تَـجُـرُّ إِلَـيْـهِ ٱلصُّـخُورَ
عَـمَـالِـقَـةٌ مِنْ كُـفَـاةِ ٱلْـحُشُودْ
إِذَا جَـذَبُوهَـا إِلَـيْـهِـمْ حَـنَوْا
ظُـهُوراً، وَمَـدّوا لَـهَـا كُـلَّ جِـيـدْ

(13) في «ق» لا يوجد «منها في المدح»
(14) في «ق» طارفه .

كَـــأَنَّـــهُـــمُ عَـــبَـــدُوا صَـــخْـــرَةً
وَذَلِكَ هَيْنَمَةٌ بِالسُّجُودْ (ف 128 ب)
كَـأَنَّ ٱلْأَسَـاطِينَ مَـهْـمَـا نَـظَـرْتَ
إِلَـــيْـــهَـــا مُوَسَّـــدَةً فَوْقَ عُودْ
مُـــهُودٌ تَوَسَّـــدَهَـــا تَوْأَمٌ
مُـقَـمَّـطَـةٌ[15] مِنْ بَنَاتِ ٱلصُّلُودْ[16]
كَـــأَنَّ بِـــأَفْلَاكِ أَعْـــجَـــالِـــهَـــا
سَـحَـاباً بِـهَـا قِـطَـعٌ مِنْ جَلِيدْ
سَـــفَـــائِنُ تَـخْـرِقُ بَـحْـرَ ٱلْـفَلَا
وَتَـلْـحَقُ نَـحْوَكَ بِـيـداً فَـبِـيـدْ
كَـــأَنَّ ٱلصَّوَارِي عَـلَى ظَـهْـرِهَـا
طُـرِحْنَ، مَـخَـافَـةَ هَوْلٍ شَـدِيـدْ
وَإِمَّـا[17] أُعِـدَّتْ فَـأَعْـجَـازُ نَـخْـلٍ
تَـفَـطَّـرَ عَنْ طَـلْـعِ يُـمْـنٍ نَضِـيـدْ
تَوَلَّى «عُـطَـارِدُ» إِتْـقَـانَـهَـا
وَقَـابَـلَـهَـا مِـنْكَ «سَـعْـدُ السُّعُودْ»
وَعُجْـمُ مَهـأ، مَـا عَرَفْـنَ ٱلْكَـلَامَ،
عَـــذَارَى بُنَيَّـــاتُ أُمٍّ وَلُـــودْ
كَوَاعِبُ تُـخْـجِـلُ حُورَ ٱلْـجِـجَـالِ
بِـيـضُ ٱلْـجُـسُومِ طِوَالُ ٱلْـقُـدُودْ
لَـبِسْنَ رِدَاءَ ٱلصَّبَاحِ ٱلْـجَـدِيـدِ[18]
وَجَـرَّرْنَ ذَيْـلَ الـزَّمَـانِ ٱلْـجَـدِيـدْ

(15) في «ف» و«ح» مقَطَّعَةٌ.
(16) يوجد اضطراب هنا في الأصل «م».
(17) في «ق» ولما
(18) في «ق» الصبيح.

وَقُلْنَ[19] أَبْشِرِي بِلِقَاءِ ٱلْإِمَامِ
فَجَاءَتْ مُيَمِّمَةً[20] بِالصَّعِيدْ
أَمَوْلَايَ عَبْدُكَ مَا إِنْ لَهُ
مَدَى ٱلدَّهْرِ عَنْ بَابِكُمْ مِنْ مَحِيدْ
أَتَتْكَ تُقَرِّرُ عُذْرَ ٱلْبَدِيهِ
عَلَى أَنَّهَا ذَاتُ نَهْجٍ سَدِيدْ

* * *

وَلَو أَمْهَلَ ٱلْوَقْتُ تَنْقِيحَهَا
لَجَاوَزْتُ غَايَةَ عَبْدِ ٱلْحَمِيدْ[21]
فَلَا بِالْغَبِيِّ وَلَا بِالْعَبِيِّ
وَلَا بِالْبَطِيِّ وَلَا بِالْبَلِيدْ[22]

* * *

بَقِيتَ لِبَذْلِ نَوَالٍ وَجُودٍ
وَنَشْرِ بُنُودٍ وَنَصْرِ جُنُودْ[23]

178

وَأَنْشَدْتُهُ مِنْ هَذَا ٱلنَّمَطِ فِي عَامِ سَبْعَةٍ وَثَلَاثِينَ وَسَبْعِمِائَةٍ : [25]

(19) في «ق» وقلنا
(20) في «ق» متيممة .
(21) عبد الحميد الكاتب 132هـ عالم بالأدب من أئمة الكتاب اختص بمروان بن محمد آخر ملوك بني أمية في المشرق .
انظر : الاعلام (جـ : 4 ص 60) .
(22) انفردت «ق» بهذين البيتين
(23) في «ق» ونشر البنود ونصر الجنود .
(24) هذه الملاحظة غير موجودة في «ق»
(25) في الأصول وهي القصيدة الثانية في الأصل «ق»

(الطويل)

لِمَنْ طَلَلٌ نَائِي ٱلْمَزَارِ بَعِيدُهُ
وَعَهْدٌ كَرِيمٌ لَا يُذَمُّ حَمِيدُهُ
عَفَا غَيْرَ نُؤْيٍ كَالسِّوَارِ وَمَوْقِدٍ
كَمَا جَثَمَتْ بِيضُ ٱلْحَمَامِ وَسُودُهُ
إِذَا أَخْلَفَ ٱلْغَيْثُ ٱلْأَبَاطِحَ وَالرُّبَا
فَتَسْكَابُ دَمْعِ ٱلْمُقْلَتَيْنِ يَجُودُهُ
مَحَلٌّ لِسُعْدَى، وَالزَّمَانُ مُسَاعِدٌ
وَجَفْنُ ٱللَّيَالِي لَا يَرِيمُ هُجُودُهُ
وَقَفْنَا بِهِ عُوجَ ٱلْمَطِيِّ كَأَنَّهُ
عَلِيلٌ، وَمُجْتَازُ ٱلرِّكَابِ يَعُودُهُ
فَلَوْلَا نَسِيمٌ رَدَّ رَجْعَ جَوَابِنَا
فَسَكَّنَ مِنْ حَرِّ ٱلْأُوَامِ بَرُودُهُ
لَمَا حَمَلَتْ مِنَّا ٱلضُّلُوعُ غَرَامَهَا
وَلَا كَانَ هَذَا ٱلشَّوْقُ يَخْبُو وَقُودُهُ
وَتَاللَّهِ لَوْلَا أَنَّةٌ تُشْهِرُ ٱلْجَوَى
فَأَضْحَى، وَسِرُّ ٱلْحُبِّ بَادٍ جُحُودُهُ
لَأَثَرْتُ كَتْمَ ٱلْوَجْدِ بَيْنَ جَوَانِحِي
وَبَلَّغْتُ فِي ٱلْقَلْبِ ٱلْهَوَى مَا يُرِيدُهُ
خَلِيلَيَّ مَا لِلرَّكْبِ لَا يَشْتَكِي ٱلْوَجَى
وَمَا لِبِسَاطِ ٱلْقَفْرِ[26] يُطْوَى مَدِيدُهُ ؟
يَحُثُّ جَنَاحَ ٱلسَّيْرِ حَتَّى كَأَنَّمَا
رَجَاءُ أَمِيرِ ٱلْمُسْلِمِينَ يَقُودُهُ
أَظُنُّ دِيَارَ ٱلْحَيِّ مِنَّا قَرِيبَةً
وَظَمْآنُ هَذَا ٱلْبُعْدِ حَانَ وُرُودُهُ

(26) في «ق» الفقر.

وَإِلاَّ، فَمَا بَالُ ٱلنَّسِيمِ كَأَنَّمَا
أَكَبَّتْ[27] عَلَى ٱلنَّارِ ٱلْكِبَاءَ[28] هُنُودُهُ (ف130ب)

تَأَرَّجَ فِي ٱلآفَاقِ مَنْشَرَى هُبُوبِهِ
كَمَا حَمَلَتْ عَنْهُ ٱلثَّنَاءَ وُفُودُهُ

وَمَا بَالُ هَذَا ٱلْعِيسِ لَا تَسْأَمُ ٱلسُّرَى
كَمَا جُهِّزَتْ عِنْدَ ٱلْمَغَارِ جُنُودُهُ؟

أَمِيرٌ كَفَى ٱلإِسْلَامَ كُلَّ عَظِيمَةٍ
وَقَدْ شَابَ مِنْ طُولِ ٱلْعَنَاءِ وَلِيدُهُ

وَقَادَ إِلَى إِصْرَاخِهِ كُلَّ سَابِحٍ
مُعَوَّذَةٍ أَنْ لَا تُحَطَّ لُبُودُهُ[29]

وَمِنْهَا بَعْدَ كَثِيرٍ :

* * *

وَأَلَّفَ أَسْرَارَ ٱلنُّفُوسِ عَلَى ٱلْهُدَى
فَأَوْشَكَ مِنْ وَقْدِ الشَّتَاتِ خُمُودُهُ

وَلَمَّا عَرَتْ هَذِي ٱلْجَزِيرَةَ نَبْوَةٌ
وَعُطِّلَ مِنْ فَرْضِ ٱلْجِهَادِ أَكِيدُهُ[30]

وَأَصْبَحَ ثَغْرُ ٱلثَّغْرِ بَعْدَ ٱبْتِسَامِهِ
،وَلَوْلَا دِفَاعُ ٱللَّهِ، فُضَّتْ عُقُودُهُ

تَبَارَكَ آلُ ٱلنَّصْرِ حِفْظَ ذَمَائِهِ[31]
فَأَعْقَبَ صِدِّيقَ ٱلْجَلَالِ شَهِيدُهُ[32]

(27) في «ق» أكفت .
(28) الكباء : عود البخور أو ضرب منه .
(29) الأبيات السبعة الآتية بعد هذا البيت اختصت بها «ق»
(30) فيه إشارة فقهية .
(31) في الأصل دماءه .
(32) عدم وضوح في هذا الشطر . وإقامة وزنه من عندنا .

وَأَنْجَبَهُ لِلدِّينِ يَحْمِي ذِمَارَهُ
كَمَا أَنْجَبَتْ لَيْثَ ٱلْعَرِينِ أُسُودُهُ
فَقَامَ بِأَمْرِ ٱللَّهِ نَاصِرُ دِينِهِ
وَلَا عِبْءَ يَثْنِي عَزْمَهُ وَيُؤُودُهُ
وَأَسْلَكَ نَهْجَ ٱلْحَقِّ مَنْ حَادَ بَعْدَمَا
تُنُوسِيَ ذِكْرَاهُ وَضَلَّ سَدِيدُهُ(33)

* * *

إِذَا عُدِّدَ ٱلْأَمْلَاكُ مَجْداً وَمَحْتِداً
فَيُوسُفُ أَنْصَارُ ٱلنَّبِيِّ جُدُودُهُ
وَإِنْ قَعَدُوا مِنْ دُونِ مَبْلَغِ غَايَةٍ
تَدَانَى لَهُ مِنْ كُلِّ قَصْدٍ بَعِيدُهُ
وَأَيُّ فُؤَادٍ مِنْهُمُ غَيْرُ خَافِقٍ
إِذَا خَفَقَتْ أَعْلَامُهُ، وَبُنُودُهُ
لَهُ فَتَكَاتٌ مَا تَجِفُّ ظُبَاتُهَا
وَعَزْمُ ٱقْتِدَارٍ مَا(34) تُحَلُّ عُقُودُهُ
وَرَأْيٌ يَمُدُّ ٱلشَّمْسَ نُوراً وَمَشْهَداً
مَلَائِكَةُ ٱلسَّبْعِ ٱلطِّبَاقِ شُهُودُهُ
(فَلِلنَّاسِ فِي يَوْمِ ٱلْعَطَاءِ هِبَاتُهُ
وَلِلَّةِ فِي ٱللَّيْلِ ٱلطَّوِيلِ هُجُودُهُ)(35)
يَمِيناً، لَمَا ٱلْأَنْوَاءُ إِلَّا يَمِينُهُ،
وَمَا ٱلْجُودُ إِلَّا مَا سَقَى ٱلْأَرْضَ جُودُهُ
أَمِيرَ ٱلْعُلَى لَوْلَاكَ أَصْبَحَ رَبْعُهَا
خَلَاءً، وَدِينُ ٱللَّهِ وَاهٍ عَمُودُهُ

(33) انتهى ما انفردت به «ق».
(34) في «ق» لا.
(35) انفردت «ق» بهذا البيت.

وَلَكِنْ نَهَجْتَ ٱلْعَدْلَ مِنْ بَعْدِ فَتْرَةٍ
وَقَدْ دَرَسَتْ آثَارُهُ وَعُهُودُهُ
وَبَدَّدْتَ شَمْلَ ٱلْكُفْرِ بَعْدَ ٱلْتِلَافِهِ
فَأَضْحَى عَمِيداً[36] فِي الرُّغَامِ عَمِيدُهُ
وَجَاهَدْتَهُ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ
فَأَذْعَنَ عَاصِيهِ، وَذَلَّ عَنِيدُهُ (ف 131 أ)
فَمُلْكُكَ مَنْصُورُ ٱللِّوَاءِ سَعِيدُهُ
وَظِلُّكَ خَفَّاقُ ٱلرِّوَاقِ مَدِيدُهُ
وَسَيْفُكَ مَرْهُوبُ ٱلْغِرَارِ حَدِيدُهُ
وَسَيْبُكَ مَسْكُوبُ ٱلنَّوَالِ عَتِيدُهُ
فَلَوْلَاكَ لَمْ تَسْهَلَّ بِٱلْغَيْثِ دِيمَةٌ
وَلَا رَاقَ مِنْ زَهْرِ ٱلرِّيَاضِ مَجُودُهُ
وَأَخْفَقَ مَسْعَى كُلِّ آمِلِ غَايَةٍ
وَأَخْلَقَ مِنْ عَضْبِ ٱلزَّمَانِ جَدِيدُهُ
«هَنِيئاً لَكَ ٱلْعِيدُ ٱلَّذِي أَنْتَ عِيدُهُ»[38]
وَفِي ٱللَّهِ مَا تُبْدِيهِ أَوْ مَا تُعِيدُهُ
أَتَيْتَ ٱلْمُصَلَّى وَالْجُنُودُ رَوَائِحٌ[39]
تَغَصُّ بِهَا أَغْوَارُهُ، وَنُجُودُهُ
وَقَدْ أَبْصَرَتْ مِنْكَ ٱلنَّوَاظِرُ مِلْأَهَا
جَمَالاً تَمُدُّ ٱلنَّيِّرَاتِ سُعُودُهُ

(36) يشير إلى المعمودية عند النصارَى وهي غمس الطالب بالماء باسم الأب والابن والروح القدس .
(37) اختصت «ق» بهذه الأبيات .
(38) يشير إلى قول المتنبي في مديح سيف الدولة :
هنيئا لك العيد الذي أنت عيده وعيد لمن سمى وضحى وعيّدا
انظر : ديوان المتنبي (جـ : 1 ص 189) شرح عبد الرحمن البرقوقي .
(39) في «ق» دوارع .

وَآيَـةُ نَصْـرٍ، فِي حِـجَابِ مَـهَـابَـةٍ
تُـدَافِعُ عَنْ دِينِ ٱلْهُدَى مَنْ يَكِيدُهُ
فَـلَـمَّـا قَضَيْتَ النَّحْرَ أَقْبَلْتَ رَاضِياً
عَنِ ٱللَّـهِ تُعْلِي ذِكْرَهُ(40)، وَتُشِيدُهُ
وَأَوْرَدْتَـنَـا مِنْ جُودِ كَـفَّـيْكَ مَوْرِداً
يُـبَـرِّدُ غُلَّاتِ الـظِّـمَـاءِ بَـرُودُهُ(41)
وَأَلْـبَسْـتَـنَـا ٱلْآلَاءَ بِـيضـاً سَوَابِـغـاً
فَـزَادَكَ مِـنْـهَـا ٱللَّـهُ مَـا تَسْـتَـزِيـدُهُ

179

وَأَنْشَدْتُهُ فِي ٱلنَّيْرُوزِ ٱلْمُوَافِقِ لِهَذَا ٱلْعَامِ ، وَأَلْمَمْتُ فِيهَا بِذِكْرِ ٱلسِّلْمِ وَالْمُهَادَنَةِ : (42)
(*)

(الطـويـل)

زَمَـانُكَ أَفْـرَاحٌ لَـدَيْـنَـا وَأَعْـيَـادُ
فَـعِـيـدٌ، وَنَـيْـرُوزٌ سَـعِـيـدٌ وَمِـيلَادُ
تَـزُورُكَ أَثْـنَـاءَ ٱلـزَّمَـانِ كَـأَنَّـهَـا
عُـفَـاةٌ، تُـرَجِّي رَاحَـتَـيْكَ، وَقُصَّـادُ
فَـتُـهْـدِي إِلَى كُـلٌّ مَـقَـالاً يَـخُصُّـهُ
فَـمِـنَّـا لَـهَـا دُرٌّ، وَمِـنْـهُـنَّ أَجْـيَـادُ
لَـقَـدْ عَمَّ مِنْكَ ٱلرِّفْدُ مَنْ جَاءَ قَاصِداً
نَـوَالَكَ حَـتَّـى لِـلْـمَـوَاسِـمِ إِرْفَـادُ
غُصُونُ ٱلْـمُـنَـى تُـدْنِي إِلَيْكَ قِطَافَـهَـا
وَلِـلـدَّهْـرِ إِسْـعَـافٌ إِلَـيْكَ وَإِسْـعَـادُ

(40) في «ق» دينه .
(41) البرود : كل ما برد به شيء كالشراب تبرد به الغلة .
(42) في الأصول كلها .
(*) ديباجة «ق» «وأنشدته في النيروز الموافق لهذا العام ، والممت بذكر السلم المنعقد فيه» .

تَعَلَّمَ مِنْ أَخْلَاقِكَ ٱلْعَدْلَ فِي ٱلْوَرَى
فَلِلْعُدْمِ إِعْدَامٌ وَلِلْجُودِ إِيجَادُ (ف 132 ب)
إِذَا رُمْتَ صَعْباً أَوْ طَلَبْتَ مُمَنَّعاً
فَجَدُّكَ يَدْعُو بِالصَّعَابِ فَتَنْقَادُ
مَقَامُكَ، حَيْثُ ٱلسُّحْبُ هَامِيَةُ ٱلنَّدَى،
مَقِيلٌ «لِإِصْبَاحِ السُّرَى فِيهِ إِحْمَادُ»(43)
تُؤَمِّلُهُ ٱلرُّوَّادُ إِنْ أَخْلَفَ ٱلْحَيَا
وَتَنْجَعُهُ ٱلرُّكْبَانُ إِنْ نَفِدَ ٱلزَّادُ
وَتَهْوَى قُلُوبُ ٱلْمُعْتَفِينَ لِظِلِّهِ
فَتُعْمَلُ أَقْتَابٌ إِلَيْهِ وَأَقْتَادُ
سَلَلْتَ حُسَامَ ٱلْعَضْدِ، وَالْقُطْرُ رَاجِفٌ
وَلِلرَّوْعِ «إِبْرَاقٌ عَلَيْهِ وَإِرْعَادُ»(44)
وَقُدْتَ إِلَيْهِ ٱلْجُرْدَ، وَالنصْرُ خَافِقٌ
يَرِفُّ عَلَيْهَا وَٱلْمَلَائِكُ أَعْدَادُ(45)
فَمَا عَاقَهَا، عَنْ نَيْلِهَا ٱلْقَصْدَ، عَائِقٌ
وَلَا عَزَّهَا يَوْماً، مِنَ ٱللَّهِ، إِمْدَادُ(46)
وَجَاهَدْتَ أَحْزَابَ ٱلضَّلَالَةِ جَاهِداً
فَلَمْ يُغْنِهِمْ مِنْ حَدِّ سَيْفِكَ مَا كَادُوا
وَلَاذُوا إِلَى ٱلسِّلْمِ اسْتِلَاماً وَرَهْبَةً
وَقَدْ شَارَفُوا وِرْدَ ٱلْمَنِيَّةِ أَوْ كَادُوا
فَأَلَّفْتَ مَا بَيْنَ ٱلظُّبَى وَجُفُونِهَا
وَقَدْ أَوْحَشَتْ مِنْهُمْ جُفُونٌ وَأَغْمَادُ

(43) إشارة إلى المثل المعروف «عند الصباح يحمد القوم السري» انظر مجمع الأمثال (جـ : 1 ص 411).
(44) من رعد وأرعد أي تهدد وأوعد وأنه مثلا ــ انظر مجمع الأمثال (جـ : 8 ص 337).
(45) في «ق» امداد.
(46) في «ق» انجاد.

وَأَجْمَمْتَ حَدَّ ٱلسَّيْفِ عَنْ مُهَجَاتِهِمْ
وَقَدْ طَالَ مِنْهُمْ فِي سُؤَالِكَ تَرْدَادُ

وَأَحْصَنُ دِرْعٍ أَيْقَنُوا بِدِفَاعِهِ
لِبَأْسِكَ إِذْعَانٌ إِلَيْهِ وَإِخْلَادُ

فَمَهَّدْتَ بِالسِّلْمِ ٱلْبِلَادَ لِأَهْلِهَا
فَلِلْأَمْنِ إِصْدَارٌ عَلَيْكَ وَإِيرَادُ

(وَأَصْبَحَتِ الأَدْرَاعُ وَهْيَ مَدَارِعٌ
وَأُزْرَادُ أَوْزَارِ ٱلْوَغَى وَهْيَ أَبْرَادُ)[47]

أَ«يُوسُفُ» حَسْبُ ٱلْقَوْلِ فِيكَ وَإِنْ عَلَا[48]
قُصُورٌ، فَمَا إِنْ يَحْصُرُ ٱلْقَطْرَ تَعْدَادُ

تَوَقَّلْتَ أَهْضَابَ ٱلْجَلَالِ وَأَحْرَزْتَ
لَكَ ٱلْحَمْدَ آبَاءٌ كِرَامٌ وَأَجْدَادُ[49] (ف 133 أ)

وَأَمْلَاكُ صِدْقٍ إِنْ عَرَا ٱلنَّاسَ رَائِعٌ
مِنَ ٱلْخَطْبِ جَدُّوا، أَوْ عَرَتْ أَزْمَةٌ جَادُوا

* * *

مَقَامَاتُهُمْ بِيضٌ وَحُمْرُ قِبَابِهِمْ
يَرِفُّ بِهَا هَدْيٌ وَيَشْرُقُ إِرْشَادُ[50]

تَحُفُّ بِهَا ٱلْجُرْدُ ٱلْعِتَاقُ وَدُونَهَا
لِبَاغِي ٱلْقِرَى، نَارٌ تُشَبُّ وَايقَادُ

وَأَنْدِيَةٌ يَنْتَابُهَا ٱلْبَأْسُ وَالنَّدَى
فَيُخْلَفُ إِبعَادٌ، وَيُنْجَزُ مِيعَادُ

(47) هذا البيت ليس في «ق»
(48) في «ق» إذا غلا
(49) هذا البيت ليس في «ق»
(50) اختصت «ق» بهذه الأبيات.

وَلَمْ تَأْلُ سَبْقاً فِي اقْتِفَاءِ سَبِيلِهِمْ
فَصُلْتَ كَمَا صَالُوا، وَسُدْتَ كَمَا سَادُوا
حَدِيثٌ لَهُ فِي ٱلْمَشْرَفِيِّ رِوَايَةٌ
وَعِنْدَ ٱلْعَوَالِي السَّمْهَرِيَّةِ إِسْنَادُ
فَدُمْ نُذْعِرُ ٱلْأَعْدَاءَ فِي شَعَفَاتِهَا
وَتَنْقُضُ مَا شَدُّوا وَتَعْمُرُ مَا شَادُوا
وَيَهْنِيكَ «نَيْرُوزٌ» سَعِيدٌ قَدِ انْقَضَى
أَتَتْكَ عَلَى آثَارِهِ مِنْهُ أَعْدَادُ
أَتَاكَ عَلَى عِلْمٍ بِجُودِكَ فِي الْوَرَى
فَأَمَّلَ مِنْ جَدْوَاكَ مَا هُوَ يَعْتَادُ
وَمَا هُوَ إِلَّا زَائِدٌ لِبَشَائِرٍ
فَلَازَالَ يَحْدُوهَا إِلَيْكَ وَيَقْتَادُ

180

وَأَنْشَدْتُهُ عَقِبَ ٱلْكَائِنَةِ ٱلْعُظْمَى بِـ«طَرِيفٍ»[51] جَبَرَ ٱللَّهُ مِنْهَا عَثْرَةَ ٱلْإِسْلَامِ ، وَأَلَمَمْتُ بِحُسْنِ بَلَائِهِ (فِيهَا)[52] يَوْمَ ٱلْوَقِيعَةِ ٱلْمَذْكُورَةِ :[53] .

(البسيط)

قَلْبِي وَسَمْعِيَ فِي شُغْلٍ عَنِ ٱلْفَنَدِ
فَأَقْصِرِ ٱللَّوْمَ عَنِّي ٱلْيَوْمَ أَوْ فَزِدِ
قَدْ كُنْتُ أُصْغِي لِمَا تُوحِي إِلَيَّ بِهِ
لَوْ كَانَ قَلْبِيَ قَبْلَ ٱلْيَوْمِ طَوْعَ يَدِي

(51) طريف : جزيرة طريف تنسب إلى طريف بن عبد الله مولى موسى بن نصر الذي نزل بها فسميت به .
انظر : الروض المعطار لوحة 73 و128 ، ألفاظ مغربية ص 28 .
(52) الزيادة من «ق»
(53) في الاصول كلها وهي القصيدة السابعة في «ق» .

وَكَمْ كَتَمْتُ وَأَسْرَرْتُ ٱلْهَوَى زَمَناً
طَيَّ[54] ٱلْجَوَانِحِ حَتَّى خَانَنِي جَلَدِي
وَشِيمَةُ ٱلنَّفْسِ إِنْ أَخْفَتْ[55] سَرِيرَتَهَا
بَدَتْ شَوَاهِدُهَا يَوْماً عَلَى ٱلْجَسَدِ
قَالُوا : ٱلْهَوَى بَعْدَ بُعْدِ ٱلدَّارِ مُنْتَكَثٌ
فَقُلْتُ : هَذَا قِيَاسٌ غَيْرُ مُطَّرِدِ[56] (ف 134 ب)
سَلُوا عَنِ ٱلْحُبِّ مِنْ قَلْبِي مُجَرِّبَهُ
فَمَا ٱلْمُقَلِّدُ يَوْماً مِثْلَ مُجْتَهِدِ
سَقَى ٱلإِلَاهُ زَمَانَ ٱلْوَصْلِ صَوْبَ حَيَا
جَوْنِ ٱلرَّبَابَةِ لَا نَزْرٍ وَلَا ثَمِدِ
وَجَادَ رَبْعاً عَلَى أَكْنَافِ كَاظِمَةٍ[57]
كُنَّا بِهِ مِنْ لَذِيذِ ٱلْعَيْشِ فِي رَغَدِ
وَٱلْكَأْسُ تُجْلَى عَرُوساً فِي مِنَصَّتِهَا
وَالرَّوْضُ يَرْفُلُ فِي أَثْوَابِهِ ٱلْجُدُدِ
(وَكُلَّمَا رَاشَ قَبْلَ ٱلْقَطْرِ عَارِضُهُ
تَدَرَّعَ ٱلنَّهْرُ مَصْقُولاً مِنَ الزَّرَدِ)[58]
وَالسُّحْبُ تَبْكِي، وَثَغْرُ ٱلزَّهْرِ مُبْتَسِمٌ
وَالنَّرْجِسُ ٱلْغَضُّ سَاهٍ، وَٱلْغَمَامُ نَدِي
عُهُودُ أُنْسٍ، وَأَيَّامٌ[59] لَنَا انْصَرَفَتْ
«أَحْنَى عَلَيْهَا ٱلَّذِي أَحْنَى عَلَى لُبَدِ»[60]

(54) في «ق» بين
(55) في الأصول ماعدا «ق» أبدت .
(56) يوري هنا بالمصطلحات الأصولية فالقياس أصوليا ما اجتمعت فيه أربعة أركان، الأصل والفرع والعلة والجامع ، وإذا اختل ركن من هذه الأركان لا يصح القياس ومن ثم يكون غير مطرد .
(57) كاظمة : بالظاء المعجمة ، بينها وبين البصرة مرحلتان وفيها ركايا كثيرة ، وماؤها شروب . انظر : مراصد الاطلاع (جـ : 2 ، ص 472) .
(58) هذا البيت اختصت به «ق» .
(59) في «ق» ولذات .
(60) هذا عجز لصدر بيت النابغة : =

مَـا لِـلـزَّمَـانِ رَمَتْ نَـحْوِي نَوَائِبُـهُ
فَـأَقْصَـدَتْـنِي بِلَا عَـقْـلٍ وَلَا قَوَدِ[61]
وَسَـدَّدَ ٱلـدَّهْـرُ دُونِي كُـلَّ شَـاحِبَـةٍ
زَرْقَاءَ[62] أَصْمَى شَبَاهَا فِلْذَةَ ٱلْكَبِدِ
سَطَا عَلَيَّ، وَقَدْ قَلَّ النَّصِيرُ وَهَلْ
يُرْجَى ٱلْغَنَاءُ لَدَى كَفٍّ بِلاَ عَضُدِ؟!
وَسَـارَ أَبْـنَـاءُ دَهْـرِي فِيَّ سِـيـرَتَـهُ
وَيُشْـبِـهُ ٱلْأَبَ حَـقّـاً مُـنْـجِبُ ٱلْوَلَـدِ
تَـخِـذُتُـهُـمْ عُـدَّةً لِـلـدَّهْـرِ فَـانْـقَـلَبُوا
وَهُـمْ عَـلَيَّ لِـدَهْـرِي، أَعْظَمُ ٱلْعُـدَدِ
مَن مُـنْصِـفٌ بَـيْـنَ آمَـالِي وَغَـايَـتِـهَا
فَـقَـدْ تَـجَاوَزْنَ فِي مَـطْلِي عَلَى ٱلْأَمَدِ
كَـأَنَّنِي لَـمْ أُنِطْ بِالنَّجْمِ مِنْ هِمَمِي
وَلَـمْ أَسِـرْ فِي ٱلْـمَـعَالِي سَيْرَ مُتَّئِدِ
وَلَا ٱتَّـخَـذْتُ مِنَ ٱلْأَنْصَـارِ لِي وَزَراً
فَكَانَ «يُوسُفُ» بَعْدَ ٱللَّهِ، مُعْتَمَدِي
وَلَا نَـظَـمْتُ عَـلَى لَـبَّـاتِـهِ مِـدَحِي
نَظْمَ ٱلْحُلِيِّ عَلَى لَبَّاتِ ذِي غَيَدِ (ف 135 أ)
خَـلِـيـفَـةٌ مِنْ صَـمِيمِ ٱلْعُرْبِ دَوْحَتُهُ
فِيهَا ٱنْتَهَى ٱلْمَجْدُ مُسْتَوْفِيً، وَمِنْهَا بُدِي
فِي كَـفِّـهِ لِبَنِي ٱلْآمَالِ بَـحْرُ نَـدىً
عَذْبُ ٱلْـمَـذَاقَةِ، هَيْنٌ غَيْرُ ذِي زَبَدِ

= «امسحت خلاء وأمسى أهلها احتملوا»
انظر الديوان ص : 31 .

(61) العقل : الدّية : والقود : القصاص .

(62) في «ق» سمراء .

لَوْ أَنَّ رَاحَتَهُ فَاضَتْ أَنَامِلُهَا
فِي ٱلْغَيْثِ لَمْ يَقْتَصِرْ يَوْماً عَلَى بَلَدِ

إِنْ أَبْهَمَ ٱلْخَطْبُ أَذْكَى فِي دُجُنَّتِهِ
رَأْياً يُفَرِّقُ بَيْنَ ٱلْغَيِّ وَالرَّشَدِ[63]

وَإِنْ عَدَا الدَّهْرُ أَبْدَى مِنْ أَسِرَّتِهِ
وَكَفِّهِ رَأْيَ حَيْرَانٍ وَرَيَّ صَدِي

وَإِنْ نَظَرْتَ إِلَى لَأْلَاءِ غُرَّتِهِ
يَوْمَ ٱلْهِيَاجِ رَأَيْتَ الشَّمْسَ فِي «ٱلْأَسَدِ»

مِنْهَا فِي ٱلْكَائِدَةِ وَٱلْمَدْحِ :[64] يمدح أبا الحجاج الخامس ملك غرناطة.

حَتَّى إِذَا مَحَّصَ ٱللَّهُ ٱلْقُلُوبَ بِهَا
وَلَا دِفَاعَ لِحُكْمِ ٱلْوَاحِدِ ٱلصَّمَدِ

وَقَفْتَ وَالرَّوْعُ قَدْ مَاجَتْ جَوَانِبُهُ
بِحَيْثُ، لَا وَالِدٌ يَلْوِي عَلَى[65] وَلَدِ

(وَصَلْتَ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ مُنْصَلِتاً
كَالصَّقْرِ فِي السِّرْبِ أَوْ كَاللَّيْثِ فِي النَّقَدِ)[66]

فَأَصْبَحَ ٱلدِّينُ لَا تَخْفَى مَعَالِمُهُ
وَأَصْبَحَ ٱلْمُلْكُ مَرْفُوعاً عَلَى عَمَدِ

إِنَّ ٱلْحُرُوبَ سِجَالٌ طَالَمَا وَهَبَتْ
فِي ٱلْيَوْمِ فُرْصَتَهَا وَاسْتَرْجَعَتْ لِغَدِ

لَا يَغْرُرِ الرُّومَ مَا نَالُوا وَمَا فَعَلُوا
فَإِنَّ ذَلِكَ إِمْلَاءٌ إِلَى أَمَدِ

(63) هذا البيت واللذان يليانه في النفح (جـ : 9 ص 174)
(64) في «ق» ومنها في وصف الوقيعة .
(65) في ماعدا «ق» ولا .
(66) اختصت «ق» بهذا البيت .

فَلِلْقُلُوبِ مِنَ ٱلْغَمَّاءِ مُنْصَرَفُ[67] .
بِمَا تَقَدَّمَ فِي «بَدْرٍ»، وَفِي «أُحُدِ»
وَإِنَّ دُونَ طِلَابِ ٱلثَّأْرِ أَسْدَ وَغَى
مِنْ قَوْمِكَ الغُرِّ أَوْ آبَائِكَ النُّجُدِ
قَدْ أَقْلَقُوا[68] كُلَّ مَشْحُوذِ ٱلْغِرَارِ إِلَى
شَنِّ ٱلْغَوَارِ. وَسَلُّوا كُلَّ ذِي مَيَدِ (ف136ب)
وَٱلْعَزْمُ بَادٍ، وَصُنْعُ ٱللَّهِ مُرْتَقَبٌ
وَٱلْفَتْحُ مُنْتَظَرٌ إِنْ لَمْ يَجِنْ فَقَدِ
وَعَادَةُ ٱلنَّصْرِ لَا تَسْتَبْطِ مَقْدَمَهَا
إِنْ لَمْ تُوَافِكَ فِي سَبْتٍ فَفِي أَحَدِ[69]

* * *

وَهَاكَهَا مِنْ بَنَاتِ ٱلْعُرْبِ سَاحِرَةً
هَيْفَاءَ تَخْتَالُ بَيْنَ ٱلدَّلِّ وَٱلْغَيَدِ
وَلَسْتُ يَوْماً عَلَى شِعْرٍ بِمُقْتَصِرٍ
وَلَا بِأَبْيَاتِ مَنْظُومٍ بِمُنْفَرِدِ
وَإِنَّمَا أَنَا رَوْضٌ، وَٱلْعُلُومُ لَهُ
غَيْثٌ، فَإِنِّي جَنَى إِنْ شِئْتَهُ تَجِدِ
بَقِيتَ فِي ظِلِّ مُلْكٍ غَيْرِ مُنْصَرِمٍ
مُصَاحَبٍ غَيْرِ مَحْصُورٍ إِلَى أَمَدِ

* * *

181

وَقُلْتُ ، وَأَظُنُّهُ أَوَّلَ شِعْرٍ نَظَمْتُهُ : [70] (*)

(67) في «ق» وللقلوب .
(68) في «ق» اقلعوا .
(69) إلى هنا تنتهي القصيدة في الأصول ماعدا «ق» ، فالأبيات الآتية منه .
(70) في الأصول كلها وهي القصيدة التاسعة في «ق» .
(*) ديباجة «ق» وقلت وهي أول قطعة نظمت في معناها متغزلا .

59
7

(المتقارب)

أَلَحْظُكَ أَمْ سَيْفُ «عَمْرو»[71] أَعِيدَا
لَقَدْ جَنَّدَ ٱلْحُسْنُ فِيكَ ٱلْجُنُودَا

تَبَدَّى مُحَيَّاكَ تَحْتَ ٱلدُّجَى
فَخَرَّ ٱلْعَوَاذِلُ، طُرّاً، سُجُودَا

أُنَاشِدُكَ ٱللَّهَ فِي مُغْرَمٍ
أَحَلْتَ عَلَيْهِ ٱلْجَفَا وَالصُّدُودَا

إِذَا هَطَلَتْ سُحْبُ أَجْفَانِهِ
نَثَرْنَ عَلَى ٱلْخَدِّ دُرّاً فَرِيدَا

فَلَوْ كُنْتَ تَقْبَلُ مِنِّي الرُّشَا
لَحَلَّيْتُ جِيدَكَ مِنْهُ عُقُودَا

وَلَوَجَدْتَ بِٱلْقُرْبِ بَعْدَ ٱلنَّوَى
أَعَدْتَ مُعَنَّاكَ خَلْقاً جَدِيدا

(فَتُدْخِلُنِي لِلرِّضَى جَنَّةً
وَتُصْلِي حَسُودِيَ نَاراً وَقُودَا)[72]

182

وَقُلْتُ (بَدِيهَةً)[73] فِي رَوْضٍ وَغَنَّاهَا فِي ٱلْحِينِ مُنْشِدٌ مُجِيدٌ كَانَ لَنَا : [74]

(الطويل)

أَدِرْهَا، فَوَجْهُ الصُّبْحِ قَدْ كَادَ أَنْ يَبْدُوْ
وَفِي كُلِّ غُصْنٍ سَاجِعٌ غَرِدٌ يَشْدُو

(71) يقصد عمرو بن معدي كرب (21هـ- 642م) فارس اليمن ، صاحب الغارات المذكورة ، انظر : الاعلام (جـ : 5 ص 200) .

(72) اختصت «ق» بهذا البيت .

(73) زيادة من «ق» .

(74) في الأصول كلها وهي القصيدة الحادية عشرة في «ق» .

وَخُذْهَا عَلَى آسِ الرِّيَاضِ وَوَرْدِهِ[75]
فَهَذَا عِذَارٌ لِلرِّيَاضِ، وَذَا خَدُّ
كَأَنَّ سَقِيطَ الطَّلِّ فِي الرَّوْضِ، وَالصَّبَا
تَهَادَاهُ، طِفْلٌ، وَالْخُزَامَى لَهُ مَهْدُ
كَأَنَّ لِطَافَ الْقُضْبِ مِنْ فَوْقِ وَرْدِهَا
مَرَاوِدُ تَسْتَشْفِي بِهَا أَعْيُنٌ رُمْدُ
كَأَنَّ نَضِيرَ الْغُصْنِ جِيدٌ مُتَعَّمٌ
يَرِفُّ مِنَ الزَّهْرِ الْجَنِيِّ بِهِ عِقْدُ (ف 137 أ)
كَأَنَّ انْسِيَابَ النَّهْرِ بَيْنَ ظِلَالِهَا
حُسَامٌ صَقِيلٌ، وَالظِّلَالُ لَهُ غِمْدُ
كَأَنَّ الصَّبَا، عِنْدَ الْهُبُوبِ، تَحِيَّةٌ
بِطَيِّبِهَا تَخْتَصُّ، «أَنْدَلُسَ»، «الْهِنْدُ»
فَبَادِرْ إِلَى اللَّذَّاتِ مِنْ قَبْلِ فَوْتِهَا
فَمَهْمَا تَوَلَّتْ، سَاعَةً، مَا لَهَا رَدُّ

183

وَطَالَ الْمُقَامُ بِجَبَلِ الْفَتْحِ[76]، وَقَدْ تَشَوَّفْتُ لِوَلَدِي «عَبْدِ اللَّهِ»[77]، وَهُوَ طِفْلٌ صَغِيرٌ:[78]

(الطويل)

نَبَا الْجَنْبُ مِنِّي عَنْ وَثِيرِ مِهَادِهِ
وَحَالَفَ مِنِّي الْجَفْنَ طُولُ سُهَادِهِ
وَمِمَّا شَجَانِي، وَالشُّجُونُ كَثِيرَةٌ
وَلَا غَرْوَ، أَنْ يَشْقَى امْرُؤٌ بِبِعَادِهِ

(75) في «ق» على ورد الرياض وآسيه.
(76) تقدم التعريف به في ص 112.
(77) انظر التعريف به في النفح (جـ : 7، ص 290 — 302) نقلا عن الإحاطة.
(78) وردت في الأصول ماعدا «ق».

تَـذَكَّـرْتُـهُ فَـرْخَ ٱلْـقَـطَـاةِ فَـأَسْرَعَتْ
دُمُوعِيَ تَـهْمِي وَيْلَهَا[79] لِانْفِرَادِهِ
وَمَا حَالُ جِسْمٍ ظَاعِنٍ حَالَ بَيْنَهُ
قَضَـاءٌ جَـرَى حَـتْماً، وَبَيْنَ فُؤَادِهِ
إِذَا شِئْتُ أَنْ أَحْظَى إِلَيْهِ بِنَظْرَةٍ
تُسكِّنُ مَا أَوْرَى ٱلْجَوَى مِنْ زِنَادِهِ
جَـعَـلْتُ كِتَابِي نَاظِرِي، وَلَـحَظْتُهُ
بِـنَـاظِـرَةٍ مِنْ طِـرْسِـهِ وَمِـدَادِهِ
سَمِيَّ ٱلْأَبِ ٱلْأَحْنَى، وَأَيَّ وَسِيلَةٍ
تَـخُصُّكَ مِنْ قَلْبِي بِمَحْضِ وِدَادِهِ
أَعِنْدَكَ — «عَبْدَ ٱللَّهِ» — عِلْمٌ بِأَنَّنِي
رَمَى الصَّبْرُ مِنِّي لِلْأَسَى بِقِيَادِهِ
وَقَدْ كَانَ يَشْفِينِي ٱلْخَيَالُ إِذَا سَرَى
وَكَيْفَ لِجَفْنِي فِي ٱلْهَوَى بِرُقَادِهِ
تَنَاءَيْتُ عَنْ دَارِ ٱلنَّعِيمِ لِشِقْوَتِي
وَأَسْكَنَنِي ٱلرَّحْمَانُ شَرَّ بِلَادِهِ (ف 138 ب)
بِمُنْقَطَعِ ٱلرَّمْلِ ٱلَّذِي مَنْ ثَوَى بِهِ
فَقَدْ بَانَ فِي ٱلدُّنْيَا ضَلَالُ ٱرْتِيَادِهِ
مَـجَـالٌ لِأَفْرَاسِ الرِّيَاحِ إِذَا جَرَتْ
فَلَيْسَ بِخَالٍ، سَاعَةً، مِنْ طِرَادِهِ
أُعَانِيهِا بَحْرَيْنِ : بَحْراً مِنَ ٱلْعِدَى
لَـهُ ثَـبَجٌ مِن بَـيْضِـهِ، وَصِـعَـادِهِ
وَبَـحْراً مِنَ ٱلْـمَاءِ ٱلْأُجَاجِ تَرُوعُنَا
رَوَائِـعُ مِنْ أَهْوَالِـهِ فِي ٱشْـتِـدَادِهِ
عَسَى ٱللَّهُ يُدْنِي سَاعَةَ ٱلْقُرْبِ وَاللِّقَا
وَيَـجْعَلُ جُـهْدِي فِي سَبِيلِ جِهَادِهِ

(79) في الأصول : وبلها .

184

وَقُلْتُ مِمَّا صُرِّحَ بِهِ فِي مَجَالِسِ ٱلْأُنْسِ ، وَاسْتُدْعِيَ بِهِ طِيبُ ٱلنَّفْسِ : [80]

(الوافر)

أَدِرْهَا بَيْنَ مِزْمَارٍ وَعُودِ
وَدُونَكَ فَاغْتَنِمْ زَمَنَ ٱلسُّعُودِ
فَبُرْدُ ٱلرَّوْضِ مَرْقُومُ ٱلْحَوَاشِي
وَدَرُّ ٱلطَّلِّ مَنْظُومُ ٱلْعُقُودِ
وَجُنْحُ ٱللَّيْلِ مَطْوِيُّ ٱلنَّوَاحِي
وَضَوْءُ ٱلْفَجْرِ مَنْشُورُ ٱلْبُنُودِ
وَخُذْهَا ، وَٱلْبَلَابِلُ فِي خِصَامٍ ،
وَنَجْمُ ٱلصُّبْحِ مُلْتَهِبُ ٱلْوَقُودِ
عَرَائِسُ ، فِي حُلَى ٱلْكَاسَاتِ تُجْلَى
مُوَرَّدَةَ ٱلتَّرَائِبِ وَٱلْخُدُودِ
خَطَبْنَاهَا ، وَكَانَ الأُنْسُ مَهْراً
وَأَلْحَانُ ٱلْقِيَانِ مِنَ الشُّهُودِ
شُمُوساً كُلَّمَا غَرَبَتْ وَلَاحَتْ
عَلَى ٱلْأَفْوَاهِ تَطْلُعُ فِي ٱلْخُدُودِ
وَفَاتِنَةِ ٱللَّحَاظِ إِذَا تَثَنَّتْ
رَأَيْتَ ٱلْغُصْنَ يَمْرَحُ فِي ٱلْبُرُودِ
غَزَالَةِ رَبْرَبٍ[81] ، وَمَهَاةِ قَفْرٍ
تَعَوَّدَ طَرْفُهَا صَيْدَ ٱلْأُسُودِ (ف 139 أ)
فَتُمْرِضُهَا بِأَلْحَاظٍ مِرَاضٍ
وَتُسْهِرُهَا بِأَجْفَانٍ رُقُودِ

(80) في الأصول ماعدا «ق»

(81) الربوب : القطيع من الظباء .

إِذَا مَا اسْتَنْطَقَتْ نَغَمَ ٱلْمَثَانِي
ثَنَيْنَا، هَزَّةً، قُضْبَ ٱلْقُدُودِ
حَمِدْتُ يَدَ ٱلزَّمَانِ عَلَيَّ لَمَّا
نَعِمْتُ بِهَا عَلَى رَغْمِ ٱلْحَسُودِ
أَقُولُ لِصَاحِبِي، وَالرَّاحُ تَجْرِي
وَوَرْدُ ٱلأُنْسِ مَبْذُولُ ٱلْوُرُودِ
وَقَدْ مَاسَتْ غُصُونُ ٱلْبَانِ سُكْراً
مِنَ ٱلأَوْرَاقِ، فِي خُضْرِ ٱلْبُرُودِ
تَهُزُّ يَدُ ٱلنَّسِيمِ الطَّلَّ فِيهَا
فَتَحْسِبُهَا وَلَائِدَ فِي مُهُودِ
وَإِنْ قَامَ ٱلْغَمَامُ بِهَا خَطِيباً
تَرَى الإِبْرِيقَ يُسْرِعُ فِي ٱلسُّجُودِ
جِنَانٌ بَيْنَهُنَّ ٱلْحُورُ تَمْشِي
أَحَقّاً هَذِهِ دَارُ ٱلْخُلُودِ؟
تَمَتَّعْ، فَالزَّمَانُ لَنَا كَفِيلٌ
بِإِيجَازِ ٱلْمُؤَمَّلِ وَٱلْوُعُودِ
فَقَدْ عَادَ ٱلزَّمَانُ ٱلْيَوْمَ عِيداً
وَهَزَّ ٱلْبِشْرُ أَعْطَافَ ٱلْوُجُودِ
بِأَوْبَةِ «يُوسُفٍ» رَبِّ ٱلأَيَادِي
وَمُحْيِي ٱلدِّينِ مِنْ بَعْدِ ٱلْخُمُودِ
جَمَالِ ٱلْمُلْكِ مُبْتَدِعِ ٱلْمَعَالِي
كَمَالِ ٱلْخَلْقِ مُنْتَجَعِ ٱلْوُفُودِ
نَمَتْهُ مِنَ ٱلْخَلَائِفِ «آلِ نَصْرٍ»
أُولِي ٱلْغَايَاتِ مِنْ بَأْسٍ وَجُودِ
وَدَانَ لَهُ الزَّمَانُ فَدَامَ فِيهِ
قَرِيرَ ٱلْعَيْنِ مَنْصُورَ ٱلْجُنُودِ

185

وَقُلْتُ فِي غَرَضِ ٱلنَّسِيبِ :[82] (ف 140 ب)

(الطويل)

ثَنَى ٱلصَّعْدَةَ ٱلسَّمْرَاءَ مِنْ لِينِ قَدِّهِ
وَجَرَّدَ مِنْ أَجْفَانِهِ سَيْفَ خَدِّهِ

وَأَقْبَلَ فِي جَيْشٍ مِنَ ٱلْحُسْنِ رَائِعٍ
تَرَى ٱلْعَرَبَ ٱلْعَرْبَاءَ مِنْ دُونِ بَنْدِهِ

فَمِن «نُعَلِ الزَّوْرَاءِ»[83] لَمحَةُ طَرْفِهِ
وَمِنْ «مُضَرِ ٱلْحَمْرَاءِ» صَفْحَةُ خَدِّهِ[84]

وَلَاحَتْ لَهُ فِي حَوْمَةِ ٱلْقَلْبِ فَتْكَةٌ
تَعَجَّلَ نَصْرَ ٱللَّهِ فِيهَا لِوَعْدِهِ

فَحَكَّمَ سَيْفَ ٱللَّحْظِ فِي عَسْكَرِ ٱلْهَوَى
فَكَمْ مُهْجَةٍ مَطْلُولَةٍ فَوْقَ خَدِّهِ

وَكَمْ مِنْ فُؤَادٍ ضَاعَ فِي مَأْزَقِ ٱلْهَوَى
فَقِيداً، وَقَدْ أَبْلَى بِمَبْلَغِ جُهْدِهِ

وَأَشْكَلَ فِيهَا مَوْتُهُ مِنْ حَيَاتِهِ
فَعُمِّرَ فِي حُكْمِ ٱلْغَرَامِ لِفَقْدِهِ

---

(82) في الأصول ماعدا «ق».

(83) نُعل الزوراء جَدٌّ جاهلي اشتهر بنوه بإجادة الرمي.
انظر : سبائك الذهب ص 53 ــ واللباب (جـ : 1 ص 195) ــ نهاية الأرب للقلقشندي ص : 163 .

(84) ومضر جد جاهلي من سلسلة النسب النبوي.
انظر : سبائك الذهب ص 18 ــ جمهرة الأنساب ص 9 وما بعدها ــ الطبري (جـ : 2 ص 189) ــ الكامل لابن الأثير (جـ : 2 ص 10) ــ خزانة الأدب للبغدادي (جـ : 2 ص 292) .

بِنَفْسِي حِجَازِيُّ ٱلْجَمَالِ إِذَا ٱنْتَمَى
تَطَأْطَأَتِ ٱلْعُلْيَا لِعِزَّةِ مَجْدِهِ
تَبَسَّمَ عَن دُرٍّ مِنَ السِّمْطِ رَائِقٍ
تَأَنَّقَ صُنْعُ ٱللَّهِ فِي نَظْمِ عِقْدِهِ
ثَنَايَاهُ قَدْ أَبْدَتْ مَعَالِمَ «بَارِقٍ»
وَأَنْفَاسُهُ أَبْدَتْ نَوَاسِمَ «نَجْدِهِ»
وَأَعْطَافُهُ تَبْدُو عَلَيْهَا إِذَا ٱنْثَنَى
شَمَائِلُ مِنْ بَانِ «ٱلْحِجَازِ» وَرَنْدِهِ
تَفَجَّرَ مِنْ عَيْنِ ٱلْجَمَالِ بِمَوْرِدٍ
تَحُومُ ٱلْقُلُوبُ ٱلْهِيمُ مِنْ دُونِ وِرْدِهِ
يَلُوحُ عَلَى أَزْرَارِهِ قَمَرُ الدُّجَى
وَيَمْرَحُ غُصْنُ ٱلْبَانِ فِي طَيِّ بُرْدِهِ
وَيَخْتَالُ أُنْثَاءُ الذُّؤَابَةِ هَازِئاً
كَمَا ٱخْتَالَ سَيْفٌ فِي حَمَائِلِ غِمْدِهِ
لَئِنْ قَلِقَتْ أَعْطَافُهُ فِي وِشَاحِهِ
فَكَمْ أَقْلَقَتْ قَلْبَ ٱلْمَشُوقِ بِوَجْدِهِ (ف 141 أ)
وَإِنْ كَحَلَ السِّحْرُ ٱلْمُبِينُ جُفُونَهُ
فَكَمْ كَحِلَتْ طَرْفُ الْمُعَنَّى بِسُهْدِهِ
وَقَالُوا عِذَارٌ: قُلْتُ لَا بَلْ صَحِيفَةٌ
عَقَدْتُ لَهُ فِيهَا وَثِيقَةَ وُدِّهِ
وَشَى صَفْحَةَ ٱلْخَدِّ ٱلصَّقِيلِ فَزَانَهَا
كَمَا زَانَ صَفْحَ ٱلسَّيْفِ وَشْيُ فِرِنْدِهِ(85)
فَيَا لَابِساً شَعْرَ الذُّؤَابَةِ نَاسِكاً
لِيُخْبِرَ فِي وَصْلِي بِمَذْهَبِ زُهْدِهِ

(85) الفرند : السيف وما يلمع في صفحته من أثر تموج الضوء .

رَكِبْتُ طَرِيقَ الصَّبْرِ وَهْيَ مَفَازَةٌ
لِيَ ٱللَّهُ مِنْ غَوْلٍ[86] ٱلطَّرِيقِ وَبُعْدِهِ
مَوَاقِيتُ هَجْرٍ، أَرْبَعُونَ قَضَيْتُهَا[87]
فَيَا مَنْ لِصَبْرِي مِنْ بُلُوغِ أَشُدِّهِ!
إِذَا حَمَلَتْ «طَلَّ ٱلْغَمَامَةِ» أَدْمُعِي
رَوَى ٱلْقَلْبُ مِنِّي فِي ٱلْهَوَى «سِقْطَ زَنْدِهِ»[88]
سَقَى ٱللَّهُ عَهْدَ ٱلْقُرْبِ أَفْضَلَ مَا سَقَى
عُهُودَ ٱلْهَوَى ٱلْعُذْرِيِّ مِنْ صَوْبِ عِهْدِهِ
وَيَوْماً عَلَى رَغْمِ ٱلْوُشَاةِ اخْتَلَسْتُهُ
جَهَرْتُ بِشُكْرِ ٱللَّهِ فِيهِ وَحَمْدِهِ
تَنَاعَسَ جَفْنُ ٱلدَّهْرِ عَنِّيَ قَاصِداً
وَرُبَّتَمَا نَالَ ٱمْرُؤٌ فَوْقَ قَصْدِهِ
وَحَلَّ عَمِيدُ ٱلْبَيْتِ بَيْتِيَ زَائِراً
كَمَا حَلَّ بَدْرُ التَّمِّ فِي «بَيْتِ سَعْدِهِ»
فَيَالَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ بِأَنَّنِي
ظَفِرْتُ عَلَى يَأْسِي بِجَنَّةِ خُلْدِهِ
فَقَبَّلْتُ فِي لَيْلِ ٱلذُّؤَابَةِ وَجْهَهُ
وَعُذْتُ بِذَاكَ ٱلنُّورِ مِنْ لَيْلِ صَدِّهِ
وَعَاطَيْتُهُ حَمْرَاءَ فِي لَوْنِ أَدْمُعِي
إِذَا سَكَبَتْ ذَوْبَ ٱلْعَقِيقِ لِبُعْدِهِ
وَقُلْتُ لِسَاقِيهَا، وَلِلْأُنْسِ طَاعَةٌ
تَحَكَّمُ فِي هَزْلِ ٱلْحَدِيثِ، وَجِدِّهِ (ف 142 ب)
أَدِرْهَا، فَرَوْضُ ٱلْخَدِّ أَخْضَلَهُ ٱلْحَبَا
وَحَفَّ ظِرَازُ ٱلْآسِ مِنْ حَوْلِ وَرْدِهِ

(86) الغول : المشقة ، يقال هون الله عليك غول هذا الطريق .
(87) إشارة إلى الآية (138) من سورة الاعراف .
(88) لعله يوري بسقط الزند للمعري ، وطل الغمامة له كما ذكر ابن القاضي .

فَنَاوَلَهَا مَمْزُوجَةً بِرُضَابِهِ[89]
وَلَوْ أَنِّنِي أَنْصَفْتُ قُلْتُ: بِشُهْدِهِ
فَلَمَّا بَدَتْ لِلرَّاحِ فِيهِ ٱرْتِيَاحَةٌ
وَمَالَتْ شَمَالٌ لِلشَّمُولِ بِقَدِّهِ
تَوَسَّدَ أَضْغَاثَ ٱلرَّيَاحِينِ وَٱنْثَنَى
يَغِطُّ غَطِيطَ ٱلطِّفْلِ مِنْ فَوْقِ مَهْدِهِ
فَبَايَعْتُ سُلْطَانَ ٱلْعَفَافِ وَلَمْ أُجِزْ
عَلَى فِكْرَتِي إِلَّا ٱلْوَفَاءَ بِعَهْدِهِ
أَبَا الشَّرَفِ ٱلْأَرْضَى، تَلَطَّفْ بِأَنْفُسٍ
غَزَاهَا غَرَامٌ، أَصْبَحَتْ نَهْبَ جُنْدِهِ
تَرَفَّقْ وَعَلِّلْهَا بِأَيْسَرِ نَائِلٍ
يَحُوطُ ذِمَاهَا كَالسَّلَامِ وَرَدِّهِ
وَإِنْ أَنْتَ لَمْ تَفْعَلْ، فَمَا أَنْتَ فِي ٱلْوَرَى
بِأَوَّلِ مَوْلًى جَارَ فِي حُكْمِ عَبْدِهِ

186

وَقُلْتُ أَيْضاً فِي ٱلْمَعْنَى: [90]

(الكامل)

ٱلصَّبْرُ، إِلَّا فِي هَوَاكَ، حَمِيدُ
ٱلْخَطْبُ صَعْبٌ، وَٱلْمَرَامُ بَعِيدُ
يَا أَيُّهَا ٱلْقَمَرُ ٱلْحِجَازِيُّ ٱلَّذِي
تُجْلَى بِغُرَّتِهِ ٱلدَّيَاجِي ٱلسُّودُ
وَحَّدْتُ شَخْصَكَ فِي ٱلْفُؤَادِ لَعَلَّهُ
يُنْجِيهِ مِنْ نَارِ ٱلْجَوَى ٱلتَّوْحِيدُ

(89) الرضاب: الريق أو الريق المرشوف.
(90) في الأصول ماعدا «ق».

وَجَعَلْتُ حُبَّكَ مَذْهَباً وَشَرِيعَةً
قَلَّدْتُهُ، يَا حَبَّذَا ٱلتَّقْلِيدُ!
إِنْ نَالَتِ الشُّهَدَاءُ جَنَّاتِ ٱلْعُلَى
وَلَهُمْ تَعِيمٌ عِنْدَهَا وَخُلُودُ
فَلَقَدْ شَهِدْتُ بِأَنَّ قُرْبَكَ جَنَّةٌ
حَقّاً، وَأَنِّي بِالْغَرَامِ شَهِيدُ (ف 143 أ)
يَا مَنْ تَشَابَهَ مِنْهُ فِي ضُعْفِ ٱلْقُوَى
خَصْرٌ، وَطَرْفٌ سَاحِرٌ، وَعُهُودُ
جِسْمِي وَلَحْظُكَ، فِي السَّقَامِ، تَشَارَكَا
وَٱللَّهُ يَعْلَمُ، أَيُّنَا ٱلْمَفْؤُودُ؟!
إِنْ كُنْتَ تُنْكِرُ مَا ٱلَاقِي فِي ٱلْهَوَى
فَٱلْوَجْدُ قَاضٍ، وَالدُّمُوعُ شُهُودُ
أَصْبَحْتُ فِي شُغْلٍ بِحُبِّكَ، شَاغِلٍ
لَا ٱلْعَدْلُ يَنْهَانِي وَلَا التَّفْنِيدُ
تَهْفُو الصَّبَا سَحَراً فَأَسْتَجْفِي ٱلصَّبَا
وَأَغَصُّ بِالسَّلْسَالِ، وَهْوَ بَرُودُ
وَأَمِيلُ عَنْ ظِلِّ الْأَرَاكَةِ(91) ضَاحِياً
وَرِوَاقُهَا رَحْبُ ٱلْجَنَابِ مَدِيدُ
يَا عَهْدَ «عَيْنِ الدَّمْعِ»(92) كَمْ مِنْ لُؤْلُؤٍ
لِلدَّمْعِ جُدْتَ بِهِ عَسَاكَ تَعُودُ(93)

(91) الاراكة : أو شجر المسواك ، شجيرة كثيرة الفروع خوارة العود ، متقابلة الأوراق لها ثمار حمر داكنة توكل تنبت في البلاد الحارة .

(92) عين الدمع : بقعة من ضواحي غرناطة كانت أيام المسلمين متنزها بديعا إذ كانت تغص بالمروج والحدائق الغناء ، وموقعها القديم يقع اليوم في دائرة لاكارتوخا . انظر : الاحاطة (جـ : 1 ، ص 127 حاشية 4) .

(93) هذا البيت والذي يليه في الاحاطة (جـ : 1 ص 128) .

تَسْرِي نَوَاسِمُكِ ٱلسُّدَانُ بَلِيلَةً
فَيَهُزُّنِي شَوْقٌ إِلَيْكِ شَدِيدُ
كَمْ سَاعَةٍ لِلأُنْسِ فِيكِ قَضَيْتُهَا
مَنْ نَالَهَا، مَا فَاتَهُ مَقْصُودُ
وَمُجَاذِبٍ، ثِنْيَ الذُّوَابَةِ عَابِثٍ
تَهْفُو بِخُطُوطَتِهِ(94) الصَّبَا فَيَمِيدُ
ٱلسُّقْمُ مَبْثُوثٌ عَلَى لَحَظَاتِهِ
وَالسِّحْرُ فِي أَجْفَانِهِ مَعْقُودُ
نَادَمْتُهُ، وَشَرِبْتُ فَضْلَ مُدَامِهِ
وَاللَّحْظُ، مِنْ أَكْوَاسِهِ، مَعْدُودُ
وَلَقَدْ هَمَمْتُ بِأَنْ أُرَوِّيَ غُلَّةً
لِجَحِيمِهَا، بَيْنَ ٱلضُّلُوعِ، وَقُودُ
وَأَبُثُّ سِرّاً فِي فُؤَادِيَ، دُونَهُ
لِلْكَتْمِ بَابٌ مُرْتَجٌ، مَنْدُودُ
كَمْ لُؤْلُؤٍ نَثَرَ ٱلْحَدِيثُ عُقُودَهُ
نُظِمَتْ لِشَمْلِ ٱلْوُدِّ مِنْهُ عُقُودُ (ف 144 ب)
وَلَئِنْ تَحَامَانَا ٱلرَّقِيبُ فَلَمْ يَرُمْ
عَنَّا رَقِيبٌ، لِلْعَفَافِ، عَتِيدُ
لَوْلَا هَوَاكَ، أَبَا ٱلشَّرَفِ الرِّضَى
مَا كَانَ، عِنْدِي لِلْوُجُودِ، وُجُودُ
إِيهٍ، عَمِيدَ ٱلْحَيِّ غَيْرَ مُدَافَعٍ
قَلْبِي، بِمَا يَلْقَاهُ مِنْكَ، عَمِيدُ
إِن بِنْتَ فَاسْمَحْ لِي بِرَجْعِ تَحِيَّةٍ
أَوْ غِبْتَ، فَابْعَثْ بِالْخَيَالِ يَعُودُ

(94) الخوط من الرجال الجسيم الخفيف الحسن الخلق والغصن الناعم والمعنى على المجاز هنا.

يَـا ٱبْنَ ٱلْكِرَامِ «ٱلْهَاشِمِيِّينَ» ٱلْأُلَى
ٱلْـبَـأْسُ طَوْعُ بَـنَـانِـهِـمْ وَٱلْـجُودُ
رِفْـقـاً عَـلَى مُهَجٍ تَـمَلَّكَهَا ٱلْهَوَى
فَـالـرِّفْقُ مِنْ أَخْلَاقِـكُـمْ مَـعْـدُودُ
وَلَّاكَ سُـلْـطَـانُ ٱلْـجَـمَـالِ نُـفُوسَـنَـا
فَـاحْكُمْ بِمَا تَرْضَى، فَنَحْنُ عَبِيدُ

187

وَقُلتُ مِنَ الشِّعْرِ ٱلْقَدِيمِ فِي غَرَضِ ٱلْمَدْحِ :(95)

(الكـامـل)

عَـجَـبـاً لِوَجْـدٍ، لَا يَـلِـينُ شَـدِيـدُهُ
وَغَـــرَامِ قَـــلْبٍ شَبَّ فِـيـهِ وَقُودُهُ
وَلَـقَـدْ عَـهِـدْتُ ٱلْقَلْبَ، وَهْوَ مُوَحِّدُ
فَعَلَامَ يُقْضَى فِي ٱلْعَذَابِ خُلُودُهُ(96) ؟
إِيْلَافُ نَـفْسِي فِي هَوَاكِ حَـبَـائُـهَـا
وَفَـنَـاءُ قَـلْـبِـي، فِي رِضَـاكِ وُجُودُهُ
وَإِنْ اسْـتَـرَبْتِ سَـلِي شُـهُودَ مَدَامِعِي
قَـدْ صَحَّ مَنْ فِي وَجْنَتَيْهِ شُهُودُهُ
هَـلْ تَذْكُرِينَ عُهُودَ أَيَّامِ ٱلْحِمَى ؟
لِـلَّـهِ أَيَّـامُ ٱلْـحِـمَى وَعُـهُـودُهُ !
أَيَّـامَ، وَجْـهُ ٱلـدَّهْـرِ طَـلْـقٌ، وَالصِّـبَا
لُـدْنُ ٱلْـمَـعَـاطِفِ يَـانِـعٌ أَمْـلُـودُهُ(97)

(95) في الأصول الثلاثة «ح» و«م» و«ف» .
(96) هذا البيت في روضة التعريف ص 274 والاحاطة مخطوط لوحة 452 ، والنفح (جـ : 9 ص 2012) ويسبق هذا البيت في هذه المصادر البيت الآتي :
عـذبت قـلبي في الهوى فقامـه في نـار هـجرك دائما وقـعوده
(97) الأملود : الناعم اللين من الناس ومن الغصون .

فَالْيَوْمَ عَادَ ٱلْقُرْبُ مِنَّا فِي ٱلْهَوَى
بُعْداً، وَصَالَ عَلَى ٱلْوِصَالِ صُدُودُهُ (ف 145 أ)

وَلَقَدْ شَجَانِي بَارِقٌ مُتَأَلِّقٌ
يُشْجَى بِهِ صَبُّ ٱلْفُؤَادِ عَمِيدُهُ

أَوْرَى بِجُنْحِ ٱللَّيْلِ فِي «سِقْطِ ٱللِّوَى»
سِقْطاً وَرَتْ خَلَلَ السَّحَابِ زُنُودُهُ

وَهَمَى عَلَى طَلَلِ ٱلْأَحِبَّةِ دِيمَةً
فَحَسِبْتُ عَيْنِي عِنْدَ ذَاكَ تَجُودُهُ

وَكَأَنَّ نُورَ جَبِينِ «يُوسُفَ» نُورُهُ
وَكَأَنَّ دِيمَتَهُ ٱلْمُلِثَّةَ[98] جُودُهُ

مَلِكٌ أَقَامَ ٱلْحَقَّ يَخْفِقُ ظِلُّهُ
فَٱلْحَقُّ خَفَّاقُ ٱلرِّوَاقِ مَدِيدُهُ

وَحَبَاهُ رَبُّ ٱلْعَرْشِ آيَةَ مَفْخَرٍ
حَكَمَتْ لَهُ أَنَّ ٱلْمُلُوكَ عَبِيدُهُ

وَحَمَى ٱلْجَزِيرَةَ حَامِلاً أَعْبَاءَهَا
بِلُهَامِ جَيْشٍ لَا يُكَثُّ عَدِيدُهُ[99]

وَغَدَا بِأَسْبَابِ ٱلْعُلَى مُتَمَسِّكاً
فِيهَا، فَحِفْظُ ٱللَّهِ لَيْسَ يَؤُودُهُ

من كَانَ أَنْصَارُ ٱلنَّبِيِّ جُدُودَهُ
فَمَلَائِكُ ٱلسَّبْعِ ٱلطِّبَاقِ جُنُودُهُ

مَاسَتْ غُصُونُ رِمَاحِهِ وَتَفَتَّحَتْ
بِشَقَائِقِ ٱلنَّصْرِ ٱلْعَزِيزِ بُنُودُهُ

وأَعَدَّ أَوْزَارَ ٱلْحُرُوبِ صَوَافِناً
تَمْضِي عَلَى عِقْبَانِهِنَّ أُسُودُهُ

---

(98) المطر ألث : دام أيام لا يقلع .
(99) يقال أتانا بجيش ما يكث أي ما يحصى عدده .

مِنْ كُلِّ أَجْرَدَ سَابِقٍ عَبْلِ الشَّوَى[100]
مَا إِنْ تُحَطُّ عَنِ الْحُرُوبِ لُبُودُهُ
يَرْمِي بِهِ الْغَرَضَ الْبَعِيدَ فَيَنْثَنِي
بِطِلاَبِهِ، كَثِبُ الْمَزَارِ بَعِيدُهُ
وَيَكَادُ يَنْتَعِلُ الْهِلاَلَ إِذَا سَرَى
وَيُقَلِّدُ الشَّمسَ الْمُنِيرَةَ جِيدُهُ
وَقَوَاضِباً بِيضاً سُقِينَ دَمَ الْعِدَى
فَبَدَا عَلَى صَفَحَاتِهَا تَوْرِيدُهُ (ف 146 ب)
وَمُفَاضَةٌ[101] زَغْفاً تَضَاعَفَ نَسْجُهَا
خَلْقَاءَ قَدَّرَ نَسْجَهَا دَاوُودُهُ
وَحَنِيَّةً تَحْنُو عَلَى سَهْمِ الرَّدَى
فَيُصِيبُ شَاكِلَةَ الرَّمِيِّ سَدِيدُهُ[102]
أَضْحَى الضَّلاَلُ بِهَا يُصَوِّحُ نَبْتُهُ
وَاخْضَرَّ مِنْ دِينِ الْحَنِيفَةِ عُودُهُ
أَخَلِيفَةَ الرَّحْمَانِ وَالْمَلِكُ الَّذِي
تَنْمِيهِ مِنْ أَقْيَالِ «خَزْرَجَ» صِيدُهُ
مَاذَا يُنَمَّقُ فِي امْتِدَاحِكَ مَادِحٌ
لاَ يُنْزِفُ الْبَحْرَ الْخِضَمَّ وُرُودُهُ
مَا زَهْرُ رَوْضِ الْغَوْرِ رَوَّضَهُ الْحَيَا
وَحَنَتْ عَلَيْهِ بُرُوقُهُ وَرُعُودُهُ
وَسَرَى سَقِيطُ الطَّلِّ فِي أَوْرَاقِهِ
بَدَداً كَدُرٍّ أَسْلَمَتْهُ عُقُودُهُ

(100) الشوَى : أطراف الجسم ، ويقال فَرَسٌ عبل الشوَى : ضخم القوائم .
(101) المفاضة : الدرع . والزَّغْفُ (ج) الزَّغْفَةِ وهي الدِّرع الواسعة .
(102) أصاب شاكلة الرمية : خاصِرتَهُ .

وَكَأَنَّهُ، فِي ضِفَّةِ النَّهْرِ، انْتَشَى
وَغَدَا يَبُوحُ بِسِرِّهِ عِرْبِيدُهْ
بِجَنِيِّ وَرْدٍ شَجَّ وَجْنَتَهُ النَّدَى
وَبِسَوْسَنٍ شُقَّتْ عَلَيْهِ بُرُودُهُ
وَتَخَالُ غُصْنَ الْبَانِ فِيهِ عَابِدًا
مَا إِنْ يَرِيمُ رُكُوعُهُ وَسُجُودُهُ
بِأَنَمَّ مِنْ مَسْرَى امْتِدَاحٍ عَاطِرٍ
يُهْدَى إِلَى نَادِي عُلَاكَ فَرِيدُهُ
أَلْبَسْتَ هَذَا الْمُلْكَ ثَوْبَ جَلَالَةٍ
يَبْقَى عَلَى مَرِّ الْجَدِيدِ جَدِيدُهُ
وَعَضَدْتَ دِينَ اللَّهِ يَا ابْنَ نَصِيرِهِ
حَتَّى سَمَا فَوْقَ السَّمَاءِ عَمُودُهُ
جَاهَدتَ دِينَ الْكُفْرِ حَتَّى سِمْتَهُ
خَسْفاً، وَرَامَ السِّلْمَ مِنْكَ عَنِيدُهُ
وَتَبِعْتَ آثَارَ النَّبِيِّ مُيَمِّماً
مَا أُمَّهُ صِدِّيقَهُ، وَشَهِيدُهُ (ف 147 أ)
قَابَلْتَ شَهْرَ الصَّوْمِ مِنْكَ بِمَا بِهِ
يَنْهَلُّ مِنْ فَضْلِ الْإِلَاهِ مَزِيدُهُ
وَوَصَلْتَ تِمَّ اللَّيْلِ مِنْهُ بِيَوْمِهِ
ذِكْراً يُبَلِّغُهُ الْقَبُولَ صُعُودُهُ
وَشَرَعْتَ لِلصَّدَقَاتِ أَصْفَى مَشْرَعٍ
يَنْدَى عَلَى حَرِّ الصُّدُورِ بُرُودُهُ
فَجَزَاكَ بِالْأَجْرِ الْجَزِيلِ صِيَامُهُ
وَحَبَاكَ بِالنَّصْرِ الْمُؤَزَّرِ عِيدُهُ
فَاهْنَأْ بِهِ فِي الدَّهْرِ أَسْعَدَ قَابِلٍ
طَلَعَتْ بِعِزِّ الْمُسْلِمِينَ سُعُودُهُ

لَـمَّـا مَـرَرْتَ إِلَى مُصَلَّاهُ ضُـحًى
وَالـتُّـرْبُ يَـلْـثِـمُ أَخْـمَصَيْكَ صَعِيدُهُ
قَضَّيْتَ مِنْ حَقِّ الشَّرِيعَةِ مَقْصَداً
لَـزِمَ ٱلْـمُـلُوكَ ٱلصَّالِحِينَ أُكِيدُهُ
فَاخْلُدْ وَدُمْ وانْعَمْ بِسَابِغِ نِعْمَةٍ
تُـتْـرَى، وَمُـلْكٌ لاَ يُـنَـلُّ مَشِيدُهُ
لَازَالَ ذِكْرُكَ فِي ٱلْبَسِيطَةِ دَائِماً
سَيُرَى عَلَى كَتِدِ[102] الزَّمَانِ حَمِيدُهُ
مَنْ كَادَ مُلْكَكَ مِنْ عَدُوٍّ يَبْتَغِي
شَرّاً فَإِنَّ ٱللَّهَ عَنْكَ يَكِيدُهُ

188

وَخَاطَبْتُ ٱلشَّيْخَ ٱلْوَزِيرَ «أَبَا بَكْرِ بْنَ ٱلْحَكِيمِ»[104] ــ رَحِمَهُ ٱللَّهُ ــ لِأَوَّلِ ٱنْتِحَالِي ٱلشِّعْرَ حَسَبَمَا يَظْهَرُ. مِنْ أَغْرَاضِهَا وَهَلْهَلِ نَسْجِهَا :[105]

(الخفيف)

أَنْـتُـمُ مِـنْ مَـنَـاسِبِ ٱلْأَمْـجَـادِ مَوْضِعُ العِقْدِ مِنْ طُلَا الأَجْيَادِ
وَلَكُمْ مِنْ مَنَاصِبِ الْفَخْرِ أَسْمَا هَـا وَعِزُّ النَّدَى وَغُرُّ ٱلْأَيَادِي
يَـا لَأَيَّـامِـهِـمْ، وَقَـدْ يَـبِسَ ٱلْـعُو
دُ وَغَالَتْ شَهْبَاءُ سَرْحَ الْبِلَادِ (ف 148 ب)
وَالْتَقَى رَائِدُ «الْحِجَازِ» و«نَجْرَا[106] نِ» وَسَعْدُ الإِمْحَالِ فِي كُلِّ وَادِي
أَنـذَرَ «الْـمُـنْـذِرُ» الأَنَامَ بِجَدْوَا هُ وَسَحَّ «النُّعْمَانُ» نُعْمَى عَتَادِ

(103) الكتد : مجمع الكتفين من الانسان والفرس أو الكاهل .
(104) تقدمت ترجمته في ص 116 .
(105) في الأصول ماعدا «ق»
(106) نجران : بفتح ثم السكون وآخره نون ، وهو في عدة مواضع ، انظر : مراصد الاطلاع (جـ : 3 ص 199 ــ 200)

فَحُوَارٌ[107] تَرْغُو، وَنَارٌ تَلَظَّى وَطُهَاةٌ تَشِي، وَدَاعٍ يُنَادِي
وَحُبَاً مِنْ مَطَارِفٍ وَشْيِ «صَنْعَا ءَ» بِهَا كَالرِّيَاضِ غِبَّ ٱلْعِهَادِ
مَعْشَرٌ يَجْعَلُ ٱلضُّيُوفَ أَصْدِقَاءٌ[108] كَرَماً، وَٱلْأَمْوَالَ بَعْضَ ٱلْأَعَادِي
مَعْشَرٌ يَجْعَلُ ٱلْحُسَامَ عَلَى الطِّفْلِ اعْوِذَاذاً، وَٱلْمَهْدَ ظَهْرَ ٱلْجَوَادِ
خُطَبَاءُ ٱلْأَقْوَالِ يَوْمَ جِدَالٍ وَكُمَاةُ ٱلْأَبْطَالِ يَوْمَ الْجِلَادِ
يَا لِأَيَّامِهِمْ وَقَدْ زَلَّتِ الرِّجْلُ وَزَالَتْ شَوَامِخُ ٱلْأَطْوَادِ
فَشَبَا صَعْدَةٍ بِثُغْرَةِ ذِمْرٍ وَغِرَارٌ مُهَنَّدٌ فِي هَادِي[109]
وَصِفَاحٌ تُمْضَى وَسُمْرٌ تَلَظَّى تَقْدَحُ ٱلنَّارَ فِي مُتُونِ ٱلصِّلَادِ
وَوُجُوهٌ بُسْرٌ وَخَيْلٌ ظِمَاءٌ كَرَعَتْ فِي مَنَاهِلِ الأَوْرَادِ
وَكُمَاةٌ تَحْمِي مَوَارِدَهَا السُّمْرُ فَتَكْوَى بِهَا عُيُونُ ٱلْجُوَادِ
فَكَأَنَّ الرِّمَاحَ كَانَتْ رِكَازاً[110] وَكَأَنَّ ٱلْهَيْجَاءَ يَوْمُ ٱلْمَعَادِ
أَقْبَلُوا إِنْ نَظَرْتَ قُلْتَ بُدُورٌ حَجَبَتْهَا سَحَائِبُ ٱلْأَزْرَادِ
عَجَباً كَيْفَ لاَ تَسِيلُ سُيُوفٌ حَمَلُوا أَنْفُسا عَلَى ٱلْأَغْمَادِ (ف149أ)
تُضْرَمُ ٱلنَّارُ فِي غَدِيرِ دِلَاصٍ[111] وَعَزِيزٌ تَأَلَّفُ ٱلْأَضْدَادِ
مَنْ «كَعَمْرٍو» مُفْنِي ٱلْبَرَاجِمِ[112] وَٱلْمُدْ نِ وَقَدْ أَلْقَحَتْ حُرُوبُ الشِّدَادِ
مَعْشَرٌ أَوْرَثُوا ٱلْهِدَايَةَ عَنْ «هُو دٍ»، فَمِنْ مُهْتَدٍ بِهِ . أَو هَادِي
فَلَقَدْ انْجَبُوكَ يَا عُمْدَةَ ٱلْحَيِّ ، وربَّ ٱلْبَيْتِ ٱلرَّفِيعِ ٱلْعِمَادِ
مَاجِداً مُفْضِلاً شُجَاعاً حَلِيماً وَاسِعَ ٱلْمُنْتَدَى كَثِيرَ ٱلرَّمَادِ
يَا «أَبَا بَكْرٍ» ٱلْمُؤَمَّلَ لِلْخَطْبِ الْمُفَدَّى. وَتُحْفَةَ ٱلْمُرْتَادِ

(107) الحوار : ولد الناقة ساعة تضعه أو إلى أن يفصل عن أمه .
(108) الوزن غير مستقيم في هذا الشطر. اللهم إلا إذا سهلنا همزة أصدقاء .
(109) الهادي : العنق ، والذمر : الداهية .
(110) الركاز : المال المدفون في الأرض . والمقصود هنا : إخراج الرِّماح من الأرض .
(111) الدرع الدلاص : الملساء اللينة .
(112) البراجم : قوم من تميم . وفي المثل «ان الشقي وافد البراجم» يضرب لمن يوقع نفسه في هلكة طمعا .
انظر : تاج العروس (جـ : 8 ص 199) .

فِي سَبِيلِ الإِلَاهِ مَجْدٌ تَوَارَثْتَ كَرِيمَ الإِصْدَارِ وَالإِيرَادِ
فِي سَبِيلِ الإِلَاهِ اخْلَاقُكَ الَّ تِي، هِيَ العَذْبُ فِي احْتِدَامِ الْجَوَادِ[113]
فِي سَبِيلِ الْإِلَاهِ عِلْمٌ تُرَوِّيهِ وَنَقْلٌ مُصَحَّحُ الْإِسْنَادِ
فِي سَبِيلِ الْإِلَاهِ مِنْكَ خِلَالٌ تَذَرُ الشَّهْبَ فِي حَضِيضِ الْوِهَادِ
لِي ثَنَاءٌ كَمَا عَلِمْتَ هُوَ الْوَشْيُ، وَ«صَنْعَاءُ»[114] فِي فَمِي وَفُؤَادِي
فَلِذَا مَا أَحُوكُ عَصْبَ امْتِدَاحِي سَابِرِيّاً[115] مُسَهَّمَ الْأَبْرَادِ
مُخْجِلاً لَفْظُهُ حَلَاوَةَ مَعْنَاهُ صَحِيحَ الْأَسْبَابِ وَالْأَوْتَادِ
مَا الَّذِي تَحْصُرُ الْمَمَادِحُ وَالْحَمْدُ، وَقَدْ جُزْتَ غَايَةَ التَّعْدَادِ
فَلَوِ انِّي اسْتَنْصَرْتُ إِذْ رَوَيْتُ شُكْرِيكَ، وَحَمْدِي، لِسَانَ «قُسَّ إِيَادِ» (ف 150 ب)
وَجَعَلْتُ النَّهَارَ طِرْسِيَ، كَيْمَا أُحْمِيَ الْوُدَّ، وَالظَّلَامَ مِدَادِي
نَفِدَ الطِّرْسُ وَالْمِدَادُ وَلَمَّا أُحْصِ شُكْرِي وَلَا شَرَحْتُ وِدَادِي
وَإِذَا مَا مَدَحْتُ لَسْتُ بِبِدْعٍ إِنَّ فِي الْبَحْرِ وَقْعَ كُلِّ ثِمَادِ[116]

189

وَقُلْتُ مِمَّا يَتَضَمَّنُ أَوْصَافاً وَأَغْرَاضاً:[117]

(الطويل)

مَقَامُكَ مَرْفُوعٌ عَلَى عَمَدِ السَّعْدِ
وَحَمْدُكَ مَسْطُورٌ عَلَى صُحُفِ الْمَجْدِ
وَحُبُّكَ أَشْهَى فِي الْقُلُوبِ مِنَ الْمُنَى
وَذِكْرُكَ أَحْلَى فِي الشِّفَاهِ مِنَ الشَّهْدِ

(113) الجواد: شدة الحر.
(114) صنعاء: موضع باليمن العاصمة حاليا انظر: ياقوت (جـ: 3 ص 420 وما بعدها).
(115) السابري من الثياب الرقيق الجيد ومن الدروع: الدقيقة النسج في احكام.
(116) الثماد (ج) الماء القليل الذي ليس له مدد.
(117) في الأصول ماعدا «ق».

كَرُمْتَ إِلَى أَنْ كَادَ يَسْأَلُكَ ٱلْحَيَا
وَصُلْتَ إِلَى أَنْ هَابَكَ ٱلسَّيْفُ فِي الغِمْدِ
وَجَمَّعَ فِيكَ ٱللَّهُ مُفْتَرِقَ ٱلْعُلَى
وَشَتَّى ٱلْمَعَانِي ٱلْغُرَّ فِي عَلَمٍ فَرْدِ
وَأَحْيَيْتَ آثَارَ ٱلْخَلَائِفِ سَابِقاً
جِيَادَ ٱلْمَدَى فِيمَا تُعِيدُ وَمَا تُبْدِي
وَلَا مِثْلَ شَفَّافِ الضِّيَاءِ بَنَيْتَهُ
عَلَى الطَّائِرِ ٱلْمَيْمُونِ وَالطَّالِعِ السَّعْدِ
تَوَشَّحَ مِنْ زُهْرِ ٱلنُّجُومِ قِلَادَةً
وَمِنْ قَلَقِ ٱلْإِصْبَاحِ أَصْبَحَ فِي بُرْدِ
مَقَامُ ٱلنَّدَى، وَٱلْبَأْسِ، وَٱلْعَدْلِ وَالتُّقَى
وَمُسْتَوْدَعُ ٱلْعَلْيَاءِ وَالشَّرَفِ ٱلْعِدِّ[118]
دَحَيْتَ مِنَ الزَّلِّيجِ[119] صَفْحَةَ أَرْضِهِ
بِلَوْنَيْنِ مُبْيَضِّ ٱلْأَدِيمِ وَمُسْوَدِّ
كَمَا رُقِمَ ٱلْكَافُورُ بِالْمِسْكِ وَٱلْتَقَتْ
ذَوَائِبُ مِنْ شَعْرٍ أَثِيثٍ[120] عَلَى خَدِّ
وَأَرْسَلْتَ فِيهَا جَدْوَلَ ٱلْمَاءِ سَائِلاً
كَمَا سُلَّ مَصْقُولُ ٱلْغِرَارَيْنِ مِنْ غِمْدِ (ف 151 أ)
تُقَابِلُ بَيْتَاهُ، وَقَدْ أَبْرَزَتْهُمَا
مِنَ الدِّينِ وَالدُّنْيَا عُلَاكَ عَلَى حَدِّ
فَأَلْبَسْتَ هَذَا حُلَّةَ ٱلْمُلْكِ وَالغِنَى
وَأَلْبَسْتَ هَذَا شَمْلَةَ النُّسْكِ وَالزُّهْدِ

(118) العِدّ : الماء الجاري الذي له مادة لا تنقطع ، والقديم يقال : حسب عدّ .
(119) الزليج : نوع من الأجر مدهون بدهان ملوّن بالأبيض والأسود والأزرق والأصفر والأخضر وما ركب من هذه الألوان وغالبه الأزرق الكحلي .
انظر : متن اللغة (جـ : 3 ص 48) ـ دوزي (جـ : 1 ص 598 ـ 599) .
(120) أث الشعر : غزر وطال فهو اثّ وأثيث (ج) أثاث .

وَكَمْ عِبْرَةٍ أَبْدَيْتَ تَلْعَبُ بِالنُّهَى
فَتَنْحَرِفُ ٱلْأَذْهَانُ مِنَّا عَنِ ٱلْقَصْدِ
فَكَمْ غَادَةٍ تَخْتَالُ تَحْتَ مِنَصَّةٍ
مُعَصْفَرَةِ السِّرْبَالِ مَصْقُولَةِ ٱلْخَدِّ
مِنَ الصُّفْرِ إِلَّا أَنَّهَا عَرَبِيَّةٌ
إِذَا ٱجْتُلِيَتْ فِيهَا سِمَاتُ «بَنِي سَعْدِ»(121)
حَبَتْهَا «دِمَشْقُ»(122) ٱلشَّامِ» كُلَّ زُجَاجَةٍ
أَرَقَّ مِنَ الشَّكْوَى، وَأَصْفَى مِنَ ٱلْوُدِّ
رَأَيْنَا بِهَا كُرْسِيَّ كِسْرَى وَتَاجَهُ
نُلَاحِظُهُ عَيْناً عَلَى قِدَمِ ٱلْعَهْدِ
وَكَمْ رَامِحٍ لِلْفُرْسِ فِيهَا وَنَابِلٍ
وَرَاحٍ نُعَاطِيهَا مُهَفْهَفَةَ ٱلْقَدِّ
وَمِنْ سُرُرٍ مَرْفُوعَةٍ وَأَرَائِكٍ
كَمَا رَقَمَتْ أَيْدِي ٱلْغَمَامِ صَبَا نَجْدِ(123)
يُذَكِّرُ مَرآهَا قُلُوبَ أُولِي ٱلنُّهَى
بِمَا وُعِدَ ٱلْأَبْرَارُ فِي جَنَّةِ ٱلْخُلْدِ
حَدَائِقُ دِيبَاجٍ سَقَتْهَا مِنَ ٱلْحَيَا
سَحَائِبُ أَفْكَارٍ مُهَنَّأَةِ ٱلْوِرْدِ
فَمَا شِئْتَهُ مِنْ نَرْجِسٍ وَبَنَفْسَجٍ
وَآسٍ وَسُوسَانٍ نَضِيرٍ وَمِنْ وَرْدِ
وَهَبَّتْ رِيَاحُ النَّصْرِ فِي جَنَبَاتِهَا
فَأَنْشَأْنَ سُحْبَ ٱلْعَنْبَرِ ٱلْوَرْدِ وَالنَّدِّ

(121) يشير إلى سعد بن عُبادة الذي ينتسب إليه بنو الأحمر.
(122) دمشق: بالكسر ثم الفتح وشين معجمة وآخره قاف.
انظر: مراصد الاطلاع (جـ: 1 ص 208 – 209).
(123) نجد: صقع واقع من وراء عمان.
انظر: مراصد الاطلاع (جـ: 3، ص 198 وما بعدها).

مَطَارِدُ فُرْسَانٍ وَمَجْرَى سَوَابِحٍ
وَمَكْنِسُ غِزْلَانٍ وَغَابَةُ ذِي لِبْدِ[124]
تَكَنَّفَهَا عَدْلُ ٱلْخَلِيفَةِ «يُوسُفٍ»
فَتَرْعَى ٱلظِّبَاءُ ٱلْعُفْرُ فِيهَا مَعَ ٱلْأُسْدِ (ف 152 ب)
إِمَامُ هُدىً مِنْ «آلِ سَعْدٍ» نِجَارُهُ
وَنَصْرُ ٱلْهُدَى مِيرَاثُهُ «لِبَنِي سَعْدِ»
مَآثِرُهُ تَلْتَاحُ فِي أُفُقِ ٱلْعُلَى
وَآثَارُهُ تَسْتَنُّ فِي سُنَنِ الرُّشْدِ
نسيم ← فَتُلْحَظُ مِنْ أَنْوَارِهِ سُورَةُ الضُّحَى
صـ٢٠٧ وَتُحْفَظُ مِنْ آثَارِهِ سُورَةُ ٱلْحَمْدِ[125]
مِنَ النَّفَرِ ٱلْوُضَّاحِ وَالسَّادَةِ ٱلْأُلَى
يُغِيثُونَ فِي ٱلْجُلَّى، وَيُوفُونَ بِالْعَهْدِ
إِذَا حَدَّثُوا تَرْوِي الرُّوَاةُ حَدِيثَهُمْ
عَنِ ٱلْأَسْمَرِ «ٱلْخَطِّيِّ» وَٱلْأَبْيَضِ «ٱلْهِنْدِي»
أَنَاصِرَ دِينِ ٱللَّهِ، وَابْنَ نَصِيرِهِ
عَلَى حِينَ لَا يُغْنِي نَصِيرٌ وَلَا يُجْدِي
طَلَعْتَ عَلَى ٱلدُّنْيَا بِأَيْمَنِ غُرَّةٍ
أَضَاءَ بِهَا نُورُ السَّعَادَةِ فِي ٱلْمَهْدِ
صـ٢٠٧ وَكَمْ رَصَدَتْ مِنَّا ٱلْعُيُونُ طُلُوعَهَا
فَحُقِّقَ نَصْرُ ٱللَّهِ فِي ذَلِكَ الرَّصْدِ
وَقَتْ بَيْتَكَ ٱلْمَعْمُورَ مِنْ كُلِّ حَادِثٍ
عِنَايَةُ مَنْ يُغْنِي عَنِ ٱلْآلِ وَٱلْجُنْدِ
تقسيم ← تَهَنَّأُ بِهِ ٱلْأَيَّامَ دَانِيَةَ ٱلْجَنَى
وَصَافِحْ بِهِ الآمَالَ مَنْظُومَةَ ٱلْعِقْدِ

(124) البيتان مذكوران في شرح مقصورة حازم للشريف الغرناطي ص : 131 .
(125) يوري بسور القرآن الكريم : سورة الفاتحة وسورة الضحى .

وَدُونَكَهَا مِنْ بَحْرِ فِكْرِي جَوَاهِرا
تُقَلَّدُ فِي نَحْرٍ، وتُنْظَمُ فِي عِقْدِ
يَقُومُ بِآفَاقِ ٱلْبِلَادِ خَطِيبُهَا
يُتَرْجِمُ عَنْ حُبِّي، وَيُخْبِرُ عَنْ وُدِّي
رَكَضْتُ لَهَا خَيْلَ ٱلْبَدِيهَةِ جَاهِداً
وَأَسْمَعْتُ آذَانَ ٱلْمَعَالِي عَلَى بُعْدِ
فَجَاءَتْ وَفِي أَلْفَاظِهَا لَفَفُ[126] ٱلْكَرَى
سِرَاعاً وَفِي أَجْفَانِهَا سِنَةُ السُّهْدِ
تَقُولُ رُوَاةُ الشِّعْرِ عِنْدَ سَمَاعِهَا
تُرَى؟ هَلْ لِهَذَا ٱلنِّدِّ فِي ٱلْأَرْضِ مِن نِدِّ؟ (ف153أ)
رَعَى ٱللَّهُ قُطراً أَطْلَعَتْكَ سَمَاؤُهُ
وَبُورِكَ فِي مَوْلىً كَرِيمٍ وَفِي عَبْدِ

190

وَأَنْشَدْتُهُ أَيْضاً ــ رَحِمَهُ ٱللَّهُ ــ فِي عِيدِ ٱلْأَضْحَى مِنْ عَامِ سَبْعَةٍ وَثَلَاثِينَ :[127] (*)

(الطويل)

دَعَاهَا تَشِمْ آثَارَ نَجْدٍ، فَفِي نَجْدِ
هَوىً هَاجَ مِنْهَا ذِكْرُهُ كَامِنَ ٱلْوَجْدِ
وَلَا تَصْرِفَاهَا عَنْ وُرُودِ جِمَامِهِ
فَكَمْ شَرِقَتْ بِالرِّيقِ فِي مَوْرِدِ ٱلْجُهْدِ
يُذِيبُ بُرَاهَا[128] ٱلشَّوْقُ، لَوْلَا مَدَامِعٌ
تَحُلُّ عُرَاهَا فِي ٱلْمَحَاجِرِ، وَٱلْخَدِّ

(126) اللفف : ثقل وعي مع ضعف في الكلام .
(127) في الأصول كلها .
(*) ديباجة «ق» وأنشدته في عيد الأضحَى من هذا العام هذه القصيدة وهي من المبتدهات .
(128) البري : (ج) برة : الحلقة التي تجعل في أنف البعير .

وَتَصْبُو إِلَى عَهْدٍ هُنَالِكَ سَالِفٍ
فَتُبْدِي مِنَ الشَّوْقِ ٱلْمُبَرِّحِ مَا تُبْدِي
حَمَلْنَ نَشَاوَى مِنْ سُلَافِ صُبَابَةٍ
تَمِيلُ بِهِمْ مَيْلَ ٱلْمُنَعَّمَةِ ٱلْمُلْدِ
إِذَا هَبَّ هَفَّافُ ٱلنَّسِيمِ تَسَاقَطُوا
فَكَفٌّ إِلَى قَلْبٍ، وَأُخْرَى عَلَى خَدِّ
نَشَدْتُكُمَا بِٱللَّهِ، هَلْ تُبْصِرَانِهَا
مَعَالِمَ، مَحَّتْهَا ٱلْغَمَائِمُ مِنْ بَعْدِي ؟
عَفَتْ غَيْرَ سُفْعٍ(129) كَٱلْحَمَامِ جَوَاثِمٍ
وَغَيْرَ جِدَارٍ مِثْلِ حَاشِيَةِ ٱلْبُرْدِ
وَمَوْقِدِ نَارٍ يَسْتَطِيرُ رَمَادُهُ
وَنُؤْيٍ كَمَا دَارَ السِّوَارُ عَلَى ٱلزَّنْدِ
وَغَيْرِ ظِبَاءٍ فِي رُبَاهَا كَوَانِسٍ
تَفَيَّأْنَ فِي أَفْيَائِهَا دَوْحَةَ ٱلرَّنْدِ
قِفُوا نَتَشَكَّى مَا نُلَاقِي مِنَ ٱلْهَوَى
وَنُنْحِي عَلَى يَوْمِ ٱلرَّحِيلِ وَنَسْتَعْدِي
وَنُهْدِي إِلَى ٱلْأَجْفَانِ إِثْمِدَ(130) تُرْبِهَا
فَمَا ٱكْتَحَلَتْ مِنْ بَعْدِهِ بِسِوَى السُّهْدِ
سَنَسْأَلُ عَنْ سُكَّانِهَا نَفَسَ الصَّبَا
لَعَلَّ نَسِيمَ الرِّيحِ يُخْبِرُ عَنْ «هِنْدِ»(ف154ب)
إِذِ ٱلْعَيْشُ غَضٌّ، وَالشَّبِيبَةُ وَارِفٌ
جَنَاهَا، وَشَمْلُ ٱلْحَيِّ مُنْتَظِمُ ٱلْعِقْدِ
مَفَارِقُ مَا رَاعَ ٱلْبَيَاضُ سَوَادَهَا
وَأَفْئِدَةٌ لَمْ تَدْرِ مَا أَلَمُ ٱلصَّدِّ

(129) السفع : (ج) السفعاء : الأثفيَّة .
(130) الأثمد : عنصري فلزي معدني بلوري الشكل قصديري اللون ، صلب هش ، وغالبا متحدٌ مع غيره من العناصر يكتحل به .

وَوَصْلٍ كَأَنَّا مِنْهُ فِي سِنَةِ ٱلْكَرَى
وَعَيْشٍ كَأَنَّا مِنْهُ فِي جَنَّةِ ٱلْخُلْدِ
مَرَابِعُ أَلَافِي وَعَهْدُ أَحِبَّتِي
سَقَى ٱللَّهُ ذَاكَ ٱلْعَهْدَ مُنْسَكِبَ ٱلْعِهْدِ
وَجَادَ بِهِ مِنْ جُودِ «يُوسُفَ» سَاجِمٌ
مُلِثٌّ[131] هَمُولٌ، دُونَ بَرْقٍ وَلَا رَعْدِ
إِمَامُ هُدىً مِنْ «آلِ سَعْدٍ» نِجَارُهُ
وَنَصْرُ ٱلْهُدَى مِيرَاثُهُ «لِبَنِي سَعْدِ»
مَآثِرُهُ تَلْتَاحُ فِي صُحُفِ ٱلْعُلَى
وَآثَارُهُ تَسْتَنُّ فِي سُنَنِ ٱلرُّشْدِ
إِذَا هَمَّ أَمْضَى ٱللَّهُ فِي ٱلْأَرْضِ حُكْمَهُ
وَمَا لِقَضَاءِ ٱللَّهِ فِي ٱلْأَرْضِ مِنْ رَدِّ
أَقُولُ لِرَكْبٍ يَنْتَحِي طُرُقَ ٱلسُّرَى
وَيَخْبِطُ، فِي جُنْحٍ مِنَ ٱللَّيْلِ مُرْبَدِّ
تَهَادَى مَطَايَاهُ ٱلتَّهَائِمُ وَالرُّبَى
وَيَرْمِي بِهِ غَوْرُ ٱلْفَلَاةِ إِلَى نَجْدِ
وَقَدْ أَخْلَفَ ٱلْغَيْثُ ٱلسَّكُوبُ دِيَارَهَا
وَأَفْضَى بِهَا هَزْلُ ٱلسِّنِينَ إِلَى جِدِّ
وَلَمْ يُبْقِ مِنْهُ ٱلْأَزْلُ[132] غَيْرَ حُشَاشَةٍ[133]
تُنَازِعُهَا ٱللَّأْوَاءُ فِي ٱلْعَظْمِ وَٱلْجِلْدِ
: أَرِيحُوا فَقَدْ يَمَّمْتُمْ حَضْرَةَ ٱلنَّدَى
وَأَوْرَدْتُمُ فِي مَوْرِدِ ٱلرِّفْقِ وَالرِّفْدِ
بِحَيْثُ بُلُوغُ ٱلْقَصْدِ لَيْسَ بِنَازِحٍ
لِرَاجٍ، وَلَا بَابُ ٱلرَّجَاءِ بِمُنْسَدِّ

(131) يقال لث المطر وألث : دام أياما لا يقلع
(132) الأزل : شدة الزمان .
(133) الحشاشة : بقية الحياة .

وَلُذْتُمْ مِنَ الدَّهْرِ الظَّلُومِ بِنَاصِرِ
يَرُدُّ شَبَاةَ[134] الدَّهْرِ مَفْلُولَةَ الْحَدِّ (ف155 أ)
بِهِ جَمَعَ اللَّهُ الْقُلُوبَ عَلَى الْهُدَى
وَأَذْهَبَ مَا تُخْفِي الصُّدُورُ مِنَ الْحِقْدِ
وَأَحْيَى رُسُومَ الْفَضْلِ، وَهْيَ دَوَارِسٌ
وَأَطْلَعَ مِنْ نُورِ الْهِدَايَةِ مَا يَهْدِي
فَمَا رَوْضَةٌ بِالْغَوْرِ عَاهَدَهَا الْحَيَا
وَحُلَّتْ حُبَا الْأَنْوَاءِ فِي ذَلِكَ الْعِقْدِ
وَحَجَّبَهَا عَنْ نَاظِرِ الشَّمْسِ فَانْثَنَتْ
تَسَتَّرُ فِي ظِلٍّ مِنَ الْغَيْمِ مُمْتَدِّ
وَبَثَّ نَسِيمُ الرَّوْضِ فِيهَا تَحِيَّةً
قَرِيبَةَ عَهْدٍ بِاجْتِيَازٍ عَلَى «الْهِنْدِ»
وَفَضَّ فَتِيتَ الْمِسْكِ فِي جَنَبَاتِهَا
فَأَرْعَفَ آنَافَ الشَّقَائِقِ[133] وَالْوَرْدِ
بِأَعْطَرَ عَرْفاً مِنْ أَرِيجِ ثَنَائِهِ
إِذَا نَشَرَتْ آثَارَهُ صُحُفُ الْحَمْدِ
أَنَاصِرَ دِينِ اللَّهِ، وَابْنَ نَصِيرِهِ
عَلَى حِينَ لَا يُغْنِي نَصِيرٌ وَلَا يُجْدِي
طَلَعْتَ عَلَى الدُّنْيَا بِأَيْمَنِ غُرَّةٍ
أَضَاءَ بِهَا نُورُ السَّعَادَةِ فِي الْمَجْدِ
وَكَمْ رَصَدَتْ مِنَّا الْعُيُونُ طُلُوعَهَا
فَحُقِّقَ نَصْرُ اللَّهِ فِي ذَلِكَ الرَّصْدِ
وَلَمَّا عَرَتْ هَذِي الْجَزِيرَةَ رَوْعَةٌ
وَأَصْبَحَ فِيهَا الرُّعْبُ مُلْتَهِبَ الْوَقْدِ

---

(134) شَبَاةُ السِّنَان : حَدُّه.

(135) الشقائق : أو شقائق النعمان : الشَّقاري.

وَأَوْجَفَ خَوْفُ ٱلْكُفْرِ شُمَّ هِضَابِهَا
تَدَارَكْتَ مِنْهَا كُلَّ وَاهٍ وَمُنْهَدِ
هَزَزْتَ إِلَى إِعْزَازِهَا كُلَّ ذَابِلٍ
وَقُدْتَ إِلَى إِصْرَاخِهَا كُلَّ ذِي لِبْدِ
وَشِمْتَ[136] سُيُوفَ ٱلْحَقِّ، وَٱللَّهُ نَاصِرٌ،
وَجَهَّزْتَ قَبْلَ ٱلْجَيْشِ جَيْشاً مِنَ السَّعْدِ
وَقُلْتَ لِنَفْسِ ٱلْعَزْمِ هُبِّي وَشَمِّرِي
«وَهَذَا أَوَانُ ٱلشَّدِّ فِي ٱللَّهِ فَاشْتَدِّي»[137] (ف156ب)
وَلَوْ لَمْ تَقُدْ جَيْشاً كَفَتْكَ مَهَابَةٌ
مِنَ ٱللَّهِ تُغْنِي عَنْ نَصِيرٍ وَعَنْ جُنْدِ
وَلَكِنْ جَنَبْتَ ٱلْجُرْدَ قُبّاً[138] بُطُونُهَا
فَأَقْبَلْنَ أَسْرَاباً كَمِثْلِ ٱلْقَطَا نَرْدِي
وَمَا رَاعَ مَلْكَ ٱلرُّومِ إِلَّا طُلُوعُهَا
بَوَارِقَ تُدْعَى بِٱلْمُطَهَّمَةِ ٱلْجُرْدِ
وَغَاباً مِنَ «ٱلْخَطِّيِّ» تَحْتَ ظِلَالِهِ
أُسُودٌ مِنَ ٱلْأَنْصَارِ تَفْتِكُ بِالْأُسْدِ
فَلَمَّا ٱسْتَفَزَّ ٱلذُّعْرُ مِنْكَ فُؤَادَهُ
وَحَقَّقَ مَعْنَى ٱلْفَضْلِ فِي ذَلِكَ ٱلْحَدِّ
وَمَا بَرِحَتْ، وَٱللَّهُ نَاصِرُ دِينِهِ،
قَضَايَاهُ فِي عَكْسٍ لَدَيْكَ وَفِي طَرْدِ[139]

(136) شام الشيء حزره وقدره والمراد أخرجت .
(137) أصله من المثل «هذا أوان الشدّ فاشتدي زيم» انظر : مجمع الأمثال (جـ : 2 ص 310) .
(138) القب من الفرسان : أصعبها (ج) أقب .
(139) العكس (في المنطق) : تبديل في طرفي القضية تنشأ عنهُ قضية أخرى مساوية للأولى في الصدق . واطرد القياس : دار الحكم فيه مع الوصف وجودا وعدما . (المعجم الوسيط جـ 2 ص 625) .

رَمَى بِيَدِ ٱلإِذْعَانِ لِلسِّلْمِ رَهْبَةً
وَخَاطَبَ يَسْتَدْعِي رِضَاكَ وَيَسْتَجْدِي
فَرُحْمَى لِحَيٍّ لَمْ تُجِرْهُ[140] فَإِنَّهُ
فَرِيدٌ وَإِنْ أَضْحَى مِنَ ٱلْقَوْمِ فِي عَدِّ
وَأَصْرَخَ نَصْرُ ٱللَّهِ دَعْوَةَ صَارِخٍ
طَوَيْتَ لَهُ تَحْتَ ٱلدُّجَى شُقَّةَ ٱلْبُعْدِ
وَبُشْرَى لِأَرْضٍ قَدْ سَلَكْتَ بِأَهْلِهَا
مِنَ ٱلسَّنَنِ ٱلْأَرْضَى عَلَى وَاضِحِ[141] ٱلْقَصْدِ
جَمَعْتَ بِهَا ٱلْأَهْوَاءَ بَعْدَ افْتِرَاقِهَا
فَأَصْبَحَ فِيهَا الضِدُّ يَأْنَسُ بِالضِّدِّ
وَيَهْدِيكَ هَذَا ٱلْعِيدُ أَسْعَدُ وَافِدٍ
أَتَاكَ مَعَ ٱلنَّصْرِ ٱلْعَزِيزِ عَلَى وَعْدِ
طَوَى ٱلْبُعْدَ عَنْ شَوْقٍ وَحَطَّ رِكَابَهُ
بِبَابِكَ بَابِ ٱلْجُودِ فِي جُمْلَةِ ٱلْوَفْدِ
فَأَوْلَيْتَنَا فِي ظِلِّهِ كُلَّ نِعْمَةٍ
هِيَ ٱلْقَطْرُ لَا يُحْصَى بِحَصْرٍ وَلَا عَدِّ
وَفَاضَتْ بِهَتَّانِ النَّدَى مِنْكَ رَاحَةٌ
هِيَ ٱلْبَحْرُ لَا يَنْفَكُّ حِيناً عَنِ ٱلْمَدِّ
وَدُونَكَهَا مِنْ بَحْرِ فِكْرِي لَآلِئاً[142]
تُقَلَّدُ فِي نَحْرٍ وَتُنْظَمُ فِي عِقْدِ[143] (ف 157 أ)

* * *

(140) في «ق» نجده .
(141) في «ق» أوضح
(142) في «ق» جواهر .
(143) إلى هنا ينتهي الأصل «ف» وعلى هامشه نجد كلمة «وأنشدت» مما يدل على أنه ناقص ، وقد اعتمدنا في ترقيم الصفحات السابقة على هذه النسخة لأنها أصح النسخ .

يَسِيرُ بِهَا رَكْبُ ٱلنَّسِيمِ إِذَا سَرَتْ
سِرَاعُ ٱلْمَطَايَا فِي ذَمِيلٍ وَفِي وَخْدِ(144)
تَقُومُ بِآفَاقِ ٱلْبِلَادِ خَطِيبَةً
تُتَرْجِمُ عَنْ حُبِّي وَتُخْبِرُ عَنْ وُدِّي
كَأَنَّ العِرَاقِيِّينَ، عِنْدَ سَمَاعِهَا
وَقَدْ غَصَّ حَفْلُ ٱلْقَوْمِ، نَحْلٌ عَلَى شُهْدِ
يَقُولُونَ إِنْ هَبَّتْ مِنَ ٱلْحَمْدِ نَفْحَةٌ
فَلَيْسَ لِهَذَا ٱلنَّدِّ فِي ٱلْأَرْضِ مِنْ نِدِّ:
«سَقَى ٱللَّهُ قُطْراً أَطْلَعَتْكَ سَمَاؤُهُ
وَبُورِكَ فِي مَوْلَى كَرِيمٍ وَفِي عَبْدِ»

* * *

191

وَأَنْشَدْتُ ٱلسُّلْطَانَ ٱلْمَوْلَى أَمِيرَ ٱلْمُسْلِمِينَ «أَبَا عَبْدِ ٱللَّهِ»(145) اِبْنَ ٱلْمَوْلَى أَمِيرِ ٱلْمُسْلِمِينَ «أَبِي ٱلْحَجَّاجِ» يَوْمَ عَقْدِي بَيْعَتَهُ:(146)

(الطويل)

قِفَا فَاسْأَلَا فِي سَاحَةِ ٱلْأَجْرَعِ ٱلْفَرْدِ
مَعَالِمَ مَحَّتْهَا ٱلْغَمَائِمُ مِنْ بَعْدِي (ح 148 ب)
وَجَرَّتْ عَلَيْهَا ٱلرَّامِسَاتُ ذُيُولَهَا
عَلَى أَنَّهَا تَزْدَادُ طِيباً عَلَى ٱلْبُعْدِ
وَعُوجَا عَلَيْهَا فَاسْأَلَا عَنْ أَنِيسِهَا
وَإِنْ كَانَ تَسْآلُ ٱلْمَعَالِمِ لَا يُجْدِي

(144) اختصت «ق» بما بين القوسين.
(145) مولده 739هـ ـ والتعريف به في الإحاطة (جـ: 2 ص 59).
(146) القصيدة في الأصلين «ح» و«م» ليس غير.

وَلَـكِـنَّـهَـا نَـفْسٌ تَـجِيشُ وَنَـفْـثَـةٌ
تُـرَوِّحُ مِنْ بَثٍّ وَتُـطْـفِئُ مِنْ وَجْـدِ
مَـرَابِـعُ ٱلأَفِي، وَعَـهْـدُ أَحِـبَّـتِي
سَقَى ٱللَّهُ ذَاكَ ٱلْعَهْدَ مُنْسَكِبَ ٱلْعِهْدِ(147)
وَجَادَ بِهَا مِنْ جُودِ كَفِّ «مُحَمَّدٍ»
مُسِلٍّ هَـمُولٌ دُونَ بَـرْقٍ وَلَا رَعْـدِ
وَإِنَّ أَحَقَّ ٱلْـغَـيْثِ أَنْ يَـرْوِيَ ٱلثَّرَى
لَـغَيْثٌ زَكِيٌّ صَابَ مِنْ مَنْشَإِ ٱلْمَجْدِ
إِمَـامُ هُـدىً مِنْ «آلِ سَعْدٍ» نِجَارُهُ
وَنَصْـرُ ٱلْـهُـدَى مِيرَاثُهُ لِـ«بَنِي سَعْدِ»
غَـمَـامُ نَـدىً جَـادَ ٱلْبِلَادَ فَأَصْبَحَتْ
تُـجَرِّرُ ذَيْلَ ٱلْخِصْبِ وَالْعِيشَةِ ٱلرَّغْـدِ
وَفَـرْعٍ زَكِيٍّ مِنْ أُصُولٍ كَـرِيـمَـةٍ
حَبَاهَا كَمَا قُدَّ الشِّرَاكُ(148) مِنَ ٱلْجِلْدِ
فَـتُـلْـحَظُ مِنْ أَنْوَارِهِ سُورَةُ ٱلضُّحَى
وَتُـحْـفَـظُ مِنْ آثَـارِهِ سُورَةُ ٱلْـحَـمْـدِ
مِنَ ٱلـتَّـفَسِ ٱلْوَضَّاحِ، وَالسَّادَةِ ٱلْأُلَى
يُـغِيثُونَ فِي الْجُلَّى وَيُوفُونَ بِالْعَهْدِ
«مُحَمَّدُ» قَدْ أَحْيَيْتَ دِينَ «مُحَمَّدٍ»
وَأَنْجَزْتَ مِنْ نَصْرِ ٱلْهُدَى، سَابِقَ ٱلْوَعْدِ (ح 149 أ)
طَـلَـعْتَ عَـلَى ٱلـدُّنْـيَـا بِـأَيْـمَـنِ غُـرَّةٍ
أَضَاءَ بِهَا نُورُ السَّعَادَةِ فِي ٱلْـمَـهْـدِ
وَكَـمْ رَصَـدَتْ مِنَّا ٱلْعُيُونُ طُلُوعَهَا
فَحُقِّقَ نَصْرُ ٱللَّهِ فِي ذَلِكَ الرَّصْـدِ

(147) هذا البيت وما بعده نجده يتردد كثيرا في شعر ابن الخطيب.
(148) الشراك : سير النعل على ظهر القدم.

هَنِيئاً لِمُلْكٍ، فَاتَحَتْكَ سُعُودُهُ
وَعِزٌّ عَلَى ٱلْأَيَّامِ مُنْتَظِمِ ٱلْعِقْدِ
وَعُقْدَةِ مُلْكٍ كَانَ رَبُّكَ كَالِئاً
لَهَا وَأَصِيلُ السَّعْدِ يُغْنِي عَنِ ٱلنَّقْدِ(149)
جَمَعْتَ بِهَا ٱلْأَهْوَاءَ بَعْدَ افْتِرَاقِهَا
فَقَدْ كَانَ فِيهَا الضِّدُّ يَأْنَسُ بِالضِّدِّ
أَمَوْلَايَ هَذَا ٱلْأَمْرُ جِدٌّ، وَإِنَّمَا
يَلِيقُ بِهِ مَنْ عَامَلَ ٱلْجِدَّ بِالْجِدِّ
وَدُونَكَهَا، مِنْ نَاصِحِ ٱلْجَيْبِ(150) مُخْلِصٍ، ← أمر
وَصِيَّةَ صِدْقٍ أَعْرَبَتْ لَكَ عَنْ وُدِّ
أَفِضْ فِي ٱلرَّعَايَا ٱلْعَدْلَ تَحْظَ بِحُبِّهَا
وَحَكِّمْ عَلَيْهَا ٱلْحَقَّ فِي ٱلْحَلِّ وَٱلْعَقْدِ
«وَمَا مِنْ يَدٍ إِلَّا يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَهَا»(151)
وَمِنْ شِيَمِ ٱلْمَوْلَى ٱلتَّلَطُّفُ بِٱلْعَبْدِ
فَكُنْ لَهُمْ عَيْناً عَلَى كُلِّ حَادِثٍ
وَكُنْ فِيهِمُ سَمْعاً لِدَعْوَةِ مُسْتَعْدِي
وَأَنْتَ ثِمَالُ ٱللَّهِ فَابْسُطْ نَوَالَهُ
إِذَا بَسَطَ ٱلْمُحْتَاجُ رَاحَةَ مُسْتَجْدِي
وَأَوْجِبْ لِأَرْبَابِ ٱلسَّوَابِقِ حَقَّهَا
وَلَا تَمْنَعِ ٱلْمَعْرُوفَ مَنْ لَكَ مِنْ جُنْدِ
هُمُ ٱلْحَدُّ فِي نَحْرِ ٱلْعَدُوِّ وَهَلْ تَرَى
دِفَاعاً لِمَنْ يَلْقَى ٱلْعَدُوَّ بِلَا حَدِّ!
وَشَاوِرْ أُولِي ٱلشُّورَى إِذَا عَنَّ مُعْضِلٌ ← أمر
فَمَنْ أَعْمَلَ ٱلشُّورَى، فَمَا ضَلَّ عَنْ قَصْدِ

(149) في «ح» الجد
(150) ناصح الجيب : مخلص .
(151) عجزه : ولا ظالم الا سيبلى بأظلم .

وَكُنْ بِكِتَابِ ٱللَّهِ تَأْتَمُّ دَائِماً
هُوَ ٱلْحَقُّ وَالنُّورُ ٱلْمُبِينُ ٱلَّذِي يَهْدِي
أَلَا لَا يَرُعْ مِنَّا ٱلزَّمَانُ عِصَابَةً
مُؤَكَّدَةَ ٱلْمِيثَاقِ مُرْهَفَةَ ٱلْحَدِّ (ح 150 ب)
تُقَابِلُ أَمْرَ ٱللَّهِ بِالبِشْرِ وَالرِّضَى
وَتَلْقَى ٱلَّذِي تَرْضَاهُ بِالشُّكْرِ وَٱلْحَمْدِ
وَتَخْلُفُ فِيمَنْ خَلَّفَتْهُ مُلُوكُهَا
بِرَعْيِ ٱلذِّمَامِ ٱلْحُرِّ، وَٱلْحِفْظِ لِلْعَهْدِ
وَمَا هِيَ إِلَّا أَنْفُسٌ مُسْتَعَارَةٌ
وَلَابُدَّ يَوْماً لِلْعَوَارِيِّ مِنْ رَدِّ[152]
غَنِينَا عَنِ ٱلْبَحْرِ ٱلَّذِي غَاصَ بِٱلْحَيَا
وَعَنْ كَوْكَبِ ٱلْعَلْيَاءِ بِالْقَمَرِ ٱلسَّعْدِ
حَيَاةٌ جَنَاهَا ٱلنَّهْرُ مِنْ شَجَرِ ٱلرَّدَى
سَرِيعاً، وَوِجْدَانٌ تَكَوَّنَ عَنْ فَقْدِ
وَسَيْفَانِ: هَذَا سَلَّهُ ٱلدَّهْرُ مَاضِياً
صَقِيلاً وَهَذَا رَدَّهُ ٱلدَّهْرُ فِي غِمْدِ[153]
وَقَتْ مُلْكَكَ ٱلْمَحْرُوسَ مِنْ كُلِّ حَادِثٍ
عِنَايَةُ مَنْ يُغْنِي عَنِ ٱلآلِ وَٱلْجُنْدِ
وَدُونَكَهَا مِنْ بَحْرِ فِكْرِي جَوَاهِراً
تُقَلَّدُ فِي نَحْرٍ وَتُنْظَمُ فِي عِقْدِ
رَكَضْتُ بِهَا خَيْلَ ٱلْبَدِيهَةِ جَاهِداً
وَأَسْمَعْتُ آذَانَ ٱلْمَعَانِي عَلَى بُعْدِي

(152) أصل هذا المعنى لأبي ذُؤيب الهذلي، كذا في الأصل، ولعله يصح بقولنا:
«ولابدّ يوما لِلْعَرَايا من الرَّدّ»

(153) إشارة إلى قتل أبي الحجاج، وولاية السلطان الغني بالله.

فَجَاءَتْ وَفِي أَلْفَاظِهَا لَفَفُ ٱلْكَرَى
سِرَاعاً وَفِي أَجْفَانِهَا سِنَةُ ٱلسُّهْدِ
وَإِنِّي، وَإِنْ أَطْنَبْتُ فِيكَ لَقَاصِرٌ
وَمَنْ ذَا يُطِيقُ ٱلرَّمْلَ بِٱلْحَصْرِ وَٱلْعَدِّ ؟

192

وَمِمَّا قُلْتُهُ عَلَى عَهْدِ ٱلْمُقَامِ بِٱلْمَغْرِبِ أُخَاطِبُ ٱلرَّئِيسَ «عَامِرَ»(154) بْنَ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ» كَبِيرَ ٱلْوَطَنِ «ٱلْمُرَّاكُشِيِّ» وَقَدْ أَعَدْتُ ٱلْحَرَكَةَ إِلَيْهِ إِثْرَ بِنَائِهِ بِبِنْتِ ٱلسُّلْطَانِ صَاحِبِ(155) تُونُسَ ، وَٱنْصِرَافِهِ مِنْ مَدِينَةِ فَاسَ يَجُرُّ ٱلدُّنْيَا وَرَاءَهُ :(156)

(الطويل)

أَهَاجَتْكَ ذِكْرَى مِنْ خَلِيطٍ وَمَعْهَدِ
سَمَحْتَ لَهَا بِالدَّمْعِ فِي كُلِّ مَشْهَدِ
وَعَادَكَ عِيدٌ مِنْ تَذَكُّرِ جِيرَةٍ
نَأَوْا بِالَّذِي أَسْأَرْتَهُ(157) مِنْ تَجَلُّدِ
حَنَانَيْكَ فِي نَفْسٍ شَعَاعٍ وَمُهْجَةٍ
إِذَا لَمْ يَحِنْ مِنْ بَعْدِهِمْ فَكَأَنْ قَدِ
فَكَمْ دُونَهُمْ مِنْ مَهْمَهٍ وَمَفَازَةٍ
وَأَثْبَاجِ(158) بَحْرٍ زَاخِرِ ٱللُّجِّ مُزْبِدِ (ح 151 أ)
كَأَنْ لَمْ يَكُنْ مِنْ قَبْلِ يَوْمِكَ عَاشِقٌ
وَلَا وَاقِفٌ بِالرَّبْعِ وِقْفَةَ مُكْمَدِ

(154) تقدم التعريف به 176.
(155) صاحب تونس : يقصد أبا بكر يحيى الحفص ، انظر رسالة كتبها إليه ابن الخطيب على لسان سلطانه الاحاطة مخ لوحة : 473 .
(156) وردت القصيدة في «م» و«ح» ، ونفاضة الجراب مخ (ج : 3 لوحة 51 ــ 52 / 386)
(157) أسأر وسأر الشارب في الاناء أبقى سؤرا أي بقية .
(158) الأثباج (ج) الثبج : وسط الشيء تجمع وبرز .

وَلَا سَأَلَ ٱلْأَطْلَالَ بَعْدَ قَطِينِهَا
فَعَيَّتْ جَوَاباً، بَعْدَ طُولِ تَرَدُّدِ
وَمُسْتَنْصَرٍ مِنْ دَمْعِهِ غَيْرُ نَاصِرٍ
وَمُسْتَنْجَدٍ مِنْ ضُرِّهِ غَيْرُ مُنْجِدِ
سِوَى عَبْرَةٍ بَحْدُو ثِقَالَ سَحَابِهَا
إِذَا مَا وَنَتْ رِيحُ ٱلزَّفِيرِ ٱلْمُصْعَدِ
أَسَى ٱلنَّفْسِ لَا يَقْوَى عَلَى رَدِّ فَائِتٍ
فَإِنْ شِئْتَ فَلْتُقْلِلْ، وَإِنْ شِئْتَ فَازْدَدِ
وَمَا رَجُلُ ٱلدُّنْيَا سِوَى مُتَقَطِّنٍ
لِنَكْرَائِهَا مَاضٍ مَضَاءَ ٱلْمُهَنَّدِ
إِذَا أَقْبَلَتْ بِٱلْخَيْرِ لَمْ تَسْتَفِزَّهُ
وَإِنْ كَانَ مُعْتَدّاً بِهِ ضُرَّ مُعْتَدِي
فَلَا تَقْنَ مَا يَجْنِي عَلَيْكَ ذَهَابُهُ
وَإِنْ كَانَ مُعْتَدّاً بِهِ ضُرَّ مُعْتَدِي
وَخُذْ مَا بِهِ جَادَ ٱلزَّمَانُ مُسَامِحاً
وَلَا تَتْرُكْ يَوْمَ ٱلسُّرُورِ إِلَى غَدِ
وَسِرْ فِي مَرَاحِ ٱللَّهِ مُقْتَصِرَ ٱلْخُطَى
وَكُنْ لِنَوَالِ ٱللَّهِ مُنْبَسِطَ ٱلْيَدِ
وَإِنْ رَاعَ دَهْرٌ، أَوْ تَنَكَّرَ حَادِثٌ
فَلُذْ بِحِمىً مِنْ عَامِرِ بْنِ مُحَمَّدِ
فَتَى ٱلْحَيِّ مِنْ «هِنْتَاتَةٍ» جِيرَةِ ٱلْهُدَى
وَخِيرَةِ أَصْحَابِ ٱلْإِمَامِ ٱلْمُوَحِّدِ[159]
وَكَوْكَبُ أُفْقِ ٱلْغَرْبِ لَمْ يَبْقَ بَعْدَهُ
وَبَعْدَ أَبْنِيهِ مِنْ كَوْكَبٍ مُتَوَقِّدِ

(159) يقصد المهدي ابن تومرت.

رَحِيبُ مَجَالِ ٱلْفَضْلِ يَكْلَفُ بِالْعُلَى
فَمَا هُوَ بِالْمُصْغِي لِقَوْلِ ٱلْمُفَنِّدِ
وَيَطْوِي بُرُودَ ٱلْمُلْكِ فَوْقَ خَلَائِقٍ
تُنَاسِبُ خُلْقَ ٱلنَّاسِكِ ٱلْمُتَزَهِّدِ
وَمُشْتَغِلٍ بِٱلْحَزْمِ يَقْدَحُ زَنْدَهُ
إِذَا ٱشْتَغَلَ ٱلْأَمْلَاكُ بِاللَّهْوِ وَالدَّدِ(160)
وَضَافِي لِبَاسِ ٱلْمَجْدِ بِٱلْفَضْلِ مُكْتَسٍ
وَبِٱلْفَخْرِ مُعْتَمٌّ، وَبِالْحَمْدِ مُرْتَدِي (ح 152 ب)
وَتَحْتَمِلُ ٱلرُّكْبَانُ طِيبَ حَدِيثِهِ
«فَيَأْتِيكَ بِٱلْأَخْبَارِ مَنْ لَمْ تُزَوِّدِ»(161)
وَمُرْتَقِبُ ٱلْإِقْبَالِ فِي كُلِّ وِجْهَةٍ
وَأَمْرٍ، وَلِلصُّنْعِ ٱلْجَمِيلِ مُعَوِّدِ
فَوَاللَّهِ مَا نَدْرِي: أَيُمْنُ نَقِيبَةٍ
تَرِفُّ عَلَيْهِ، أَمْ سَعَادَةُ مَوْلِدِ؟!
تُسَاسُ بِهِ ٱلْأَقْطَارُ بَعْدَ ٱرْتِجَاجِهَا
وَتَدْنُو لَهُ ٱلْأَوْطَارُ بَعْدَ تَبَعُّدِ
لَهُ «جَبَلٌ»(162)، فِي مُلْتَقَى ٱلْهَوْلِ عَاصِمٌ
يُنَاوِلُ مَنْ يَحْتَلُّهُ ٱلنَّجْمَ بِٱلْيَدِ
وَرَأْيٌ إِذَا مَا جُهِّزَتْ عَنْهُ رَايَةٌ
كَفَى سَعْدُهَا عَنْ كُلِّ جُنْدٍ مُجَنَّدِ
يَرَى ٱلْأَمْرَ فِي أَعْجَازِهِ وَصُدُورِهِ
بِعَيْنِ ٱلْبَصِيرِ ٱلْأَلْمَعِيِّ ٱلْمُسَدَّدِ

(160) الدد: اللهو واللعب.
(161) ضمّنه من قول طرفه:
ستبدي لك الأيام ما كنت جاهلا ويأتيك بالاخبار من لم تزود
انظر إلى طه حسين ص: 287 ــ 288.
(162) إشارة إلى جبل عامر في هنتاتة.

أَلَيْسَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ عُلَاهُمُ
مُخَلَّدَةٌ وَاسْتَشْهِدِ ٱلْكُتْبَ تَشْهَدِ

مَآثِرُهُمْ فِي الدِّينِ غَيْرُ خَفِيَّةٍ
فَهُمْ كَالنُّجُومِ ٱلزَّاهِرَاتِ لِمُهْتَدِي

خَلَائِفُ «عَبْدِ ٱلْمُؤْمِنِ»[163] ٱلْمَلِكِ ٱلَّذِي
بِسِرٍّ مِنَ «ٱلْمَهْدِيِّ» قَدْ كَانَ يَهْتَدِي

وَدَوَّخَ أَكْنَافَ ٱلْبَسِيطَةِ بَعْدَهُ
وَأَعْلَنَ بِالتَّوْحِيدِ فِي كُلِّ مَسْجِدِ

فَأَبْنَاؤُهُ مِنْ بَعْدِهِ أَعْمَلُوا ٱلظُّبَى
وَأَمْضَوْا سُيُوفَ ٱللَّهِ فِي كُلِّ مُلْحِدِ

فَسَلْ إِنْ أَرَدْتَ «ٱلْأَرْكَ»[164] إِذْ غَصَّتِ ٱلرُّبَى
بِكُلِّ عَمِيدٍ بِالرُّغَامِ مُوَسَّدِ

فَمَنْ ذَالَهُ كَٱلْقَوْمِ، إِنْ شِئْتَ فِي نَدىً
وَبَأْسٍ، وَفِي فَضْلٍ، وَفِي صِدْقِ مَشْهَدِ؟

(لَئِنْ زَيَّنُوا ٱلدُّنْيَا بِزُهْرِ وُجُوهِهِمْ
لَقَدْ زَيَّنُوا بِالذِّكْرِ كُلَّ مُجَلَّدِ)[165]

وَأَبْقَوْا ثَنَاءً عَاطِراً فَكَأَنَّمَا
نَسِيمُ ٱلصَّبَا هَبَّتْ عَلَى ٱلزَّهْرِ ٱلنَّدِي

«أَبَا ثَابِتٍ»، لَازَالَ سَعْدُكَ ثَابِتاً
وَجُودُكَ يَرْوِي وِرْدُهُ غُلَّةَ ٱلصَّدِيَ

(163) عبد المؤمن الكومي (487 — 558هـ) بن علي بن مخلوف أمير المؤمنين مؤسس دولة الموحدين.
انظر: الاعلام (جـ: 4 ص 319).

(164) الأرك: وقعة غزوة الأرك سنة 590هـ انتصر فيها الموحدون.
انظر: الاستقصا (جـ: 2 ص 165 وما بعدها).

(165) انفردت النفاضة بهذا البيت.

وَلَازِلْتَ قُطْباً تَسْتَدِيرُ بِهِ ٱلْعُلَى
كَمَا دَارَتِ ٱلْأَفْلَاكُ حَوْلَ ٱلْمُحَدَّدِ[166] (ح 153 أ)
رَفَعْتَ بِنَاءَ ٱلْمُلْكِ لَمَّا تَمَايَلَتْ
دَعَائِمُهُ فَوْقَ ٱلْأَسَاسِ ٱلْمُوَطَّدِ
وَأَصْرَخْتَهُ لَمَّا دَعَاكَ عَلَى ٱلنَّوَى
وَوَاصَلَ تَرْجِيعَ ٱلنِّدَاءِ ٱلْمَرَدَّدِ
بِكُلِّ صَقِيلِ ٱلْمَتْنِ سَالَ خَلِيجُهُ
وَلَكِنَّ حُكْمَ ٱلْقَيْنِ قَالَ لَهُ : أُجْمُدِ
يُرِي بِنُحُولِ ٱلْحَدِّ شِيمَةَ عَاشِقٍ
وَيُكْذِبُ خَدَّاهُ[167] بِخَدٍّ مُوَرَّدِ
وَمُلْتَفِتٍ عَنْ أَزْرَقِ ٱللَّحْظِ قَدْ حَكَى
بِهِ ٱلْعَلَقُ ٱلْمُحْمَرُّ مُقْلَةَ أَرْمَدِ
شَكَا مَرَهَ ٱلْأَلْحَاظِ فِي حَوْمَةِ ٱلْوَغَى
فَوَافَاهُ مُلْتَفُّ ٱلْغُبَارِ بِإِثْمِدِ
وَكُلُّ شَهِيرِ ٱلْعِتْقِ أَشْرَفَ جِيدُهُ
وَقَامَ عَلَى مَلْمُومَةٍ مِنْ زَبَرْجَدِ
(تَأَلَّقَ عَنْ بَرْقِ ٱلدُّجَنَّةِ كُلَّمَا
تَبَسَّمَ فِي قِطْعٍ مِنَ ٱللَّيْلِ أَرْبَدِ)[168]
إِذَا مَا تَغَنَّى بِالصَّهِيلِ مُرَجِّعاً
سَمِعْتَ بِهِ صَوْتَ ٱلْغَرِيضِ وَمَعْبَدِ[169]

(166) المحدّد : هو الفلك الأعظم ــ انظر كشاف مصطلحات العلوم والفنون (جـ 1 ص 287) .
(167) النفاضة : دعواه .
(168) انفردت النفاضة بهذا البيت .
(169) معبد بن وهب المغني 126هـ ــ 743م أبو عباد المدني نابغة في الغناء العربي في العصر الأموي ، كان مولى لبني مخزوم ، ونشأ في المدينة .
انظر : الاعلام (جـ : 8 ص 176) .
الغريض : نحو 95هـ عبد الملك لقب بذلك لجماله .
انظر : الاعلام (جـ : 4 ص 300) .

وَجَدَّدْتَ نَصْرَ ٱلْجِدِّ فِي ٱبْنِ ٱبْنِهِ ٱلَّذِي
رَعَيْتَ لَهُ حَقَّ الذِّمَامِ ٱلْمُؤَكَّدِ
وَلَمْ تَأْتِ بِدْعاً بِٱلْوَفَاءِ وَإِنَّمَا
شَفَعْتَ ٱلَّذِي أَسْلَفْتَ فِي ٱلْقَوْمِ مِنْ يَدِ
وَيَأْبَى لَكَ ٱلْمَجْدُ ٱلَّذِي أَنْتَ أَهْلُهُ
عَلَى ٱلدَّهْرِ إِلَّا أَنْ تُتَمِّمَ مَا بُدِي
وَعُدْتَ يَجُرُّ ٱلْمُلْكُ خَلْفَكَ ذَيْلَهُ
وَفِي حُكْمِكَ ٱلْعُلْيَا تَرُوحُ وَتَغْتَدِي
وَيَعْتَدُّ مِنْكَ ٱلْمُلْكُ وَالدِّينُ وَالوَرَى
بِكَافِي ٱلدَّوَاهِي وَٱلْهُمَامِ ٱلْمُؤَيَّدِ
وَسَوَّغَكَ ٱلْعَقْدُ السَّعِيدُ مَسَرَّةً
وَهَنَّأَكَ ٱلْإِمْلَاكُ أَعْذَبَ مَوْرِدِ
شَدَدْتَ بِصِهْرِ ٱلْمُلْكِ أَزْرَ مَجَادَةٍ
تَوَارَثْتَهَا عَنْ أَوْحَدٍ بَعْدَ أَوْحَدِ
وَمِثْلُكَ مَنْ يَرْمِي بِهِمَّتِهِ ٱلْعُلَى
وَيَرْفَعُ أَعْلَامَ ٱلثَّنَاءِ ٱلْمُجَدَّدِ
وَيُحْيِي مِنَ ٱلتَّوْحِيدِ رَسْماً يُعِيدُهُ
لِخَيْرِ اجْتِمَاعِ ٱلشَّمْلِ بَعْدَ تَبَدُّدِ (ح 154 ب)
عَقِيلَةُ مُلْكٍ فُزْتَ مِنْهَا بِطَائِلٍ
عَزِيزٍ عَلَى نَفْسِ ٱلْكَرِيمِ ٱلْمُمَجَّدِ[170]
يُزِرُّ عَلَيْهَا هَوْدَجُ ٱلْمُلْكِ هَالَةً
يَدُورُ عَلَيْهَا كُلُّ غَفْرٍ وَفَرْقَدِ[171]

(170) النفاضة : المحسد .

(171) الغفر : منزل للقمر ثلاثة انجم صغار ، وهي من الميزان ، والفرقد : نجم قريب من القطب الشمالي ثابت الموقع تقريبا . ولذا يهتدى به وهو المسمى النجم القطبي وبقربه نجم آخر مماثل له وأصغر منه ، وهما فرقدان .

فَلَوْ أَنْصَفَتْ فَوْقَ ٱلْعُيُونِ ٱبْتَغَوْا لَهَا
طَرِيقاً فَتَمْشِي فَوْقَ صَرْحٍ مُمَرَّدِ
(وَفِي نِسْبَةِ ٱلْأَشْيَاءِ يَظْهَرُ حُسْنُهَا
مُوَحَّدَةٌ زَفَّتْ لِخَيْرِ مُوَحِّدِ)[172]
فَهَنَّأَكَ ٱللَّهُ الإِيَابَ وَلَا انْقَضَتْ
سُعُودُكَ تَسْرَى بَيْنَ مَثْنَى وَمَوْحَدِ
وَقَابِلْ صَنِيعَ ٱللَّهِ فِيكَ بِشُكْرِهِ
وَرَاقِبْهُ حَالَ ٱلسِّرِّ وَٱلْجَهْرِ تُحْمَدِ[173]
فَيَا هَضْبَةَ ٱلْعُلْيَا، وَيَا مُزْنَةَ ٱلنَّدَى
وَيَا مَفْخَرَ ٱلدُّنْيَا، وَيَا قَمَرَ النَّدِي
وَيَا عُدَّةَ ٱلْمُلْكِ ٱلْمَرِينِيِّ كُلَّمَا ٱسْتَجَارَ بِهِ فِي ٱلْأَمْسِ وَٱلْيَوْمِ وَالْغَدِ
رَكَضْتُ إِلَيْكَ ٱلْجُرْدَ أَفْلِي بِهَا ٱلْفَلَا
وَأَذْرَعُ مِنْهَا فَدْفَداً بَعْدَ فَدْفَدِ[174]
يَطِيرُ بِهَا ٱلشَّوْقُ ٱلْحَثِيثُ فَيَنْبَرِي
لِمَثْوَاكَ فِيهَا كُلُّ سَهْمٍ مُسَدَّدِ
وَلَوْ هَاجَ عَزْمِي مِنْ سِوَاكَ وَصَاحَ بِي
لَآثَرْتُ سِيمَا ٱلْعَاجِزِ ٱلْمُتَبَلِّدِ
وَمَا كُنْتُ أَرْضَى أَنْ أَنَالَ ذَرِيعَةً
أَكِدُّ لَهَا نَفْسِي، وَأُكْذِبُ[175] مَقْصَدِي
وَأَقْتَحِمُ ٱلْأَخْطَارَ، وَٱلْأَرْضُ تَلْتَظِي
وَأَلْتَهِمُ ٱلْأَقْطَارَ، وَٱلْهَوْلُ يَغْتَدِي

(172) اختصت النفاضة بهذا البيت.
(173) النفاضة : تسعد.
(174) الفدفد : الأرض الواسعة المستوية لا شيء بها (ج) فدافد.
(175) في النفاضة : وأبعد.

وَلَوْ أَنَّ شَمْسَ ٱلْجَوِّ أَوْ قَمَرَ ٱلدُّجَى
يَعُودَانِ لِي هَضْبَيْ نُضَارٍ[176] وَعَسْجَدِ
وَلَكِنَّهُ وُدٌّ، وَحُسْنُ ثَنَائِهِ
قَضَى لَكَ مِنِّي بِٱلثَّنَاءِ ٱلْمُخَلَّدِ
جَعَلْتُكَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ حَظِّي ٱلَّذِي سَمَتْ
لِإِحْرَازِهِ نَفْسِي، وَطَبْعِيَ مُنْجِدِي
وَحَرَّكَ عَزْمِي أَنْ أَزُورَكَ قَاعِداً[177]
عَلَى فُرُشِ ٱلْعِزِّ ٱلْأَصِيلِ ٱلْمُجَدَّدِ
لِيَخْلُصَ تَأْمِيلِي إِلَيْكَ وَوِجْهَتِي
وَيَبْرَأَ عَزْمِي مِنْ سِوَاكَ وَمَقْصَدِي (ح 155 أ)
فَلَا تَنْسَ لِي هَذَا ٱلذِّمَامَ فَإِنَّهُ
لَخَيْرُ ذِمَامٍ قَدْ وَصَلْتُ بِهِ يَدِي
أَجَازَ عُلَاكَ ٱللَّهُ مِنْ كُلِّ حَادِثٍ
وَلَازِلْتَ فِي سَعْدٍ عَلَى ٱلدَّهْرِ مُسْعِدِ
وَأَحْيَى «أَبَا يَحْيَى» لِعَيْنِكَ قُرَّةً
قَرِيعُكَ فِي حَزْمٍ، وَعَزْمٍ[178] وَسُؤْدَدِ
مُؤَمَّلَ أَبْنَائِي، وَمَظْهَرَ دَعْوَتِي
«وَلَوْلَا ٱتِّقَائِي عَتْبَهُ قُلْتُ : سَيِّدِي»[179]
وَلَازِلْتَ تَجْنِي كُلَّمَا ٱشْتَجَرَ ٱلْوَغَى
جَنَى ٱلنَّصْرِ مِنْ غَرْسِ ٱلْقَنَا ٱلْمُتَقَصِّدِ
وَكَثَّرَ مِنْ حُسَّادِكَ ٱللَّهُ إِنَّهُ
إِنِ ٱللَّهُ أَنْمَى خَيْرَهُ لَكَ تُحْسَدِ

(176) في النفاضة : لجين .
(177) في النافضة : قاصدا .
(178) في النافضة : وعلم
(179) ورد هذا الشطر ضمن قصيدة لعلي بن محمد الكوفي . انظر روضة الأنس ونزهة النفس (لوحة 15) .

193

وَقُلْتُ ، وَقَدْ أَعْجَبَنِي نَشَاطُ وَلَدِي وَهُوَ فِي سِنِّ ٱلطُّفُولَةِ : [180]

(الرمل)

سَرَقَ ٱلدَّهْرُ شَبَابِي مِنْ يَدِي فَفُؤَادِي مُشْعِرٌ بِٱلْكَمَدِ
وَاحْتَمَلتُ[181] ٱلْأَمْرَ إِذْ أَبْصَرْتُهُ بَاعَ مَا أَفْقَدَنِي مِنْ وَلَدِي

194

وَقُلْتُ فِي غَرَضِ ٱلشُّكْرِ : [182]

(الكامل)

ٱلشُّكْرُ يَصْغُرُ وَٱلْهِبَاتُ تَزِيدُ فَمَتَى يُجِيدُ ٱلْقَوْلَ فِيكَ مُجِيدُ ؟
يَا مَنْ لَهُ ٱلْفَخْرُ ٱلْبَعِيدُ عَلَى ٱلْوَرَى إِنْ كَانَ مَوْلَانَا وَنَحْنُ عَبِيدُ
إِنْ كَانَتِ ٱلْأَعْيَادُ قَبْلَكَ دَائِماً عِيدَيْنِ ، فَالدُّنْيَا بِمُلْكِكَ عِيدُ

195

وَقُلْتُ أُعَزِّي ٱلسُّلْطَانَ عَنْ مَمْلُوكٍ ٱسْمُهُ «يَزِيدُ» ، عَلَى قَبْرِهِ بَدِيهَةً : [183]

(الكامل)

هَوِّنْ عَلَى ٱلنَّفْسِ ٱلنَّفِيسَةِ أَمْرَهَا
وَإِذَا سَلِمْتَ فَلَا تُبَالِ لِفَقِيدِ
لَمْ يَأْتِ صَرْفُ ٱلدَّهْرِ بِدْعاً مُحْدَثاً
كَمْ مِنْ «يَزِيدٍ» ، قَدْ مَضَى وَ«يَزِيدِ»

---

(180) في «م» و«ح» والنفح (جـ : 9 ص 179) وروضة التعريف ص 318 ، ومركز الاحاطة (جـ : 3 لوحة 263) .
(181) في النفح : وحمدت .
(182) في الأصلين «م» و«ح» .
(183) في الأصلين «م» و«ح» .

وَمَا نَظْرَةٌ مِنِّي إِلَيْكَ أَعُدُّهَا سِوَى نِعْمَةٍ[87] لِلَّهِ فِيَّ كَبِيرَهْ
(وَإِنْ كَانَ مَنْ لاَقَيْتُ دُونَكَ أَنْجُمَا فَأَنْتَ عَلَى ٱلتَّحْقِيقِ شَمْسٌ مُنِيرَهْ)[88]
وَرُبَّ صَلاَةٍ قُدِّمَ ٱلنَّفْلُ قَبْلَهَا وَتُشْرَبُ مِنْ قَبْلِ ٱلثَّرِيدِ حَرِيرَهْ[89]

282

وَقُلْتُ «بِتَامَسْنَا»[90] مِنْ بِلاَدِ «ٱلْمَغْرِبِ» حَرَسَهَا ٱللَّهُ :[91]

(م 88 ب)

(الطويل)

كَأَنَّا «بِتَامَسْنَا» نُجُومٌ خِلاَلَهَا وَمَمْدُودُهَا فِي[92] سَيْرِنَا لَيْسَ يَقْصُرُ
مَرَاكِبُ فِي ٱلْبَحْرِ ٱلْمُحِيطِ تَخَبَّطَتْ وَلاَ جِهَةٌ تُدْرَى وَلاَ بَرٌّ يُبْصَرُ

283

وَقُلْتُ ، وَقَدْ أَصَابَنَا بِبَعْضِ ٱلْمَرَاحِلِ بُرْغُوثٌ كَثِيرٌ :[93]

(الوافر)

«بِتَافَلْفَلْتَ»[94] بُرْغُوثٌ كَثِيرٌ يَضِجُّ لِهَوْلِهِ ٱلْمَلِكُ ٱلْأَثِيرِ
إِذَا عَجِلَتْ لَنَا بِٱلْوَثْبِ قُلْنَا أَثَارَ جَرَادَ مَزْرَعَةٍ مُثِيرُ

(87) نفاضة الجراب : منة .
(88) اختصت نفاضة الجراب بهذا البيت .
(89) حساء معروف لدى المغاربة فيه مؤلف يرجع إلى عصر الموحدين رقمه : 2430 بالخزانة الملكية .
(90) تامسنا Tamasna كلمة بربرية من لهجة زناتة ، ومعناها البسيط الخالي ، وقد اطلقت على الأراضي الممتدة على ساحل المحيط من الرباط وتنتهي عند آزمور عند مصب وادي أم الربيع وكانت فيها دولة برغواطة ، وهي الشاوية اليوم .
انظر : العبدي : آسفي وما إليه . — الاستقصاء (جـ 4 ص 66) .
(91) في «م» بياض وملأناه من نفاضة الجراب مخ (جـ : 3 لوحة 55) وأزهار الرياض (جـ : 1 ص 265) والنفح (جـ : 9 ص : 186) .
(92) في «م» ممدود ناق .
(93) في «م» بياض وملأناه من نفاضة الجراب (جـ : 3 لوحة : 179) .
(94) تافلفلت مكان بتامسنا . انظر الروض المعطار ص : 75 وهي تيفلت حديثا .

284

وَقُلْتُ أُخَاطِبُ ٱلسُّلْطَانَ «أَبَا زَيَّان»[95] ، رَحْمَةُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ ، أُهَنِّئُهُ عَلَى يَدَيْ مُصَرِّح أَمْرِه «عَامِرِ[96] بْنِ مُحَمَّدٍ» :[97]

(الكامل)

يَا ٱبْنَ ٱلْخَلاَئِفِ ، يَاسَمِيَّ «مُحَمَّدٍ» ... يَا مَنْ عُلاَهُ لَيْسَ يَحْصُرُ حَاصِرُ
أَبْشِرْ ، فَأَنْتَ مُجَدِّدُ ٱلْمُلْكِ ٱلَّذِي ... لَوْلاَكَ أَصْبَحَ ، وَهْوَ رَسْمٌ دَاثِرُ
مَنْ ذَا يُعَانِدُ مِنْكَ وَارِثَهُ ٱلَّذِي ... بِسُعُودِهِ : فَلَكُ ٱلْمَشِيئَةِ دَائِرُ
أَلْقَتْ إِلَيْكَ يَدُ ٱلْخِلاَفَةِ أَمْرَهَا ... إِذْ كُنْتَ أَنْتَ لَهَا ٱلْوَلِيُّ ٱلنَّاصِرُ
هَذَا ، وَبَيْنَكَ لِلصَّرِيخِ وَبَيْنَهَا ... حَرْبٌ مُضَرَّسَةٌ[98] وَبَحْرٌ زَاخِرُ
مَنْ كَانَ هَذَا ٱلصُّنْعُ أَوَّلَ أَمْرِهِ ... حَسُنَتْ لَهُ ٱلْعُقْبَى وَعَزَّ ٱلْآخِرُ (م89أ)
مَوْلاَيَ ، عِنْدِي فِي عُلاَكَ مَحَبَّةٌ ... وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ ضَمَائِرُ
قَلْبِي يُحَدِّثُنِي بِأَنَّكَ جَابِرٌ ... كَسْرِي ، وَحَظِّي مِنْكَ حَظٌّ وَافِرُ
بِثَرَى جُدُودِكَ قَدْ وَضَعْتُ حَقِيبَتِي ... فَوَسِيلَتِي لِعُلاَكَ نُورٌ بَاهِرُ
وَبَذَلْتُ وُسْعِي وَٱجْتِهَادِي مِثْلَمَا ... يَلْقَى لِمُلْكِكَ سَيْفُ أَمْرِكَ «عَامِرُ»
وَهُوَ ٱلْوَلِيُّ لَكَ[99] ٱلَّذِي ٱقْتَحَمَ الرَّدَى ... وَنَضَا[100] ٱلْعَزِيمَةَ وَهْوَ سَيْفٌ بَاتِرُ
وَوَلِيُّ جَدِّكَ فِي ٱلشَّدَائِدِ عِنْدَمَا ... خَذَلَتْ عُلاَهُ قَبَائِلٌ وَعَشَائِرُ
فَاسْتَهْدِ مِنْهُ ٱلنُّصْحَ وَاعْلَمْ أَنَّهُ ... فِي كُلِّ مُعْضِلَةٍ طَبِيبٌ مَاهِرُ

---

(95) أبو زيان 739 ــ 767هـ محمد بن يعقوب بن علي بن عثمان المريني ، أبو زيان المتوكل من ملوك الدولة المرينية بفاس ، نشأ في دار الملك ثم ولي الملك بمبايعة من عمر بن عبد الله الفودودي سنة 763هـ ، ومات قتيلا ، انظر الاعلام (جـ : 8 ص 18 / 19) .

(96) تقدمت ترجمته ص : 176.

(97) في «م» ونفح الطيب (جـ : 9 ص 86 ــ 89) نفاضة الجراب مخ (جـ : 3 لوحة 8) ، نفاضة الجراب (جـ : 2 ص : 352) ، ريحانة الكتاب مخ لوحة : 348 ، الاستقصاء (جـ : 4 ص 54) .

(98) نفاضة الجراب : مضرمة .

(99) النفح : لدَى .

(100) النفح : قضى .

وَبَعَثْتُهَا لِتَنُوبَ قَبْلَ تَوَصُّلِي لَكَ إِذْ عَرَانِي عَنْكَ عُذْرٌ ظَاهِرُ
إِنْ كُنْتُ قَدْ عَجَّلْتُ بَعْضَ مَدَائِحِي فَهِيَ ٱلرِّيَاضُ، وَلِلرِّيَاضِ بَوَاكِرُ

285

وَقُلْتُ (بَدِيهَةً)[101] أَيْضاً ، وَقَدْ رَحِمَ ٱللَّهُ بِٱلْمَطَرِ :[102]

(مجزوء الكامل)

مَوْلَايَ يَهْنِيكَ ٱلْمَطَرْ أَوْفَى بِهِ ٱلْوَطَنُ ٱلْوَطَرْ[103]
(مُتَدَارِكٌ)[104] ٱلدَّفَعَاتِ يُحْسَبُ مِنْ بَنَانِكَ قَدْ قَطَرْ
رُحِمَ (ٱلْعِبَادُ)[105] بِخَاطِرٍ فِي جَوِّ نَفْسِكَ قَدْ خَطَرْ
أَقْسَمْتُ[106] لَوْ طَلَبَتْ سُعُو دُكَ صَلْدَ صَخْرٍ لَانْفَطَرْ (م89ب)
عُدِمَ ٱلْعِيَاثُ بِسِتْرِ عَدْ لِكَ فِي ٱلْبَرِيَّةِ وَٱلْبَطَرْ[107]
أَمِنَ ٱلْجَوَادُ بِجُودِكَ ٱلْبُؤْسَى وَكَانَ عَلَى خَطَرْ
وَرَوَتْ حَدِيثَ عُلَاكَ حَتَّى «ٱلتُّرْكُ» كَلاًّ و«ٱلتَّطَرْ»
وَٱللَّهِ، مَا يَحْكِيكَ مَا كَتَبَ ٱلْبَيَانُ وَمَا سَطَرْ

286

وَمِنْ أَبْيَاتِ ٱلْمِنْكَانَةِ حَسَبَمَا ثَبَتَ فِي غَيْرِ هَذَا مِنَ ٱلْحُرُوفِ :[108]

(الطويل)

بِرَابِعَةِ ٱلسَّاعَاتِ جِئْتُ أُخَبِّرُ وَلِلْمَدْحِ فِي ٱلْمَوْلَى ٱلْهُمَامِ أُحَبِّرُ

---

(101) بياض في الأصلين «م» و«ح» وملأناه بما ورد في النفاضة .
(102) في الأصلين «م» و«ح» ونفاضة الجراب (مخ جـ : 3 لوحة 187) .
(103) هذا البيت ممحو من الأصلين .
(104) محو في الأصلين .
(105) محو في الأصلين .
(106) محو في الأصلين .
(107) الأبيات الآتية ممحوة في الأصلين .
(108) في الأصلين «م» و«ح» ونفاضة الجراب (جـ : 3 لوحة 222) .

ولمْ لاَ؟ وَقَدْ أَحْيَا بِكَ ٱللَّهُ سُنَّةً نُـهَـلِّـلُ فِي أَعْـيَـادِهَا وَنُكَبِّرُ
كَأَنَّ رَبِيعاً كَانَ لِلنَّاسِ شَهْرَهُ رَبِيعاً سَقَاهُ عَارِضٌ مِنْكَ، مُمْطِرُ
فَأَرْجَاؤُهُ مِنْ نُورِ وَجْهِكَ تَزْدَهِي وَبَطْحَاؤُهُ مِنْ نَوْرِ جُودِكَ تُزْهِرُ
«مُحَمَّدُ» قَدْ عَظَّمْتَ دِينَ «مُحَمَّدٍ» وَمِثْلُكَ مَنْ يُبْدِي ٱلْجَمِيلَ وَيُضْمِرُ
لَقَدْ شَدَّ أَزْرَ ٱلْمُلْكِ مِنْكَ خَلِيفَةٌ لَهُ تَحْتَ سِتْرِ ٱلْغَيْبِ نَصْرٌ مُؤَزَّرُ
تُـبَشِّـرُ مِـنْـهُ ٱلْـعَـارِفُونَ بِوَارِدٍ قَرِيبِ ٱلْمَدَى. يَاللَّهِ، فِيمَا تُبَشَّرُ
فَكُنْ وَاثِقاً بِاللَّهِ مُسْتَنْصِراً بِهِ فَهَلْ ثَمَّ إِلاَّ ٱللَّهُ يَكْفِي وَيَنْصُرُ
يَـفُـلُّ جُـمُـوعَ ٱلشِّـرْكِ وَهْيَ كَـثِـيـرَةٌ
وَيَـنْـمِي، مِـنَ ٱلـدِّيـنِ، ٱلْقَلِيلَ فَيَكْثُرُ[109](م190)

287

وَقُلْتُ أُخَاطِبُ «أَبَا بَكْرٍ ٱلسَّعِيدَ»[110] ٱلْأَمِيرَ «بِٱلْمَغْرِبِ» بَعْدَ أَبِيهِ[111]، رَحِمَهُمَا ٱللَّهُ، وَكَتَبَ أَجْرَهُمَا بِمَا يَظْهَرُ مِنْ غَرَضِهَا:[112]

(الطويل)

هَنِيئاً بِمَا خُوِّلْتَ مِنْ رِفْعَةِ ٱلْقَدْرِ وَدُمْتَ قَرِيرَ ٱلْعَيْنِ، مُنْشَرِحَ ٱلصَّدْرِ
وَبُشْرَى بِمُلْكٍ قَدْ طَلَعْتَ بِأُفْقِهِ هِلَالاً، لَهُ سَيْرٌ إِلَى رُتْبَةِ ٱلْبَدْرِ
خَلَفْتَ ٱلْأَبَ ٱلْمَرْضِيَّ خَيْرَ خِلَافَةٍ وَقُمْتَ بِأَمْرِ ٱللَّهِ مُمْتَثِلَ ٱلْأَمْرِ
وَلَمَّا قَضَى «ٱلْمُخْتَارُ» هَلْ قَامَ بَعْدَهُ بِضَمِّ شَتَاتِ ٱلدِّينِ غَيْرُ «أَبِي بَكْرٍ»[113]
سَعِيدٌ عَلَى ٱلْإِسْلَامِ، أَنْتَ، وَأَهْلِهِ فَلَازِلْتَ فِي سَعْدٍ يَدُومُ وَفِي نَصْرِ

288

وَوَقَفْتُ عَلَى تَارِيخٍ مُسَجَّعٍ لِبَعْضِهِمْ أَكْثَرَ فِيهِ مِنْ وَصْفِ ٱلنَّوَاعِيرِ وَٱلتَّوَارِيخِ فَقُلْتُ

(109) بهذه القصيدة تنتهي نسخة «ح».
(110) تقدم التعريف به في ص: 232.
(111) يقصد أبا عنان المريني.
(112) في الأصل «م».
(113) في مقارنة بين الرسول وأبا فارس المريني وأبي بكر مع أبي بكر السعيد.

في ذَلِكَ : [114] (م90ب)

....

[115] ....

289

[116] .....

(البسيط)

كم قُلت والشوق تغزوني ..... [117]

برد أوار ضلوعي في فراشه .....

290

وَقُلْتُ (لِيُرقِمَ)[118] عَلَى حِمَالَةِ سَيْفٍ لِوَلَدِ ٱلسُّلْطَانِ : [119]

(الكامل)

أَنَا رَوْضَةٌ، وَجْهُ ٱلأَمِيرِ مُحَمَّدٍ شَمْسِي، وَدُونِي لِلْحُسَامِ غَدِيرُ
وَإِذَا ٱلْتَقَى رَوْضٌ وَنَهْرٌ كَيفَ لاَ يُلْفَى لِأَكْوَاسِ ٱلْحُرُوبِ مُدِيرُ

291

وَقُلْتُ لِيَكْتُبَ عَلَى مِرْوَحَةٍ[120] أَيْضاً : [121] (*)

(114) في «م» .
(115) نحو بمقدار سطرين .
(116) نحو بمقدار المقدمة .
(117) الشطران ممحوان في الأصل .
(118) كلمة غير مقروءة في الأصل .
(119) في الأصل «م» .
(120) أداة يجلب بها الهواء في الحر باليد .
(121) السحر والشعر لوحة : 105 ، النفح (جـ : 9 ص : 206) الأزهار (جـ : 1 ص 308) والأصلين «م» و«ق» .
(*) ديباجة «ق» وقلت ليكتب بالدار السلطانية النصرية على مروحة .

(الطويل)

كَأَنِّي قُرْصُ ٱلشَّمْسِ عِنْدَ طُلُوعِهَا ... وَقَدْ قَدِمَتْ مِن قَلْبِهَا نَسْمَةُ ٱلْفَجْرِ
كَأَنَّ نَسِيمِي، وَٱلْهَجِيرُ مُطَنِّبٌ، ... حَدِيثُ وِصَالٍ جَاءَ فِي زَمَنِ ٱلْهَجْرِ
وَإِلاَّ كَمَا هَبَّتْ بِمُحْتَدِمِ ٱلْوَغَى ... صَبَا ٱلنَّصْرِ لَكِنْ مِنْ بُنُودِ «بَنِي نَصْرِ»
(م91أ)

292

وَقُلْتُ فِي ٱلطَّرِيقَةِ ٱلتَّحْقِيقِيَّةِ[122] : [123]

(المتقارب)

جَلاَ ٱلْحَقُّ قَلْبِي حَتَّى أَنَارَا ... فَآنَسْتُ مِنْ جَانِبِ «الطُّورِ» نَارَا
وَدُرْتُ عَلَى مَرْكَزِي دَوْرَةً ... يُحَقِّرُ مَنْ دَارَهَا مُلْكَ «دَارَا»
وَحَقَّقْتُ إِنِّيتِي[124] وَهْيَ كَنْزٌ ... فَأَخْرَجْتُهُ إِذْ هَدَمْتُ ٱلْجِدَارَا
وَأَبْصَرْتُ رَسْمِيَ رَسْماً مَحِيلا ... وَأَبْصَرْتُ وَصْفِيَ وَصْفاً مُعَارَا
فَمَنْ كَانَ مِثْلِيَ نَالَ ٱلْغِنَى ... وَبَاهَى، وَجَرَّ الذُّيُولَ افْتِخَارَا
رَمَى لِلْوُجُودِ بِأَوْهَامِهِ ... وَحَلَّ ٱلْقُيُودَ وَفَكَّ ٱلْإِسَارَا
وَلَمْ يَرْضَ مِنْ بَعْدُ بِٱلْأَهْلِ أَهْلاَ ... وَلَمْ يَرْضَ مِنْ بَعْدُ بِالدَّارِ دَارَا
فَمَهْمَا نَطَقْتُ نَطَقْتُ ادِّكَارَا ... وَمَهْمَا صَمَتُّ صَمَتُّ اعْتِبَارَا
وَدَيْرٍ قَطَعْتُ إِلَيْهِ ٱلْفَلاَ ... وَجُبْتُ ٱلدُّجَى وَرَكِبْتُ ٱلْبِحَارَا
وَنَادَمْتُ مِنْ أَجْلِهِ فِتْيَةً ... تَرَاهُمْ سُكَارَى وَمَا هُمْ سُكَارَى
كَلِفْنَا بِهِ فِي سِيَاقِ ٱلْحَدِيثِ ... فَقُمْنَا نُعَاقِرُ فِيهِ ٱلْعُقَارَا
وَلَمَّا حَلَلْنَا بِأَكْنَافِهِ ... حَلَلْنَا ٱلْحُبَا وَنَبَذْنَا ٱلْوَقَارَا (م91ب)
وَطِرْنَا إِلَى ٱلرَّاحِ فِيهِ، ٱرْتِيَاحا ... وَمَنْ هَزَّهُ ٱلْوَجْدُ، وَالشَّوْقُ طَارَا[125]

(122) الطريقة التحقيقية : طريقة الصوفية (أهل الحقيقة) انظر دوزي (جـ : 1 ص : 307) .
(123) في الأصلين «م» و«ح» .
(124) الانية : الماهية والحقيقة .
(125) الأبيات الأربعة الآتية من نسخة الأستاذ الحريشي لأن «م» فيها بياض .

وَلاَحَتْ لَهُمْ خَطَفَاتُ ٱلْبُرُوقِ ... تَلُوحُ مِراراً وَتَخْفَى مِرَارَا
يُعَارِضُ فِيهَا ٱلْجَلاَلُ ٱلْجَمَالَ ... فَهُمْ بَيْنَ قَبْضٍ وَبَسْطٍ حَيَارَى
زَعَقْنَا بِرَاهِبِهِ زَعْقَةً ... وَقُلْنَا مَدَدْنَا ٱلأَكُفَّ افْتِقَارَا
وَمِنْ أَجْلِ خَمْرِكَ جُبْنَا ٱلْفَلاَ ... وَخُضْنَا ٱلدُّجَى وَقَطَعْنَا ٱلْقِفَارَا
فَقَالَ: وَمَا مَهْرُهَا عِنْدَكُمْ؟ ... فَقُلْنَا: أَمَتْنَا ٱلنُّفُوسَ ٱلْغَيَارَى
فَكُلٌّ حَكِيمٍ وَذِكْرُ حَكِيمٍ ... عَلَيْهَا حَنَا وَإِلَيْهَا أَشَارَا(126)
مُقَدَّسَةً عَنْ مَكَانٍ يُرَى ... مُنَزَّهَةً عَنْ شُعَاعٍ تَوَارَى
مُعَتَّقَةً جَسَّمَتْهَا ٱلْيَهُودُ ... وَمِنْ بَعْدِهَا ثَلَّثَتْهَا ٱلنَّصَارَى
وَقَالَ «ٱلْبَرَاهِمُ»، و«ٱلْفُرْسُ» فِيهَا ... وَقَدْ جَهِلُوا ٱلْحَقَّ: نُوراً وَنَارَا
وَغِبْنَا فَلَمْ نَدْرِ مِنْ أَمْرِنَا ... سِوَى أَنَّنَا قَدْ غُلِبْنَا اضْطِرَارَا
إِلَيْكَ، سَمِيَّ نَبِيِّ ٱلْهُدَى ... مَقَالاً يُطَابِقُ مِنْكَ اخْتِيَارَا
دَعَتْنِي لِمَا لَسْتُ أَهْلاً لَهُ ... عُلاَكَ فَجِئْتُ بِجَهْدِي ائْتِمَارَا
فَغُطَّ عَلَى نَقْصِهِ بِٱلْكَمَالِ ... وَأَوِّلْ قُبُولَكَ مِنِّي ٱعْتِذَارَا (م 92 أ)

طبا ٩٨.

293

وَقُلْتُ مُرَاجِعاً عَنْ أَبْيَاتٍ: (127)

(المتقارب)

خَلِيلِي إِنِ اشْتَقْتَنِي مَرَّةً ... تَشَوَّقَكَ ٱلْقَلْبُ مِنِّي مِرَارَا
وَمَا زِلْتُ أُصْفِيكَ مَحْضَ ٱلْوِدَادِ ... وَأُمْنَحُكَ ٱلْحُبَّ بَحْتاً نُضَارَا
جَعَلْتُكَ فِي حَادِثِ ٱلدَّهْرِ سُوراً ... وَفِي مِعْصَمِ ٱلْفَخْرِ مِنِّي سِوَارَا
وَأَعْدَدْتُ وُدَّكَ كَنْزاً عَتِيداً ... أَقَمْتُ ٱلْوَفَاءَ عَلَيْهِ جِدَارَا
لَعَمْرُكَ لَوْ حِيزَ لِي مُلْكُ «كِسْرَى» ... وَ«خَاقَانَ» ذِي ٱلتَّاجِ أَوْ مُلْكُ «دَارَا» (128)
وَخُيِّرْتُ فِي وُدِّكَ ٱلْمُرْتَضَى ... وَفِيهِ. لَمِلْتُ إِلَيْكَ ٱخْتِيَارَا

(126) واضح أنه يرمز بالحمرة إلى الله سبحانه.
(127) في «م» و«ح».
(128) كسرى ودارا ملكان فارسيان. أما خاقان فلقب ملوك الترك.

نَسَبْتَ لِيَ الذَّنْبَ ظُلْماً وَلَوْ جَنَيْتُ لَأَمَلْتَ مِنْكَ اَعْتِفَارَا
فَلِمْثْلِكَ مَنْ يَعْثُرُ الْخِلُّ ، يَوْماً فَيَغْضِي لَهُ وَيُقِيلُ الْعِثَارَا
فَكَيْفَ ، وَكَيْفَ ، وَلاَ ذَنْبَ لِي سِوَى الْوُدِّ مَهْمَا أَعَدْتَ اعْتِبَارا !
فَمَا لَكَ ، عُوفِيتَ ، تُرْضِي الْعِدَا وَتُولِي الْبِعَادَ ، وَتُبْدِي الْنِّفَارَا
تَوَارَيْتَ عَنْ نَاظِرِي ظَاهِرا وَشَخْصُكَ فِي الْفِكْرِ مَا إِنْ تَوَارَى
وَأَحْلَلْتَنِي لِلْأَمَانِ حِمىً رَمَيْتُ بِهَا مِنْ فُؤَادِي الْجِمَارَا
فَمُنَّ بِعُتْبَاكَ بَعْدَ الْعِتَابِ فَكُنْتُ أُؤَمِّلُ عَنْكَ اصْطِبَارَا

294

وَقُلْتُ عَلَى عَهْدِ الْمُقَامِ بِالْمَغْرِبِ : [129] (*)

(م 92 ب)

(الخفيف)

يَا بَنِي السَّادَةِ الْكِرَامِ نِدَاءٌ يَبْتَغِي الْجَبْرَ لِلْمَهِيضِ الْكَسِيرِ
أَنَا بِالْحَيِّ مُسْتَجِيرٌ وَبِالْمَيْتِ، أَمَا فِي كِلَيْهِمَا مِنْ مُجِيرِ؟
لَيْسَ مُوسَى هَذَا بِصَاحِبِ فِرْعَوْ نِي، وَلاَ فِي عَصَاهُ مِنْ تَأْثِيرِ
فَانْصُرُونِي وَعَيِّنُوا لِي رَسُولاً صَارِمَ الْحَدِّ مُحْكَمَ التَّدْبِيرِ
أَوْ أَرِيحُوا بِالْيَأْسِ قَلْبِي فَإِنِّي قَدْ تَخَبَّطْتُ فِي عَنَاءٍ كَبِيرِ

295

وَقُلْتُ أَيْضاً أُخَاطِبُ بَعْضَ الْوُلاَةِ بِالْمَغْرِبِ : [130] (*)

(الكامل)

وَالِي الْوِلاَةِ، وَوَاحِدَ الزَّمَنِ الَّذِي تَبْأَى الْمُلُوكُ بِمِثْلِهِ وَتُفَاخِرْ

---

(129) في الأصل «م» و«ح». النفاضة (جـ : 2 ص 194).

(*) ديباجة النفاضة : وكتبت لما صدر الرسول موسَى بن ابراهيم من الأندلس ولم تُقْضَ حاجتي.

(130) في الأصلين «م» و«ح» والنفاضة (جـ : 2 ص 210) والريحانة لوحة 421.

(*) ديباجة النفاضة «وخاطبه الوالي بدرعة وبلاد القبلة السري الماجد أبا محمد عبد الله بن محمد حفظه الله وأعزه».

صَيَّرْتَ «حَاتِمَ طَيٍّ»[131] يُزْرِي بِهِ زَارٍ، وَيَسْخَرُ إِنْ تُذُوكِرَ سَاخِرُ
إِنْ كَانَ طَلًّا، أَنْتَ جَوْدٌ سَاجِمٌ أَوْ كَانَ نَهْراً، أَنْتَ بَحْرٌ زَاخِرُ
وَإِذَا ٱلزَّمَانُ ٱلْأَوَّلُ ٱسْتَعْلَى بِأَهْلِيهِ، أَنَافَ بِكَ ٱلزَّمَانُ ٱلْآخِرُ

296

وَكَتَبْتُ عَلَى ٱلتَّارِيخِ ٱلْمَرْفُوعِ إِلَى ٱلسُّلْطَانِ فِي ٱلدَّوْلَةِ ٱلنَّصْرِيَّةِ ٱلْمُسَمَّى «بِطُرْفَةِ ٱلْعَصْرِ فِي دَوْلَةِ بَنِي نَصْرٍ»:[132] (**)

(الطويل)

رَأَيْتُ هَدَايَا ٱلْأَرْضِ دُونَكَ قَدْرُهَا فَأَهْدَيْتُكَ ٱلْعِلْمَ ٱلَّذِي جَلَّ قَدْرُهُ
عُيُوناً مِنَ ٱلْأَخْبَارِ وَٱلْأَدَبِ ٱلَّذِي تَضَوَّعَ مَسْرَاهُ، وَأَيْنَعَ زَهْرُهُ
وَدُرَّ ثَنَاءٍ مِنْ عُلَاكَ ٱنْتَخَبْتُهُ وَمِنْ عَجَبٍ يُهْدَى إِلَى ٱلْبَحْرِ دُرُّهُ
بَلَوْا خُلُقَ ٱلدُّنْيَا رَخَاءً وَشِدَّةً وَجَرَّبَهُمْ حُلْوَ ٱلزَّمَانِ وَمُرَّهُ
فَمَا مِنْهُمُ مَنْ ضَاقَ بِالرَّوْعِ ذَرْعُهُ وَلَا مَنْ تَعَاصَى[133] فِي ٱلشَّدَائِدِ صَبْرُهُ
وَقَامُوا بِأَمْرِ ٱللَّهِ إِنْ دَهَمَ ٱلرَّدَى تَكَنَّفَهُمْ عَضْدُ ٱلْإِلَاهِ وَنَصْرُهُ (م93ب)
فَدُونَكَ مِنْ أَخْبَارِهِمْ كُلَّ رَائِقٍ يَطِيبُ عَلَى ٱلتَّرْدَادِ وَٱلْعَوْدِ ذِكْرُهُ
وَكَمْ طُرْفَةٍ، أَوْرَدْتُهَا، وَغَرِيبَةٍ يُحَلَّى بِهَا فِي مَجْلِسِ ٱلْمُلْكِ نَحْرُهُ
هَدِيَّةُ مَقْصُورٍ عَلَيْكَ ٱعْتِمَادُهُ وَخِدْمَةُ عَبْدٍ مُخْلِصٍ لَكَ صَدْرُهُ
وَسَمَّيْتُهَا، مِنْ بَعْدِ مَا أَسْأَلُ ٱلرِّضَى لَهَا، «طُرْفَةُ ٱلْعَصْرِ» ٱلَّذِي بِكَ فَخْرُهُ
وَإِنِّي وَإِنْ أَطْنَبْتُ فِيكَ لَقَاصِرٌ وَمَنْ بَلَغَ ٱلْمَجْهُودَ قَدْ بَانَ عُذْرُهُ

297

وَكَتَبْتُ هَذِهِ ٱلْأَبْيَاتِ مُعَمَّاةَ ٱلْحُرُوفِ لِلشَّيْخِ أَبِي ٱلْحَسَنِ[134] بْنِ

(131) حاتم طي الجواد العربي المشهور المضروب بجوده المثل.
(132) في الأصول «م» و«ح» و«ق».
(**) ديباجة «ق» «وكتبت على التاريخ الذي رفعته له أيده الله المسمى بطرفة العصر في دولة بني نصر». وهي القصيدة الخامسة في «ح» والسادسة في «ق».
(133) في «ق» تقاضى.
(134) تقدم التعريف به.

ٱلْجَبَّابِ : [135] (*)

(البسط)

يَاوَاحِدَ ٱلدَّهْرِ، فِي عِلْمٍ وَفِي عَمَلٍ ... وَعُمْدَةَ ٱلْمُلْكِ، فِي وِرْدٍ وَفِي صَدَرِ
يَاصَاحِبَ ٱلْقَلَمِ ٱلْأَعْلَى ٱلَّذِي نَسَخَتْ ... يَرَاعَهُ الصُّفْرُ حُكْمَ ٱلصَّارِمِ ٱلذَّكَرِ
مَا مِثْلُ قَوْلِي لَكَ ٱنْظُرْ كِسْوَةَ حَسُنَتْ ؟ ... أَوْ مِثْلُ قَوْلِي لَكَ ٱذْكُرْ رَاوِيَ ٱلسِّيَرِ
وَمَا ٱسْمُ شَيْءٍ إِذَا صَحَّفْتَ ثَانِيَهُ ... فَاذْكُرْ بِهِ رَجُلاً قَدْ طَالَ فِي ضَجَرِ
يَأْتِي مَعَ ٱلنَّجْمِ فِي تَعْدِيلِ جَدْوَلِهِ ... حِينا، وَإِنْ كَانَ مَعْدُوداً مِنَ ٱلشَّجَرِ
لَازَالَتِ ٱلْعِيسُ تَرْوِي كُلَّ شَارِدَةٍ ... عَنْ مُنْتَدَاكَ بِمِلْءِ ٱلسَّمْعِ وَٱلْبَصَرِ
فَكُلَّمَا زُدْتَ غَلْيَاكَ قِيلَ لَهَا ... «بِٱللَّهِ قِلْ وَأَعِدْ يَاطَيِّبَ ٱلْخَبَرِ»

298

وَقُلْتُ أُهَنِّئُ ٱلسُّلْطَانَ ، رَحِمَهُ ٱللَّهُ ، بِمَا كَانَ مِنْ إِفْلَاتِهِ مِنَ ٱلْمَكِيدَةِ (م 94 أ) ٱلْبَحْرِيَّةِ عِنْدَ عُبُورِهِ ٱلْمَجَازَ ....[136]

(الطويل)

جَنَابُكَ مَحْفُوظٌ (وَسَعْدُكَ سَافِرٌ) ... .
(وَفِعْلُكَ لِلصُّنْعِ ٱلْجَمِيلِ مُخَالِفٌ) ... وَرَأْيُكَ لِلنَّجْحِ ٱلْمُبِينِ مُوَازِرُ
(وَصَبْحُ غَلَاكَ فِي سَرَاوَةِ يَعْرُبٍ) ... تَبِيدُ ٱللَّيَالِي، دُونَهُ، وَهْوَ عَامِرُ
يَطِلُّ عَلَى أَوْجِ ٱلسِّمَاكِ[137] عِمَادُهُ ... وَلَا طُنُبٌ إِلَّا ٱلْعُلَى وَٱلْمَفَاخِرُ
وَأَلْبَسْتَ سِيمَا ٱلْمَجْدِ فِي ٱلْمَهْدِ نَاشِيا ... وَسُدْتَ وَمَا سُدْتَ عَلَيْكَ ٱلْمَآزِرُ
وَقَدْ تُعْلَمُ ٱلْغَايَاتُ مِنْ بَدَآتِهَا ... وَتَظْهَرُ فِي أُولَى ٱلْأُمُورِ ٱلْأَوَاخِرُ
وَعَالَجَ دَاءَ ٱلدَّهْرِ مِنْكَ مُجَرِّبٌ ... طَبِيبٌ بِأَدْوَاءِ ٱلسِّيَاسَةِ مَاهِرُ

---

(135) في الأصول «م» و«ح» و«ق».

(*) ديباجة «ق» «وكتبت هذه الأبيات مُعمَّاة الحروف للشيخ الرئيسي نسيج وحده ابن الحسن بن الجيان أعزه الله وهي القصيدة السادسة في «ح» والسابعة في «ق».

(136) بياض في الأصل.

(137) السِّمَاك : كل ما سمك به الشيء، والسماكان نجمان نيران أحدهما في الشمال وهو السماك الرامح والآخر في الجنوب وهو السماك الأعزل.

فَأَنْتَ لِحَبْلِ ٱلْمُلْكِ، لاَشَكَّ وَاصِلٌ ... وَأَنْتَ لِصَدْعِ ٱلدِّينِ، لاَشَكَّ، جَابِرُ
تَرُومُ ٱلأَبِيَّاتِ ٱلصِّعَابِ فَتَنْثَنِي ... لِيَانَ ٱلْهَوَادِي[138]. وَهْيَ شُمْسٌ نَوَافِرُ
وَتَقْبِسُ مِنْ نُورِ ٱلإِلاَهِ هِدَايَةً ... فَتُبْصِرُ بَدْءاً مَالَهُ ٱلأَمْرُ صَائِرُ
وَكَمْ فَتْكَةٍ فِي «ٱلرُّومِ»، بِكْرٍ جَلَوْتَهَا ... مِنَصَّاتُهَا لِلْمُسْلِمِينَ ٱلْمَنَابِرُ[139]
تَهَادَى وَأَلْفَافُ ٱلْبُنُودِ خُدُورُهَا ... وَتَقْدُمُهَا عِنْدَ ٱلزِّفَافِ ٱلْبَشَائِرُ
وَلَمَّا ٱسْتَجَارَتْكَ ٱلْجَزِيرَةُ وَالرَّدَى
مُحِيطٌ، وَغَصَّتْ بِٱلْقُلُوبِ ٱلْحَنَاجِرُ(م34ب)

.... [140]
....
وَحَجَبْتَهَا بِالسَّيْفِ عَنْ كُلِّ ....
وَكَيْفَ لَهُ بِالْقُرْبِ مِنْهَا وَإِنَّهَا ... لَتَأْوِي إِلَى إِيمَانِهَا وَهْوَ (كَافِرُ)
وَقَدْ كَثُرَتْ فِي «ٱلرُّومِ» مِنْ فَتَكَاتِهَا ... عِدَادُ ٱلْيَتَامَى وَٱلأَيَامَى ٱلْحَوَاسِرُ
وَطَالَتْ لَهَا ٱلرَّنَّاتُ فِي أَرْضِ «رُومَةٍ» ... كَمَا زَحَفَتْ عِنْدَ ٱلْغِنَاءِ ٱلْمَزَاهِرُ
وَلِلَّهِ مِنْهَا فِي ٱلْوُجُودِ جَزِيرَةٌ ... شَكَتْهَا بِمُنْبَتِّ ٱلشَّمَالِ ٱلْجَزَائِرُ
وَلَيْسَ عَجِيباً أَنْ تَغَصَّ عَقِيلَةٌ ... بِأُخْرَى وَتَشْكُو بِالضِّرَارِ ٱلضَّرَائِرُ
وَصَابَرْتَ شَطْرَ ٱلْحَوْلِ إِلاَّ أَقَلَّهُ ... تُرَاوِحُ أَحْزَابَ ٱلْعِدَى وَتُبَاكِرُ
فَعَزَّ مَرَامُ «ٱلرُّومِ» فِي كُلِّ حِيلَةٍ ... وَأَصْبَحَ فِي ٱلْحَصْرِ ٱلْعَدُوُّ ٱلْمُحَاصِرُ
قَصَرْتَ عَلَيْهَا ٱلنَّفْسَ غَيْرَ مُعَجِّجٍ ... عَلَى ذِكْرِ مَنْ ضُمَّتْ عَلَيْهِ ٱلْمَقَاصِرُ
وَخَاطَرْتَ بِالنَّفْسِ ٱلنَّفِيسَةِ دُونَهَا ... وَهَلْ فَازَ بِٱلأَخْطَارِ إِلاَّ ٱلْمُخَاطِرُ
وَمَا كَانَ يَدْرِي قِيمَةَ ٱلدُّرِّ رَبُّهُ ... لَوِ ٱلْتَزَمَتْ أَصْدَافَهُنَّ ٱلْجَوَاهِرُ
عَبَرْتَهُمَا بَحْرَيْنِ: بَحْراً مِنَ ٱلْعِدَى
وَبَحْراً مِنَ ٱللُّجِّ ٱلَّذِي هُوَ زَاخِرُ[141](م95أ)

....
....

(138) هوادي الخيل : متقدماتها .
(139) هذا البيت والذي يليه في السحر والشعر لوحة : 24 .
(140) بياض في الأصل .
(141) بياض بمقدار بيتين .

وَلَمَّا تَبَدَّتْ لِلْمُحَاقِ حَجَبْتَهَا ... تُصَادِمُ فِيهِنَّ ٱلْجَوَى وَتُصَادِرُ

تَلُوحُ إِيَاةُ[142] ٱلْبَدْرِ وَٱللَّيْلُ حَالِكٌ ... فَتُبْصِرُنَا نَسْعَى لَهُ وَنُبَادِرُ[143]

.....

.....

وَهَيْهَاتَ، أَيْنَ ٱلْبَدْرُ مِنْكَ إِذَا بَدَا ... وَكَيْفَ يَجُوزُ ٱللَّبْسُ، وَٱلْفَرْقُ ظَاهِرُ

وَلَكِنَّهَا مِنَّا تَعِلَّةُ وَارِدٍ ... بِحَارَ ٱلْأَمَانِي أَعْوَزَتْهُ ٱلْمَصَادِرُ

فَيَا لَيْلَةَ «ٱلْاثْنَيْنِ» كَمْ لَكِ مِنْ يَدٍ ... لِمَوْقِعِهَا، ٱلْإِسْلَامُ، وَٱللَّهُ شَاكِرُ

قَدِمْتِ كَمَا وَافَى عَلَى ٱلْكَبْرَةِ الصِّبَا ... وَجَادَتْ عَلَى ٱلْمَحْلِ ٱلسَّحَابُ المَوَاطِرُ

وَإِلاَّ كَمَا لَذَّ ٱلْأَمَانُ لِخَائِفٍ ... وَوَاصَلَ مِنْ بَعْدِ ٱلْقَطِيعَةِ، هَاجِرُ

وَأَطْلَعَ مِنْكِ ٱلْفُلْكُ شَمْساً مُنِيرَةً ... لَهَا فَلَكٌ بِٱلْعِلْمِ وَٱلْحِلْمِ دَائِرُ

وَرَامَتْ بِكِ ٱلْأَعْدَاءُ كُلَّ بَعِيدَةٍ ... مِنَ ٱلْمَكْرِ لَمْ تَخْطُرْ عَلَيْهَا ٱلْخَوَاطِرُ

وَفَيْتِ وَخَانُوا، وَٱلْوَفَاءُ غَرِيزَةٌ ... وَمَا يَسْتَوِي فِي الدَّهْرِ، وَافٍ وَغَادِرُ

وَمَا هَذِهِ ٱلْأَبْصَارُ تَعْمَى حَقِيقَةً ... وَلَكِنَّهَا تَعْمَى ٱلنُّهَى وَٱلْبَصَائِرُ (م95ب)

.....

.....

.....

.....

وَمَنْ لِلْعِدَا أَنْ يَبْلُغُوا فِيكَ مَا ... مِنَ ٱللَّوْمِ تَأْبَاهَا ٱلْمُلُوكُ (ٱلْأَكَابِرُ)

لَقَدْ لَبِسَ «ٱلْأَذْفُنْشُ» مِنْهَا مُلَاءَةً ... وَرَبُّكَ يَدْرِي مَا تُكِنُّ ٱلضَّمَائِرُ

وَأَسْرَعَ يَنْضُو ثَوْبَهَا مُتَنَصِّلا ... وَإِنْ عَظُمَتْ مِنْهُ إِلَيْكَ ٱلْجَرَائِرُ

فَقَابَلْتَ بِالصَّفْحِ ٱلْجَمِيلِ اعْتِذَارَهُ ... وَأَحْلَمُ مَنْ تُلْقَى إِلَيْهِ ٱلْمَعَاذِرُ

فَإِنَّكَ أَوْلَى مَنْ يَقُودُ إِلَى ٱلرِّضَى ... «لِيُوسُفَ» لاَ يُحْصِي لَهَا ٱلْفَخْرَ حَاصِرُ

أَلاَ فَاشْكُرُوا يَاأَهْلَ «أَنْدَلُسٍ» يَداً ... وَسَائِلُ لِلْغُفْرَانِ هَذِي ٱلْمَغَافِرُ

أَلاَ فَالْثُمُوا مِنْهُ ٱلدُّرُوعَ فَإِنَّهَا

---

(142) اياة الشمس والبدر : ضوؤهما .

(143) بياض في الأصل .

(144) بياض في الأصل .

أَلاَ فَاشْكُرُوا تِلْكَ ٱلْكَتَائِبَ وَاجْعَلُوا مَحَارِيبَ مَا تُبْدِيهِ مِنْهَا ٱلْحَوَافِرُ
هَنِيئاً أَمِيرَ ٱلْمُسْلِمِينَ بِأَوْبَةٍ أَهَلَّ بِهَا لِلَّهِ بَادٍ وَحَاضِرُ
يَلَذُّ عَلَى ٱلْأَفْوَاهِ تَرْدَادُ ذِكْرَهَا كَمَا شَارَ، مَقْطُوفاً مِنَ الشُّهْدِ، شَائِرُ
وَدُونَكَهَا حَسْنَاءَ أَمَّا جَمَالُهَا فَبِدْعٌ، وَأَمَّا الطَّرْفُ مِنْهَا فَسَاحِرُ
(سَتَرْتُ)[145] ٱلْمَعَانِي فِي سَوَادِ مِدَادِهَا كَمَا سَتَرَتْ زَهْرَ الْوُجُوهِ الْغَدَائِرُ
.... [146]
....
....

299

وَقُلْتُ أَيْضاً بِإِقْتِرَاحِ ٱلسُّلْطَانِ رَحْمَةُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ :[147]

(الطويل)

هَنِيئاً بِمَنْ حَثَّ ٱلرَّكَائِبَ فِي «بَدْرٍ» وَمَهْبِطِ وَحْيِ ٱللَّهِ فِي لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ
لَقَدْ مُزِجَتْ رُوحِي بِرُوحِكَ فِي ٱلْهَوَى كَمَا مُزِجَ ٱلْمَاءُ الزُّلاَلُ مَعَ ٱلْخَمْرِ
فَأَنْتَ إِلَى قَلْبِي أَلَذُّ مِنَ ٱلْمُنَى وَأَشْهَى إِلَى نَفْسِي مِنَ ٱلنَّهْيِ وَٱلْأَمْرِ
وَقَدْ شَفَّنِي وَجْدٌ إِلَيْكَ وَلَوْعَةٌ هِيَ ٱلْجَمْرُ أَوْ أَذْكَى وَقُوداً مِنَ ٱلْجَمْرِ
فَإِنْ طَرَقَتْنِي مِنْ جَنَابِكَ نَسْمَةٌ وَضَعْتُ لَهَا يُمْنَى يَدَيَّ عَلَى صَدْرِي
مَلَكْتُ بَنِي ٱلدُّنْيَا وَيَمْلِكُنِي ٱلْهَوَى أَلاَ فَاعْجَبُوا بِٱللَّهِ يَاقَوْمُ مِنْ أَمْرِي
حَبِيبٌ إِذَا مَا حَجَّبَتْهُ يَدُ ٱلنَّوَى فَطَيْفٌ لَهُ يَسْرِي وَذِكْرٌ لَهُ يَجْرِي
بِنَفْسِي مَنْ أَهْدَى إِلَيَّ تَحِيَّةً كَمَا حَمَلَتْ رِيحُ الصَّبَا نَفْحَةَ الزَّهْرِ
يُمَثِّلُ مِنْهُ ٱلْبَدْرُ وَالنَّجْمُ وَالدُّجَى مِثَالاً لِعَيْنِي أَوْ خَيَالاً إِلَى فِكْرِي
فَإِنْ غَابَ عَنِّي وَجْهُهُ وَدَلاَلُهُ أُعَلِّلُ قَلْبِي بِالدُّجَّةِ وَٱلْبَدْرِ (م96ب)
وَإِنْ غَابَ قِرْطٌ عِنْدَهُ وَمُقَلَّدٌ رَجَعْتُ إِلَى ٱلْجَوْزَاءِ وَٱلْأَنْجُمِ الزُّهْرِ

(145) بياض في الأصل وقدرناها .
(146) بياض في الأصل .
(147) في «ح» و«م» .

خَلِيلَيَّ. إِنَّ ٱللَّيْلَ قَدْ طَا ..... (148)

لَحَا ٱللَّهُ. أَجْفَانَ ٱلْغَوَانِيَ فَإِنَّهَا ..... تَسُوقُ ٱلْهَوَى لِلْقَلْبِ مِنْ حَيْثُ لاَ يَدْرِي

لَهَا فَتَكَاتٌ فِي ٱلْقُلُوبِ كَأَنَّهَا ..... سُيُوفُ ٱلْمُلُوكِ ٱلْغَالِبِينَ «بَنِي نَصْرِ»

لَيُوثُ ٱلْهُدَى تَحْمِي حِمَى كُلِّ خَائِفٍ ..... غُيُوثُ ٱلنَّدَى تَهْمِي عَلَى كُلِّ مُضْطَرِّ

أُولَئِكَ قَوْمِي دَوَّنُوا ٱلْمَجْدَ وَٱلْعُلَى ..... فَكُنْتُ كَبَاسْمِ ٱللَّهِ فِي أَوَّلِ ٱلسَّطْرِ

تَرَاءَتْ لِعَزْمِي هِمَّةٌ «يُوسُفِيَّةٌ» (149) ..... بِهَا قَصَرَ ٱللَّهُ ٱلْكَمَالَ عَلَى قَصْرِي

300

وَقُلْتُ أَيْضاً فِي ٱلْمَعْنَى : (150)

(الرمل)

سَكَنَ ٱلْحُبَّ فُؤَادِي وَعَمَرْ ..... وَنَهَى ٱلشَّوْقُ بِقَلْبِي وَأَمَرْ

وَغَزَتْ قَلْبِي أَلْحَاظُ ٱلظَّبَا ..... بِظُبَاهَا. أَيْنَ يَا قَلْبُ ٱلْمَفَرْ؟

بِأَبِي. وَٱللَّهِ لَحْظٌ فَاتِرٌ ..... مَا جَنَى فِي مُهْجَةٍ إِلاَّ ٱعْتَذَرْ

مَنْ مُجِيرِي. مَنْ نَصِيرِي فِي ٱلْهَوَى ..... ضَاعَ بَيْنَ ٱلْغُنْجِ ثَأْرِي وَٱلْحَوَرْ

كُنْتَ يَا قَلْبِي عَلَى طُولِ ٱلْمَدَى ..... تَحْذَرُ ٱلْحُبَّ. وَهَلْ يُنْجِي ٱلْحَذَرْ؟

وَبِنَفْسِي مَنْ إِذَا جَنَّ ٱلدُّجَى ..... أَمْسَكَ ٱلنَّوْمَ وَأَهْدَانِي ٱلسَّهَرْ

غُصْنُ بَانٍ وَهِلَالٌ وَرَشَا ..... إِنْ تَفَنَّى، أَوْ تَبَدَّى أَوْ خَطَرْ (م197)

لَوْ بَدَا. لِلْحُورِ يَوْماً. وَجْهُهُ ..... قُلْنَ جَلَّ ٱللَّهُ «مَا هَذَا بَشَرْ» (151)

زَارَ فِي لَيْلَيْنِ لَيْلٌ لِلدُّجَى ..... حَالِكُ ٱلْجُنْحِ. وَلَيْلٌ لِلسَّحَرْ

فَضَمَمْتُ ٱلْغُصْنَ مِنْ ثَوْبِ ٱلنَّقَا (152) ..... وَلَثَمْتُ ٱلرَّاحَ مِنْ بَيْنِ ٱلدُّرَرْ

وَجَرَى دَمْعِي إِذْ عَاتَبْتُهُ ....

---

(148) بياض في الأصلين.

(149) يقصد أبا الحجاج يوسف.

(150) في الأصلين «ح» و«م».

(151) اقتباس من آية 31 سورة يوسف.

(152) النقا : كثيب الرمل.

(153) بياض في الأصلين.

قُلْتُ مَهْلاً لاَ تُرَوِّعْ إِنَّمَا هِيَ مِنْ دَمْعٍ لَآلِيءُ أَخَرْ
فَاعْتَرَاهُ مِنْ كَلاَمِي خَجَلٌ خَلَطَ ٱلْوَرْدَ بِسُوسَانِ ٱلْخَفَرْ[154]
حَبَّذَا لَيْلٌ نَعِمْنَاهُ، وَقَدْ حَلَّتِ ٱلزَّهْرَةُ فِي بَيْتِ ٱلْقَمَرْ[155]
وَحَمِدْنَا ٱلصَّبْرَ فِي ٱلْأَمْرِ وَكَمْ حَكَّمَ ٱلْعُقْبَى مُحِبٌّ قَدْ صَبَرْ!
خِضْتَ بَحْرَ ٱلْحُبِّ وَالدَّمْعُ وَهَلْ تُدْرَكُ ٱلْآمَالُ إِلاَّ بِٱلْغَرَرْ[156]
فَسَطَا ٱلْوَصْلُ عَلَى ٱلْهَجْرِ كَمَنْ «بِبَنِي نَصْرٍ» عَلَى ٱلدَّهْرِ ٱنْتَصَرْ
أَبْحُرُ ٱلْجُودِ، وَأَمْلاَكُ ٱلْوَرَى وَسُيُوفُ ٱللَّهِ تُرْدِي مَنْ كَفَرْ
لَهُمُ ٱلْفَخْرُ بِحَقٍّ، وَكَفَى «بِأَبِي ٱلْحَجَّاجِ» اسْمًا مُفْتَخَرْ
أَيُّ مَجْدٍ أُحْكِمَتْ، آيَاتُهُ[157] فَهْيَ تُتْلَى مِثْلَمَا تُتْلَى ٱلسُّوَرْ
دَامَ فِي سَعْدٍ جَدِيدٍ وَمُنًى تَصِلُ ٱلْآصَالَ فِيهَا بِٱلْبُكَرْ
مَا ٱرْتَدَى بِٱلْغَيْثِ رَوْضٌ فَرَوَتْ نَسْمَةُ ٱلرِّيحِ عَنِ ٱلزَّهْرِ خَبَرْ (م 97ب)

301

وَقُلْتُ فِي غَرَضِ ٱلنَّسِيبِ وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلتَّجَاوُزِ وَٱلْمَغْفِرَةِ بِمَنِّهِ وَفَضْلِهِ :[158]

(الطويل)

أَمَا وَخَيَالٍ فِي ٱلْمَنَامِ يَزُورُ وَإِنْ كَانَ عِنْدِي أَنَّ ذَلِكَ زُورُ
لَقَدْ ضِقْتُ ذَرْعاً بِالنَّوَى بَعْدَ بُعْدِكُمْ عَلَى أَنَّنِي لِلنَّائِبَاتِ صَبُورُ
أُدَافِعُ مِنْ شَوْقِي، وَوَجْدِي كَتَائِباً يَزُلْنَ «رَضْوَى» عِنْدَهَا وَ«ثَبِيرُ»[159]
سَرَايَا، إِذَا مَا ٱللَّيْلُ مَدَّ رِوَاقَهُ عَلَى سَاحَةِ ٱلصَّبْرِ ٱلْجَمِيلِ تُغِيرُ
يَرَى جَسَدِي فِيكُمْ غَرَامٌ وَلَوْعَةٌ إِذَا سَكَنَ ٱللَّيْلُ ٱلْبَهِيمُ تَثُورُ[160]

(154) الخفر : الحياء الشديد .
(155) بيت الكوكب : محل أمنه وسلامته .
(156) الغرر : المغامرة .
(157) الآيات المحكمات : غير المتشابهات ومستديمة الأحكام .
(158) في الأصلين «م» و«ح» . الاحاطة لوحة : 443 .
(159) اسمان لجبلين .
(160) هذا البيت والذي يليه في النفح (جـ : 9 ص : 209) .

فَلَوْلاَ أَنِينِي مَا اهْتَدَى نَحْوَ مَضْجَعِي ... خَيَالُكُمُ بِاللَّيْلِ، حِينَ تَزُورُ
وَلَوْ شِئْتُ فِي طَيِّ الْكِتَابِ لَزُرْتُكُمْ ... وَلَمْ تَدْرِ عَنِّي أَحْرُفٌ وَسُطُورُ
تَذَكَّرْتُ عَهْداً طَالَ بَعْدَ انْصِرَامِهِ ... عَلَيْهِ الْأَسَى وانجَابَ وَهْوَ قَصِيرُ
وَقَدْ طَلَعَتْ لِلرَّاحِ فِي ظُلُمَاتِهِ ... نُجُومٌ تُوَالِي حَتَّهُنَّ بُدُورُ
وَهَبَّ نَسِيمُ الْوَصْلِ فِي رَوْضَةِ الرِّضَا ... بَلِيلاً، وَأَكْوَاسُ السُّرُورِ تَدُورُ
وَعَهْداً «بِعَيْنِ الدَّمْعِ»[161] لِلدَّمْعِ بَعْدَهُ ... مَوَارِدُ فِي آمَاقِنَا وَبُحُورُ
عُهُودَ مُنىً غَصَّ الزَّمَانُ بِحُسْنِهَا ... فَغَارَ عَلَيْهَا، وَالزَّمَانُ غَيُورُ
فَهَا أَنَا اسْتَقْرِي الرِّيَاحَ إِذَا سَرَتْ ... لِيُخْبِرَنِي بِالظَّاعِنِينَ خَبِيرُ (م98أ)
وَإِنْ خَطَّ وَجْدِي مِنْ دُمُوعِي رِسَالَةً ... عَلَى صَفْحِ خَدِّي فَالنَّسِيمُ سَفِيرُ
فَيَا رِحْلَةَ الصَّيْفِ الَّتِي بِجَوَانِحِي ... لَهَا لَهَبٌ لاَ يَنْقَضِي وَسَعِيرُ
أُحَوِّلُ مِنْكِ الشَّهْرَ حَوْلاً عَلَى الْوَرَى ... وَأَصْبَحَتِ الْأَيَّامُ، وَهْيَ شُهُورُ
وَيَاقَلْبُ لاَ تَطْرَحْ سِلاَحَكَ رَهْبَةً ... فَهَلْ هِيَ إِلاَّ أُنَّةٌ وَزَفِيرُ؟
جَنَيْتُ الْنَّوَى لاَ عَنْ مَلاَلٍ وَلاَ قِلىً[162] ... فَمِثْلِي بِمَوْصُولِ الْمَلاَمِ جَدِيرُ
وَجَرَّدتُ عَنِّي لِبسَةَ الْوَصْلِ طَائِعاً ... وَكَمْ شَرِقٍ بِالْمَاءِ، وَهْوَ نَمِيرُ!
أَأَحْمَدُ إِنْ جَلَّ الَّذِي بِي مِنَ الْجَوَى ... وَأَصْبَحْتُ مَا لِي فِي هَوَاكَ نَصِيرُ
فَلَسْتُ مِنَ اللُّطْفِ الْخَفِيِّ بِيَائِسٍ ... فَكَمْ مِنْ بُكَاءٍ كَانَ عَنْهُ سُرُورُ
أَتَانِي كِتَابٌ مِنْكَ، لاَ بَلْ حَدِيقَةٌ ... تَفَيَّأْتُهَا، وَالْهَجْرُ مِنْكَ هَجِيرُ
وَأَرْسَلْتُ دَمْعَ الْعَيْنِ حِينَ قَرَأْتُهَا ... فَمِنْهَا أَمَامِي رَوْضَةٌ وَغَدِيرُ
تَكَلَّفْتُ فِيكَ الصَّبْرَ، وَالصَّبْرُ مُعْوِزٌ ... وَهَوَّنْتُ فِيكَ الْخَطْبَ وَهْوَ عَسِيرُ[163]
وَلُذْتُ إِلَى الْآمَالِ، وَهْيَ سَفَاهَةٌ ... وَمِلْتُ إِلَى الْأَطْمَاعِ وَهْيَ غُرُورُ
سَأُلْقِي إِلَى أَيْدِي الزَّمَانِ مَقَادَتِي ... فَيَعْدِلُ فِي أَحْكَامِهِ وَيَجُورُ
وَإِنَّ الَّذِي بِالْبُعْدِ أَجْرَى قَضَاءَهُ ... عَلَى جَمْعِ شَمْلِي كَيْفَ شَاءَ[164] قَدِيرُ
فَتُدْرِكُ آمَالٌ وَتُقْضَى مَآرِبٌ ... لَدَيَّ وَتُشْفَى بِاللِّقَاءِ صُدُورُ (م98ب)

---

(161) تقدم التعريف بها في ص : 174.

(162) القلى : البغض والكراهية وفي التنزيل الحكيم «وما قلى».

(163) في الأصلين عجز الشطر الأول : وملت إلى الاطماع وهي غرر.
عجز الشطر الثاني : وهونت فيك الخطب وهو عسير.

(164) في الأصلين : كان.

302

وَقُلْتُ أُرْثِي ٱلْحُرَّةَ ٱلسُّلْطَانِيَّةَ جَدَّةَ أَمِيرِ ٱلْمُسْلِمِينَ «أَبِي ٱلْحَجَّاجِ (165) وَوَلَدَيْهِ أَمِيرَيِ ٱلْمُسْلِمِينَ بَعْدَهُ، وَوَالِدَةَ أَمِيرِ ٱلْمُسْلِمِينَ «أَبِي ٱلْوَلِيدِ»، وَأُخْتَ أَمِيرِ ٱلْمُسْلِمِينَ «أَبِي عَبْدِ ٱللَّهِ أَبِي ٱلْجُيُوشِ وَبِنْتَ أَمِيرِ ٱلْمُسْلِمِينَ أَبِي عَبْدِ ٱللَّهِ وَحَافِدَةَ أَمِيرِ ٱلْمُسْلِمِينَ ٱلْغَالِبِ بِٱللَّهِ» رَحِمَ ٱللَّهُ ٱلسَّلَفَ ، وَنَصَرَ ٱلْخَلَفَ : (166)

(الطويل)

نَبِيتُ عَلَى عِلْمٍ يَقِينٍ (167) مِنَ ٱلدَّهْرِ ... وَنَعْلَمُ أَنَّ ٱلْخَلْقَ فِي قَبْضَةِ ٱلْقَهْرِ (168)
وَنَرْكَنُ لِلدُّنْيَا اغْتِرَاراً بِلَهْوِهَا (169) ... وَحَسْبُكَ مَنْ يَرْجُو ٱلْوَفَاءَ مِنَ ٱلْغَدْرِ
وَنَمْطُلُ بِٱلْعَزْمِ ٱلزَّمَانَ سَفَاهَةً ... فَيَوْمٌ إِلَى يَوْمٍ، وَشَهْرٌ إِلَى شَهْرِ
وَنُغْرِي، بِمَا يَفْنَى، ٱلْمَطَامِعَ وَٱلْهَوَى ... وَنَرْفُضُ مَا يَبْقَى، فَيَا ضَيْعَةَ ٱلْعُمْرِ!
وَنَدْفَعُ أَحْبَاباً كِرَاماً إِلَى ٱلرَّدَى ... وَنَسْلُو وَنَلْهُو بَعْدَ ذَاكَ عَنِ ٱلْأَمْرِ (170)
هُوَ ٱلدَّهْرُ لاَ يَبْقَى عَلَى حَدَثَانِهِ ... جَدِيدٌ، وَلاَ يَنْفَكُّ عَنْ حَادِثٍ نُكْرِ
وَبَيْنَ ٱلْخُطُوبِ ٱلطَّارِقَاتِ تَفَاضُلٌ
كَفَضْلِ مَنِ ٱغْتَالَتْهُ فِي رِفْعَةِ ٱلْقَدْرِ (171) (م99أ)

أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱلْمَجْدَ أَقْوَتْ رُبُوعُهُ ... وَصَوَّحَ مِنْ أَدْوَاحِهِ كُلُّ مُخْضَرِّ
وَلاَحَتْ عَلَى وَجْهِ ٱلْعَلاَءِ كَآبَةٌ ... فَقَطَّبَ مِنْ بَعْدِ ٱلطَّلاَقَةِ وَٱلْبِشْرِ (172)
أَمَوْلاَتَنَا ٱلْكُبْرَى وَفَاؤُكِ أَنَّنَا ... بَرِينَا إِلَى ٱلْأَشْجَانِ مِنْ شِيمَةِ ٱلصَّبْرِ
فَقَدْنَاكِ (لاَ فَقَدَ ٱلنَّوَاظِرِ نُورَهَا ... وَكُنْتِ لَنَا نُوراً يُضِيءُ لِمَنْ يَسْرِي
عَجِبْتُ لِمُغْتَالِ ٱلرَّدَى كَيْفَ لَمْ يُرَعْ ... لِمَنْزِلِكِ ٱلْمَحْفُوفِ بِٱلنَّهْيِ وَٱلْأَمْرِ

(165) تقدم التعريف به . ص : 75 .
(166) في «م» و«ح» والإحاطة (جـ : 1 ص : 386) .
(167) الاحاطة : بغائلة .
(168) الإحاطة : الدهر .
(169) الإحاطة : بفكرها .
(170) لم تورد الإحاطة هذا البيت .
(171) بياض في «م» بمقدار أربعة أبيات ، وملؤها من «ح» .
(172) إلى هنا ينتهي ما في الإحاطة .
(172م) إضافة «لاَ» منّا ليستقيم الوزن .

وَكَيْفَ انْبَرَى صَرْفُ ٱلْحِمَامِ مُصَمِّماً ... خِلَالَ ٱلصَّفَاحِ ٱلْبِيضِ وَٱلْأَسَلِ السُّمْرِ
سُتُورٌ مِنَ الدِّينِ ٱلْمَتِينِ كَثِيفَةٌ ... وَكَمْ دُونَهَا لِلْمُلْكِ، وَٱلْعِزِّ مِنْ سِتْرِ
نُعِدُّ ٱلرِّمَاحَ ٱلْمَشْرَفِيَّةَ[174] وَٱلْقَنَى ... وَيَطْرُقُ أَمْرَ ٱللَّهِ، مِنْ حَيْثُ لاَ نَدْرِي
هُوَ ٱلدَّهْرُ يَجْرِي فِي ٱلْبَرِيَّةِ حُكْمُهُ ... فَعِزُّ ٱلْغِنَى سِيَّانِ أَوْ ذِلَّةُ ٱلْفَقْرِ
رَمَى «تُبَّعاً»[174] بِالْحَتْفِ قَصْداً فَلَمْ يَكُنْ ... لِأَتْبَاعِهِ فِي ذَلِكَ ٱلْخَطْبِ مِنْ نَصْرِ
وَأَرْدَى «أَنُوشِرْوَانَ»[175] «كِسْرَى» بِصَرْفِهِ ... كَسِيراً، وَلَمْ يَتْرُكْ «لِقَيْصَرَ»[176] مِنْ قَصْرِ
لَقَدْ فُجِعَ ٱلْإِسْلَامُ مِنْكِ وَأَهْلُهُ ... بِذُخْرٍ بَعِيدِ ٱلصِّيتِ مُشْتَهِرِ الذِّكْرِ
وَوَاحِدَةٍ فَاقَتْ نِسَاءَ زَمَانِهَا ... كَمَا فَضَلَتْ أَمْثَالَهَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ
وَهَلْ خَفَضَ ٱلتَّأْنِيثُ لِلشَّمْسِ رُتْبَةً ... وَهَلْ رَفَعَ ٱلتَّذْكِيرُ مِنْ رُتْبَةِ ٱلْبَدْرِ
أَصَالَةُ آرَاءٍ وَفَضْلُ سِيَاسَةٍ ... وَفَخْرُ ٱنْتِمَاءٍ دُونَهُ مُنْتَهَى ٱلْفَخْرِ (م99ب)
وَدِيوَانُ مَجْدٍ ضُمِّنَتْ صَفَحَاتُهُ ... خِلَالَ ٱلْمُلُوكِ ٱلْغَالِبِينَ «بَنِي نَصْرِ»
بِمَاذَا سَأُثْنِي عَلَى عَلْيَائِكِ ٱلرِّضَى ... .[177]
بِإِبْقَاءٍ مَعْرُوفٍ بِرَعْيِ وَسِيلَةٍ ... بِإِيوَاءِ مَلْهُوفٍ بِنُصْرَةِ مُضْطَرِّ
أَرَى سَفَرَ ٱلدُّنْيَا يُرَجَّى إِيَابُهُ ... .إِلَى ٱلْحَشْرِ[178]
أُعِيدِي لِقَصْرِ ٱلْمُلْكِ مِنْكِ ٱلْتِفَاتَةً ... وَلَوْ بِسِرَارٍ لِلْخَيَالِ ٱلَّذِي يَسْرِي
فَكَمْ فِيهِ مِنْ قَلْبٍ، لِبُعْدِكِ خَافِقٍ ... وَمِنْ لَوْعَةٍ تُذْكَى، وَمِنْ عَبْرَةٍ تَجْرِي
وَشَمْلٍ جَمِيعٍ فَرَّقَتْهُ يَدُ ٱلنَّوَى ... وَمَرْأًى بَدِيعٍ غَيَّرَتْهُ يَدُ ٱلدَّهْرِ
وَمَنْصِبُ مُلْكٍ أَوْحَشَتْ جَنَبَاتُهُ ... وَهَالَةِ إِيوَانٍ تَرَاءَتْ بِلاَ بَدْرِ
وَمَا كُنْتِ إِلاَّ ٱلشَّمْسَ يَحْيَا بِكِ ٱلْوَرَى ... عَلَى بُعْدِ ٱلْعَلْيَاءِ أَوْ رِفْعَةِ ٱلْقَدْرِ
وَهَيْهَاتَ مَنْ لِلشَّمْسِ مِنْكِ بِمِثْلِهِ ... كَمَالٌ بِلاَ نَقْصٍ، وَنَفْعٌ بِلاَ ضُرِّ

---

(173) نسبة إلى مشارف الشام.

(174) هو تبع ابن حسان من ملوك حمير في اليمن في العصر الجاهلي. انظر: الاعلام (جـ: 1 ص 64).

(175) أنو شروان: من ملوك الفرس.

(176) قيصر: من ملوك الروم.

(177) بياض في الأصلين.

(178) بياض في الأصلين.

حَمَلْنَا عَلَى ٱلْأَعْنَاقِ مِنْكِ سَحَابَةً ... مُبَارَكَةَ ٱلسَّقْيَا مُقَدَّسَةَ ٱلْقَطْرِ
وَلَمَّا أَتَيْنَا ٱللَّحْدَ فِي غَلَسِ ٱلدُّجَى ... رَأَيْنَا أُفُولَ ٱلشَّمْسِ فِي مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ
فَلَوْ أَنَّ قَبْراً صَارَ لِلنَّاسِ قِبْلَةً ... جَعَلْنَا مُصَلَّانَا إِلَى ذَلِكَ ٱلْقَبْرِ
وَلَوْ وَجَدَ ٱلْخَلْقُ ٱلسَّبِيلَ لِتُرْبَةٍ ... حَوَتْ لَحْدَكِ ٱلْمَكْفُوفَ بِٱلْفَضْلِ وَالبِرِّ
لَطَافُوا بِهَا سَبْعاً وَلَبَّوْا وَأَحْرَمُوا ... فَفَازُوا لَدَيْهَا بِٱلْمَثُوبَةِ وَٱلْأَجْرِ (م100أ)
وَذَادَتْ عَنِ ٱلْعَلْيَاءِ عَزْمَةُ «يُوسُفٍ» ... سَلِيلِ عُلَاكَ ٱلطَّاهِرِ (ٱلْمَلِكِ ٱلْبَرِّ)[179]
وَلَكِنَّهُ حُكْمٌ مِنَ ٱللَّهِ نَابِعٌ ... يُقَابَلُ بِٱلتَّسْلِيمِ وَالصَّبْرِ وَالشُّكْرِ
وَدُونَكِ مِنْ عَبْدٍ لِمُلْكِكِ نَادِبٍ ... ثَنَاءً كَمَا هَبَّ ٱلنَّسِيمُ عَلَى ٱلزَّهْرِ
وَلَوْ كَانَ فِي وُسْعِي غَنَاءٌ بَلَغْتُهُ ... بِمَا يَقْتَضِيهِ قَدْرُكِ ٱلضَّخْمُ لَا قَدْرِي
وَوَاللَّهِ مَا وَفَّيْتُ حَقَّكِ وَاجِباً ... وَلَكِنَّهُ شَيْءٌ أَقَمْتُ بِهِ عُذْرِي

303

وَقُلْتُ مِمَّا كُتِبَ عَلَى قَبْرِ ٱلسُّلْطَانِ أَمِيرِ ٱلْمُسْلِمِينَ «أَبِي ٱلْحَجَّاجِ» رَحِمَهُ ٱللَّهُ وَتَقَبَّلَ شَهَادَتَهُ :[180]

(الطويل)

يُحَيِّيكَ بِٱلرَّيْحَانِ، وَالرَّوْحِ مِنْ قَبْرٍ ... رِضَا ٱللَّهِ عَمَّنْ حَلَّ فِيكَ مَدَى ٱلدَّهْرِ
إِلَى أَنْ يَقُومَ ٱلنَّاسُ تَعْنُو وُجُوهُهُمْ ... إِلَى بَاعِثِ ٱلْأَمْوَاتِ فِي مَوْقِفِ ٱلْحَشْرِ
وَلَسْتَ بِقَبْرٍ إِنَّمَا أَنْتَ رَوْضَةٌ ... مُنَعَّمَةُ ٱلرَّيْحَانِ عَاطِرَةُ ٱلنَّشْرِ
وَلَوْ أَنَّنِي أَنْصَفْتُكَ ٱلْحَقَّ لَمْ أَقُلْ ... سِوَى: يَا كِمَامَ ٱلزَّهْرِ أَوْ صَدَفَ ٱلدُّرِّ
وَيَا مَلْحَدَ ٱلتَّقْوَى، وَيَا مَدْفَنَ ٱلْهُدَى ... وَيَا مَسْقِطَ ٱلْعَلْيَا، وَيَا مَغْرِبَ ٱلْبَدْرِ
لَقَدْ حَطَّ فِيكَ ٱلرَّحْلَ أَيُّ خَلِيفَةٍ ... أَصِيلِ ٱلْمَعَالِي غُرَّةٍ فِي «بَنِي نَصْرٍ»،
لَقَدْ حَلَّ فِيكَ ٱلْعِزُّ وَٱلْمَجْدُ وَٱلْعُلَا
وَبَدْرُ ٱلدُّجَى، وَٱلْمُسْتَجَارُ مِنَ ٱلذُّعْرِ (م100ب)
وَمَنْ «كَأَبِي ٱلْحَجَّاجِ» حَامِي حِمَى ٱلْهُدَى وَمَنْ «كَأَبِي ٱلْحَجَّاجِ» مَاحِي دُجَى ٱلْكُفْرِ
إِمَامُ ٱلْهُدَى، غَيْثُ ٱلنَّدَى، دَافِعُ ٱلْعِدَى بَعِيدُ ٱلْمَدَى فِي حَوْمَةِ ٱلْمَجْدِ وَٱلْفَخْرِ[181]

* * *

(179) بياض في الأصل.
(180) في الأصلين «م» و«ح» واللمحة البدرية ص : 99 / 100.
(181) البيتان الاثنان اختصت بهما اللمحة البدرية.

سُلاَلَةُ «سَعْدِ ٱلْخَزْرَجِ» بْنِ «عُبَادَةٍ» وَحَسْبُكَ مِنْ بَيْتٍ رَفِيعٍ وَمِنْ قَدْرِ
إِذَا ذُكِرَ ٱلإِغْضَاءُ وَٱلْحِلْمُ وَٱلتُّقَى وَحَدَّثْتَ عَنْ عَلْيَاهُ، حَدَّثْتَ عَنِ ٱلْبَحْرِ

* * *

تَحَوَّنَهُ صَرْفُ ٱلزَّمَانِ، وَهَلْ تَرَى بَقَاءَ لِحَيٍّ أَوْ دَوَاماً عَلَى أَمْرِ(182)
هُوَ ٱلدَّهْرُ ذُو وَجْهَيْنِ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ وَمَنْ كَانَ ذَا وَجْهَيْنِ يُعْتِبُ فِي غَدْرِ
تَوَلَّى شَهِيداً سَاجِداً فِي صَلاَتِهِ أَصِيلَ ٱلتُّقَى رَطْبَ ٱللِّسَانِ مِنَ الذِّكْرِ
«وَقَدْ عَرَفَ الشَّهْرُ المُبَارَكُ حَقَّ مَا أَفَاضَ مِنَ النِعْمَى وَوَفَّى مِنَ البِرِّ»(183)
وَبَاكَرَ عِيدَ ٱلْفِطْرِ، وَٱلأَمْرُ مُبْرَمٌ وَلَيْسَ سِوَى كَأْسِ ٱلشَّهَادَةِ مِنْ فِطْرِ
أَتِيحَ لَهُ، وَهْوَ ٱلْعَظِيمُ مَهَابَةً وَقَدْراً، حَقِيرُ الذَّاتِ وَٱلْخَلْقِ، وَٱلْقَدْرِ
شَقِيٌّ أَتَتْهُ مِنْ لَدُنْهُ سَعَادَةٌ وَمُنْكَرَ قَوْمٍ جَاءَ بِٱلْحَادِثِ ٱلنُّكْرِ
وَمَا غَضَّ مِنْ عَالٍ جِنَايَةُ سَافِلٍ(184) وَأَسْبَابُ حُكْمِ ٱللَّهِ جَلَّتْ عَنِ ٱلْحَصْرِ
فَهَذَا «عَلِيٌّ» قَدْ قَضَى «بِابْنِ مُلْجَمٍ»(185) وَأَوْقَعَ «وَحْشِيٌّ» «بِحَمْزَةَ»(186) ذِي ٱلْفَخْرِ
نُعِدُّ ٱلسُّيُوفَ ٱلْمُشْرَفِيَّةَ(187) وَٱلْقَنَا وَيَطْرُقُ أَمْرَ ٱللَّهِ مِنْ حَيْثُ لاَ نَدْرِي
وَمَنْ كَانَ بِالدُّنْيَا الدَّنِيَّةِ وَاثِقاً عَلَى حَالَةٍ يَوْماً فَقَدْ بَاءَ بِٱلْخُسْرِ
فَيَا مَلِكَ ٱلْمُلْكِ ٱلَّذِي لَيْسَ يَنْقَضِي وَيَا مَنْ إِلَيْهِ ٱلْحُكْمُ فِي ٱلْخَلْقِ وَٱلأَمْرِ
تَغَمَّدْ بِسِتْرِ ٱلْعَفْوِ مِنْكَ ذُنُوبَنَا فَلَسْنَا نُرَجِّي غَيْرَ عَفْوِكَ مِنْ سِتْرِ
وَخُصَّ أَمِيرَ ٱلْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَةٍ تُبَوِّئُهُ دَارَ ٱلْمُقَامَةِ وَٱلأَجْرِ (م101أ)
فَمَا عِنْدَكَ، ٱللَّهُمَّ، خَيْرٌ ثَوَابُهُ وَأَبْقَى وَدُنْيَا ٱلْمَرْءِ خُدْعَةُ مغْتَرّ
وَصَلِّ عَلَى ٱلْهَادِي ٱلْمُشَفَّعِ مَا بَدَتْ سِمَاتُ الصَّبَاحِ الطَّلْقِ فِي مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ

---

(182) البيتان في السحر والشعر لوحة 33، النفح (جـ : 9 ص 122).
(183) والأبيات الثلاثة في نزهة البصائر لوحة 61.
(184) اللمحة البدرية : وكم من عظيم أصيب بخامل.
(185) إشارة إلى قاتل علي بن أبي طالب.
(186) حمزة بن عبد المطلب بن هاشم أبو عمران من قريش قتل يوم أحد.
انظر : الاعلام (جـ : 1 ص 310).
(187) «ح» المشرفيات.

304

وَأَنْشَدْتُهُ فِي عَامِ تِسْعَةٍ وَثَلَاثِينَ وَسَبْعِمِئَةٍ فِي عِيدِ ٱلْفِطْرِ ، وَأَلْمَمْتُ بِٱلْوُدِّ ٱلْمُتَأَكِّدِ بَيْنَهُ وَبَيْنَ مُلُوكِ ٱلْمَغْرِبِ ، وَٱلْهَدِيَّةِ ٱلْوَاصِلَةِ مِنْ قِبَلِهِمْ : (188) (*)

(الطـويـل)

بِحَيْثُ ٱلْقِبَابُ ٱلْبِيضُ، وَٱلْأَسَلُ ٱلسُّمْرُ ... لُيُوثُ غُيُوثٍ كُلَّمَا أَخْلَفَ ٱلْقَطْرُ

مَقَاوِلُ مِنْ أَقْيَالِ «سَعْدِ بْنِ خَزْرَجٍ» ... أَنُوفُهُمْ شُمٌّ وَأَوْجُهُهُمْ غُرُّ

(يُشَبُّ عَلَى أَبْيَاتِهِمْ ضَرَمُ ٱلْقِرَى ... فَيَهْدِي إِذَا مَا ضَلَّ فِي ٱلسَّفَرِ ٱلسَّفْرُ (189)

بَقُولُونَ ، والآفَاقُ غُبْرٌ مُغِيمَةٌ ... كَأَنَّ عَلَى ٱلْأَرْجَاءِ (190) أَرْدِيَةً غُبْرُ

إِذَا ٱلْوَفْرُ لَمْ يَدْلِلْ عَلَى ٱلْحَمْدِ رَبَّهُ ... فَلَا جَلَّتِ ٱلنَّعْمَى ، وَلَا وَفَرَ ٱلْوَفْرُ

وَمَا ٱلْعُمْرُ إِلَّا زِينَةٌ مُسْتَعَارَةٌ ... تُرَدُّ وَلَكِنَّ ٱلثَّنَاءَ هُوَ ٱلْعُمْرُ

وَإِنْ زَحَفُوا مِنْ دُونِ رَايَةِ «يُوسُفٍ» ... تَقُولُ تَعَالَى مَنْ لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ (191)

وَتُبْصِرُ سُحْباً مِنْ دُرُوعٍ سَوَابِغٍ ... يَطِيرُ بِهَا عَزْمٌ وَيَقْدُمُهَا نَصْرُ (192)

إِمَامٌ بِهِ عَزَّ ٱلْهُدَى وَتَبَادَرَتْ ... لِطَاعَتِهِ ٱلدُّنْيَا وَذَلَّ بِهِ ٱلْكُفْرُ

وَأَصْبَحَ ثَغْرُ ٱلثَّأْرِ يَبْسِمُ ضَاحِكاً ... وَقَدْ كَانَ مِمَّا نَابَهُ لَيْسَ يَفْتَرُّ (193)

أَقَامَ سِيَاجَ ٱلسِّلْمِ دُونَ ذِمَارِهِ ... فَلَا ظِنَّةٌ تَعْرَى وَلَا رَوْعَةٌ تَعْرُو

تَنَاقَلَتِ ٱلرُّكْبَانُ طِيبَ حَدِيثِهِ (194)

فَلَمَّا رَأَوْهُ صَدَّقَ ٱلْخَبَرَ ٱلْخُبْرُ (195) (م101ب)

فَضَاءٌ تَضِيقُ ٱلْأَرْضُ عَنْهُ بَرَحْبِهَا ... وَشِيمَةُ حِلْمٍ لَا يَضِيقُ بِهَا صَدْرُ

---

(188) في «م» و«ح» و«ق» .

(*) ديباجة «ق» «وأنشدته في عام تسعة وثلاثين في عيد الفطر منه والممت بذكر الود المتأكد بينه وبين ملوك المغرب والهدايا الواصلة من قبلهم» .

(189) انفردت «ق» بهذا البيت .

(190) في «ق» : الغبراء .

(191) اقتباس من الآية رقم 52 سورة الأعراف .

(192) في «ق» : بدر .

(193) سيأتي هذا البيت مُكَرَّراً.

(194) في «ق» ثنائه.

(195) سيأتي هذا البيت مكرَّراً.

(فَمَا عَمْرو إِنْ قِيسَ يَوْماً بِبَأْسِهِ
وَإِنْ وَصَفُوهُ بِالدَّهَاءِ فَمَا «عَمْرُو»(196))(197)

لَكَ ٱللَّهُ مَا أَمْضَى سُيُوفَكَ فِي ٱلْعِدَى ... إِذَا مَا أَسُودُ ٱلْحَرْبِ خَامَرَهَا الذُّعْرُ
وَدَارَتْ عَلَى أَبْطَالِهَا أَكُؤسُ ٱلرَّدَى ... فَمَالَتْ كَأَنَّ ٱلْقَوْمَ أُزْرَى بِهَا السُّكْرُ
وَأَيُّ فُؤَادٍ مِنْهُمُ غَيْرُ خَافِقٍ ... إِذَا خَفَقَتْ فِي ٱلْحَرْبِ أَعْلاَمُكَ ٱلْحُمْرُ
دَعَتْكَ قُلُوبُ ٱلْمُؤْمِنِينَ(198) وَأَخْلَصَتْ ... وَقَدْ طَابَ مِنْهَا السِّرُّ لِلَّهِ وَٱلْجَهْرُ
وَمُدَّتْ إِلَى ٱللَّهِ ٱلْأَكُفُّ ضَرَاعَةً ... فَقَالَ لَهُنَّ ٱللَّهُ قَدْ قُضِيَ ٱلْأَمْرُ
وَأَلْبَسَهَا النِّعْمَى بِبَيْعَتِكَ ٱلَّتِي ... بِهَا أَمِنَ ٱلْإِسْلاَمُ، وَانْسَدَلَ السِّتْرُ

وَمِنْهَا فِي وَصْفِ ٱلْهَدِيَّةِ :

وَجَاءَتْكَ كَٱلْآرَامِ تَخْتَالُ فِي ٱلْحُلَى ... جِيَادُ ٱلْمَذَاكِي، وَٱلْمُحَجَّلَةُ ٱلْغُرُّ
وَرَادٌ(199) وَشُقْرٌ، وَاضِحَاتٌ شِيَاتُهَا ... فَأَجْسَامُهَا تِبْرٌ وَأَرْجُلُهَا دُرُّ(200)
وَشُهْبٌ إِذَا مَا ضُمِّرَتْ يَوْمَ غَارَةٍ ... مُطَهَّمَةٌ غَارَتْ بِهَا الشُّهْبُ ٱلزُّهْرُ
طَوَافِحُ فِي أَرْسَانِهِنَّ فَوَارِهٌ ... يَبِينُ عَلَى أَعْطَافِهَا ٱلزَّهْوُ وَٱلْكِبْرُ
كَأَنِّي بِهِمْ لَمَّا تَعَاطَوْا حَدِيثَهَا ... وَأَعْنَاقُهُمْ مِيلٌ، وَأَعْيُنُهُمْ خُزْرُ(201)
وَجَاشُوا إِلَى رَأْيٍ مِنَ ٱلْكُفْرِ، قَائِلٍ ... وَغَرَّهُمُ ٱلشَّيْطَانُ، بِاللَّهِ، فَاغْتَرُّوا
وَرَبِّكَ بِالنَّصْرِ ٱلْمُؤَزَّرِ كَافِلٌ ... فَعَادَتْهُ فِي قَوْمِكَ ٱلْعَضْدُ وَالنَّصْرُ (م102أ)
كَأَنَّكَ قَدْ ذَمَّرْتَ كُلَّ كَتِيبَةٍ ... غَنَائِمُهَا بِيضٌ، وَآسَالُهَا سُمْرُ
إِذَا مَا انْجَلَى عَنْهَا ٱلْقَتَامُ(202) تَدَافَعَتْ ... عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنْ مَاذِيِّهَا(203) لُجَجٌ خُضْرُ
عَلَيْهَا مِنَ ٱلْأَبْطَالِ كُلُّ مُجَرَّبٍ ... نِقَابٍ تَسَاوَى عِنْدَهُ ٱلْحُلْوُ وَٱلْمُرُّ(204)

(196) عمرو بن العاص (50 ق.هـ ـ 43هـ) فاتح مصر وأحد دهاة العرب وعظمائهم. انظر: الأعلام (جـ: 5 ص 248).
(197) اختصت «ق» بهذا البيت.
(198) في «ق» العالمين.
(199) الوارد: الحمر.
(200) هذا البيت والذي يليه سيأتيان مُكَرَّرَيْن.
(201) خزر فلان، كأنه يرى مؤخر عينه فهو أخزر، وهي خزراء (ج) خزر.
(202) القتام: الغبار.
(203) الماذي: (ج) الماذية: الدرع اللينة.
(204) سيأتي هذا الشطر مكرراً.

فَدَوَّخَتِ ٱلآفَاقَ، حَتَّى أَنِيسُهَا خَلاءٌ، وَحَتَّى رَبْعُهَا بَلْقَعٌ قَفْرُ
لَقَدْ ضَلَّ مَنْ يَبْغِي مِنَ ٱلْبَحْرِ ضَلَّةَ[205] وَلَمْ يَدْرِ أَنَّ ٱلْبَحْرَ أَنْمُلُكَ ٱلْعَشْرُ
وَعَاشٍ لِنُورِ النَّيِّرَيْنِ بِزَعْمِهِ وَمَا ٱلشَّمْسُ إِلاَّ دُونَ وَجْهِكَ، وَٱلْبَدْرُ
تَلَقَّيْتَ شَهْرَ ٱلصَّوْمِ بِالبِرِّ وَالتُّقَى تَوَدُّ بِأَنْ لاَ يَنْقَضِي ذَلِكَ ٱلشَّهْرُ
وَوَدَّعَ يَسْنِي بِالَّذِي أَنْتَ أَهْلُهُ وَقَدْ جَلَّتِ ٱلزُّلْفَى وَقَدْ عَظُمَ ٱلأَجْرُ
وَوَافَاكَ شَهْرُ ٱلصَّوْمِ يُزْهَى بِغُرَّةٍ تَرِفُّ بِهَا ٱلْبُشْرَى وَيَبْدُو بِهَا ٱلْبِشْرُ
أَتَيْتَ مُصَلاَّه عَلَى قَدَمِ ٱلرِّضَى وَقَدْ عَظُمَ ٱلتَّمْجِيدُ[206] لِلَّهِ وَالذِّكْرُ
وَقَدْ غَصَّ مِنْ وُسْعِ ٱلسَّبِيكَةِ وُسْعُهَا وَجَرَّبِهَا أَذْيَالَهُ ٱلْعَسْكَرُ ٱلْمَجْرُ
وَمَارِيءٍ مِنْ مِثْلِ لَهُ يَوْمَ زِينَةٍ كَأَنَّ نَضِيرَ ٱلزَّهْرِ رَاقَ بِهِ ٱلزَّهْرُ
وَدَارَتْ مِنَ ٱلأَغْزَازِ[207] تَحْتَ لِوَائِهَا رُمَاةٌ عَلَى أَوْتَارِهَا لِلْعِدَا وِتْرُ
إِذَا اضْطَبَنُوا[208] أَقْوَاسَهُمْ وَتَمَنْطَقُوا[209] فَتُبْصِرُ جَيْشَ «التُّرْكِ»، جَاشَتْ بِهِ «مِصْرُ»
فَهُنِّيتَهُ عِيداً سَعِيداً إِذَا ٱنْقَضَى
أَتَتْكَ ضُرُوبٌ مِنْهُ لَيْسَ لَهَا حَصْرُ(م102ب)
وَلاَزِلْتَ فِي مُلْكٍ مَنِيعٍ مُؤَيَّدٍ تَهَشُّ لَهُ ٱلدُّنْيَا وَيَعْنُو لَهُ ٱلدَّهْرُ
إِذَا نَحْنُ أَثْنَيْنَا عَلَيْكَ بِمِدْحَةٍ فَهَيْهَاتَ يُحْصَى ٱلرَّمْلُ أَوْ يُحْصَرُ ٱلْقَطْرُ
وَلَكِنَّنَا نَأْتِي بِمَا نَسْتَطِيعُهُ وَمَنْ بَذَلَ ٱلْمَجْهُودَ حُقَّ لَهُ ٱلْعُذْرُ

305

وَمِنَ ٱلشِّعْرِ ٱلْقَدِيمِ قَوْلِي أُخَاطِبُ شَيْخَنَا أَبَا ٱلْحَسَنِ بْنَ ٱلْجَبَّابِ رَحِمَهُ ٱللَّهُ : [210] (*)

(205) الضالة : المنشودة .
(206) «ح» التحميد .
(207) الاغزاز : جنس من الترك .
(208) اضطبن بالسلاح : احتضن أو جعله في ضبنه : ابطه .
(209) تمنطق بالنطاق : كل ما شد به وسطه .
(210) في «م» و«ح» و«ق» .
(*) ديباجة «ق» : «وقلت في وصف القلم من النظم المتقدم التاريخ» .

(الطويل)

مَحَلَّكَ بِٱلدُّنْيَا، وَبِٱلدِّينِ مَعْمُورُ ... فَشَانِيكَ مَخْذُولٌ، وَرَاجِيكَ مَنْصُورُ
إِلَيْكَ تَنَاهَى حَمْدُ كُلِّ فَضِيلَةٍ ... فَهَا هُوَ مَمْدُودٌ عَلَيْكَ وَمَقْصُورُ
كَأَنَّ مَحَامِدَ ٱلزَّمَانِ دَفَاتِرٌ ... وَحَمْدُكَ تَصْحِيحٌ عَلَيْهَا وَتَطْرِيرُ(211)
تَحُوطُ أُمُورَ ٱلْمُلْكِ مِنْكَ سِيَاسَةٌ ... حَبَاهَا مِنَ ٱللُّطْفِ ٱلْإِلَاهِيِّ تَدْبِيرُ
بِمَائِسِ غُصْنِ ٱلْعِطْفِ غَضٌّ شَبَابُهُ ... أَثِيرٌ، لَهُ فِي عَالَمِ ٱلْكَوْنِ تَأْثِيرُ
يَفُوهُ بِفَصْلِ ٱلْحُكْمِ غَرْبُ لِسَانِهِ ... فَيُفْصِحُ فِي تِبْيَانِهِ وَهْوَ مِبْتَورُ
عَمِيمُ ٱلنَّدَى حَتَّى بِمَاءِ شَبَابِهِ ... كَرِيمٌ بِأَفْوَاهِ ٱلْمَوَاهِبِ مَشْكُورُ
يَفُوهُ إِذَا يَرْوِي، وَيَصْمُتُ فِي ٱلظَّمَا ... وَفِي حَالَتَيْهِ مُسْتَغَاثٌ وَمَحْذُورُ
تُغَادِرُ أَبْطَالَ ٱلْكَتَائِبِ كُتْبُهُ ... وَأَعْنَاقَهَا مِيلٌ وَأَعْيُنَهَا صُورُ(212)
وَيَرْغَبُ فِي نُعْمَاهُ كُلُّ مُؤَمِّلٍ ... وَيَرْهَبُ بُؤْسَاهُ أَمِيرٌ وَمَأْمُورُ (م103أ)
وَمِنْ عَجَبٍ أَنْ يُسْتَنَالَ نَوَالُهُ ... فَيَعْذُبَ شُهْداً وَهْوَ فِي الشَّكْلِ زُنْبُورُ
كَأَنَّ لِسَانَ ٱلدَّهْرِ نَفْثُ يَرَاعِهِ ... يُتَرْجِمُ عَمَّا أَضْمَرَتْهُ ٱلْمَقَادِيرُ
إِذَا ٱهْتَزَّ فِي رَوْضِ ٱلْمَهَارِقِ غُصْنُهُ ... تَسَاقَطَ مَنْظُومُ ٱلْبَيَانِ وَمَنْثُورُ
تَخَالُ صَبَاحَ ٱلطِّرْسِ يُرْقِمُ بِٱلدُّجَى ... وَيُرْقِشُ بِٱلْمِسْكِ ٱلْمُفَتَّقِ كَافُورُ(213)

306

وَوَقَفْتُ أَمَامَ سُلْطَانِ «ٱلْمَغْرِبِ» «أَبِي عِنَانٍ» رَحْمَةُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ فَأَنْشَدْتُهُ (مَادِحاً)(214) بِهَا فِي ٱلْمَحْفِلِ ٱلْمَشْهُودِ قَبْلَ أَنْ أُلْقِيَ لَهُ مُضَمَّنَ ٱلرِّسَالَةِ ٱلَّتِي تَحَمَّلْتُهَا عَنْ سُلْطَانِي بِٱلْأَنْدَلُسِ :(215)

(المنسرح)

خَلِيفَةَ ٱللَّهِ سَاعَدَ ٱلْقَدَرُ ... عَلَاكَ مَا لَاحَ فِي ٱلدُّجَى قَمَرُ

---

(211) التطرير : أني جعل الطرة أي الهامش بجانب الكتاب .
(212) صور : (ج) أصور وهي صوراء : مال واعوج .
(213) اعتمدنا على «ح» و«ق» من 11 — 14 .
(214) بياض وقد ملأناه .
(215) في «م» ، والازهار (جـ : 1 ص : 206) الإحاطة جـ : 1 ص 27 العبر جـ : 7 ص 690 ، الاستقصاء جـ : 3 ص 19 .

وَدَافَعَتْ عَنْكَ كَفٌّ قُدْرَتِهِ ... مَا لَيْسَ يَسْتَطِيعُ دَفْعَهُ ٱلْبَشَرُ
لَيْسَ لَنَا مَلْجَأٌ نُؤَمِّلُهُ ... سِوَاكَ أَنْتَ ٱلْمَالُ(216) وَٱلْوَزَرُ(217)
وَجْهُكَ فِي ٱلثَّائِبَاتِ بَدْرُ دُجىً ... لَنَا وَفِي ٱلْمَحْلِ، كَفُّكَ ٱلْمَطَرُ
وَٱلنَّاسُ طُرّاً بِأَرْضِ «أَنْدَلُسٍ» ... لَوْلاَكَ، مَا أَوطَنُوا وَلاَ عَمَرُوا
وَجُمْلَةُ ٱلْأَمْرِ أَنَّهُ وَطَنٌ ... فِي غَيْرِ عُلْيَاكَ مَا لَهُ وَطَرُ
وَمِنْ بِهِ مُذْ وَصَلْتَ حَبْلَهُمُ ... مَا حَجَدُوا نِعْمَةً وَلاَ كَفَرُوا (م104أ)
وَقَدْ أَهَمَّتْهُمْ نُفُوسُهُمُ ... فَوَجَّهُونِي إِلَيْكَ وَٱنْتَظَرُوا

307

وَٱعْتَذَرَ ٱلسُّلْطَانُ ، رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ عَنْ حِبْرٍ خَاصٍّ كَتَبَ بِهِ إِلَيَّ ، وَأَنَا فِي رِحْلَةٍ فَأَجَبْتُهُ بِقَوْلِي : (218) (*)

(ٱلطَّوِيلِ)

إِذَا مَا تَجَلَّى ٱلنُّورُ فِي جُنْحِ ظُلْمَةٍ ... جَلاَهَا كَمَا تَجْلُو ٱلدُّجَى غُرَّةُ ٱلْفَجْرِ
فَلاَ تَعْجَبَنْ(219) لِلْحِبْرِ أَنْ حَالَ لَوْنُهُ ... فَوَجْهُكَ يَجْلُو ظُلْمَةَ(220) ٱللَّيْلِ وَٱلْحِبْرِ

308

وَقُلْتُ وَلَهَا حِكَايَةٌ : (221)

(ٱلوَافِرِ)

لَعَمْرُكَ مَا أَغَارَ عَلَى عَدُوٍّ ... كَجَيْشِ ٱلنَّصْرِ، بُورِكَ مِنْ مُغِيرِ
وَلاَ شَرَحَتْ مُدَوَّنَةَ ٱلْمَعَالِي ... سِوَى فُتْيَا «أَبِي ٱلْحَسَنِ ٱلصَّغِيرِ»(222)

---

(216) الثمال : المعتمد .
(217) الوزر : الملجأ .
(218) في «م» والإحاطة لوحة 451 .
(*) ديباجة الإحاطة وراجعته عن كتاب كتبه لي بخطه من فصوله الإنحاء على رداءة الحبر .
(219) الإحاطة : فلا تنكرن الحبر.
(220) في «م» : غرة.
(221) في «م».
(222) تقدم تعريفه في ص : 322، المقطوعة 203.

309

وَقُلْتُ أُخَاطِبُ ٱلسُّلْطَانَ «أَبَا حَمُّو»[223] فِي شَأْنِ «ٱلْجَزِيرَةِ ٱلْخَضْرَاءِ»[223] حَرَسَهَا ٱللَّهُ تَعَالَى : [224] (م 104 ب)

(الـوافـــر)

لَقَدْ زَارَ «ٱلْجَزِيرَةَ» مِنْكَ بَحْرٌ يُمِدُّ فَلَيْسَ نَعْرِفُ مِنْهُ جَزْرَا
أَعَدْتَ لَهَا بِعَهْدِكَ عَهْدَ «مُوسَى» سَمِيِّكَ، فَهْيَ تَتْلُو مِنْهُ ذِكْرَا
أَقَمْتَ جِدَارَهَا وَأَفَدْتَ كَنْزا وَلَوْ شِئْتَ ٱتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرَا[225]

310

وَقُلْتُ فِي ذَلِكَ أَيْضاً، وَٱلْإِشَارَةُ إِلَى ٱلْتِقَاءِ «ٱلْخَضِرِ» مَعَ «مُوسَى» «بِٱلْجَزِيرَةِ» فِي بَعْضِ ٱلْأَقْوَالِ : [226]

(المـتـقـارب)

وَقَـالُوا «ٱلْجَزِيـرَةُ» قَدْ صَوَّحَتْ فَقُلْتُ غَمَامَ ٱلنَّدَى تَنْتَظِرْ[227]
إِذَا وَكَفَتْ كَفُّ «مُوسَى» بِهَا غَمَاماً يَعُودُ ٱلْجَنَابُ «ٱلْخَضِرْ»

311

وَقُلْتُ فِي «عِقَابِ ٱلشَّعِيرِ»[229] مِنْ جِبَالِ «ٱلْمُنَكَّبِ»[229] حَرَسَهَا ٱللَّهُ : [230]

---

(223) أبو حمُّو الزياني .
(224) في «م» الازهار (جـ : 1 ص 261) .
(225) اقتباس من الآيات 59 ــ 77 سورة : الكهف .
(226) في «ح» و«م» والنفح (جـ : 9 ص 210) ، والازهار (جـ : 1 ص : 261) .
(227) يذكر المفسرون أن في مجمع البحرين عند طنجة التقى موسَى مع الخضر ، انظر : قصص الأنبياء ص : 302 .
(228) لم نَعْثُر على تعريف له .
(229) تقدم التعريف به في ص : 150.
(230) في الأصل «م».

٦٨ ـ (الكامل)

«عَقِبَ ٱلشَّعِيرِ»، لَقَدْ هَوَتْ بِكَ عِيرِي ... كَٱلْمُجْرِمِينَ هَوَوْا لِقَعْرِ سَعِيرِ
بَيْنَا نَرَى مِنْ فَوْقِ ظَهْرِ مُحَدَّبٍ ... صَارَتْ مِنَ ٱلْأَشْكَالِ فِي تَقْعِيرِ
مِنْ كُلِّ وَاجِبَةٍ كَغَارِبِ نَاقَةٍ ... أَوْ كُلِّ عَوْجَاءٍ كَعُنُقِ بَعِيرِ
مَا الشِّينُ فِي اسْمِكِ غَيْرَ نُقْطَةِ ٱلثَّغْرِ ... بَدَلَ ٱلسَّعِيرِ أَتَى بِلَفْظِ شَعِيرِ

312

وَقُلْتُ فِي طَرِيقِ النغا :[231] (أ 105)

[232] ....
....

313

وَقُلْتُ أَيْضاً :[233] (الوافر)

وَهَتْ مِنِّي ٱلْقُوَى بِطَرِيقِ «شَاطٍ» ... وَدَارَ عَلَى تَأَلِّمِي ٱلْإِزَارُ
فَلَا سَنَّى ٱلْإِلَاهُ مَزَارَ «شَاطٍ»[234] ... إِذَا مَا «شَاطَ» شَطَّ بِهَا ٱلْمَزَارُ

314

وَقُلْتُ أَيْضاً «بِغَيْضَةِ وَحْشِ ٱللَّيْلِ» مِنْ ثَغْرِ «لُوشَة»[235] :[236]

(231) في الأصل «م» بياض.
(232) بياض بمقدار بيتين.
(233) في الأصل «م».
(234) شاط Jete كانت من أعمال المنكب ـ انظر مذكرات الأمير عبد الله ص : 90.
(235) لوشة : تعرف اليوم باسم Loja (لوخا) وتبعد عن مدينة غرناطة بنحو 50 كم من ناحية الجنوب الغربي.
ـ انظر : ليفي بروفنصال (المعلمة الإسلامية مجلد 3 ص : 31).
الروض المعطار ص : 173 ـ 174.
(236) في الأصل «م».

(الطويل)

«بِغَيْضَةِ وَحْشِ ٱللَّيْلِ» خَوْفٌ وَوَحْشَةٌ كَأَنَّ فُؤَادِي وَحْشَةً قَدْ أَعَارَهَا
وَلَكِنَّ هَذِي أَقْفَرَتْ مِنْ أَنِيسِهَا وَغَيْضَةُ قَلْبِي يَسْكُنُ ٱلْهَمَّ دَارَهَا

315

وَقُلْتُ فِي «ٱلْوَادِي ٱلْكَبِيرِ» : (237)

(الكامل)

أُنْظُرْ إِلَيْهِ وَٱلْأَصِيلُ مُؤَرَّسٌ وَالشَّمْسُ تُرْسِلُ مِنْ عِنَانِ عَسِيرِهَا
فَكَأَنَّمَا هُوَ زِئْبَقٌ مُتَرَجْرِجٌ أَلْقَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ مِنْ إِكْسِيرِهَا

(105ب)

316

وَقُلْتُ عِنْدَ ذِكْرِ جَدْوَى ٱلْوَعْظِ مِنْ «رَوْضَةِ ٱلتَّعْرِيفِ» : (238)

(الكامل)

حَقِّرْ لَهَا مَا فِي يَدَيْهَا بَدْأَةً وَٱضْمَنْ لَهَا عِوَضاً وَإِنْ لَمْ يَحْضُرِ
وَارْبَأْ بِنَفْسِكَ عَنْ تَسَامُحِ بَائِعٍ وَاغْنَمْ إِذَا سَامَتْكَ شَهْوَةَ مُشْتَرِي

317

وَقُلْتُ مِنَ ٱلْحِكَمِ : (239)

(البسيط)

لاَ تَقْرَبَنَّ بِمَا يُنْعَى عَلَيْكَ غَدَا وَتَسْتَخِفَّ بِحَمْلٍ لَسْتَ تَقْدِرُهُ
فَشَاهِدُ ٱلزُّورِ يَقْضِي حَقَّ صَاحِبِهِ وَبَعْدَ هَذَا بِتِلْكَ ٱلْعَيْنِ يَنْظُرُهُ

---

(237) في «م» والإحاطة مخ لوحة : 455 .
(238) في «م» وروضة التعريف ص : 149 .
(239) في الأصل «م» .

318

وَقُلْتُ أَيْضاً عَلَى لِسَانِ وَاعِظٍ : [240](*)

(الطويل)

قَعَدْتُ لِتَذْكِيرٍ وَلَوْ كُنْتُ مُنْصِفَا لَذَكَّرْتُ نَفْسِي فَهْيَ أَحْوَجُ لِلذِّكْرَى
إِذَا لَمْ يَكُنْ مِنِّي لِنَفْسِيَ وَاعِظٌ[241] فَيَالَيْتَ شِعْرِي، كَيْفَ تَفْعَلُ فِي أُخْرَى

319

وَقُلْتُ لَمَّا تَحَرَّكَ أَمِيرُ ٱلْمُسْلِمِينَ «أَبُو عَبْدِ ٱللَّهِ» مِنَ ٱلدَّارِ ٱلْبَيْضَاءِ[242] يُرِيدُ ٱلْحَمْرَاءَ[243] : [244](*)

(م106أ)

(الطويل)

وَلَمَّا حَثَّتَ ٱلسَّيْرَ وَٱللَّهُ حَاكِمٌ لِمُلْكِكَ فِي ٱلدُّنْيَا بِعِزٍّ وَفِي ٱلْأُخْرَى
حَكَى «فَرَسَ الشَّطْرَنْجِ» طِرْفُكَ لاَ يُرَى يُنَقَّلُ مِنْ بَيْضَاءَ إِلاَّ إِلَى حَمْرَا

320

وَقُلْتُ فِي عُلُوٍّ سَتَرَ بَعْضَ جِهَاتِ... : [245]

---

(240) في الأصل «م» . والإحاطة مخ لوحة : 458 وروضة التعريف ص : 107 ، والنفح (جـ : 9 ص 20) ، والريحانة لوحة : 593 .

(*) ديباجة الإحاطة «وقلت لما أخذت في طريقة الفرج» .

(241) في الإحاطة : زاجر .

(242) يقصد «فاس» .

(243) يعني «غرناطة» .

(244) في «م» والإحاطة لوحة : 449 .

(*) ديباجة الإحاطة : «وقلت من التورية الغريبة عندما خرج السلطان من المدينة البيضاء طالبا حقه يريد الحمراء» .

(245) في «م» وفيه بياض .

(الكامل)

شَاهِدْ بِكَوْكَبِنَا ٱلْمُطِلِّ ..... [246]
يَرْعَى ٱلنُّجُومَ مُفَتِّحاً طِيقَانَهُ فَكَأَنَّهُ فِي أَكْنَافِ.....
وَكَأَنَّمَا خَافَ ٱلْعُيُونَ إِذَا رَنَتْ فَلِذَا أَلَّقَاهَا بِا.....
كَٱلْغَادَةِ ٱلْحَسْنَاءِ صَانَتْ خَدَّهَا بِالْكُمِّ عَنْ جَفْنٍ إِلَيْهَا نَاظِرِ
غَضَّ ٱلْجُفُونَ تُقىً وَيَفْعَلُ مِثْلَهُ مَنْ خَافَ أَنْ يُدْعَى بِجَارٍ جَائِرِ

321

وَمِمَّا كَتَبْتُ عَلَى سَرِيرٍ مِنَ ٱلْخَشَبِ : [247]

(الطويل)

أَنَا مَلْعَبُ ٱلْوَصْلِ ٱلَّذِي يَشْرَحُ ٱلصَّدْرَا وَبُرْجُ سَمَاءٍ يَجْمَعُ ٱلشَّمْسَ وَٱلْبَدْرَا
حَفِيظٌ عَلَى ٱلْأَسْرَارِ حَتَّى كَأَنَّنِي دُعِيتُ سَرِيراً أَنَّنِي أَحْفَظُ ٱلسِّرَّا
إِذَا مَا أَجَلْتَ ٱلْعَيْنَ بَيْنَ بَدَائِعِي وَشَاهَدْتَ حُسْناً يُذْهِلُ ٱلْعَقْلَ وَٱلْفِكْرَا
وَقَدْ مُدَّ سِتْرُ ٱلتِّبْرِ فَوْقِي وَأُرْسِلَتْ يَدُ ٱلْيُمْنِ وَٱلتَّوْفِيقِ مِنْ تَحْتِهِ سِتْرَا
رَأَيْتَ جَوَاداً لاَ يَخَافُ عِثَارُهُ وَمَرْكَبَ سَعْدٍ لاَ يَجُوعُ وَلاَ يَعْرَى
كَأَنِّي رِيَاضٌ زَارَهَا وَاكِفُ ٱلْحَيَا فَأَلْبَسَهَا وَشْياً وَطَيَّبَهَا نَشْرَا
وَثَامِنُ أَمْلَاكِ ٱلْجِهَادِ أَقَامَنِي
فَأَلْبَسَنِي عِزّاً وَرَفَّعَ لِي [248] قَدْراً (م106ب)

..... [249] .....
....
.... يُؤَمَّلُ أَوْ يُحْصَرُ.....
وَيَسْتَعْبِدُ ٱلْأَحْرَارَ (جُودُ يَمِينِهِ) وَيُخْجِلُ وَجْهُ ٱلشَّمْسِ غُرَّتُهُ ٱلْغَرَّا

(246) بياض في الأصل.
(247) في الأصل «م».
(248) بياض في الأصل.
(249) بياض في الأصل.

وَلاَزَالَ نَصْرِيَّ ٱلْعُلاَ رَائِقَ ٱلْحُلَى ... يُصَاحِبُ جَيْشَ ٱلنَّصْرِ رَايَتُهُ ٱلْحَمْرَا
وَلاَزِلْتَ أُفْقاً لِلْقِبَابِ وَمَطْلَعا ... يُرِيكَ ٱلْبُدُورَ ٱلْغُرَّ وَٱلأَنْجُمَ ٱلزُّهْرَا
إِذَا مَا دَنَا ٱلإِمْسَاءُ حُيِّيتَ بِٱلْمُنَى ... وَمَهْمَا أُتَى ٱلإِصْبَاحُ حُيِّيتَ بِٱلْبُشْرَى

322

وَعَلَى آخَرَ يُنَاظِرُهُ : (250)

(الطويل)

يَحِقُّ لِيَ ٱلْمَجْدُ ٱلْمُؤَثَّلُ وَٱلْفَخْرْ ... وَيَعْرِفُ فَضْلاً حَزْنَةَ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرْ
أَنَا ٱلْمَطْلَعُ ٱلْمَيْمُونُ وَٱلْفَلَكُ ٱلَّذِي ... بِهِ تَلْتَقِي ٱلشَّمْسُ ٱلْمُنِيرَةُ وَٱلْبَدْرْ
مَطِيَّةُ تَوْفِيقٍ مِنَ ٱلسَّعْدِ جُلُّهَا ... وَحِلْيَتُهَا ٱلدُّرُّ ٱلْمُرَصَّعُ وَٱلتِّبْرْ
مُقِيمٌ وَفِي ذَاتِ ٱلْقَوَائِمِ نِسْبَتِي ... وَلَوْ كُنْتُ أَنْوِي ٱلسَّيْرَ مَا كَانَ لِي عُذْرْ
أَبْرَحُ مِنْ مَثْوَى ٱلسَّعَادَةِ وَالرِّضَى ... وَحِلْيَتِي ٱلْعُلْيَا وَمَمْلَكَتِي ٱلْقَصْرْ
تَقَرُّ بِمَرْآيَ ٱلْعُيُونُ إِذَا بَدَتْ ... عَجَائِبُ أَشْكَالِي وَيَنْشَرِحُ ٱلصَّدْرْ
لبست مِنَ ٱلتِّبْرِ ٱلْمُثَمَّنِ حُلَّةً ... وَقُمْتُ مُقَاماً دُونَهُ ٱلأَنْجُمُ ٱلزُّهْرْ (م107أ)
..... (251) ....
....
....
....
....
يُقَصِّرُ عَنْ أَمْدَاحِهِ كُلُّ مَادِحٍ ... وَهَيْهَاتَ يُحْصَى ٱلرَّمْلُ أَوْ يُحْصَرُ ٱلْقَطْرْ

323

وَمِنَ ٱلْمُقْتَرَحِ فِي بَعْضِ ٱللَّعِبِ وَٱلأَغْرَاضِ : (252)

(250) في الأصل «م».
(251) بياض في الأصل.
(252) في الأصل «م».

(مخلع البسيط)

لَوْ كَانَ لِي فِي ٱلْهَوَى اخْتِيَارُ ... مَا شَطَّ بِي عَنْكُمْ ٱلْمَزَارُ
رَحَلْتُ عَنْكُمْ وَلِي فُؤَادٌ ... لَهُ بِأَحْوَازِكُمْ قَرَارُ
مَا حَسُنَتْ بَعْدَكُمْ وُجُوهٌ ... عِنْدِي وَلاَ أَعْجَبَتْ دِيَارُ
وَقَادَنِي نَحْوَكُمْ غَرَامٌ ... يُهِيجُ أَشْوَاقَهُ ادِّكَارُ
فَلَيْسَ لِي عَنْكُمْ بَرَاحٌ ... مَا اخْتَلَفَ ٱللَّيْلُ وَالنَّهَارُ

324

وَمِنْ هَذَا ٱلْغَرَضِ : (253)

(المنسرح)

هَلُمَّ إِلَيْهَا (254) فَإِنَّهَا دَارُ ... سُكَّانُهَا لِلْغَرِيبِ أَنْصَارُ
.... بِأُفْقِهَا مِنْ سَنَاهُ أَقْمَارُ

325

وَقُلْتُ أَيْضاً ..... : (255)

(الطويل)

....
....
.... فَمِنْ رَاحِهِ ٱلْيُسْرَى وَمِنْ عِنْدِهِ ٱلنَّصْرُ
.... إِلَى مَنْ لَهُ فِي خَلْقِهِ النَّهْيُ وَٱلأَمْرُ

326

وَقُلْتُ أَيْضاً فِي قُبَّةٍ ٱتَّخِذَتْ لِي مَبْنِيَّةً عَلَى ٱلْمَاءِ : (256)

(253) في الأصل «م».
(254) بياض في الأصل.
(255) بياض في الأصل.
(256) في الأصل «م».

(الطويل)

إِذَا نِمْتَ نَمْ لِلْأَمْنِ فَوْقَ سَرِيرِ وَإِنْ قُمْتَ فِي غِبْطَةٍ وَسُرُورِ
وَدُونَكَ فَاسْتَغْرِبْ عَلَى ٱلْمَاءِ مَوْقِفِي كَمَا وَقَفَ ابْنُ ٱلْمَاءِ وَسْطَ غَدِيرِ
عَلَى نِصْبَةِ ٱلْأَفْرَاحِ أَحْكَمَ بِنْيَتِي حَكِيمٌ بِمَا يَأْتِيهِ جِدُّ بَصِيرِ
فَإِنْ كُنْتَ عَنْ كَاسٍ وَرَاحٍ وَشَادِنٍ سَؤُولاً فَلاَ يُنْبِيكَ مِثْلُ خَبِيرِ

327

وَخَاطَبْتُ مَوْلاَيَ ٱلسُّلْطَانَ ، وَقَدْ وَصَلْتُ مِنَ ٱلْبَادِيَةِ عَلَى إِثْرِ مَطَرٍ كَانَ يُسْتَسْقَى : (257)
(م107ب)

(مجزوء الكامل)

..... بِوَجْهِكَ ..... (258)
كَمَا رَاقَ عَيْنَ .....
كَفَلَتْ عِنَايَتُكَ ٱلْجَمِيلَةُ لِي بِإِحْرَازِ ٱلْوَطَرْ
وَلَقِيتُ مِنْ بِرٍّ وَخَيْرٍ مِلْءَ سَمْعِيَ وَٱلْبَصَرْ
شُكْراً لِأَنْعُمِكَ ٱلَّتِي يَزْدَادُ مِنْهَا مَنْ شَكَرْ
لَمَّا تَعَذَّرَ أَنْ أُشَا هِدَ ذَلِكَ ٱلْوَجْهَ ٱلْأَغَرْ
وَجَّهْتُهَا لِتَنُوبَ فِيهِ وَفِي هَنَائِكَ بِٱلْمَطَرْ
وَأُقَبِّلُ ٱلْكَفَّ ٱلْكَرِيمَةَ فَهْوَ أَوْلَى مُبْتَدَرْ

328

وَخَاطَبْتُ قَائِدَ ٱلْبَحْرِ «أَبَا ٱلْعَبَّاسِ»(259) لَمَّا أَجَازَنِي فِي جَفْنِهِ عِنْدَ ٱلْإِيَابِ مِنَ الرِّسَالَةِ : (260)

(257) في الأصل «م» .
(258) بياض في الأصل .
(259) لم أعثر له على ترتيبه .
(260) في الأصل «م» .

(الكامل)

يَا فَارِسَ ٱلْأَجْوَادِ بَيْنَ سَفِينَةٍ
غَزَوِيَّةٍ تُشْجِي ٱلْعَدُوَّ وَمِنْبَرَا
بَيْنِي وَبَيْنَكَ لِلْخَطَابَةِ نِسْبَةٌ
فَإِذَا تُنُوسِيَتْ ..... [261] فَاذْكُرَا [262] (م108أ)

329

وَكَتَبْتُ مَعَ تُفَّاحَةٍ لِأَحَدِ ٱلْأَصْحَابِ : [263]

(الكامل)

جَاءَتْكَ تَعْرِفُ بِالشَّمِيمِ سُرَاهَا كَرُمَتْ عَنَاصِرُهَا وَطَابَ ثَرَاهَا
لَمَّا بَعَثْتُ بِهَا تَوَرُّدَ خَدُّهَا وَاحْمَرَّ مِنْ خَجَلٍ لَدَيْكَ عَرَاهَا
فَاقْرَأْ عَلَيْهَا عُوذَةً لِجَمَالِهَا وَاجْعَلْ لِقَاءَكَ بِٱلْقَبُولِ قِرَاهَا

(261) بياض في الأصل.
(262) إلى هنا ينتهي الأصل «م».
(263) في الأصل «ق» وهي القطعة الثامنة في هذا الحرف.

ملحق

330

وَأَنْشَدَ ٱلسُّلْطَانَ «أَبَا سَالِمٍ»[264] : [265]

(الطويل)

«سَلاَ»[266] ، هَلْ لَدَيْهَا مِنْ مُخَبِّرَةٍ ذِكْرُ؟ وَهَلْ أَعْشَبَ ٱلْوَادِي، وَنَمَّ بِهِ ٱلزَّهْرُ؟
وَهَلْ بَاكَرَ ٱلْوَسْمِيّ[267] دَاراً عَلَى ٱللِّوَى عَفَتْ أَيَّامَهَا إِلاَّ ٱلتَّوَهُّمُ، وَالذِّكْرُ
بِلاَدِي ٱلَّتِي عَاطَيْتُ مَشْمُولَةَ ٱلْهَوَى بِأَكْنَافِهَا، وَٱلْعَيْشُ فَيْنَانُ مُخْضَرُّ
وَجَوِّي ٱلَّذِي رَبَّى جَنَاحِيَ وَكْرُهُ فَهَا أَنَا ذَا، مَا لِي جَنَاحٌ وَلاَ وَكْرُ
نَبَتْ بِيَ، لاَ عَنْ جَفْوَةٍ وَمَلاَلَةٍ وَلاَ نَسَخَ ٱلْوَصْلَ ٱلْهَنِيَّ بِهَا هَجْرُ
وَلَكِنَّهَا ٱلدُّنْيَا قَلِيلٌ مَتَاعُهَا وَلَذَّاتُهَا دَأْباً تَزُورُ وَتَزْوَرُّ
فَمَنْ لِي بِقُرْبِ ٱلْعَهْدِ مِنْهَا وَدُونَنَا مَدىً طَالَ. حَتَّى يَوْمَهُ عِنْدَنَا شَهْرُ
وَلِلَّهِ عَيْنَا مَنْ رَآنَا وَلِلأَسَى ضِرَامٌ[268] لَهُ، فِي كُلِّ جَانِحَةٍ جَمْرُ[269]
وَقَدْ بَدَّدَتْ دُرَّ ٱلدُّمُوعِ يَدُ ٱلنَّوَى وَلِلشَّوْقِ أَشْجَانٌ يَضِيقُ لَهَا ٱلصَّدْرُ
بَكَيْنَا عَلَى ٱلنَّهْرِ ٱلشَّرُوبِ عَشِيَّةً فَعَادَ أُجَاجاً بَعْدَنَا ذَلِكَ ٱلنَّهْرُ

---

(264) أبو سالم المريني.

(265) النفح (جـ : 7 ص 14 وما بعدها) الأزهار (جـ : 1 ص 196 وما بعدها) اللمحة البدرية ص 110 ــ 115 . كتاب العبر (جـ : 9 ص 307) ومذكور بعضها في أعمال الاعلام (ليفي بروفنصال ص 312) . الاستقصا (جـ : 4 ص 9 وما بعدها) .

(266) تقدم التعريف بها في ص : 90.

(267) الوسمي : مطر الربيع الأول.

(268) الضرام : لهب النار.

(269) هذا البيت واللذان يليانه في شرح رائية اليوسي. مخ بالخزانة الملكية.

أَقُولُ لِأَظْعَانِي وَقَدْ غَالَهَا ٱلسُّرَى ... وَآنَسَهَا ٱلْحَادِي وَأَوْحَشَهَا ٱلزَّهْرُ

رُوَيْدَكِ بَعْدَ ٱلْعُسْرِ يُسْرٌ أَنِ ٱبْشِرِي ... بِإِنْجَازِ وَعْدِ ٱللَّهِ، قَدْ ذَهَبَ ٱلْعُسْرُ

وَلِلَّهِ فِينَا سِرُّ(270) غَيْبٍ، وَرُبَّمَا ... أَتَى ٱلنَّفْعُ مِنْ حَالٍ أُرِيدَ بِهَا ٱلضُّرُّ

وَإِنْ تَحْنِ ٱلْأَيَّامُ لَمْ تَحْنِ ٱلنُّهَى ... وَإِنْ يَخْذُلِ ٱلْأَقْوَامُ لَمْ يَخْذُلِ ٱلصَّبْرُ

وَإِنْ عَرَكَتْ مِنِّي ٱلْخُطُوبُ مُجَرِّباً ... نِقَاباً تَسَاوَى عِنْدَهُ ٱلْحُلْوُ وَٱلْمُرُّ

فَقَدْ عَجَمَتْ عُوداً صَلِيباً عَلَى ٱلرَّدَى ... وَعَزْماً كَمَا تَمْضِي ٱلْمُهَنَّدَةُ ٱلْبُتْرُ

إِذَا أَنْتَ «بِٱلْبَيْضَاءِ»(271) قَرَّرْتَ مَنْزِلِي ... فَلاَ ٱللَّحْمُ حِلٌّ مَا حَبِيتُ وَلاَ ٱلظَّهْرُ

زَجَرْنَا «بِإِبْرَاهِيمَ» «بُرْءَ هُمُومِنَا» ... فَلَمَّا رَأَيْنَا وَجْهَهُ صَدَقَ ٱلزَّجْرُ

بِمُنْتَخَبٍ مِنْ «آلِ يَعْقُوبَ» كُلَّمَا ... دَجَا ٱلْخَطْبُ لَمْ يَكْذِبْ لِعَزْمَتِهِ فَجْرُ

تَنَاقَلَتِ ٱلرُّكْبَانُ طِيبَ حَدِيثِهِ ... فَلَمَّا رَأَتْهُ صَدَّقَ ٱلْخَبَرَ ٱلْخُبْرُ

نَدِيٌّ لَوْ حَوَاهُ ٱلْبَحْرُ لَذَّ مَذَاقُهُ ... وَلَمْ يَتَعَقَّبْ مَدَّهُ، أَبَداً، جَزْرُ

وَبَأْسٌ غَدَا يَرْتَاعُ مِنْ خَوْفِهِ ٱلرَّدَى ... وَتَرْفُلُ فِي أَثْوَابِهِ ٱلْفَتْكَةُ ٱلْبِكْرُ

أَطَاعَتْهُ حَتَّى ٱلْعُصْمُ(272) فِي قُنَنِ ٱلرُّبَى ... وَهَشَّتْ إِلَى تَأْمِيلِهِ، ٱلْأَنْجُمُ ٱلزُّهْرُ

قَصَدْنَاكَ يَاخَيْرَ ٱلْمُلُوكِ، عَلَى ٱلنَّوَى ... لِتُنْصِفَنَا مِمَّا جَنَى عَبْدُكَ ٱلدَّهْرُ

كَفَفْنَا بِكَ ٱلْأَيَّامَ عَنْ غُلَوَائِهَا ... وَقَدْ رَابَنَا مِنْهَا ٱلتَّعَسُّفُ وَٱلْكِبْرُ

وَعُذْنَا بِذَاكَ ٱلْمَجْدِ فَٱنْصَرَمَ ٱلرَّدَى ... وَلُذْنَا بِذَاكَ ٱلْعَزْمِ فَانْهَزَمَ ٱلدَّعْرُ

وَلَمَّا أَتَيْنَا ٱلْبَحْرَ يُرْهِبُ مَوْجُهُ ... ذَكَرْنَا نَدَاكَ ٱلْغَمْرَ، فَاحْتَقَرَ ٱلْبَحْرُ

خِلاَفَتُكَ ٱلْعُظْمَى وَمَنْ لَمْ يَدِنْ بِهَا(273) ... فَإِيمَانُهُ لَغْوٌ، وَعِرْفَانُهُ نُكْرُ

وَوَصْفُكَ يَهْدِي ٱلْمَدْحَ قَصْدَ ثَوَابِهِ ... إِذَا ضَلَّ، فِي أَوْصَافِ مَنْ دُونَكَ، ٱلشِّعْرُ

دَعَتْكَ قُلُوبُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَخْلَصَتْ ... وَقَدْ طَابَ مِنْهَا ٱلسِّرُّ، لِلَّهِ، وَٱلْجَهْرُ

وَمُدَّتْ إِلَى ٱللَّهِ ٱلْأَكُفُّ ضَرَاعَةً ... فَقَالَ لَهُنَّ ٱللَّهُ: قَدْ قُضِيَ ٱلْأَمْرُ(274)

وَأَلْبَسَهَا ٱلنُّعْمَى بِبَيْعَتِكَ ٱلَّتِي ... لَهَا ٱلطَّائِرُ ٱلْمَيْمُونُ وَٱلْمَحْتِدُ ٱلْحُرُّ

---

(270) الاستقصا : علم .

(271) البيضاء : فاس الجديد .

(272) العصم : (ج) اعصم ، يقال ظبي أعصم في ذراعيه أو أحدهما بياض وسائره أسود أو حمر .

(273) النفح : لها .

(274) اقتباس من سورة يوسف آية رقم : 40 .

فَأَصْبَحَ ثَغْرُ الثَّغْرِ[275] يَبْسِمُ ضَاحِكاً ... وَقَدْ كَانَ مِمَّا نَابَهُ لَيْسَ يَفْتَرُّ
وَأَمَّنْتَ بِالسِّلْمِ الْبِلَادَ وَأَهْلَهَا ... فَلاَ ظُبَةٌ تُعْرَى وَلاَ رَوْعَةٌ تَعْرُو
وَقَدْ كَانَ مَوْلاَنَا أَبُوكَ مُصَرِّحاً ... بِأَنَّكَ فِي أَبْنَائِهِ[276] الْوَلَدُ الْبَرُّ
وَكُنْتَ خَلِيقاً[277] بِالإِمَارَةِ بَعْدَهُ ... عَلَى الْفَوْرِ، لَكِنْ كُلُّ شَيْءٍ لَهُ قَدْرُ
وَأَوْحَشْتَ مِنْ دَارِ الْخِلاَفَةِ هَالَةً ... أَقَامَتْ زَمَاناً لاَ يَلُوحُ بِهَا الْبَدْرُ
فَرَدَّ عَلَيْكَ اللَّهُ حَقَّكَ إِذْ قَضَى ... بِأَنْ تَشْمَلَ النُّعْمَى، وَيَنْسَدِلَ السِّتْرُ
وَقَادُوا إِلَيْكَ الْمُلْكَ رِفْقاً بِخَلْقِهِ ... وَقَدْ عَدِمُوا رُكْنَ الإِمَامَةِ وَاضْطَرُّوا
وَزَادَكَ بِالتَّمْحِيصِ عِزّاً وَرِفْعَةً ... وَأَجْراً، وَلَوْلاَ السَّبْكُ مَا عُرِفَ التِّبْرُ
وَأَنْتَ الَّذِي تَدْعَى[278] إِذَا دَهَمَ الرَّدَى ... وَأَنْتَ الَّذِي تُرْجَى إِذَا أَخْلَفَ الْقَطْرُ
وَأَنْتَ إِذَا جَارَ الزَّمَانُ مُحَكَّمٌ ... لَكَ النَّقْضُ وَالإِبْرَامُ، وَالنَّهْيُ، وَالأَمْرُ
وَهَذَا «ابْنُ نَصْرٍ» قَدْ أَتَى وَجَنَاحُهُ ... مَهِيضٌ، وَمِنْ عُلْيَاكَ يُلْتَمَسُ الْجَبْرُ
غَرِيبٌ يُرَجِّي مِنْكَ مَا أَنْتَ أَهْلُهُ ... فَإِنْ كُنْتَ تَبْغِي الْفَخْرَ قَدْ جَاءَكَ الْفَخْرُ
فَفُزْ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ بِبَيْعَةٍ ... مُوَثَّقَةٍ، قَدْ حَلَّ عُرْوَتَهَا الْغَدْرُ
وَمِثْلُكَ مَنْ يَرْعَى الدَّخِيلَ[279] وَمَنْ دَعَا ... بِيَا «لِمَرِينٍ»، جَاءَهُ الْعِزُّ وَالنَّصْرُ
وَخُذْ يَا إِمَامَ الْحَقِّ، بِالْحَقِّ ثَأْرَهُ ... فَفِي ضِمْنِ مَا تَأْتِي بِهِ الْعِزُّ وَالأَجْرُ
وَأَنْتَ لَهَا، . يَا نَاصِرَ الْحَقِّ فَلْتَقُمْ ... بِحَقٍّ، فَمَا زَيْدٌ يُرَجَّى وَلاَ عَمْرُو
فَإِنْ قِيلَ، مَالٌ، مَالُكَ، الدَّهْرُ[280] وَافِرٌ ... وَإِنْ قِيلَ جَيْشٌ عِنْدَكَ الْعَسْكَرُ الْمَجْرُ
يُكَفُّ بِكَ الْعَادِي وَيُحْيَى بِكَ الْهُدَى ... وَيَبْنِي بِكَ الإِسْلاَمُ مَا هَدَمَ الْكُفْرُ
أَعِدْهُ إِلَى أَوْطَانِهِ عَنْكَ رَاضِياً ... وَطَوِّقْهُ نُعْمَاكَ الَّتِي نَالَهَا حَصْرُ
وَعَاجِلْ قُلُوبَ النَّاسِ فِيهِ بِجَبْرِهَا ... فَقَدْ صَدَّهُمْ عَنْهُ التَّغَلُّبُ وَالْقَهْرُ

---

(275) الثغر : يقصد الأندلس .
(276) الاستقصاء : أولاده .
(277) الاستقصا : حقيقا بالخلافة .
(278) الاستقصا : يدعى ، ويرجى .
(279) الدخيل : فلان دخيل في بني فلان ، إذا كان من غيرهم فتدخل فيهم والانثى دخيل أيضا ويطلق على الضيف والنزيل .
(280) الاستقصا : الدثر . وكذلك اللمحة البدرية .

وَهُمْ يَرْقُبُونَ ٱلْفِعْلَ مِنْكَ وَصَفْقَةً[281] تُحَاوِلُهَا يُمْنَاكَ، مَا بَعْدَهَا خُسْرُ
مَرَامُكَ سَهْلٌ لاَ يَؤُودُكَ[282] كُلْفَةً سِوَى عَرَضٍ مَا إِنْ لَهُ فِي ٱلْعُلَى خَطَرُ
وَمَا ٱلْعُمْرُ إِلاَّ زِينَةٌ مُسْتَعَارَةٌ تُرَدُّ، وَلَكِنَّ ٱلثَّنَاءَ هُوَ ٱلْعُمْرُ
وَمَنْ بَاعَ مَا يَفْنَى بِبَاقٍ مُخَلَّدٍ فَقَدْ أَنْجَحَ ٱلْمَسْعَى، وَقَدْ رَبِحَ ٱلتَّجْرُ
وَمِنْ دُونِ مَا تَبْغِيهِ، يَامَلِكَ ٱلْعُلاَ، جِيَادُ ٱلْمَذَاكِي، وَٱلْمُحَجَّلَةُ ٱلْغُرُّ
وَرَادٌ وَشُقْرٌ وَاضِحَاتٌ شِيَاتُهَا فَأَجْسَامُهَا تِبْرٌ، وَأَرْجُلُهَا دُرُّ[283]
وَشُهْبٌ إِذَا مَا ضُمِّرَتْ يَوْمَ غَارَةٍ مُطَهَّمَةٌ غَارَتْ بِهَا ٱلأَنْجُمُ الزُّهْرُ
وَأُسْدُ رِجَالٍ مِنْ «مَرِينٍ» مُخِيفَةٌ[284] عَمَائِمُهَا بِيضٌ وَأَسَالُهَا سُمْرُ
عَلَيْهَا، مِنَ ٱلْمَاذِي، كُلُّ مُفَاضَةٍ تَدَافَعُ فِي أَعْطَافِهَا ٱللُّجَجُ ٱلْخُضْرُ
هُمُ ٱلْقَوْمُ إِنْ هَبُّوا لِكَشْفِ مُلِمَّةٍ فَلاَ ٱلْمُلْتَقَى صَعْبٌ، وَلاَ ٱلْمُرْتَقَى وَعْرُ
إِذَا سُئِلُوا أَعْطَوْا، وَإِنْ نُوزِعُوا سَطَوْا وَإِنْ وَاعَدُوا وَفَوْا، وَإِنْ عَاهَدُوا بَرُّوا
وَإِنْ مُدِحُوا اهْتَزُّوا ارْتِيَاحاً كَأَنَّهُمْ نَشَاوَى تَمَشَّتْ فِي مَفَاصِلِهِمْ، خَمْرُ
وَإِنْ سَمِعُوا ٱلْعَوْرَاءَ فَرُّوا بِأَنْفُسٍ حَرَامٌ، عَلَى هَامَاتِهَا فِي ٱلْوَغَى، ٱلْفَرُّ
وَتَبْسِمُ مَا بَيْنَ ٱلْوَشِيجِ[285] ثُغُورُهُمْ وَمَا بَيْنَ قُضْبِ ٱلدَّوْحِ، يَبْتَسِمُ ٱلزَّهْرُ
أَمَوْلاَيَ، غَاضَتْ فِكْرَتِي وَتَبَلَّدَتْ طِبَاعِي، فَلاَ طَبْعٌ يُعِينُ، وَلاَ فِكْرُ
وَلَوْلاَ حَنَانٌ مِنْكَ دَارَكْتَنِي بِهِ وَأَحْيَيْتَنِي، لَمْ تَبْقَ[286] عَيْنٌ وَلاَ أَثَرُ
فَأَوْجَدْتَ مِنِّي فَائِتاً أَيَّ فَائِتٍ وَأَنْشَرْتَ مَيْتاً ضَمَّ أَشْلاَءَهُ قَبْرُ[287]
بَدَأْتَ بِفَضْلٍ لَمْ أَكُنْ لِعَظِيمِهِ بِأَهْلٍ، فَحَلَّ ٱللُّطْفُ، وَانْفَرَجَ ٱلْحَصْرُ[288]
وَطَوَّقْتَنِي ٱلنُّعْمَى ٱلْمُضَاعَفَةَ ٱلَّتِي يَقِلُّ عَلَيْهَا مِنِّي ٱلْحَمْدُ وَالشُّكْرُ

---

(281) الصفقة : البيعة ، وأعطاه صفقة يده : عهده .
(282) آد الشيء حامله : أثقله وأجهده أو حناه من ثقله .
(283) هذا البيت والذي يليه تقدما في قصيدة .
(284) الاستقصاء : أعزة .
(285) الوشيج : ما نبت من القنا والقصب ملتفا الواحدة : وشيجة .
(286) الاستقصاء : يبق .
(287) في الأبيات إشارة إلى تدخل أبي سالم المريني لانقاذ ابن الخطيب من السجن .
(288) الحصر : الضيق ، حصر فلان حصرا ، ضاق صدره .

وَأَنْتَ، بِتَتْمِيمِ ٱلصَّنَائِعِ، كَافِلٌ إِلَى أَنْ يَعُودَ ٱلْجَاهُ، وَٱلْعِزُّ، وَٱلْوَفْرُ
جَزَاكَ ٱلَّذِي سَنَّى مَقَامَكَ عِصْمَةً يُفَكُّ بِهَا عَانٍ، وَيُنْعَشُ مُضْطَرُّ
إِذَا نَحْنُ أَثْنَيْنَا عَلَيْكَ بِمِدْحَةٍ فَهَيْهَاتَ يُحْصَى ٱلرَّمْلُ أَوْ يُحْصَرُ ٱلْقَطْرُ
وَلَكِنَّنَا نَأْتِي بِمَا نَسْتَطِيعُهُ وَمَنْ بَذَلَ ٱلْمَجْهُودَ حُقَّ لَهُ ٱلْعُذْرُ

331

وَقَالَ عَلَى قَبْرِ «أَبِي ٱلْحَسَنِ[289] ٱلْمَرِينِيِّ» :[290]

(الكامل)

يَا حُسْنَهَا مِنْ أَرْبُعٍ وَدِيَارِ أَضْحَتْ لِبَاغِي ٱلْأَمْنِ دَارَ قَرَارِ
وَجِبَالِ عِزٍّ لَا تَذِلُّ أُنُوفُهَا إِلَّا لِعِزِّ ٱلْوَاحِدِ ٱلْقَهَّارِ
وَمَقَرِّ تَوْحِيدٍ، وَأُسِّ خِلَافَةٍ آثَارُهَا تُنْبِي عَنِ ٱلْأَخْبَارِ[291]
مَا كُنْتُ أَحْسَبُ أَنَّ أَنْهَارَ ٱلنَّدَى تَجْرِي بِهَا فِي جُمْلَةِ ٱلْأَنْهَارِ
مَا كُنْتُ أَحْسَبُ أَنَّ أَنْوَارَ ٱلْحِجَى تَلْتَاحُ فِي قُنَنٍ وَفِي أَحْجَارِ
مُحَّتْ[292] جَوَانِبَهَا ٱلْبُرُودُ وَإِنْ تَكُنْ شَبَّتْ بِهَا ٱلْأَعْدَاءُ جَذْوَةَ نَارِ
هُدَّتْ بِنَاهَا فِي سَبِيلِ وَفَائِهَا فَكَأَنَّهَا صَرْعَى بِغَيْرِ عُقَارِ
لَمَّا تَوَعَّدَهَا، عَلَى ٱلْمَجْدِ ٱلْعِدَى رَضِيَتْ بِعَيْثِ ٱلنَّارِ لَا بِٱلْعَارِ
عَمَرَتْ بِجِلَّةِ[293] «عَامِرٍ»، وَأَعَزَّهَا «عَبْدِ ٱلْعَزِيزِ»[294] بِمُرْهَفٍ بَتَّارِ

---

(289) هو علي بن عثمان بن يعقوب بن عبد الحق المريني أبو الحسن من كبار ملوك بني مرين بويع بفاس بعد موت أبيه سنة (731هـ) توفي سنة 752هـ.
انظر : الاعلام (جـ : 5 ص 124).

(290) نفاضة الجراب مخ (جـ : 3 لوحة 25). نفاضة الجراب (جـ : 2 ص 52) مشاهدات لسان الدين ص : 128 / 129. الإحاطة مخ لوحة : 346. الازهار (جـ : 2 ص 295).

(291) إشارة إلى المكان الذي انطلقت منه الدعوة الموحدية.

(292) الازهار : محت.

(293) الإحاطة والازهار : جلّة.

(294) يقصد عبد العزيز أخا عامر بن محمد الهنتاتي الذي مات في حياة ابن الخطيب حين كان بالمغرب، وقد عزى أخاه بقصيدة انظر : ص 176.

فَرَسَا رِهَانٍ أَحْرَزَا قَصَبَ ٱلنَّدَى وَٱلْبَأْسَ فِي طَلَقٍ، وَفِي مِضْمَارِ
وَرِثَا عَنِ ٱلنَّدْبِ ٱلْكَرِيمِ[295] أَبِيهِمَا مَحْضَ ٱلْوَفَاءِ، وَرِفْعَةَ ٱلْمِقْدَارِ
وَكَذَا ٱلْفُرُوعُ تَطُولُ، وَهْيَ شَبِيهَةٌ بِٱلْأَصْلِ، فِي وَرَقٍ وَفِي إِثْمَارِ
أَزْرَتْ وُجُوهُ ٱلصَّيْدِ مِنْ «هَنْتَاتَةٍ»[296] فِي جَوِّهَا، بِمَطَالِعِ ٱلْأَقْمَارِ
لِلَّهِ أَيُّ قَبِيلَةٍ تَرَكَتْ لَهَا ٱلنُّظَرَاءُ دَعْوَى ٱلْفَخْرِ[297] يَوْمَ فَخَارِ
نَصَرَتْ أَمِيرَ ٱلْمُسْلِمِينَ وَمُلْكَهُ قَدْ أَسْلَمَتْهُ عَزَائِمُ ٱلْأَنْصَارِ
آوَتْ[298] «عَلِيًا»[299] عِنْدَمَا ذَهَبَ ٱلرَّدَى
وَٱلرَّوْعُ بِالْأَسْمَاعِ، وَٱلْأَبْصَارِ
وَتَخَاذَلَ ٱلْجَيْشُ ٱللُّهَامُ وَأَصْبَحَ ٱلْأَبْطَالُ، بَيْنَ تَقَاعُدٍ وَفِرَارِ
كَفِرَتْ صَنَائِعُهُ فَيَمَّمَ دَارَهَا مُسْتَظْهِراً مِنْهَا بِعِزِّ جِوَارِ
وَأَقَامَ بَيْنَ ظُهُورِهَا لاَ يَتَّقِي وَقْعَ ٱلرَّدَى وَقَدِ ٱرْتَمَى بِشَرَارِ
فَكَأَنَّهَا ٱلْأَنْصَارُ لَمَّا آنَسَتْ[300] فِيمَا تَقَدَّمَ غُرْبَةَ ٱلْمُخْتَارِ[301]
لَمَّا غَدَا لَحْظاً، وَهُمْ أَجْفَانُهُ نَابَتْ شِفَارُهُمُ عَنِ ٱلْأَشْفَارِ
حَتَّى دَعَاهُ ٱللَّهُ بَيْنَ بُيُوتِهِمْ فَأَجَابَ مُمْتَثِلاً لِأَمْرِ ٱلْبَارِي
لَوْ كَانَ يُمْنَعُ مِنْ قَضَاءِ ٱللَّهِ مَا خَلَصَتْ إِلَيْهِ نَوَافِذُ ٱلْأَقْدَارِ
قَدْ كَانَ يَأْمَلُ أَنْ يُكَافِئَ بَعْضَ مَا أَوْلَوْهُ، لَوْلاَ قَاطِعُ ٱلْأَعْمَارِ
مَا كَانَ يُقْنِعُهُ لَوِ ٱمْتَدَّ ٱلْمَدَى إِلاَّ ٱلْقِيَامُ بِحَقِّهَا مِنْ دَارِ
فَيُعِيدُ ذَاكَ ٱلْمَاءَ ذَائِبَ فِضَّةٍ وَيُعِيدُ ذَاكَ ٱلتُّرْبَ ذَوْبَ نُضَارِ
حَتَّى تَفُوزَ عَلَى ٱلنَّوَى أَوْطَانُهَا مِنْ غَيْرِ مَا ثُنْيَا وَلاَ ٱسْتِقْصَارِ

---

(295) في النفح : الكبير .

(296) هنتاتة بكسر الهاء وفتحها ، وسكون النون وفتح التاء الفوقية بعدها ألف ممدودة ثم تاء مفتوحة بعدها هاء للتأنيث ، اسم يطلق على جبل من جبال الأطلس كما يطلق على القبيلة المقيمة فيه .
انظر : التعريف بابن خلدون ص 37 .
ـ نفاضة الجراب (جـ : 2 ص 43) .

(297) الإحاطة : للفخر .

(298) في النفح : وارت .

(299) يقصد أبا الحسن المريني .

(300) في النفح : لما أن سمت .

(301) يشير إلى الرسول ﷺ والانصار .

مَا كَانَ يَرْضَى ٱلشَّمْسَ، أَوْ بَدْرَ ٱلدَّجَى عَنْ دِرْهَمٍ فِيهِمْ[302] وَلاَ دِينَارِ
أَوْ أَنْ يُتَوَّجَ أَوْ يُقَلِّدَ هَامَهَا وَنُحُورَهَا بِأَهِلَّةٍ وَدَرَارِي[303]
حَقٌّ عَلَى ٱلْمَوْلَى[304] ٱبْنِهِ إِيثَارُ مَا بَذَلُوهُ مِنْ نَصْرٍ وَمِنْ إِيثَارِ
فَلِمِثْلِهَا ذُخِرَ ٱلْجَزَاءُ، وَمِثْلُهُ مَنْ لاَ يُضِيعُ صَنَائِعَ ٱلأَحْرَارِ
وَهُوَ ٱلَّذِي يَقْضِي ٱلدُّيُونَ، وَمِثْلُهُ[305] يُرْضِيهِ[306] فِي عَلَنٍ وَفِي إِسْرَارِ
حَتَّى تُحَجَّ مَحَلَّةٌ رَفَعُوا بِهَا عَلَمَ ٱلْوَفَاءِ لأَعْيُنِ ٱلنُّظَّارِ
فَيَصِيرُ مِنْهَا ٱلْبَيْتُ بَيْتاً ثَانِياً لِلطَّائِفِينَ إِلَيْهِ أَيَّ بِدَارِ
تَغْنَى قُلُوبُ ٱلْقَوْمِ عَنْ هَدْيٍ بِهِ وَدُمُوعُهُمْ تَكْفِي لِرَمْيِ جِمَارِ
حُيِّيتِ مِنْ دَارٍ تَكَفَّلَ سَعْيُهَا ٱلْمَحْمُودُ بِالزُّلْفَى، وَعُقْبَى ٱلدَّارِ
وُضِعَتْ عَلَيْكِ مِنَ ٱلإِلَهِ عِنَايَةٌ مَا كَرَّ لَيْلٌ فِيكِ إِثْرَ نَهَارِ

332

وَقَالَ فِي «ٱبْنِ مَرْزُوقٍ»[307] : [308]

(الطويل)

أَمَا، وَٱلَّذِي تُبْلَى لَدَيْهِ[309] ٱلسَّرَائِرُ
لَمَا كُنْتُ أَرْضَى ٱلْخَسْفَ[310]، لَوْلاَ ٱلضَّرَائِرُ
غَدَوْتُ لِضَيْمِ «ٱبْنِ ٱلرَّبِيبِ»[311] فَرِيسَةً أَمَا ثَارَ مِنْ قَوْمِي لِنَصْرِيَ ثَائِرُ

(302) الإحاطة : منه . والنفاضة 2 أيضا .
(303) الدراري (ج) الدري : من الكواكب المضيء .
(304) يعني بالمولَى ابنه السلطان أبا سالم .
(305) الإحاطة والنفح : وبره .
(306) الإحاطة : وفي .
(307) تقدمت ترجمته في ص : 99.
(308) نفح الطيب (جـ : 9 ص 187) ، أزهار الرياض (جـ : 1 ص 274 ، 275) النفاضة (جـ : 2 ص 129) .
(309) النفح : له .
(310) الخسف : النقيصة .
(311) كان من خدام السلطان أبي سالم ، وكانت جراية ابن الخطيب وغيره من أعيان الأندلس على =

إِذَا ٱلْتَمَسَتْ كَفِّي لَدَيْهِ جِرَايَتِي كَأَنِّي جَانٍ أَوْ بَقَتْهُ ٱلْجَرَائِرُ[312]
وَمَا كَانَ ظَنِّي أَنْ أَنَالَ جِرَايَةً يُحَكَّمُ مِنْ جَرَّائِهَا فِيَّ جَائِرُ
مَتَى جَادَ بِالدِّينَارِ أَخْضَرَ زَائِفاً وَدَارَتْ عَلَيْهَا ٱلدَّوَائِرُ
وَقَدْ أَخْرَجَ ٱلتَّعْنِيتُ كِيسَ مَرَارَتِي وَرَقَّتْ لِبَلْوَايَ ٱلنُّفُوسُ ٱلْأَخَايِرُ[313]
تَذَكَّرْتُ بَيْتاً فِي ٱلْعِذَارِ لِبَعْضِهِمْ لَهُ مَثَلٌ بِٱلْحُسْنِ، فِي ٱلْأَرْضِ، سَائِرُ
(وَمَا اخْضَرَّ ذَاكَ ٱلْخَدُّ نَبْتاً، وَإِنَّمَا لِكَثْرَةِ مَا شُقَّتْ عَلَيْهِ ٱلْمَرَائِرُ)[314]
وَجَاهُ «ابْنِ مَرْزُوق» لَدَيَّ ذَخِيرَةٌ وَلِلشِّدَّةِ ٱلْعُظْمَى تُعَدُّ ٱلذَّخَائِرُ
وَلَوْ كَانَ يَدْرِي مَا دَهَانِي لَسَاءَهُ وَأَنْكَرَ مَا صَارَتْ إِلَيْهِ ٱلْمَصَائِرُ

333

وَخَاطَبْتُ مَنْ قَصَّرَ فِي حَاجَتِي :[315]

(الكامل)

مَنْ لاَ نَصِيبَ لِصَحْبِهِ فِي خَيْرِهِ وَإِذَا سَعَى لَمْ يَقْضِ حَاجَةَ غَيْرِهِ
فَاقْصِدْ أُبَاهُ مَتَى أَرَدْتَ وَقُلْ لَهُ ٱللَّهُ يُلْهِمُهُ ٱلْعَزَاءَ بِأَيْرِهِ

334

وَقُلْتُ أَيَّامَ مُقَامِي «بِسَلاَ» :[316]

(الطويل)

أَيَا أَهْلَ هَذَا ٱلْقُطْرِ سَاعَدَهُ ٱلْقَطْرُ بُلِيتُ، فَدَلُّونِي لِمَنْ يَرْفَعُ ٱلْأَمْرُ؟
تَشَاغَلْتُ بِالدُّنْيَا وَنِمْتُ مُفَرِّطاً وَفِي شُغْلِي أَوْ نَوْمَتِي سُرِقَ ٱلْعُمْرُ

= يده فكان لا يوفي بحقهم ، فاشتكى ابن الخطيب به إلى الحاجب ابن مرزوق .
انظر : النفاضة (جـ : 2 ص 129) ، مستودع العلامة ص : 49 .

(312) أوبقته : أهلكته ، الجرائر (ج) جريرة وهي الذنب .

(313) النفح والازهار : الامائر .

(314) هذا البيت للحاجري المتوفي سنة 632هـ من قصيدة مطلعها :
على دمع عيني فراقك ناظر يرقرقه ان لم ترقه المحاجر

(315) النفاضة (جـ : 2 ص 171) ، النفح (جـ : 9 ص 192) .

(316) الازهار (جـ : 1 ص 299) ، النفح (جـ : 1 ص 165) ، النفاضة (جـ : 2 ص 165) .

335

وَقَالَ فِي «كِتَابِ ٱلْمَحَبَّةِ» : (317)

(المجتث)

جَنَى النَّسِيمُ عَلَيَّ وَمَا تَبَيَّنْتُ غَدْرَهْ
إِذْ صَيَّرَ ٱلْخَلْقَ نَجْداً وَٱلْأَرْضَ أَبْنَاءَ «عُذْرَهْ» (318)

336

وَقَالَ يُخَاطِبُ «ابْنَ مَرْزُوقٍ» : (319)

(الكامل)

بِمَقَامِ «إِبْرَاهِيمَ» (320) عُذْ وَاصْرِفْ بِهِ فِكَراً تُوَرِّقُ عَنْ بَوَاعِثَ تَنْبِرِي
فَجِوَارُهُ حَرَمٌ، وَأَنْتَ حَمَامَةٌ وَرْقَاءُ وَٱلْأَغْصَانُ عُودُ ٱلْمِنْبَرِ
فَلَقَدْ أَمِنْتَ مِنَ ٱلزَّمَانِ وَرَيْبِهِ وَهُوَ ٱلْمُرَوِّعُ لِلْمُسِيءِ وَلِلْبَرِي

337

وَقُلْتُ : (321)

(الكامل)

لَعَنُوا بَرِيّاً مِنْ خَبَائِثِ ظَنِّهِمْ فَاللَّهُ يَلْعَنُ أَهْلَ سُوقِ ٱلْعَنْبَرِ
وَٱللَّهِ لاَ أَوْطَأْتُ سَاقِي سُوقَهُمْ أَبَدَ ٱلزَّمَانِ فَتِلْكَ سُوقُ الْعَنْ بَرِي

338

وَقُلْتُ مِنَ التَّوْرِيَةِ : (322)

---

(317) روضة التعريف ص 53 .
(318) عذرة : قبيلة عربية من قحطان عرفت بشدة العشق حتّى صار الانتساب إليها وصفا بالعشق العفيف . انظر نهاية الارب ص 359 .
(319) نفح الطيب (جـ : 9 ص 126) ، الإحاطة مخ لوحة : 482 ريحانة الكتاب لوحة 491 .
(320) يقصد بابراهيم السلطان أبا سالم ، ووردى بابراهيم الخليل الذي مقامه حرم آمن .
(321) النفح (جـ : 9 ص 172) .
(322) النفح (جـ : 9 ص 175) ، الازهار (جـ : 1 ص 306) . الاحاطة : لوحة 448 .

(المجتث)

يَـــا مَـــالِـــكِي بِـــخَـلَالٍ تُـهْدي إِلَى ٱلْقَلْبِ[323] حَيْرَةْ
أَضْـــرَمْتَ قَـــلْـــبِي نَـــارَا يَـــا «مَـالِكَ بْنَ نُوَيْـرَةْ»[324]

339

وَقُلْتُ أَيْضاً : [325]

(مجزوء الرمل)

بِـأَبِـي، بَـدْرٌ غَـزَانِي مُسْتَبِيحاً شَرْحَ صَدْرِي
فَـأَنَا، ٱلْيَوْمَ، شَـهِيدُ ٱلْحُبِّ مِنْ غَزْوَةِ «بَدْرِ»[326]

340

وَقُلْتُ، وَلَهُمَا حِكَايَةٌ : [327]

(الطـويـل)

أَيَا لَيْلَةً بِٱلْخَصْبِ لَمْ تَأْلُ شُهْرَةً كَمَا ٱشْتَهَرَتْ فِي فَضْلِهَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ
فَآمَنَ قَلْبُ ٱللَّوْزِ مِنْ عِلَّةِ النَّوَا[328] وَأَصْبَحَ فِيهَا التِّينُ مُنْشَرِحَ الصَّدْرِ

341

وَمِنْ هَذَا ٱلنَّمَطِ ٱلْمَشْرِقِيِّ : [329]

---

(323) الازهار : الفكر . الإحاطة أيضا .

(324) نويرة : تصغير النار ، ولكنه ورى بمالك بن نويرة قتيل سيف الله خالد بن الوليد في حروب الردة ، وأخوه متمم بن نويرة الذي اشتعل قلبه عليه نارا فظل يرثيه ويبكيه حتى غارت إحدى عينيه بالدمع .

(325) النفح (جـ : 9 ص 175) ، الازهار (جـ : 1 ص 305) . الإحاطة : لوحة 448 .

(326) البدر الأول مقصود به المحبوب والبدر الثاني مقصود به المكان الذي وقعت فيه الغزوة المشهورة ، وقد وقعت هذه الغزوة في رمضان من السنة الثانية للهجرة .
انظر : ابن هشام (جـ : 2 ص 243 و275) الطبري (جـ : 4 ص 267/ 297) .

(327) النفح : (جـ : 9 ص 175) . الإحاطة لوحة 453 .

(328) النوى : (ج) نواة : عجمة التمر والزبيب وغيرهما .

(329) النفح (جـ : 9 ص 175) .

(الطويل)

وَقَالَتْ حَلَفْتُ ٱلْكِسَّ مِنِّي بِنَوْرَةٍ[330] فَقُلْتُ لَهَا ٱسْتَنْصَرْتِ مَنْ لَيْسَ يَنْصُرُ
أَلاَ فَابْلِغِي عَنِّي فَدَيْتُكِ وَاصْدُقِي مُحَلِّقَ ذَاكَ ٱلْكِسَّ: أَنِّي مُقَصِّرُ

342

وَمِنَ ٱلْمَدْحِ أَيْضاً ، وَلاَ أَسْتَحْضِرُ لَقَبَهُ : [331]

(مجزوء العميد)

رَأَيْتُ بِكَفِّكَ اعْتِبَارا بَأْساً وَنَدىً مَا إِنْ يُبَارَى
فَقُلْتُ وَقَدْ عَجِبْتُ مِنْهَا[332] يَابَحْرُ مَتَى تَعُودُ[333] نَارَا

343

وَمِنَ ٱلْأَغْرَاضِ ٱلْمُخْتَرَعَةِ : [334]

(المنسرح)

أَنْكَرْتُهُ لَمَّا أَطَلَّ عَارِضُهُ فَقَالَ لِي حِينَ رَابَهُ نَظَرِي
أَلَمْ تَقُلْ لِي بِأَنَّنِي قَمَرٌ فَانْظُرْ إِلَى وَبْرِ أُرْنَبِ ٱلْقَمَرِ[335]

344

وَمِنَ ٱلتَّضْمِينِ : [336]

---

(330) النورة : أخلاط تستعمل لازالة الشعر.
(331) النفح (جـ : 9 ص 176). الإحاطة لوحة 450
(332) الإحاطة : منه.
(333) النفح : تدعو.
(334) نفاضة الجراب مخ (جـ : 3 لوحة : 185) ، النفح (جـ : 9 ص 177). الإحاطة لوحة 452.
(335) أرنب القمر.
(336) النفح (جـ : 9 ص 178) الازهار (جـ : 1 ص 300). الإحاطة لوحة : 453

(البسيط)

يَاكَوْكَبَ ٱلْحُسْنِ يَا مَعْنَاهُ يَا قَمَرَهْ يَا رَوْضَةَ ٱلْمُتَنَاهِي ٱلرَّيْعِ[337] يَا ثَمَرَهْ
أَمَرْتَنِي بِسُلُوٍّ عَنْكَ مُمْتَنِعٍ مَأْمُورُ حُسْنِك «لَمَّا يَقْضِ مَا أَمَرَهْ»[338]

345

وَقَالَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ يَصِفُ «غَرْنَاطَةَ» :[339]

(الكامل)

بَلَدٌ يَحُفُّ بِهِ ٱلرِّيَاضُ كَأَنَّهُ وَجْهٌ جَمِيلٌ، وَالرِّيَاضُ عِذَارُهُ
وَكَأَنَّمَا وَادِيهِ مِعْصَمُ غَادَةٍ وَمِنَ ٱلْجُسُورِ ٱلْمُحْكَمَاتِ سِوَارُهُ

346

وَقَالَ فِي رِثَاءِ «رِضْوَانَ ٱلنَّصْرِيِّ» :[340]

(الطويل)

أَ«رِضْوَانُ»[341] لاَ تُوحِشْكَ فَتْكَةُ ظَالِمٍ فَلاَ مُوْرِدٌ إِلاَّ سَيَتْلُوهُ مُصْدِرُ
وَلِلَّهِ، سِرٌّ، فِي ٱلْعِبَادِ، مُغَيَّبٌ يُشِيدُ بِخَافِيهِ ٱلْقَضَاءُ ٱلْمُقَدَّرُ
سَمَّيْكَ مُرْتَاحٌ، إِلَيْكَ مُسَلِّمٌ عَلَيْكَ، «وَرِضْوَانٌ مِنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ»[342]
فَحُثَّ ٱلْمَطَا لَيْسَ ٱلنَّعِيمُ مُنَغَّصاً وَلاَ ٱلْعَيْشُ فِي دَارِ ٱلْخُلُودِ مُكَدَّرُ

347

وَقَالَ فِي ٱلتَّوْرِيَةِ :[343]

---

(337) الريع : الغلة .
(338) تضمين للاية 22 سورة عبس .
(339) النفح (جـ : 9 ص 209) الإحاطة (جـ : 1 ص 121) ، الازهار (جـ : 1 ص 2 ، 4) .
(340) النفح (جـ : 8 ص 50) . الإحاطة (جـ : 1 ص : 325) .
(341) رضوان : رومي الأصل ، أحدث بعض الآثار العمرانية وجاهد ففتح باغة ، وفي ليلة الأربعاء 28 من رمضان من عام 760هـ دخل عليه الغادرون فقتلوه بين أهليه وولده . انظر : الإحاطة (جـ : 1 ص 515) .
(342) اقتباس من الاية رقم 72 سورة التوبة .
(343) النفح (جـ : 8 ص 213) .

(الطويل)

وَظَبْيٍ لِأَوْضَاعِ ٱلْمَجَالِ، مُدَرَّسٍ عَلِيمٍ بِأَسْرَارِ ٱلْمَحَاسِنِ مَاهِرِ
أَرَى جِيدَهُ نَصَّ «ٱلْمُحَلَّى»[344] وَقَرَّرَتْ ثَنَايَاهُ مَا ضَمَّتْ «صِحَاحُ ٱلْجَوَاهِرِ»[345]

348

وَقَالَ يُخَاطِبُ «أَبَا ٱلْقَاسِمِ بْنَ رِضْوَان»[346] (*)

(الطويل)

«أَبَا قَاسِمٍ»[347] لاَزِلْتَ لِلْفَضْلِ قَاسِماً بِمِيزَانِ عَدْلٍ يَنْصُرُ ٱلْحَقَّ مَنْ نَصَرْ
مِدَادُكَ وَهْوَ ٱلْمِسْكُ طِيباً وَمَنْظَرًا وَإِلاَّ سَوَادُ ٱلْقَلْبِ، وَٱلْفُؤْدِ[348] وَٱلْبَصَرْ
عَهِدْنَاهُ فِي كُلِّ ٱلْمَعَارِفِ مُطْنِباً فَمَا بَالُهُ فِي حُرْمَةِ ٱلْوُدِّ مُخْتَصِرْ؟
أَظُنُّكَ مِنْ لَيْلِ ٱلْوِصَالِ ٱنْتَخَبْتَهُ إِلَيْنَا، وَذَاكَ ٱللَّيْلُ يُوصَفُ بِٱلْقِصَرْ
أَرَدْنَا بِكَ ٱلْعُذْرَ ٱلَّذِي أَنْتَ أَهْلُهُ وَمِثْلُكَ لاَ يُرْمَى بِعِيٍّ وَلاَ حَصَرْ

349

وَقَالَ يُخَاطِبُ «ٱبْنَ خَلْدُونَ»[349] :[350]

---

(344) يقصد المحلى لابن حزم.

(345) يشير إلى كتاب الصحاح للجوهري المتوفي في حدود 400هـ.
انظر: المعجم العربي نشأته وتطوره (جـ: 2 ص 484 ـ 530).

(346) النفح (جـ: 8 ص 213). الكتيبة الكامنة ص 256 ومركز الإحاطة لوحة 271 ـ 272.

(*) ديباجة المركز «ولما ولي (يقصد ابن رضوان) الانشاء بباب ملك المغرب ظهر لسلطاننا بعض قصور في المراجعات.

(347) تقدمت ترجمته ص: 97.

(348) الكتيبة الكامنة: الفود والقلب.

(349) هو أبو زيد عبد الرحمن بن خلدون العلامة المعروف (انظر التعريف. مستودع العلامة ص 64).

(350) النفح (جـ: 8 ص 280). ريحانة الكتاب لوحة 445. نفاضة الجراب (جـ: 3 ص 167).

(السريع)

أوصيكَ بالشَّيْخِ أَبِي بَكْرَهْ لاَ تَأْمَنَنْ فِي حَالَةٍ مَكْرَهْ
وَاجْتَنِبِ الشَّكَّ إِذَا جِئْتَهُ جَنَّبَكَ الرَّحْمَانُ مَا تَكْرَهْ

350

وَخَاطَبْتُ بَعْضَ الْفُضَلاَءِ بِقَوْلِي مِمَّا يَظْهَرُ مِنَ الْجُمْلَةِ غَرَضُهُ : (351)

(الطويل)

تَعَرَّفْتُ قُرْبَ الدَّارِ مِمَّنْ أُحِبُّهُ فَكُنْتُ أَجِدُّ السَّيْرَ لَوْلاَ ضَرُورَهْ
لأَتْلُوَ مِنْ آيِ الْمَحَامِدِ سُورَةً وَأُبْصِرَ مِنْ شَخْصِ الْمَحَاسِنِ صُورَهْ

351

وَمِنْهُ إِلَى «عَامِرِ بْنِ مُحَمَّدٍ الْهِنْتَاتِيِّ» (352) : (353)

(الطويل)

تَقُولُ لِيَ الأَظْعَانُ وَالشَّوْقُ فِي الْحَشَا لَهُ الْحُكْمُ يَمْضِي بَيْنَ نَاهٍ وَآمِرِ
إِذَا جَبَلَ التَّوْحِيدِ أَصْبَحْتَ فَارِعاً فَخَيِّمْ قَرِيرَ الْعَيْنِ فِي دَارِ عَامِرِ
وَزُرْ تُرْبَةَ الْمَعْصُومِ (354) إِنَّ مَزَارَهَا هُوَ الْحَجُّ يَمْضِي نَحْوَهُ كُلُّ ضَامِرِ
سَتَلْقَى بِمَثْوَى «عَامِرِ بْنِ مُحَمَّدٍ» ثُغُورَ الأَمَانِي مِنْ ثَنَايَا الْبَشَائِرِ
وَلِلَّهِ مَا تَبْلُوهُ مِنْ سَعْدِ وِجْهَةٍ وَلِلَّهِ مَا تَلْقَاهُ مِنْ يُمْنِ طَائِرِ
وَتَسْتَعْمِلُ الأَمْثَالُ فِي الدَّهْرِ مِنْكُمَا بِخَيْرٍ مَزُورٍ أَوْ بِأَغْبَطِ زَائِرِ

352

وَقَالَ يَهْجُو الْوَزِيرَ «إِبْرَاهِيمَ بْنَ أَبِي الْفَتْحِ» الأَصْلَعَ الْغَوِيَّ وابْنَ عَمِّهِ «مُحَمَّدَ بْنِ

---

(351) نفاضة الجراب (جـ : 2 ص 145) . النفح (جـ : 8 ص 312) الريحانة لوحة : 440
(352) تقدم التعريف به . ص : 144 .
(353) النفح (جـ : 8 ص 314) . الازهار (جـ : 1 ص 290 . 291) ومشاهدات لسان الدين ص : 120 — 121 . والنفاضة (جـ : 2 ص : 44) .
(354) يقصد المهدي بن تومرت والمعصوم لقب يطلق عليه تشبيا بأئمة الشيعة الامامية .

إبْرَاهِيمَ» ٱلْعَقْرَبَ الرَّدِيّ : (355)

(المنسرح)

كُنْ مِنْ صُرُوفِ ٱلرَّدَى عَلَى حَذَرِ ... لاَ يَقْبَلُ ٱلدَّهْرُ عُذْرَ مُعْتَذِرِ
وَلاَ تُعَوِّلْ فِيهِ عَلَى دَعَةٍ ... فَأَنْتَ فِي قُلْعَةٍ وَفِي سَفَرِ
فَكُلُّ رِيٍّ يُفْضِي إِلَى ظَمَإٍ ... وَكُلُّ أُمْنٍ يَدْعُو إِلَى غَرَرِ
(وَكُلُّ حَيٍّ فَٱلْمَوْتُ غَايَتُهُ ... وَكُلُّ نَفْعٍ يُدْنِي إِلَى ضَرَرِ) (356)
كَمْ شَامِخِ ٱلْأَنْفِ يَنْثَنِي فَرَحاً ... بَالَ عَلَيْهِ زَمَانُهُ وَخَرِي
قُلْ لِلْوَزِيرِ ٱلْيَلِيدِ قَدْ رَكَضَتْ ... فِي رَبْعِكَ ٱلْيَوْمَ غَازَةُ ٱلْغِيَرِ
يَا «ٱبْنَ أَبِي ٱلْفَتْحِ» نِسْبَةٌ عَكِسَتْ ... فَلاَ بِفَتْحٍ أَتَتْ، وَلاَ ظَفَرِ
وَزَارَةٌ لَمْ يَجِدْ مُقَلِّدُهَا ... عَنْ شُؤْمِهَا فِي ٱلْوُجُودِ مِنْ وَزَرِ
فِي طَالِعِ ٱلنَّحْسِ حُزْتَ رُتْبَتَهَا ... وَكُلُّ شَيْءٍ فِي قَبْضَةِ ٱلْقَدَرِ
أَيُّ ٱخْتِبَارٍ لَمْ يَأْلُ نَصْبَتَهُ (357) ... فِي جَسَدٍ لِلنُّحُوسِ أَوْ نَظَرِ
بَاتَ لَهُ ٱلْمُشْتَرِي عَلَى غَبَنٍ ... وَأَحْرَقَتْ (358) فِيهِ قُرْصَةُ ٱلْقَمَرِ
يَا طَلَلاً، مَا عَلَيْهِ مِنْ عَمَلٍ ... يَا شَجَراً، مَا لَدَيْهِ مِنْ ثَمَرِ
يَا مُفْرِطَ ٱلْجَهْلِ وَٱلْغَبَاوَةِ لاَ ... يَحْسَبُ إِلاَّ مِنْ جُمْلَةِ ٱلْبَقَرِ
يَا دَائِمَ ٱلْحِقْدِ وَٱلْفَظَاظَةِ لاَ ... يُفَرِّقُ (359) بَيْنَ ظَالِمٍ وَبَرِي
يَا كَمِدَ ٱللَّوْنِ يَنْطَفِي كَمَدا ... مِنْ حَسَدٍ يَسْتَطِيرُ بِالشَّرَرِ
يَا عِدْلَ سَرْجٍ، يَا دَنَّ مُقْتَعَدٍ ... مَلآنَ مِنْ رِيبَةٍ، وَمِنْ قَذَرِ
يَا وَاصِلاً لِلْجَشَاءِ بَاشِيَةَ ٱ ... للَّيْلِ، وَرَبَّ ٱلضُّرَاطِ فِي ٱلسَّحَرِ
مِنْ غَيْرِ لُبٍّ وَلاَ مُرَاقَبَةٍ ... لِلَّهِ فِي مَوْرِدٍ، وَلاَ صَدَرِ
يَا خَامِلاً جَاهُهُ ٱلْفُرُوجُ يَرَى ... صِهْرَ أُولِي ٱلْجَاهِ فَخْرَ مُفْتَخِرِ

(355) نفاضة الجراب (جـ : 2 ص 110) . النفح (جـ : 7 ص 68) .
(356) انفردت النفاضة بهذا البيت .
(357) النصبة الفلكية : هي نظام شكل الفلك حينما يراد وضعه في وقت معين للدلالة على الحوادث .
(358) النفاضة : أحدقت .
(359) النفاضة : يفرق ما .

كَانُوا «نَبِيطاً» فِي ٱلْأَصْلِ أَوْ «حَبَشاً» مَا عِنْدَهُ عِبْرَةٌ بِمُعْتَبِرِ
يَا نَاقِصَ ٱلدِّينِ وَٱلْمُرُوءَةِ وَٱلْعَقْلِ وَمُجْرِي ٱللِّسَانِ بِالهَذَرِ
يَا وَلَدَ ٱلسَّحْقِ، غَيْرَ مُكْتَتِمٍ حَدِيثُهُ، يَا ٱبْنَ فَاسِدِ الدِّبَرِ
يَا بَغْلَ طَاحُونَةٍ يَدُورُ بِهَا مُجْتَهِدَ ٱلسَّيْرِ، مُغْمَضَ ٱلْبَصَرِ
فِي أَشْهُرِ عَشْرَةٍ طَحَنْتَهُمُ فَيَا رَحَى ٱلشُّؤْمِ، وَٱلْبَوَارِ ذُرِي
وَٱللَّهِ مَا كُنْتَ يَا مَشُومُ وَلاَ أَنْتَ سِوَى عَرَّةٍ مِنَ ٱلْعَرَرِ
وَمَنْ «أَبُو ٱلْفَتْحِ» فِي ٱلْكِلاَبِ؟ وَهَلْ لِجَاهِلٍ فِي ٱلأَنَامِ مِنْ خَطَرِ؟
قَدْ سَتَرَ ٱلدَّهْرُ مِنْكَ عَوْرَتَهُ وَكَانَ لِلْيَوْمِ غَيْرَ مُسْتَتِرِ
حَانُوتُ بَزٍّ يَمْشِي عَلَى فَرَسٍ[360] وَثَوْرُ عِرْسٍ يَحْتَالُ فِي حِبَرِ
لاَ مِنَّةٌ تُقْتَنَى لِمُعْتَرِكٍ وَلاَ لِسَانٌ يُبِينُ عَنْ خَبَرِ
وَلاَ يَدٌ تَنْتَمِي إِلَى كَرَمٍ وَلاَ صَفَاةٌ يُرِيحُ مِنْ كَدَرِ
عَهْدِي بِذَاكَ ٱلْجَبِينِ قَدْ مُلِئَتْ غُضُونُهُ ٱلْغَبْرُ بِالدَّمِ ٱلْهَدَرِ
عَهْدِي بِذَاكَ ٱلْقَفَا ٱلْغَلِيظِ وَقَدْ مُدَّ لِوَقْعِ ٱلْمُهَنَّدِ ٱلذَّكَرِ
أَهْدَتْكَ لِلْبَحْرِ كَفُّ مُنْتَقِمٍ أَلْقَتْكَ لِلْحُوتِ كَفُّ مُقْتَدِرِ
يَا يُتْمَ أَوْلاَدِكَ ٱلصِّغَارِ، وَيَا حَيْرَتَهُمْ بَعْدَ ذَاكَ فِي ٱلْكِبَرِ
يَا ثُكْلَ تِلْكَ ٱلصَّمَّاءِ أُمِّهِمُ وَظَاعِنُ ٱلْمَوْتِ غَيْرُ مُنْتَظِرِ
وَٱللَّهِ لاَ نَالَ مِنْ تَخَلُّفِهِ مِنْ أَمَلٍ بَعْدَهَا، وَلاَ وَطَرِ
وَٱللَّهِ، يَا مَسْخَفَانُ[361] لا ٱنْتَقَلَتْ رِجْلُكَ مِنْهَا إِلاَّ إِلَى سَقَرِ
أَلْحَقَكَ ٱللَّهُ بِالْهَوَانِ وَلاَ رَعَاكَ فِيمَنْ تَرَكْتَ مِنْ عُرَرِ
مَا عُوقِبَ ٱللَّيْلُ بِالصَّبَاحِ وَمَا تَقَدَّمَ ٱلْبَرْقُ عَارِضَ ٱلْمَطَرِ

353

وَخَاطَبْتُ ٱلْفَقِيهَ ٱلْحَكِيمَ «ٱلْقَاسِمَ بْنَ دَاوُدَ ٱلْفَخَّارِ»[362] مِنْ أَهْلِ «سَلاَ»

---

(360) في النفح : حانوت بز يمشي على فرش .
(361) المسخفان : كثير السخف .
(362) لعله هو أبو القاسم ابن داوود الفقيه الأديب الشاعر المكثر الأصولي الفرضي .
انظر نيل الابتهاج بتطريز الديباج ص : 218 .

بِقَوْلِي : [363]

(الـرجـز)

يَا مَنْ يُفِيدُ ٱلطِّينَ كُلَّ صُورَهْ عَنْ مَثَلٍ فِي عِلْمِهِ مَحْصُورَهْ
وَٱلْـفَـلَكُ الـدَّوَّارُ مِنْ دَوَّارِهِ وَالـنَّارُ تَمْضِي حُكْمَهُ ضَرُورَهْ
فَـهَـذِهِ تَـحْـمِـلُ طِيباً طَاهِراً وَهَـذِهِ تُـلْـقَى بِـهَـا قَـاذُورَهْ
أَوْصَافُ حَقٍّ، فِي مِثَالِ بَاطِنٍ وَآلَـةٌ مَـنْـهِـيَّـةٌ[364] مَـأْمُورَهْ

354

وَمِمَّا صَدَّرْتُ بِهِ إِلَيْهِ كِتَاباً[365] لَمْ يَتَأَتَّ إِيصَالُهُ : [366]

(الـطـويـل)

أَيَا سَبْعَ ٱلْـمَيْدَانِ، دَعْوَةُ آمِلٍ عَلَى يَدِكَ ٱلنَّصْرُ ٱلْعَزِيزُ عَلَى ٱلدَّهْرِ
عِيَالاً عَلَى ٱلْأَحْرَارِ أَصْبَحْتُ فَلْتَقُمْ بِأَمْرِي، قِيَامَ ٱلْوَاحِدِ ٱلْمَاجِدِ ٱلْحُرِّ
وَأَنْتَ ٱلَّذِي جَلَّيْتَ فِي كُلِّ حَلْبَةٍ مِنَ ٱلْجُودِ، وَٱلْإِقْدَامِ فِي حِدَّةِ ٱلْعُمْرِ
إِلَى ٱلْـحَسَبِ ٱلْوَضَّـاحِ وَٱلشِّـيَمِ ٱلْـعُـلَى
إِلَى ٱلرَّأْيِ، وَٱلْـفَـهْـمِ الـمُـسَـدَّدِ، وَالشِّعْرِ[367]
لَـعَـمْـرُكَ مَا تَدْرِي ٱلْوِزَارَةُ كُفْأَهَا سِوَاكَ يَمِيناً، لَا يَخَافُ مِنَ ٱلْوِزْرِ
وَمِثْلُكَ مَنْ يُعْنَى بِمِثْلِي فَإِنَّنِي نَهِيمُ ٱلْمَعَالِي فِي ثَنَائِي، وَفِي شُكْرِي

355

وَفِي ٱلسَّاعَةِ ٱلْعَاشِرَةِ : [368]

---

(363) نفاضة الجراب (مخ جـ : 3 لوحة : 195). ريحانة الكتاب لوحة : 428.

(364) في الأصل : منتهية.

(365) المقصود محمد بن موسى الملقب بالسبيع، انظر المرجعين السَّابقين.

(366) نفاضة الجراب (جـ : 2 ص 360 ــ 361)، (جـ : 3، لوحة : 14).

(367) في النفاضة مخ : إلى الرأي السديد والفهم والشعر.

(368) نفاضة الجراب مخ (جـ : 3 لوحة 226).

(الكامل)

يَا مَنْ بِهِ لِلْمِلَّةِ اسْتَبْشَارُ ... وَإِلَيْهِ إِنْ ذُكِرَ الْكَمَالُ يُشَارُ
أَ«مُحَمَّدٌ» الْمَحْمُودُ، دُمْ فِي عِصْمَةٍ ... لِلَّهِ يَمْضِي حُكْمَهَا الْمِقْدَارُ
بَدْراً، وَمَا غَيْرُ الْخِلَافَةِ هَالَةٌ ... شَمْساً، وَمَا غَيْرُ الْعَلَاءِ مَدَارُ
غَيْثاً، وَمَا غَيْرُ النَّوَالِ سَحَابَةٌ ... لَيْثاً، وَمَا غَيْرُ الظُّبَا أَظْفَارُ
مَرَّتْ مِنَ السَّاعَاتِ عَشْرٌ فَصَّلَتْ ... حِزْبَ الدُّجَى، فَكَأَنَّهُ أَعْشَارُ[369]
طَابَتْ بِمَوْلِدِ خَيْرِ مَنْ لِضَرِيحِهِ ... تُزْجَى قِلَاصٌ أَوْ تُزَمُّ عِشَارُ
وَاللَّيْلُ قَدْ وَلَّى، وَحْثَّ وَرَاءَهُ، ... فَجْرٌ يَكُرُّ عَلَى الدُّجَى وَنَهَارُ
ذَبَلَتْ بِهِ زَهْرُ النُّجُومِ وَطَالَمَا ... أَرِجَتْ بِحَضْرَتِهِ لَهَا أَزْهَارُ
فَلَقٌ عَلَى شَفَقٍ يَكُرُّ لِحِكْمَةٍ ... خَفِيَتْ. وَأَمْرٌ تَحْتَهُ أَسْرَارُ
وَالْكُلُّ مُؤْتَمِرٌ وَمَا فِي ضِمْنِهِ ... لِلَّهِ فَهْوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ

356

وَخَاطَبْتُ عَمِيدَ الدَّوْلَةِ :[370]

(الطويل)

إِذَا مَا غَرَسْتَ الْخَيْرَ فِي «ابْنِ جِدَارٍ»[371] ... ظَفِرْتَ بِكَنْزٍ مِنْهُ تَحْتَ جِدَارِ
فَشُدَّ عَلَيْهِ الْكَفَّ ذُخْرَ مَضِنَّةٍ ... وَأَسْكِنْ بِهِ الْأَسْرَارَ، دَارَ قَرَارِ

357

قُلْتُ مِنْ قَصِيدَةٍ طَوِيلَةٍ شَرَحْتُ فِيهَا حَالِي فِيمَا بُلِيتُ بِهِ بِالْأَنْدَلُسِ مِنْ مُكَابَدَةِ الصَّمِّ الْبُكْمِ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ :[372]

---

(369) أعشار : أي عشر قطع .
(370) نفاضة الجراب (جـ : 2 ص 157) .
(371) ابن جدار كان من ولاة الدولة المرينية . فقد ذكره في مقامته ابن الخطيب «قطع الفلاة بأخبار الولاة» انظر النفاضة (جـ : 2 ص 157) . ولعله ابن جرار بالراء .
(372) أعمال الاعلام . ليفي بروفنصال ص : 13 . المخطوط لوحة : 121 ـ 122 .

(الخفيف)

إِنْ تَوَرَّعْتُ أَصْبَحَتْ حَوْزَةُ[373] ٱلْمُلْكِ ضِيَاعاً لِجُرْأَةِ ٱلْفُجَّارِ
أَوْ طَرَدْتُ ٱلْعُقَابَ[374] خِفْتُ مِنَ ٱللَّهِ، إِذَا مَا سُئِلْتُ عَنْ أَوْزَارِ
أَوْ تَقَاعَدْتُ أَصْبَحَ ٱلْأَمْرُ فَوْضَى تَلْعَبُ ٱلشَّاةُ فِيهِ بِٱلْجَزَّارِ
أَوْ تَعَرَّضْتُ وَانْتَدَبْتُ سَمِعْتُ ٱلنَّقْدَ حَالَ ٱلْإِيرَادِ وَٱلْإِصْدَارِ
لَا يَزَالُ ٱلْمَلَامُ عَنْهُ بِحَالٍ حَالَةَ ٱلشَّيْخِ، وَابْنِهِ، وَٱلْحِمَارِ[375]
قَدْ تُهِمْ لِلْجِهَادِ فَاشْتَكَوا الضَّعْفَ، وَضَجُّوا لِكَثْرَةِ ٱلْأَسْفَارِ
مِلْتُ لِلصُّلْحِ سَمَّوا ٱلصُّلْحَ شَرّاً عَكْسَ قَوْلِ ٱلْمُهَيْمِنِ ٱلْجَبَّارِ[376]
سُبْتُهُمْ لَسْتُ أَبْتَغِي غَيْرَ حَقِّ ٱللَّهِ، أَوْ قَوْمَتِي بِحَقِّ ٱلْجِوَارِ
فَجَزَوْنِي[377] جَزَاءَ مَنْ يَخْدُمُ ٱلسُّلْطَانَ فِيمَا مَضَى مِنَ ٱلْأَعْصَارِ
مِنْ مَمَالِيكِ كَٱلسِّبَاعِ وَوُصْفَا نِ وَ«غُزٍّ» و«دَيْلَمٍ»، و«تَتَارِ»
لَمْ أَجِدْ مُسْلِماً يَقُومُ بِحَقِّي نَاظِراً لِي بِمُقْلَةِ ٱسْتِعْبَارِ
أَوْ وَلِيّاً يُعْطِي لِطَوْرِيَ حَقّاً وَيَرَى فَضْلَهُ عَلَى ٱلْأَطْوَارِ
غَيْرَ أَعْمَى ٱلْفُؤَادِ يَعْلَقُ فِي رِجْلِي عُلُوقَ ٱلْكُرُومِ فِي ٱلْأَشْجَارِ
طَالِباً كُلَّ مَا ٱقْتَضَاهُ هَوَاهُ هَبْهُ بِالرِّبْحِ عَادَ أَوْ بِٱلْخَسَارِ

358

وَمِنْ ذَلِكَ مِمَّا خَاطَبْتُ بِهِ ٱلْوَزِيرَ «أَبَا بَكْرٍ[378] بْنَ ٱلْحَكِيمِ»: [379]

(الطويل)

بَعُدْتُ بِشَيْءٍ كَٱلْجَفَاءِ وَإِنَّمَا بَعُدْتُ بِعُذْرِي كَٱلْمُدِلِّ إِلَى عُذْرِ

---

(373) بروفنصال : حوز .
(374) بروفنصال : العقاب .
(375) أورد الحكاية ابن الخطيب في اعمال الاعلام (ص : 13) .
(376) إشارة إلى قوله تعالى : «والصُّلح خير»
(377) جزاه جزاء سنمار .
(378) تقدمت ترجمته ص : 116.
(379) الإحاطة : (جـ : 2، ص : 204 ــ 205).

وَقُلْتُ لِنَفْسِي لاَ تُرَاعَيْ فَإِنَّهُ كَمَا قِيلَ «شَيْءٌ قَدْ يُعِينُ عَلَى ٱلدَّهْرِ»[380]
وَمَا كَانَ قَدْرُ ٱلْوُدِّ وَٱلْمَجْدِ مِثْلَهُ فَخُذْهُ عَلَى قَدْرِ ٱلْحَوَادِثِ أَوْ قَدْرِي
وَإِنْ كُنْتُ لَمْ أُحْسِنْ صَنِيعِي فَإِنَّنِي سَأُحْسِنُ فِي حُسْنِ ٱلْقَبُولِ لَهُ شُكْرِي
وَقَدْرُكَ قَدْرُ ٱلنِّيلِ عِنْدِي وَإِنَّنِي لَدَى قَدْرِكَ ٱلْعَالِي أَدَقُّ مِنَ ٱلذَّرِّ
قَنِعْتُ وَحَظِّي مِنْ زَمَانِي وَوُدِّكُمْ هَبَاءٌ وَمِثْلِي لَيْسَ يَقْنَعُ بِالنَّزْرِ
أَتَانِي كِتَابٌ مِنْكَ بَاهٍ مُبَارَكٌ لَقِيتُ بِهِ ٱلْآمَالَ يَا بَهْجَةَ ٱلثَّغْرِ
جَلاَ مِنْ بَنَاتِ ٱلْفِكْرِ بِكْراً وَزَفَّهَا إِلَى نَاظِرِي تَخْتَالُ فِي حِبَرِ ٱلْحِبْرِ
فَأَلْفَاظُهَا كَالزَّهْرِ وَالزَّهْرُ يَانِعٌ وَقَدْرُ ٱلْمَعَانِي فِي ٱلْأَصَالَةِ كَالزَّهْرِ
نُجُومُ مَعَانٍ فِي سَمَاءِ صَحِيفَةٍ وَلَكِنَّهَا تَسْرِي ٱلنُّجُومُ وَلاَ تَسْرِي
تَضَمَّنَ مِنْ نَوْعِ ٱلدَّعَابَةِ مَا بِهِ رَجَوْتُ ٱلَّذِي قَدْ قِيلَ فِي نَشْوَةِ ٱلْخَمْرِ
«رَعَى ٱللَّهُ مَسْرَاهَا ٱلْكَرِيمَ فَجَلَّ مَا جَلَتْهُ مِنَ ٱلْبُشْرَى وَأَبْدَتْ مِنَ ٱلْبِشْرِ»
لَعَمْرِي لَقَدْ أَذْكَرْتَنِي دَوْلَةَ الصِّبَا وَأَهْدَيْتَ لِي نَوْعَ ٱلْحَلاَلِ مِنَ ٱلسِّحْرِ
وَلَمَّا أَتَتْ تِلْكَ ٱلْفُكَاهَةُ غُدْوَةً وَجَدْتُ نَشَاطاً سَائِرَ ٱلْيَوْمِ فِي بِشْرِي
وَلاَسِيَّمَا إِنْ كَانَ مُلْحِمَ بُرْدِهَا عَمِيدُ أُولِي ٱلْأَلْبَابِ نَادِرَةُ ٱلْعَصْرِ
نَشَرْتَ بِهَا مَا قَدْ طَوَيْتُ بِسَاطَهُ زَمَاناً وَبِهِ طَيَّ ٱلْأُمُورِ مَعَ ٱلنَّشْرِ
وَنِعْمَ خَلِيلُ ٱلْخَيْرِ أَنْتَ مُحَافِظاً عَلَى سَنَنِ ٱلْإِخْلاَصِ فِي ٱلسِّرِّ وَٱلْجَهْرِ
وَدُونَكَهَا تَلْهُو بِهَا وَتُدِيرُهَا سُحَيْرِيَّةَ ٱلْأَنْفَاسِ طَيِّبَةَ ٱلنَّشْرِ

359

وَقَالَ يُخَاطِبُ حَفِيدَ «أَبِي ٱلْمَكَارِمِ[381] ٱلْكِنَانِيَّ»:[382] (*)

(380) إشارة إلى قول الشاعر:
ألام على أخذ القليل وانما اعامل أقواما أقل من الذر
فان أنا لم آخذه منهم بقوة فلابد من شيء يعين على الدهر
انظر فصل المقال في شرح كتاب الامثال ص: 186.

(381) حفيده هذا هو محمد بن محمد بن منديل الكناني، قتل في شهر شوال سنة 771هـ. (انظر تاريخ البربر — جـ 2 ص 480).
أما جده أبو المكارم فكان كاتبا للسلطان أبي يعقوب يوسف المريني. (انظر: روضة النسرين — ص 20، درة الحجال رقم: 894)، مذكرات ابن الحاج النميري: ص 40.

(الكامل)

أَصْبَحْتَ سَهْماً مِنْ «كِنَانَةَ» صَائِباً يَمْضِي إِلَى هَدَفِ ٱلْكَمَالِ وَنَحْرِهِ
وَأَبو المَكَارِمِ جَدُّكَ ٱلْأَرْضَى الَّذِي اسْتَوْلَى عَلَى سِرِّ ٱلْكَمَالِ وَجَهْرِهِ
مَا كَانَ يُدْعَى بِٱلْمَكَارِمِ كُنْيَةً إِلاَّ بِكَوْنِكَ ثَاوِياً فِي ظَهْرِهِ

360

وَكَتَبْتُ فِي غَرَضٍ مَعْرُوفٍ ، وَلَهَا حَدِيثٌ : (383)

(ٱلطويل)

رَعَى ٱللَّهُ رَاعِي الشَّاءِ مَا شَاءَ إِنَّهُ تَعَاطَى فَلَمَّا اجْتَازَ فُرْصَتَهُ عَقَرْ
أَصَابَ صَغِيراً مِنْهُ صَقْرٌ مُكَبِّرٌ فَصَيَّرَهُ، بَعْدَ النَّعِيمِ، إِلَى سَقَرْ
تَقُومُ قِيَامَ ٱلْفَرْضِ فِي ٱلْأَرْضِ بَعْدَهَا بِحَقِّ رُعَاةِ ٱلْإِبْلِ، وَالشَّاءِ وَٱلْبَقَرْ

361

فَرَاجَعْتُهُ(384) مُنْشِداً

(الطويل)

أَيَا رَاكِبَ ٱلْبَحْرِ ٱلْأُجَاجِ مُخَاطِراً تَقَدَّمْ بِاسْمِ ٱللَّهِ مُرْسَاكَ وَٱلْمَجْرَا
وَبَلِّغْ أَمَانَاتِ ٱلْمَشُوقِ وَلاَ تَقُلْ تَرَحَّلَ مُخْتَاراً «لَعَلَّ لَهُ عُذْرَا»(385)

362

وَقُلْنَا فِي غَرَضِ تَجْنِيسِ ٱلْقَافِيَةِ : (386)

(الطويل)

وَلَمَّا ٱجْتَلَيْنَا مِنْ نُجُومِ قِبَابِنَا سَنَا كُلِّ خَفَّاقِ ٱلرِّوَاقِ «بِغُورِ»
زَرَيْنَا عَلَى شُهْبِ ٱلسَّمَاءِ بِشُهْبِهَا مَتَى شِئْتِ، يَازُهْرَ الثَّوَاقِبِ غَوْرِي

(382) نفاضة الجراب : جـ 2 ص 141 ، الريحانة : لوحة 427 .
(383) نفاضة الجراب (جـ : 2 ص : 127) .
(384) يقصد الشيخ الفقيه أبا الحسن علي بن عبد الله بن الحسن النباهي .
(385) اقتباس من الآية رقم 70 ــ 76 سورة الكهف .
(386) مشاهدات لسان الدين ص : 30 .

363

وَخَاطَبْتُ عَمِيدَ ٱلدَّوْلَةِ[387] ، وَقَدْ بَلَغَنِي إِيَابُهُ مِنْ زِيَارَةِ ٱلصَّلَحَاءِ[388] بِرِيفِ «بَادِسَ» ، ضَجِرًا بِحِمْلِ ٱلدَّوْلَةِ مُتَرَاوِغاً عَنْهَا : [389]

(الـوافـر)

هَنِيـئاً بِٱلْقُدُومِ مِنَ ٱلزِّيَارَةْ وَلُـقِّـيتَ ٱلسَّـعَـادَةَ وَٱلْـبِشَـارَةْ
وَقَـادَ لَكَ ٱلإِلاَهُ خَفِيَّ لُطْفٍ يُبَلِّغُ مَجْدَكَ ٱلأَعْلَى اَخْتِيَارَهْ

364

وَقَالَ ــ رَحِمَهُ ٱللَّهُ ــ مَرَرْتُ يَوْماً مَعَ شَيْخِنَا أَبِي «ٱلْبَرَكَاتِ بْنِ ٱلْحَاجِّ»[390] بِبَعْضِ مَسَالِكِ «غَرْنَاطَةَ» حَرَسَهَا ٱللَّهُ تَعَالَى وَأَنْشَدَنِي مِنْ نَظْمِهِ : [391]

(الـسـريـع)

«غَـرْنَـاطَـةٌ» مَـا مِـثْـلُـهَـا حَضْـرَهْ ٱلْـمَـاءُ، وَٱلْـبَـهْـجَـةُ وَٱلْـخُضْـرَهْ

وَٱسْتَجَازَنِي ، رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَى ، فَقُلْتُ :

سُـكَّـانُـهَـا قَـدْ أُسْـكِنُوا جَنَّهْ فَـهُـمْ «يُـلَـقَّـوْنَ بِـهَـا نَضْـرَهْ»[392]

365

وَقُلْتُ فِي مِلْزَمِ ٱلْكُتُبِ : [393]

---

(387) لعله يقصد عمر بن عبد الله .
(388) لعله يقصد بالصلحاء ريف بادس ، مولاي يعقوب ، انظر المقصد الشريف في التعريف بصلحاء الريف .
(389) نفاضة الجراب (جـ : 2 ص : 200) .
(390) تقدمت ترجمته في ص : 179.
(391) الازهار (جـ : 1 ص 272).
(392) اقتباس من الآية رقم 10 سورة الإنسان.
(393) الإحاطة، لوحة : 454.

(الكامل)

يَا حُسْنَهُ مِنْ مِلْزَمٍ[394] آثَارُهُ ... بِذَوِي ٱلْوِرَاقَةِ أَحْسَنُ ٱلْآثَارِ
وَكَأَنَّمَا ٱلْكُرَّاسُ طِرْفٌ أَشْهَبٌ ... شَدُّوا عَلَى شَفَتَيْهِ عُودَ الزِّبَارِ[395]
وَكَأَنَّمَا قَلَمُ ٱلْكِتَابِ بِصَفْحِهِ ... يَكْوِي، وَذَاكَ ٱلنَّقْطُ نَقْطُ ٱلنَّارِ

366

وَقُلْتُ فِي بَيْضَةِ ٱلسِّلَاحِ أَيْضاً :[396]

(الطويل)

إِذَا أَنْتَ لَاحَظْتَ ٱلسِّلَاحَ وَجَدْتَنِي ... أُطَاوِلُهُ عِزّاً، وَأَفْضُلُهُ قَدْرَا
وَيَلْبَسُنِي ٱلْمَوْلَى ٱلْإِمَامُ «مُحَمَّدٌ» ... فَتُبْصِرُ مِنْهُ ٱلشَّمْسُ تُوِّجَتِ ٱلْبَدْرَا

367

وَقُلْتُ أَيْضاً فِي ٱلْبَدْرِ :[397]

(البسيط)

أَقُولُ، وَٱلْبَدْرُ يَسْمُو فِي ٱلسَّمَا صُعُداً، لِصَاحِبِي، وَالدُّجَى مُسْتَقْبِلُ ٱلْعُمُرِ:
ٱنْظُرْهُ فِي كِفَّةِ ٱلْمِيزَانِ صَاعِدَةً ... كَأَنَّهَا صَنْجَةٌ[398] بَيْضَاءُ مِنْ حَجَرِ

368

وَقُلْتُ فِي ذَلِكَ :[399]

---

(394) الملزم ، أداة مركبة من خشبتين أو حديدتين يشد أوساطها بخشبة تحرك فتلزم الأداة ما فيها لزوما .
(395) الزبار ، حبل تشد به شفتا البهيمة وتشد به يدا الأسير إلى صدره .
(396) الإحاطة : لوحة 454 .
(397) الإحاطة لوحة : 455 .
(398) الصنج : شيء يتخذ من صفر يضرب أحدهما على الآخر .
(399) الإحاطة لوحة : 455 .

(الطويل)

لِخَيْرِ «بَنِي نَصْرٍ»، صُنِعْتُ، «مُحَمَّدٍ» فَيَهْدِيكَ مَعْنَى ٱلْعِزِّ مَا بِيَ وَالنَّصْرِ
عَلَوْتُ عَلَى بَحْرِ ٱلسَّمَاحِ حَبَابَةً وَلاَ غَرْوَ أَنْ يَعْلُو ٱلْحَبَابُ عَلَى ٱلْبَحْرِ

369

وَقَالَ يَهْجُو «ابْنَ كُمَاشَةَ» : (400)

(الخفيف)

هَدَمَ ٱلسَّدَّ، وَهْوَ مَا هُوَ، فَارْ كَيْفَ شَيْخٌ مُكَايِدٌ غَدَّارُ
إِنَّمَا ٱلْمُلْكُ نَاقَةٌ، وَهْوَ وَٱللَّهِ إِذَا لَمْ تُعَاجِلُوهُ قُدَارُ(401)
مِرْجَلٌ فَوْقَ قِدْرَةِ ٱلْغَدْرِ يَغْلِي أُضْرِمَتْ تَحْتَهُ، مِنَ الشَّرِّ، نَارُ
ظَاهِرُ الشُّؤْمِ فِي جَمِيعِ المَنَاحِي خَبَرٌ لَمْ يَغُضَّ مِنْهُ اخْتِبَارُ
وَرَسُولُ الشُّحُوسِ تَنْكَمِشُ ٱلأَوْ جُهُ مِنْ فَالِهِ، وَيُخْشَى ٱلْبَوَارُ
لَوْ سَمَا لِلْبُدُورِ حَالَ كَمَالٍ نَالَهَا ٱلْخَسْفُ، عَاجِلاً، وَالسِّرَارُ(402)
أَوْ أَتَى لِلْبِحَارِ يَجْلُبُ مَاءً يَبِسَتْ، كُلَّمَا أَتَاهَا، ٱلْبِحَارُ
لاَ تَهُلْكَ ٱلثِّيَابُ إِنْ كَانَ فِيهَا إِنَّمَا فِي ٱلثِّيَابِ لَوْمٌ وَعَارُ
إِنْ سَرَى فِي رِسَالَةٍ قُرِنَتْ بِالنَّحْسِ مِنْهَا ٱلأَعْمَالُ وَٱلأَسْفَارُ
جَاءَ فِيهَا ٱلأَمِيرَ، يَوْمَ «طَرِيفٍ»(403) فَاسْتَبَاحَتْ، حَرِيمَهُ، ٱلْكُفَّارُ
ثُمَّ فِي «ٱلْقَيْرَوَانِ»(404) عَادَ فَكَانَ ٱلشُّؤْمُ، مُسْتَصْحِباً لَهُ، وَٱلْفِرَارُ
وَلَقَدْ ضَاقَتِ ٱلأُمُورُ عَلَى ٱلْمَوْ لَى، وَخَابَتْ «بِرُنْدَةَ»(405) ٱلأَوْطَارُ

---

(400) نفاضة الجراب مخ (جـ : 3 لوحة 121).
(401) في المثل «أشأم من أحمر عاد» وهو قدار بن سالف عاقر الناقة.
انظر، الميداني (جـ : 1 ص : 346).
(402) السرار : آخر ليلة من الشهر.
(403) إشارة إلى المعركة التي انهزم فيها المسلمون. انظر ص : 86.
(404) لعله يشير إلى موقعة القيروان (749هـ / 1346م) التي أوقعتها القبائل العربية بأبي الحسن المريني، ويظهر أن علي بن كماشة كان حاضرا فيها.
انظر : العبر (جـ : 7 ص 567 وما بعدها).
(405) رندة Ronda مدينة من جنوب الأندلس، شمال الجزيرة الخضراء وغربي مدينة مالقة. =

وَتَوَلَّى عَنْهَا، فَكَانَ لَهُ ٱلْفَتْحُ، وَطَارَتْ فِي إِثْرِهِ ٱلْأَخْبَارُ
وَجَلَالِ ٱلْإِلَاهِ، لَوْ كَانَ فِيهَا حَاضِراً، مَا زَهَتْ بِخَيْرٍ دَارُ
حَكَمَ ٱللَّهُ أَنَّهُ يَابِسُ ٱلسَّا قِ، كَذَا ٱلْحُكْمُ لَيْسَ فِيهِ ٱخْتِيَارُ

370

وَقَالَ فِي ٱلْوَصْفِ : (406)

(السريع)

ثُعْبَانُ نَهْرٍ رَاعَنَا قَدُّهُ لَمَّا أَتَى يَنْسَابُ مِنْ جُحْرِهِ
فَاهْتَزَّتِ ٱلْأَغْصَانُ مِنْ فَوْقِهِ وَصَاحَتِ ٱلْأَطْيَارُ فِي إِثْرِهِ

371

وَأَنْشَدْتُ ابْنِي «عَبْدَ ٱللَّهِ» ، وَقَدْ وَصَلَ لِزِيَارَتِي مِنَ ٱلْبَابِ ٱلسُّلْطَانِيِّ ، حَيْثُ جِرَايَتُهُ ووظِيفَتُهُ وَأُنجِزَّ حَدِيثٌ مَا فُقِدَ «بِغَرْنَاطَةَ» مِنْ شُجُونِ ٱلْكَلَامِ : (407)

(الخفيف)

يَا بُنَيَّ، عَبْدَ ٱللَّهِ(408) ٱخْتِسَابَا عَنْ أُنَاثٍ وَمَنْزِلٍ وَعَقَارِ
كَيْفَ يَأْسَى عَلَى خَسَارَةِ جُزْءٍ مَنْ يَرَى ٱلْكُلَّ فِي سَبِيلِ ٱلْخَسَارِ؟
هَدَفٌ لَا تَنِي سِهَامُ ٱللَّيَالِي عَنْ سِبَاقٍ، تُجَاهَهُ، وَبِدَارِ
وَاحِدٌ طَائِشٌ(409) وَثَانٍ مُصِيبٌ لَيْسَ يُنْجِي مِنْهَا ٱشْتِمَالُ حِذَارِ
غَيْرَ ذِي ٱلدَّارِ صَرْفِ ٱلْهَمَّ فِيهَا فَمُنَاخُ ٱلرَّحِيلِ لَيْسَ بِدَارِ

= من أهم الحصون الأندلسية ، وفي أيام أبي الحسن كانت رندة قاعدة من القواعد المرينية في الأندلس — وقد استقر بها محمد الغني بالله أثناء رجوعه إلى الأندلس .
انظر : رندة في المعلمة الإسلامية المجلد 3 ص 1245 .

(406) الإحاطة مخ لوحة : 455.

(407) النفاضة (جـ : 2 ص 164) ، ازهار الرياض (جـ : 1 ص 299) .

(408) عبد الله ابن لسان الدين بن الخطيب . انظر ترجمته في مركز الإحاطة (جـ : 2 لوحة 275) والإحاطة مخ (لوحة : 231) .

(409) الازهار : سهم .

372

وَقَـال : [410]

(الكـامـل)

عَنِّي جَنَتْ فَعَلَامَ تُحْرَقُ أَضْلُعِي؟ أَبِمَا جَنَى جَارٌ يُعَذَّبُ جَارُ؟!
يَاقَلْبُ، لاَ تُذْهِشْكَ نِيرَانُ ٱلْهَوَى فَكَنَارِ «إِبْرَاهِيمَ» تِلْكَ ٱلنَّارُ[411]
فَاصْبِرْ عَلَى مَا حُمِّلُوا تَنَلِ ٱلْمُنَى بِـالسَّـبْكِ أَدْرَكَ نَـقْشَـهُ ٱلـدِّيـنَـارُ

373

وَقَـالَ : [412] (*)

(المتقـارب)

إِذَا قُمْتُ قُلْتُ عُقَيْبَ ٱلْكَرَى إِلَاهِيَ أَنْتَ إِلَاهُ ٱلْوَرَى
تَـبَـارَكْتَ أَنْشَـأْتَـهُـمْ مِنْ تُرَابِ وَأَنْشَـأْتَـنِي، بَيْنَـهُـمْ، مِنْ خَرَا

374

وَقَـــال : [413]

(الخفيـف)

لَمْ أَجِدْ فِيهِ لِينَ بَثٍّ لِقَلْبِي وَقَـبُـولاً لِـحُـجَّـتِي وَاعْـتِـذَارِي
ثَـقَّـلَ ٱللَّـهُ ظَـهْـرَهُ بِـعِـيَـالٍ سَوَّدَ ٱللَّـهُ وَجْـهَـهُ بِـعِـذَارِ

375

وَقَالَ مُتَغَزِّلاً : [414]

---

(410) النفح (جـ : 9 ص 209) .
(411) إشارة إلى الآية 60 سورة الأنبياء .
(412) النفح (جـ : 9 ص 202) . الإحاطة لوحة : 354 .
(*) ديباجة الإحاطة : «وقلت أخاطب من أدل عليه وما أولاني بذلك» .
(413) النفح (جـ : 9 ص 202) .
(414) النفح (جـ : 9 ص 205) ، الازهار (جـ : 1 ص 307) .

(الطويل)

أَجَادَ يَرَاعُ ٱلْحُسْنِ خَطَّ عِذَارِهِ وَأَوْدَعَهُ السِّرَّ ٱلْمَصُونَ ٱلَّذِي يَدْرِي
وَلَمْ يَفْتَقِرْ فِيهِ لِخَتْمٍ وَطَابَعٍ فَمَبْسِمُهُ أَغْنَاهُ عَنْ طَابَعِ ٱلسِّرِّ

376

وَقُلْتُ عَلَى طَرِيقَتِهِمْ[415] أَيْضاً : [416]

(مجزوء الرمل)

قُلْتُ لَمَّا سَأَلُونِي بِامْتِحَانِي وَاخْتِبَارِي
أَنَا مِنْ عَارِيَ كَاسٍ أَنَا مِنْ كَاسِيَ عَارِي

377

وَفِي قَرِيبٍ مِنْ ذَلِكَ ، وَٱللَّهُ ٱلْعَفُوُّ ٱلْغَفُورُ : [417]

(الرمل)

لِي حَبِيبٌ لَسْتُ أَعْصِي أَمْرَهُ لَمْ أُطِقْ، بَعْدَ وِصَالٍ، هَجْرَهُ
يَدَّعِي أَنِّي ثَقِيلٌ مُبْرِمٌ أَثْقَلَ ٱللَّهُ، بِعِدْلِي، ظَهْرَهُ

378

وَقَالَ يَرْثِي «أَبَا ٱلْحَسَنِ ٱلْمَرِينِيَّ» : [418]

٨٤ـ (الكامل)

إِنْ بَانَ مَنْزِلُهُ وَشَطَّتْ دَارُهُ قَامَتْ مَقَامَ عِيَانِهِ أَخْبَارُهُ
قَسَّمْ زَمَانَكَ عَبْرَةً أَوْ عِبْرَةً هَذِي ثَرَاهُ، وَهَذِهِ آثَارُهُ

(415) أي المشارقة .
(416) الإحاطة لوحة : 456 .
(417) الإحاطة لوحة : 457 .
(418) رقم الحلل في نظم الدول ص 97 وما بعدها ، النفح (جـ : 7 ص 28 وما بعدها) وفي أزهار الرياض (جـ : 1 ص 208 وما بعدها) البيتان الأولان .

إِنَّا إِلَى ٱلرَّحْمَانِ مِنَّا أَنْفُساً ... تَدْرِي ٱلصَّوَابَ، وَشَأْنُهَا إِنْكَارُهُ

مَدَّتْ مِنَ ٱلْآمَالِ إِلاًّ[419] كَاذِباً ... يَا طَالَمَا خَدَعَ ٱلنُّهَى غَرَّارُهُ

لاَ تُخْدَعَنَّ بِزِينَةٍ مِنْ زُخْرُفٍ ... عَمَّا قَلِيلٍ يُسْتَرَدُّ مُعَارُهُ

مَنْ سَالَمَ الدُّنْيَا يُسَالِمُ حَيَّةً ... مَرْهُوبَةً، فَلْيَدْرِ كَيْفَ حِذَارُهُ؟

كَيْفَ ٱلْخَلاَصُ لِهَارِبٍ قَدْ جَدَّ فِي ... طَلَبٍ حَثِيثٍ، لَيْلُهُ وَنَهَارُهُ

جَيْشَانِ مِنْ زَنْجٍ وَرُومٍ أَحْدَقَا ... بِطَرِيدِ مَعْرَكَةٍ، فَبَانَ فِرَارُهُ

يَدْعُو بِنَا ٱلدَّاعِي وَيُغْرِي بِٱلْمُنَى ... شَأْنُ ٱمْرِئٍ قَدْ خَانَهُ ٱسْتِبْصَارُهُ

وَٱلْمُلْتَقَى كَثِبٌ، وَإِنْ طَالَ ٱلْمَدَى ... وَتَقَلَّبَتْ بِمُعَمَّرٍ أَطْوَارُهُ

وَوَرَاءَ غَفْلَتِنَا مَعَادٌ جَامِعٌ ... هَاتِيكَ جَنَّتُهُ، وَهَذِهِ نَارُهُ

أَيْنَ ٱلْمُلُوكُ بَنُو ٱلْمُلُوكِ وَمَنْ إِذَا ... طَلَبَ الصِّعَابَ تَيَسَّرَتْ أَوْطَارُهُ

مِنْ كُلِّ بَدْرٍ دُجىً وَشَمْسٍ ظَهِيرَةٍ ... وَغَمَامِ جُودٍ لاَ يَنِي مِدْرَارُهُ

فَإِذَا غَزَا، فَمِنَ الدِّمَاءِ مُدَامَةٌ ... وَمِنَ الصَّهِيلِ، إِذَا ٱنْتَشَى مِزْمَارُهُ

هَذَا أَمِيرُ ٱلْمُسْلِمِينَ، وَمَنْ جَرَى ... مَثَلاً شَرُوداً، مَجْدُهُ وَفَخَارُهُ

هَذَا «أَبُو ٱلْحَسَنِ بْنُ عُثْمَانَ» ٱلَّذِي ... كَرَمَتْ عَنَاصِرُهُ، وَطَابَ نِجَارُهُ[420]

قَصَدَتْهُ عَادِيَةُ الزَّمَانِ، فَأَقْصَدَتْ[421] ... لَمْ تُغْنِ عَنْهُ، عِنْدَهَا، أَنْصَارُهُ

مِنْ بَعْدِ مَا فَتَحَ ٱلْفُتُوحَ وَدَوَّخَ ٱلْمَعْمُورَ حَتَّى أَذْعَنَتْ أَقْطَارُهُ

مِنْ بَعْدِ مَا خَلَفَ ٱلْغَمَائِمَ جُودُهُ ... عِنْدَ ٱلْهُطُولِ فَأَغْدَقَتْ أَمْطَارُهُ

مِنْ بَعْدِ مَا قَضَتِ ٱلنُّذُورَ رِمَاحُهُ ... مِنْ بَعْدِ مَا شَفَتِ ٱلصُّدُورَ شِفَارُهُ

يَازَاجِرَ ٱلْبَدْنِ ٱلْقِلاَصِ[422] بُقِيمُهُ ... أَنْجَادُهُ، وَتُقِيمُهُ أَغْوَارُهُ

وَتَحُثُّهُ الزُّلْفَى لِيَقْصِدَ عِبْرَةً ... فِي الدَّهْرِ، طَالَ، لِأَجْلِهَا ٱسْتِعْبَارُهُ

عَرِّجْ عَلَى ٱلْوَادِي ٱلْمُقَدَّسِ، وَٱلْحِمَى ... وَاقْصِدْ ضَرِيحاً لاَ يَغِيبُ جِوَارُهُ

وَمَقَامُ بِرٍّ عَظُمَتْ حُرُمَاتُهُ ... وَاخْتَالَ فِي خِلَعِ ٱلرِّضَى زُوَّارُهُ

---

(419) الإل : العهد .

(420) النجار : الأصل .

(421) أقصدته : أصابت مقتله .

(422) القلاص : النوق الفتية .

تُقْضَى مَنَاسِكُهُ، وَيُمْسَحُ رُكْنُهُ ... أَبَداً، وَتُقْذَفُ لِلدُّمُوعِ جِمَارُهُ

كَمْ فِيهِ مِنْ لَيْثٍ هِزَبْرٍ مَا سَطَا ... إِلاَّ وَمِنْ بِيضِ ٱلظُّبَا أَظْفَارُهُ

وَمُنَاخُ فَضْلٍ أَقْصَدَتْهُ يَدُ ٱلرَّدَى ... وَهِلاَلُ تِمٍّ خَانَهُ أَبْدَارُهُ

فَكَأَنَّمَا أَجْدَاثُهُم[423] لَمَّا بَدَتْ ... آيَاتُ وَعْظٍ رُتِّبَتْ أَسْطَارُهُ

رَوْضٌ تَأَرَّجَ عَرْفُهُ وَتَرَنَّمَتْ ... أَطْيَارُهُ وَتَهَدَّلَتْ أَشْجَارُهُ

خَضِرُ ٱلْجَنَابِ، سَقَى مَعَاهِدَهُ ٱلْحَيَا ... وَعَلاَ عَلَى كَنَزِ ٱلْجَلاَلِ جِدَارُهُ

لِلَّهِ مَا ٱشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ ثِيَابُهُ ... مِنْ مَفْخَرٍ بِٱلْحَمْدِ طَارَ مَطَارُهُ

وَلَرُبَّ رَكْبٍ أَعْمِلَتْ لِمَزَارِهَا ... أَقْتَادُهُ وَٱسْتَوْتَرَتْ أَكْوَارُهُ[424]

جَعَلُوا ٱلنَّسِيمَ دَلِيلَهُمْ وَقَدِ ٱخْتَفَى ... عَلَمُ ٱلطَّرِيقِ فَدَلَّهُمْ مِعْطَارُهُ

طَابَتْ مَعَاهِدُهَا بِخَيْرِ خَلِيفَةٍ ... مَنْ زَارَهُ غُفِرَتْ لَهُ أَوْزَارُهُ[425]

مَنْ كَانَ يُعْدَلُ بِالسَّحَائِبِ جُودُهُ ... مَنْ كَانَ يُوزَنُ بِٱلْجِبَالِ وَقَارُهُ

لَوْ رَامَ (يَقْتَنِصُ)[426] ٱلنُّجُومَ (لَنَالَهَا) ... حَتَّى يَحُطَّ عُلُوَّهَا ٱسْتِقْدَارُهُ

وَلَكَانَ دِرْهَمُهُ ٱلَّذِي يَسْمُو بِهِ ... بَدْرُ ٱلسَّمَاءِ، وَشَمْسُهَا دِينَارُهُ

أَوْ خَافَ طَيْرُ ٱلْجَوِّ مِنْ سَطَوَاتِهِ ... لَفَظَتْهُ عَنْ أَرْجَائِهَا أَوْكَارُهُ

مَلِكُ ٱلْمُلُوكِ أَجَلُّ مَنْ كَسِيَ ٱلتُّقَى ... بُرْداً، وَشُدَّ عَلَى ٱلْعَفَافِ إِزَارُهُ

مَلِكُ ٱلْمُلُوكِ، وَنُخْبَةُ ٱلنَّخَبِ ٱلَّذِي ... عُرِفَتْ عَلَى طُولِ ٱلْمَدَى أَنْوَارُهُ

يَافَارِجَ ٱلْأَزَمَاتِ بِٱلْقَلْبِ ٱلَّذِي ... مَهْمَا ارْتَمَى، ذَلَّتْ لَهُ أَخْطَارُهُ

يَامُجْزِلَ ٱلصَّدَقَاتِ فِي جُنْحِ ٱلدُّجَى ... وَٱللَّيْلُ قَدْ سُدِلَتْ لَهُ أَسْتَارُهُ

يَاكَافِلَ ٱلْأَيْتَامِ يُدْفَعُ عَنْهُمُ ... بِنَدَاهُ، جَوْرُ ٱلدَّهْرِ أَوْ أَضْرَارُهُ

يَا مَنْ تَكَفَّلَ بِٱلْأَمَانِ يَمِينُهُ ... لِلْآمِلِينَ، وَبِٱلْيَسَارِ يَسَارُهُ

يَا مَنْ بَوَحْيِ ٱللَّهِ فِي خَلَوَاتِهِ ... ضَاءَ ٱلدُّجَى، وَتَأَرَّجَتْ[427] أَسْحَارُهُ

يَاعَابِرَ ٱلْجَيْشِ ٱلْكَثِيفِ كَأَنَّهُ ... بَحْرٌ تَلاَطَمَ بِٱلْقَنَا زَخَّارُهُ

---

(423) الاجداث : (ج) جدث : القبر .

(424) اكوار : (ج) كور : الرحل بأداته .

(425) الاوزار : (ج) وزر : الذنب .

(426) بياض في الأصل .

(427) تأرجت : انتشر منها الأريج وهو الريحة الذكية .

حَشَرَ ٱلْأَنَامَ، فَمَا يُؤَمِّلُ حَصْرُهُ ... بِشَبَا ٱلْيَرَاعِ[428] وَلاَ يُطَاقُ حِصَارُهُ

يَامُلْبِسَ ٱلْأَوْرَاقِ مِنْ نُورِ ٱلْهُدَى ... حُلَلَ ٱلْجَمَالِ، تَأَلَّقَتْ أَنْوَارُهُ

فَكَأَنَّمَا أَطْرَاسُهَا[429] مُبْيَضَّةً ... غُرَرُ الصَّبَاحِ إِذَا بَدَا إِسْفَارُهُ

وَكَأَنَّ ذَاكَ ٱلْحِبْرَ مِنْ غَسَقِ ٱلدُّجَى ... وَكَأَنَّ زُهْرَ نُجُومِهِ أَعْشَارُهُ

يَاسَابِقَ ٱلْخُلَفَاءِ فِي طُلَقِ ٱلْعُلاَ ... وَٱلْمَكْرُمَاتِ، فَمَا يُشَقُّ غُبَارُهُ

يَامُسْتَهِينَ ٱلْخَطْبِ، لَمَّا أَعْضَلَتْ ... أَدْوَاؤُهُ، وَتَكَالَبَتْ أَشْرَارُهُ

وَمُقَابِلَ ٱلتَّمْحِيصِ بِالصَّبْرِ ٱلَّذِي ... زُرَّتْ، عَلَى مَبْدَا الْهُدَى، أَزْرَارُهُ

وَالتِّبْرَ، لَوْلاَ السَّبْكُ وَالتَّمْحِيصُ لَمْ ... يُشْتَقَّ مِنْ خَبَثِ ٱلتُّرَابِ نُضَارُهُ[430]

تَبْكِي عَلَيْكَ مَعَاهِدُ ٱلْمُلْكِ ٱلَّتِي ... كَانَتْ بِشَمْسِكَ تَهْتَدِي أَقْمَارُهُ

تَبْكِي عَلَيْكَ مَدَارِسُ ٱلْعِلْمِ ٱلَّذِي ... بِكَ صَاحَ «حَيَّ عَلَى ٱلْفَلاَحِ» مَنَارُهُ

نَمْ وَادِعاً، وَاهْنَأْ جِوَارَكَ فِي جِوَا ... رِ ٱللَّهِ، قَدْ نَالَ السَّعَادَةَ جَارُهُ

وَاعْلَمْ بِأَنَّ سَرِيرَ مُلْكِكَ حَلَّهُ ... مَنْ أَنْتَ، لَوْ خَيَّرْتَهُ، مُخْتَارُهُ

مَنْ هَزَّ دَوْحَ رِضَاكَ مُمْتَازاً بِهِ ... حَتَّى دَنَتْ مِنْ رَاحَتَيْهِ، ثِمَارُهُ

خَلَفْتَ «إِبْرَاهِيمَ»[431] خَيْرَ خَلِيفَةٍ ... لِلْمُسْلِمِينَ، قَدِ اسْتَقَرَّ قَرَارُهُ

مَوْلاَكَ مَوْلاَهُ، وَعَدْلُكَ عَدْلُهُ ... وَحُلاَكَ حِلْيَتُهُ، وَدَارُكَ دَارُهُ

وَرِضَاكَ طَاعَتُهُ، وَبَرُّكَ دَأْبُهُ ... وَدُعَاؤُهُ لِعُلاَكَ وَاسْتِغْفَارُهُ

حَتَّى كَأَنَّكَ لَمْ تُغَيَّبْ فِي ٱلثَّرَى ... وَكَأَنَّ عُمْرَكَ سَاعَدَ اسْتِمْرَارُهُ

وَٱلْغَيْثُ يُقْلِعُ ثُمَّ تَحْيَا بَعْدَهُ ... فِي ٱلرَّوْضِ عَنْ بَرَكَاتِهِ، أَزْهَارُهُ

يَهْنِيكَ مِنْهُ سَعَادَةُ ٱلْبَدْرِ ٱلَّذِي ... لَزِمَ ٱلْكَمَالَ، فَمَا يُخَافُ سِرَارُهُ

مِنْ شَمْسِ ذَاتِكَ قَدْ أَمَدَّ هِلاَلَهُ ... وَبِقُطْبِ سِيرَتِكَ اسْتَقَامَ جِدَارُهُ

زَوَّدْتَهُ بِرِضَاكَ عِنْدَ وَدَاعِهِ ... ،وَٱلْهَوْلُ قَدْ مَاجَتْ لَدَيْكَ، بِحَارُهُ

وَتَرَكْتَهُ بِيَدِ ٱلإِلاَهِ وَدِيعَةً ... فَتَضَمَّنَتْ لَكَ حِفْظَهُ أَقْدَارُهُ

عُوِّضْتَ مِنْ دَارِ ٱلْخُلُودِ بِمَنْزِلٍ ... لِلْخُلْدِ تَجْرِي، تَحْتَهُ، أَنْهَارُهُ

---

(428) اليراع : (ج) يراعة : القلم.

(429) أَطْرَاسُهَا : صُحُفُهَا.

(430) النضار : الذهب الخالص.

(431) يقصد أبا سالم المريني.

وَتَعَاهَدَتْكَ مِن ٱبْنِكَ ٱلْقُرْبُ ٱلَّتِي ... تَمْتَارُ نَحْوَ رِضَاكَ مَا تَمْتَارُهُ[432]

لاَ يَشْمَتُ ٱلأَعْدَاءُ كَوْنَكَ فِي ٱلثَّرَى ... فَٱلْمَوْتُ حُكْمٌ، لَيْسَ يُخْشَى عَارُهُ

وَإِذَا جَرَى ٱلْمَقْدُورُ فِي بَدْرِ ٱلدَّجَى ... يَوْماً، أَيَجْهَلُ، بَعْدَهُ مِقْدَارُهُ ؟!

وَٱلْخَلْقُ زَرْعٌ لِلْحَصَادِ مَآلُهُ ... وَإِذَا ٱسْتَحَقَّ فَمَا عَسَى إِنْظَارُهُ[433]

فَإِلَى ٱلْمَمَاتِ إِذَا ٱسْتَهَلَّ[434] حَيَاتُهُ ... وَإِلَى ٱلْمَشِيبِ إِذَا أَطَلَّ عِذَارُهُ

وَهِيَ ٱللَّيَالِي كُلَّمَا عَثَرَ ٱمْرُؤٌ ... يَوْماً، أَبَتْ مِنْ أَنْ يُقَالَ عِثَارُهُ[435]

وَالدَّهْرُ عَنْ فَتَكَاتِهِ، لاَ يَنْثَنِي ... وَأَخَصُّ مَنْ يَشْقَى بِهِ أَحْرَارُهُ

مَا بَالُ قَيْصَرَ إِذْ جَفَتْهُ قُصُورُهُ ؟ ... لَمْ تُغْنِ عَنْهُ طِوَالُهُ وَقِصَارُهُ

مَا بَالُ كِسْرَى لَمْ يُدَافِعْ سَوْرَهُ ؟ ... عَنْهُ ٱلرَّدَى، يَوْماً، وَلاَ إِسْوَارُهُ

وَاسْأَلْ عَنِ «ٱلنُّعْمَانِ» «حِيرَتَهُ» وَقَدْ ... عَشِقَ ٱلشَّقِيقَ ٱلْغَضَّ فَهْوَ شِعَارُهُ

شُقَّتْ عَلَى مَنْعَاهُ حُمْرٌ قِبَابِهِ ... وَشَقِيقُهُ أَلِفَ ٱلذُّرَى، وَبَهَارُهُ[436]

عَبَسَ ٱلزَّمَانُ «لِآلِ عَبَّاسٍ» فَمَا ... يُرْجَى تَهَلُّلُهُ وَلاَ ٱسْتِبْشَارُهُ

وَ«بَنُو أُمَيَّةَ» قَدْ أَدَارَ عَلَيْهِمُ ... قَدَحاً تَفَشَّتْ فِي ٱلْجَمِيعِ عُقَارُهُ

وَ«بَنُو عُبَيْدٍ» إِذْ تَعَبَّدَ مُلْكَهُمْ ... سُلْطَانُ «مِصْرَ» وَأَذْعَنَتْ أَمْصَارُهُ

أَخْنَى عَلَى آثَارِهِمْ فَأَبَادَهُمْ ... فَلَكٌ يَكُرُّ، عَلَيْهِمُ، دَوَّارُهُ

يَرْضَى ٱلرَّضِيُّ[437] بِهَا إِذَا مَا أُنْشِدَتْ ... يَوْماً، وَيَعْرِفُ، فَضْلَهَا، مِهْيَارُهُ[438]

قَدَحَتْ زِنَادُ ٱلشَّوْقِ نَارَ شُجُونِهِ ... وَإِذَا قَدَحْتَ ٱلزَّنْدَ طَارَ شَرَارُهُ

عَاقَ ٱلأَعَادِي عَنْ رِثَائِكَ بُرْهَةً ... فَغَدَا ٱلْغَبِيُّ وَشَانُكَ إِسْرَارُهُ

وَٱلْيَوْمَ حَلَّ عِقَابُ كُلِّ مُدَرَّبٍ ... مَاضِي ٱلشَّبَا يَفْرِي ٱلْفَرِيَّ غِرَارُهُ[439]

---

(432) تمتاره : تطلب الميرة : الزاد .

(433) الانظار : الامهال .

(434) استهل الصبي : رفع صوته بالبكاء .

(435) اقال عثرته : دعا له بالنجاة .

(436) البهار : العَرَارُ .

(437) تقدم التعريف به وهو الشريف الرضي الشاعر المعروف انظر ص : 124.

(438) مهيار : هو أبو الحسن، توفي ليلة الأحد 5 جماد الأخيرة سنة 428هـ.
انظر : مقدمة الديوان ـــ دار الكتب المصرية.

(439) غرار السيف : حده.

وَكَذَا «ٱلْحُسَيْنُ»[440] قَضَى وَلَمْ يُنْدَبْ إِلَى
زَمَنٍ تَوَالَتْ بَعْدَهُ أَعْصَارُهُ

حَقٌّ عَلَى مَنْ يَسْتَطِيعُ لِسَانُهُ صَوْغَ ٱلنِّظَامِ أَوِ ٱلنِّثَارِ بِدَارُهُ
لَمْ يَبْقَ عَنْ أَهْلِ ٱلضَّرُورَةِ مَانِعٌ فَٱلْيَوْمَ يَنْفَعُ مُكْثِراً إِكْثَارُهُ[441]
وَعَلَى ٱلْإِطَالَةِ وَٱلْإِطَابَةِ إِنَّمَا هِيَ نَافِعٌ يُزْرِي بِهِ ٱسْتِزْارُهُ
عُذْراً لِقَوْمِكَ عَنْ مَقَامٍ مُقْصَرٍ وَٱلْعَبْدُ يَعْفِرُ ذَنْبَهُ إِقْرَارُهُ
مَنْ رَامَ أَمْراً لاَ يُنَالُ مَرَامُهُ بِٱلْجُهْدِ كَانَ إِلَى ٱلْقُصُورِ قُصَارُهُ[442]
وَإِذَا ٱمْرُؤٌ وَافَى بِمَا فِي وُسْعِهِ سَقَطَ ٱلْمَلاَمُ وَرُوعِيَتْ أَقْدَارُهُ

379

وَقَالَ يَهْجُوهُ[443] ، وَذَكَرَ أَقْلاَمَهُ : [444]

(البسيط)

أَقْلاَمُكَ الصَّفْرُ يَابْنَيَّ إِنْ كَتَبَتْ رَسْمَ ٱلْحُرُوفِ عَلَى صَفْحَاتِ مَسْطُورِ
شَبَّهْتُهَا ، وَسَوَادُ ٱلْحِبْرِ يَخْضُبُهَا صَفَّارَةً غُمِسَتْ فِي جَوْفِ قَمْرُورِ[445]
ٱلْخَطُّ وَٱللَّفْظُ ، وَٱلْمَعْنَى ، وَمَا ٱنْتَخَبَتْ لِلْكَتْبِ مِنْ آلَةٍ ، نُورٌ عَلَى نُورِ

380

وَقَالَ يَهْجُوهُ : [446]

(الكامل)

«جَعْسُوسُ»[447] زَيَّنَ خِطَّةَ ٱلْحُكْمِ ٱلَّتِي شَهِدَ ٱلْعَفَافُ لَهُ بِهَا ، وَٱلْخَيْرُ

---

(440) الحسين السبط بني علي بن أبي طالب (4 ــ 61هـ / 625 ــ 680م) انظر الاعلام (جـ : 2 ص 263) .
(441) يعني بأصحاب الضرورة الشعراء غير المجيدين .
(442) القصارى : الغاية .
(443) يقصد أبا الحسن النباهي .
(444) نثير فرائد الجمان ص : 254 .
(445) القمرور والقمرون : نوع من السمك .
(446) نثير فرائد الجمان ص 255 .
(447) الجعسوس : القصير الدميم .

فَصَلَ ٱلْخُصُومَ وَقَامَ يَرْكَبُ نَائِماً عَنْهَا، وَمَدَّ جَنَاحَهُ ٱلطَّاشُورُ[448]
وَكَأَنَّهُ جُعَلٌ يُدَحْرِجُ، جَاهِداً ..كُرَةَ ٱلْخَرَاءِ. وَبَعْدَ ذَاكَ يَطِيرُ

381

وَقَالَ يَهْجُوهُ وَذَكَرَ نَعْلَهُ : [449]

(المجتث)

«جَعْسُوسُ» يَا شَرَّ طَيْرِ لاَ بُوْتَ يَوْماً بِخَيْرِ
شَبَّهْتُ قَرْنَكَ لَمَّا أَعْمَلْتَ، مُسْرِعَ سَيْرِ
صَفِيحَةً قَدْ تَدَلَّتْ مِنْ خَلْفِ حَافِرِ عَيْرِ

382

وَقَالَ يَهْجُوهُ وَوَرَّى : [450]

(الوافر)

«لِشَمْسِ ٱلدِّينِ» زَوْجٌ ضَجَّ مِنْهَا وَطَالَ لِفِعْلِهَا مِنْهُ ٱلنَّكِيرُ
أَشَمْسَ ٱلدِّينِ لاَ قُرِنَتْ لِقَرْنٍ فَقَرْنُ ٱلشَّمْسِ مَعْرُوفٌ شَهِيرُ[451]

283

وَقَالَ يَهْجُوهُ وَيَصِفُ طَاشُورَهُ : [452]

(مجزوء الرمل)

إِنَّمَا طَاشُورُ «جَعْسُو سٍ» بِيَوْمٍ مُكْفَهِرْ
وَرَقُ ٱلأَكْرُنْبِ مَجْعُو لاً عَلَى خِرْيَةِ هِرْ

---

(448) الطاشور : (شاشية زرقاء بدل العمامة) .
(449) نثير فرائد الجمان ص : 255 .
(450) نثير فرائد الجمان ص 256 .
(451) قرن الشمس : ناحيتها أو اعلاها أو أول شعاعها .
(452) نثير فرائد الجمان ص 254 .

انتهى
الجزء الأول
ويليه الجزء الثاني

مطبعة النجاح الجديدة
الدار البيضاء

الايداع القانوني رقم 1988/810